

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة.

الحمد لله رب العالمين
خان الطالب المحمد بن عبد الله
محمد بن عبد الله بن عبد الله
ما طلب منه ، وبالله التوفيق
المبداء لا اله الا الله

المشرف
الشيخ الزهراني

لقد قام الطالب بالهداية
ما طلب منه فتمت المذاكرة
عبد الله بن عبد الله
جهود
الشاه اسماعيل بن عبد الغني بن الشاه ولي الله الدهلوي
في توضيح عقيدة السلف في شبه القارة الهندية
(١١٩٣هـ - ١٢٤٦هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية - الماجستير

اعداد الطالب
محمد عبد السلام محمد غوث

بإشراف
الدكتور / عطية بن عتيق الزهراني

١٤١٥هـ / ١٩٩٥م

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. (٤)

إن نعم الله عز وجل على عباده لاتعد ولا تحصى ومن أعظمها نعمة الإيمان ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (٥) ومن علينا بإرسال خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٦)

ومن عظيم نعمه الخاصة بالأمة الإسلامية تكفله بحفظ الدين إلى يوم الدين عن التحريف والتبديل، كما قال الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٧) وقد صدق وعده

(١) سورة آل عمران / ١٠٢

(٢) سورة النساء / ١

(٣) سورة الأحزاب / ٧١-٧٠

(٤) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة، رواها أبو داود - النكاح - ٢١١٨ والترمذي - النكاح - ١١٠٥ وحسنه، والنسائي - الجمعة - ١٠٤/٣ وابن ماجه - النكاح - ١٨٩٢ وصححه الألباني انظر تخريج المشكاة - ٣١٤٩ وله رسالة جمع فيها طرق هذه الخطبة .

(٥) سورة الحجرات / ١٧

(٦) سورة آل عمران / ١٦٤

(٧) سورة الحجر / ٩

بتسخير العلماء العاملين بالكتاب والسنة، في كل زمان ومكان، ويجعلهم ورثة لأنبيائه (١) ورثوا عنهم العلم والعمل فقاموا بما ورثوا خير قيام، فأقاموا الحجة على خلقه، يدعونهم إلى دينه الصحيح، ويحمونه من شوائب الشرك والبدع، ويدفعون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، تصديقا لقول رسوله النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" (٢)

ومن هؤلاء العلماء الذين اختارهم الله لنشر توحيده ودفع الشرك عنه وإحياء السنة وإماتة البدع الشاه محمد إسماعيل بن الشاه عبد الغني بن الشاه ولي الله الفاروقي الدهلوي، المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ "مؤسس النهضة السلفية في شعاب الهند وأقطارها" (٣) "رائد حركة أهل الحديث وقائدها" (٤) في القارة الهندية، جزاه الله عنا خير الجزاء.

وبعد إن الله لما يسر لي مواصلة الدراسة في قسم العقيدة بالدراسات العليا في الجامعة الإسلامية السلفية الغراء، بالمدينة النبوية، وكان من نظام الجامعة كتابة بحث في موضوع مفيد اخترت أن يكون بحثي في جهود الشاه محمد إسماعيل في توضيح عقيدة السلف في تلك الديار البعيدة منها، فهو جدير بأن تنوه بجهوده وجدير بأن يكتب عنه، فقد بذل في سبيل نصرة التوحيد والسنة ماله ونفسه، وما أروع ما قيل في الموازنة بين دعوته ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه وجد من يحاربه والشيخ وجد من يساعده في آخر الأمر.

والجدير بالذكر أن الشاه وإن كان رائد السلفية في الهند ومؤسساتها، وملاً صيته الهند ونواحيها، إلا أن طبيعة دعوته لم تسمح له التفصيل في المسائل العلمية الدقيقة التي تبرز بها منزلة العلماء، وخاصة إذا ووزن هو و جهوده بمشاهير الأمة الإسلامية وجهودهم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله وغيرهم، فهو دونهم بكثير، ولكن تبرز شخصيته وقيمه إذا قورن برجال بلده ومعاصريه، فهو فوقهم بكثير وإن كانت الموازنة لاتستحسن بين علماء الأمة.

(١) الحديث أخرجه البخاري - العلم - ١٠

(٢) رواه مسلم - الإمارة - ١٧٠

(٣) النهضة السلفية في الهند وباكستان ص: ٥

(٤) البريلوية ص: ١٦٢

جهوده ليست عالمية شاملة، بل هي محدودة في القارة الهندية، ثم إنه رجل عجمي نشأ في قرون متأخرة وعاش في بلد بعيد عن منهج السلف، وخاطب العجم الغارقين في علوم الفلسفة والكلام، المتعصين لمعتقداتهم أشد التعصب، والخاضعين لعلمائهم إلى حد العبادة، ولذا قد لان جانبه في دعوتهم والرد عليهم .

و اتخذ الفارسية (لغة الرافضة) والأردية (المتأثرة بها) وسيلة لدعوته مع العربية (لغة الكتاب والسنة) ولا يخفى أن لكل لغة أسلوباً في التخاطب والتعبير، فنراه في غضون كلامه استخدم مصطلحات صوفية وألفاظ محدثة، لمعان صحيحة، ولعله اضطر إلى ذلك لطبيعة اللغة التي كان يكتب بها، ولتقريب الحق إلى أهلها، فاعذر له أليق من النقد عليه، وينبغي أن تقرأ شخصيته وجهوده في هذا السياق الذي ذكر، حتى لا يهضم حقه من الإنصاف ولا يحط شأنه من الاستحقاق.

منهج البحث

الكتابة في جهود الشخصية تقتضي جمع كلامه وآرائه والمسائل العلمية التي تناولها بالأخذ والرد، وعرضها عرضاً منسقاً مرتباً حتى تتجلى جهوده، بناءً عليه قد اكتفيت بسرد كلامه مرتباً في أبواب العقيدة، ولم أثقله بالتعليق والشرح إلا عند الضرورة، وينحصر دوري في تفصيل ما أجمله، وتوضيح ما أراده، وبيان ما قصده، والاستدلال على ما لم يذكر عليه دليلاً. وأوردت عبارات المؤلف أكثر من موضع، وذلك لاحتوائه أكثر من مسألة عقدية.

وقدمت مدخلاً عاماً عند دراسة المؤلف وسرد كلامه، أذكر فيه معتقد السلف وموقفهم مجملًا في ذلك الباب.

وقمت بما يلي:

١. عزوت جميع الآيات الواردة في البحث، ووضعناها بين قوسين مزهرين،
٢. خرجت كل حديث وارد في البحث تخريجاً مختصراً حسب المستطاع، إن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما عزوت إلى السنن الأربعة مع مسند أحمد، وقد طولت في العزو أحياناً من غيرها من المراجع الحديثية. والتزمت ذكر رقم الحديث في العزو لما فيه من السهولة في المراجعة، وحاولت أن لا يمر حديث إلا وأذكر حكمه من الصحة والضعف لتوقف الفائدة عليه، ولم أستقل بالحكم على الحديث، بل غالب اعتماده كان على كتب الشيخ الألباني حفظه الله، والعزو إليها يكفي لمن يريد التوسع فيه،

٣. ترجمت أعلاماً غير معروفة ورد ذكرهم في البحث، دون الصحابة والمشاهير،

٤. عرفت الأماكن الغريبة دون المعروفة والمشهورة،

٥. عرفت الكلمات الغريبة،

٦. عرفت المصطلحات العلمية،

٧. عرفت الملل والفرق،

٨. قمت بفهرسة المحتويات والآيات والأحاديث والمصادر والأعلام والأماكن والفرق

تسهيلاً للقارئ وتيسيراً للمراجع.

خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وتتضمن المقدمة مايلي:

- أهمية البحث وضرورة الكتابة فيه،

- منهج البحث وخطته،

- مشاكل البحث

- شكر وتقدير

أما التمهيد فقد شمل موضوع دخول الإسلام في الهند، وأحوال الغزاة والدعاة الذين قدموا الهند، وأحوال الحكومات التي قامت فيها، وما ترتبت عليها من آثار.

الباب الأول: حياة الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : عصر الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : البيئة السياسية

المبحث الثاني : البيئة الاجتماعية

المبحث الثالث: البيئة العلمية

الفصل الثاني : حياته الشخصية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته ولقبه و ولادته ومواهبه:

المبحث الثاني : صفاته

المبحث الثالث: استشهاده

المبحث الرابع : أسرته العلمية، وتحت ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : أجداده

المطلب الثاني: جده الشاه ولي الله ودوره في نشر الكتاب السنة:

المطلب الثالث: أولاد الشاه ولي الله ودورهم في نشر الكتاب والسنة

الفصل الثالث : حياته العلمية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : طلبه للعلم، وتحتة مطلبان.

المطلب الأول: توجهه إلى العلم

المطلب الثاني: شيوخه

المبحث الثاني: تلاميذه

المبحث الثالث : منزلته العلمية، وتحتة مطلبان.

المطلب الأول : مذهبه

المطلب الثاني : منزلته عند العلماء

المبحث الرابع : مؤلفاته، وتحتة مطلبان.

المطلب الأول: مؤلفاته

المطلب الثاني: ترتيب مؤلفاته حسب التاريخ

الفصل الرابع : دعوة الشاه محمد إسماعيل وأهدافها والمقارنة بين دعوته ودعوة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

المبحث الثاني: منزلة الشاه إسماعيل في الدعوة

المبحث الثالث: أسس الدعوة و أهدافها:

المبحث الرابع: وسائل الدعوة

المبحث الخامس : آثار دعوته في شبه القارة الهندية

المبحث السادس: مشاكله في سبيل الدعوة:

الفصل الخامس: جهاده بالسيف

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف واعتراضات المعاندين عليه، تحتة مطلبان

المطلب الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف

المطلب الثاني: جهود الشاه في دحض الشبهات حول دعوة الجهاد وتعيين الأمير

المبحث الثاني: الهجرة لإقامة الجهاد، وتحتة مطلبان.

المطلب الأول : الهجرة

المطلب الثاني: مشاكل الهجرة

المبحث الثالث : جهود الشاه في إقامة أمير شرعي للجهاد، وتحت مطالبان.

المطلب الأول: أحوال سرحد وأفغانستان

المطلب الثاني: جهوده في أخذ بيعة الجهاد

المبحث الرابع :استشهاد المجاهدين، وتحت مطالبان.

المطلب الأول: مكيدة خطيرة ضد المجاهدين

المطلب الثاني : استشهادهم

الباب الثاني: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، والتحذير من البدعة وما يصد عن التمسك بهما.

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة^م خلال شرح الإيمان بالله ورسوله، وتحت أربعة مطالب.

المطلب الأول: استدلاله على التزام التوحيد ونبذ الشرك واتباع الرسول واجتناب البدع بأجزاء كلمة الإيمان.

المطلب الثاني: استدلاله على التمسك بالسنة بشرح مقتضى الشهادة والإيمان

المطلب الثالث :حجة الله ورسوله تقتضى التمسك بالسنة:

المطلب الرابع: ترك الحديث بعد ثبوته من مشاققة الرسول

المبحث الثاني : في بيان المضار الناتجة من الإعراض عن التمسك بالكتاب والسنة، وتحت ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : الإعراض عن الكتاب والسنة يسبب الفرقة

المطلب الثاني: في التمسك بالسنة نجاة من الفرقة والبدعة

المطلب الثالث: فضل التمسك بالسنة عند الغربة

المبحث الثالث: مرتبة الكتاب والسنة أمام أقوال الأئمة والمشايخ

الفصل الثاني: جهوده في إبطال ما يصد عن التمسك بالكتاب والسنة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في رد التقليد الجامد، وتحت أربعة مطالب.

المطلب الأول: في رد التمسك لما يخالف الكتاب والسنة

المطلب الثاني: مضار التقليد الجامد

المطلب الثالث: الرد على من أوجب التقليد

المطلب الرابع : حكم التقليد

المبحث الثاني: جهوده في رد تحكيم العقول و الأقيسة الفاسدة، وتحتة مطلبان.

المطلب الأول : جهوده في الرد على تحكيم العقول والأقيسة الفاسدة

المطلب الثاني : جهوده في إبطال المعتقدات الفاسدة المبنية على العقول والظنون

المبحث الثالث: جهوده في إبطال علوم، لاتنفع في فهم الكتاب والسنة، وتحتة مطلبان.

المطلب الأول: التحذير من الخوض في علم الكلام والفلسفة والمنطق وعلوم الصوفية

المطلب الثاني: جهوده في الحث على علم نافع وهو علم الكتاب والسنة

الفصل الثالث: جهوده في التحذير عن البدعة ببيان مضارها وأخطارها وتحديد

مفهومها وأقسامها والأمثلة عليها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : جهوده في بيان مضار البدعة، وتحتة ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: البدعة تحدث خللا في الإيمان

المطلب الثاني: المبتدع يطعن في الله ورسوله

المطلب الثالث: المبتدع مطرود من الحوض

المبحث الثاني: مفهوم البدعة، وتحتة ستة مطالب.

المطلب الأول: تقسيم البدعة إلى أصلية و وصفية

المطلب الثاني: في تحديد مفهوم البدعة الأصلية

المطلب الثالث: البدعة الوصفية

المطلب الرابع: التفصيل في طرق التشريع

المطلب الخامس: ثمرة التفصيل في بيان طرق التشريع

المطلب السادس : وجوب مراعاة المراتب في الأمور الشرعية

المبحث الثالث : البدعة الحكمية أو الفعلية، وتحتة ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : مدار البدعة على اعتقاد صاحبها أنها من الدين

المطلب الثاني: البدعة الحكمية أو الفعلية

المطلب الثالث : حكم البدعة

الفصل الرابع: الرد على المبتدعة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الرد على الصوفية، وتحتة مطلبان.

المطلب الأول: الصوفية أهم المانعين عن طريق الحق

المطلب الثاني: الرد على عقائد الصوفية ورياضاتهم وأحوالهم

المبحث الثاني: الرد على بدع الفقهاء

الباب الثالث: جهوده في توضيح عقيدة السلف.

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: جهوده في بيان توحيد الربوبية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : مدلوله اللغوي و الاصطلاحي، تحتة مطلبان.

المطلب الأول: التوحيد في اللغة

المطلب الثاني: التوحيد في الاصطلاح

المبحث الثاني: في تعريف توحيد الربوبية وبيان حقيقته، تحتة ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية

المطلب الثاني: توحيد الربوبية لم ينازع فيه الكفار.

المطلب الثالث: إقرار توحيد الربوبية فطري وعقلي

المبحث الثالث: الإشراك في توحيد الربوبية، تحتة ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: رد الإشراك في التصرف

المطلب الثاني: لاتصرف لمخلوق مهما بلغ من المنزلة

المطلب الثالث: حكم من اعتقد التصرف فيما سوى الله

المبحث الرابع: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية

الفصل الثاني: جهوده في بيان توحيد الألوهية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية توحيد العبادة، تحتة ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مقصود بعثة الرسل، الدعوة إلى توحيد العبادة

المطلب الثاني: أول واجب على المسلم تفقه معنى التوحيد والشرك

المطلب الثالث: فضل التوحيد وثوابه

المبحث الثاني: شرح كلمة التوحيد ومعنى العبادة، تحته مطلبان.

المطلب الأول: في شرح كلمة "لا إله إلا الله"

المطلب الثاني: تعريف العبادة

المبحث الثالث: أفراد العبادة، تحته مطلبان.

المطلب الأول: أنواع العبادة كلها لله، والبشر يستحقون التعظيم دون العبادة

المطلب الثاني: سرد أفراد العبادة

الفصل الثالث: جهوده في توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سبب قلة كلام الشاه في موضوع الأسماء والصفات

المبحث الثاني: إثبات جميع الصفات والرد على من يؤولها

الفصل الرابع: جهوده في توضيح الشرك في الألوهية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشرك تعريفه، وأقسامه، ودحض الشبهات فيه، تحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الشرك وأقسامه

المطلب الثاني: رد الإشراف في صفة علم الغيب، ونفيها عن جميع الخلق

المطلب الثالث: طرق معرفة الغيب كلها كذب وزور و ادعاء بالألوهية، ورد شبهة

حول وقوع ما تنبأ المنتبئون

المبحث الثاني: ذكر جملة من أنواع الشرك وسد الذرائع الموصلة إليها، تحته مطلبان.

المطلب الأول: الشرك في الدعاء والرجاء والخوف والذبح والنذر والحلف بغير الله و

في الطاعة:

المطلب الثاني: حماية التوحيد بسد جميع ذرائع الشرك

المبحث الثالث: عودة الشرك القديم في الأمة وشبهات المشركين في ذلك، تحته مطلبان.

المطلب الأول: وقوع الشرك في الأمة المسلمة

المطلب الثاني: شبهاتهم في اتخاذ الوسائط

المطلب الثالث: إزالة هذه الشبهات

الفصل الخامس: جهوده في الإيمان بالأنبياء، وبالقدر، وفي بيان مسائل الإيمان، وفضائل الصحابة، والإمامة.

المبحث الأول: جهوده في الإيمان بالأنبياء

المبحث الثاني: جهوده في الإيمان بالقدر

المبحث الثالث: جهوده في مباحث الإيمان

المبحث الرابع: جهوده في فضائل الصحابة

المبحث الخامس: جهوده في بيان الإمامة.

المطلب الأول: تعريف الإمامة

المطلب الثاني: أقسام الإمامة

المطلب الثالث: تعريف الخليفة الراشد والأحكام المتعلقة به

المطلب الرابع: الإمامة الحكمية وأحكامها

والخاتمة تشتمل على أهم نتائج البحث وخلاصته.

ثم ذكرت فهارس المحتويات، والمصادر، والآيات، والأحاديث، والأعلام، والأماكن، والفرق.

عقبات في إنجاز البحث

لايستغرب أن يواجه الباحث مشاكل وصعوبات في صدد إنجاز بحثه، وخاصة إذا كان بحثاً علمياً تحت مراقبة مشرف يتابع كل سطر وحرف، وتحت شروط جامعية وقيودها. مشاكل هذا الموضوع:

١- أصعب مشكلة واجهتها هي تعريف بشخص يكتب بلغة أجنبية إلى الناطقين بلغة القرآن،

٢- قلة المراجع،

أ- قد كان الشاه محارباً في دعوته من قبل الشعب والسلطة في حياته وبعد مماته، فقد ضاعت مجموعة ضخمة من خطبه ومكاتباته (١) في الحرب التي استشهد فيها.

ب - كان المبتدعة في سعي مستمر للحيلولة بينه وبين انتشار كتبه بشتى الوسائل (٢).

ج - قد حمل لواء الجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي تلاميذه من بعده، فألحقوا به خسائر فادحة في حروب مريعة عديدة، فأصبحوا حلماً مزعجاً له، فاتهمهم الاستعمار الإنجليزي بالوهابية، فبرر لإراقة دمائهم الطاهرة ووضع السيف فيهم " بأن كل وهايي باغ" (٣) فحرمت العلاقة معهم والكتابة عنهم وعن أحوالهم وطباعة كتبهم وشرائها (٤) وبهذا قلت المصادر والحقائق عنه.

د - لم يطبع بعض كتبه إلا مرة واحدة قبل مدة مديدة، وبعض كتبه كانت بالفارسية لغة عصره، وانتهى دور تلك اللغة من الهند مع نهاية دولة المغول، فلم يبق من يقرأها ويتكلم بها إلا قليل، وبعد بحث شديد وأسفار طويلة في نواحي الهند حصلت على بعض كتبه وصورت بعضها من مكنبات قديمة، والحمد لله.

هـ - التزام تعريف أعلام وأماكن غير معروفة وردت في البحث أخذ غير قليل من وقتي، لندرة المؤلفات التي تخدم أماكن ورجال القارة الهندية،

٣ - الترجمة من كتبه "الفارسية" و"الأردية" إلى العربية أجهدتني كثيراً.

(١) انظر سيد أحمد شهيد ص: ٨٥٦ و جماعت مجاهدين ص: ٢٠٥

(٢) انظر التفاصيل في "مؤلفاته" ص: ٧٠

(٣) هندوستان كي بهلي إسلامي تحريك ص: ٢٤

(٤) انظر تفاصيله في ترجمة "حرم علي" تلميذ الشاه إسماعيل

٤ - لم يكتب عن الشاه محمد إسماعيل رحمه الله باللغة العربية إلا نادراً، ولذا لم تكن تتوفر عنه المصادر عند الحاجة، وكانت جل المصادر عنه بلغة أجنبية، وليس من السهل الاستفادة منها في البحث إلا بتوفيق من الله عز وجل.

إن الشكر واجب لله عز وجل على آلائه المتوافرة، ونعمه السابغة، فأشكر الله تعالى، على نعمة الإيمان، ثم الشكر له على ما أنعم على من فرصة النهل من مناهل الجامعة الإسلامية المباركة الصافية من كدورة الشرك والبدع .

ثم انطلاقاً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" (١) أقول جزى الله المملكة العربية السعودية خيراً وحماها من كل شر وكيد على ما تولى من اهتمام بالغ لخدمة الإسلام والمسلمين وطلاب العلم خاصة.

وجزى الله عني الجامعة الإسلامية بجميع منسوبيها من المسئولين والمدرسين والإداريين والموظفين خيراً الجزاء، وبارك لهم في جهودهم ويقبل صالح أعمالهم.

ثم أشكر فضيلة الشيخ د - عطية بن عتيق الزهراني حفظه الله، المشرف على الرسالة، لفضيلته دور رئيسي في إخراج الرسالة في هذه الصورة فقد قام بتوجيهي وإرشادي إلى مواصلة السير العلمي خيراً قيام، وبذل وقته وجهده في قراءة الرسالة، وتصحيح الأخطاء والأفكار، وصبر على بكل جلد وأناة في تصحيح أسلوب الترجمة واللغة، وأغلى ما أملك لفضيلته، الدعاء الصالح سرا وعلانية، فجزاه الله عني وعن كل مستفيد من هذه الرسالة خيراً الجزاء.

ثم إنني أشكر كل من ساعدني بمشورة صادقة، وكلمة طيبة ونصيحة خالصة ومساعدة قولية أو فعلية، فجزى الله جميعهم خيراً الجزاء، وأخص بالذكر الأخ الفاضل سامي سيف الرحمن أحمد الدهلوي حفظه الله، حيث فتح لي مكتبته ومكتبة أبيه على مصراعيهما في كل حين، جزاه الله خيراً الجزاء.

(١) رواه أبو داود - الأدب - ٤٨١١ والترمذي - البر - ١٩٥٥ وقال الترمذي حسن صحيح الحديث

صحيح انظر سلسلة الصحيحة - ٤١٦

تمهيد

دخول الإسلام في الهند

كانت الهند ترتبط مع العرب بعلاقات تجارية واجتماعية وطيدة منذ عهد بعيد. ولما بزغ نور الإسلام في أرض الجزيرة انتقل مع بحارة العرب والتجار إلى أرض الهند ولكن كان وصوله في حدود ضئيلة جداً، حيث لم يتجاوز ساحل الجنوب الغربي المنطقة التي تسمى "كيرلا" و"مليبار".

وذكر بعض المؤرخين أن وفداً من أهل "سرنديب" (١) أرسل إلى المدينة النبوية لكي يأتي بالأخبار عن الدين الإسلامي، وتأخر الوفد في وصوله، ولم يصل (إلا إليها) بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. (٢)

مراحل دخول الإسلام في الهند

المرحلة الأولى: (١٥هـ - ٩٠هـ)

لم يتوجه المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين إلى الهند وخاصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن يرض بركوب المسلمين البحر (٣) ولكن لأسباب طارئة أرسل إلى "عمان" عثمان بن أبي العاص الثقفي بدون إذنه أخاه الحكم بن أبي العاص بقوة بحرية شنت الغارة على "تهانه" (٤) "وبهروج" في غجرات الحالية، ولكن لم يرض عمر بما حصل منه رضي الله عنه. ثم أرسلت حملة برية صغيرة سنة ٢٣ هـ إلى مكران (٥) في بلاد السند فتغلب عليها المسلمون، وامتنع عثمان رضي الله عنه أيضاً عن مواصلة الفتوح لما أخبره المخبرون عن صعوبة

(١) هي جزيرة عظيمة في بحر الهند، المعروفة باسم "سيلان"، انظر رجال السند والهند ص: ٣٣

(٢) انظر: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ص: ١٤ و"العرب والهند في عهد الرسالة ص: ١٠٩

(٣) انظر: الكامل في التاريخ ٣٧٧/٢، دار الكتاب العربي بيروت، ط، السادسة.

(٤) منطقة على بعد (٣٠) ميلاً من "بمباي" عاصمة ولاية مهاراشترا اليوم "رجال السند والهند" ص: ٣١

(٥) وهي مدينة قريبة من "ملتان" في باكستان الحالية، معجم البلدان ١٨٠/٥

السفر ووعورة المسالك وكثرة العدو في تلك الناحية (١) ولذا لم تفتح من أراضي الهند في عهد الخلفاء الأربعة إلا هذه المناطق اليسيرة (٢)

كذلك لم يهتم الخلفاء الأمويون بفتح الهند كثيرا وقد استولى بعض أمراء "مكران" على المناطق المجاورة لها ولكن كانت الحروب سجالا بين المسلمين وبين الوثنيين (٣).

المرحلة الثانية (٩٠ هـ - ٣٩٠ هـ)

فتح محمد بن قاسم

وفي سنة ٩٠ هـ لما كان الحجاج أميراً على العراق وقعت كارثة لها أثر كبير في اتجاه المسلمين إلى فتح الهند وذلك أن ملك سرنديب (سيلان) أرسل تحفا نادرة مع حجاج العرب إلى الخليفة وحملهم على ثماني عشرة سفينة، وفيها نساء مسلمات وكانت السفن في طريقها إلى العراق هجم عليها القراصنة قرب "ذيل" (٤) فنهبوا الأموال وغصبوا النساء فلما بلغ الخبر الحجاج غضب غضبا شديدا وكان متضايقا كثيرا من ملوك السند لتعرضهم تجار العرب ولحمايتهم دولة العلافيين من الخوارج (٥) في "مكران" (٦) فأرسل الحجاج رسولا يطلب تحرير النساء وإعادة الأموال فلم يبال به الملك الوثني، فأرسل بعض الكتائب ولكنها منيت بالهزيمة فجهز جيشا عظيما مكتملا من كل ما يحتاجه تحت قيادة محمد بن القاسم الثقفي (٧) فدخل

(١) لما سأل عثمان الخليفة الثالث رضي الله عنه عن الهند حكيم بن جبلة قال: ماءها وشل وممرها دقل ولصها بطل إن قل الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا، فقال عثمان: أحابر أم ساجع؟ فقال: بل حابر، فلم يفزها أحد في أيامه، (معجم البلدان ٥/١٨٠)

(٢) انظر: الكامل في التاريخ ٣/ ٢٢ - ٢٤

(٣) انظر تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ١/ ٦٦

(٤) يقال لها اليوم "بهمبور" في جنوبي كراتشي على ثلاثة وعشرين ميلا وظهرت آثارها بعد عملية الحفر "رجال السند والهند. ص: ٣٣

(٥) وستاني تعريفهم. ص ١٣٨١٦

(٦) تقدم تعريفه ص: ١٤

(٧) محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ووالها من كبار القادة ومن رجال الدهر في العصر المرواني

(٦٢ توفي نحو ٩٨ هـ) الاعلام ٦/ ٣٣٣

السند وانتصر على ملكه وفتح المناطق العديدة في السند ثم رجع منها بعد أربع سنوات (١) على رغم بطولة الشاب الثقي لم يتغلغل المسلمون في الهند ولم تطأ أقدامهم أراضيها القاصية وبعيدة الأطراف فاقتصروا على جزء بسيط فتحه ابن القاسم، ثم كثرت الاختلافات القبلية فيما بينهم فشغلوا بها وغفلوا عن فتح الهند ونشر الإسلام فيها حتى فتحها محمود الغزنوي (٢). ومن جانب آخر قد قامت دعوات هدامة منحرفة في هذه الأجزاء المفتوحة من الهند فقد نشط دعائها وقامت لهم دويلات صغيرة وكبيرة تبني العقائد الفاسدة فراحت نحلهم ونفقت أسواقهم وإليكم بيانها .

الخوارج (٣)

قامت دولة الخوارج دولة العلافين تحت قيادة معاوية ومحمد بن الحارث سنة (٨٠-٨٥ هـ) وكان ملك ديل الوثني يحميها ويساعدها ضد دولة المسلمين (٤). وفي سنة ١٣٠ هـ تغلب على السند منصور بن جمهور الكلبي الخارجي (٥) فاغتصب هذه الأمارة وظل يحكمها ثلاث سنوات، حتى صارت دولته ملجأ لكثير من زعماء الخوارج عندما ضيق عليهم الأمويون في كل مكان، ثم قضى عليها العباسيون (٦) الشيعة:

(١) الكامل لابن الأثير ٥٣٦/٤ وما بعده

(٢) كثرت الاختلافات النزارية واليمينية حتى استقلت النزارية بالسيطرة على بعض المناطق قرابة مائتين سنة من (٢٤٠-٤١٦ هـ)

(٣) الخارجي عند الفقهاء، كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، الملل والنحل ١١٤/١ ولكن الخوارج في الاصطلاح فرقة خلعت طاعة على رضى الله عنه وكفرت كل من رضى بالتحكيم وتميزت بأراء خالفت فيها أهل السنة. انظر تعليق محمد عي الدين على مقالات الإسلاميين ٦٧/١

(٤) انظر فتوح البلدان ٥٣٣/٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ١٥٧/١ .

(٥) وقال ابن كثير : انه كان يدين بمذهب الغيلانية القدرية - البداية والنهاية، انظر حوادث سنة ١٢٦ هـ.

توفي ١٢٣ هـ انظر ترجمته في الأعلام ٢٩٧/٧

(٦) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي ... ٢٤٨/١

في سنة ١٤٥ هـ أمر أبو جعفر المنصور (١) الخليفة العباسي عمر بن حفص العتكي على السند الذي كان بايع في السر لمحمد بن عبد الله بن حسن العلوي (٢) الذي خرج بالعراق قبله بقليل، وكان يتعصب للعلويين، فوصلت إليه جماعة من دعاة الشيعة في صورة قافلة تجارية فقاموا بدعوتهم، فلما علم المنصور أخفاهم الوالي عند ملك "ديبل" الوثني (٣).
ويمكن تصور تغلغل الشيعة وانتشار مذهبهم أن داعية من الخوارج هو حسان بن مجاهد الهمداني جاء في أيام ابن حفص ولكنه لم يجد لدعوته قبولا لشدة ميل أهلها إلى التشيع فرجع من حيث أتى (٤).

واستمر أمرهم على السند إلى أن وصل إليها أحد دعاة الإسماعيليين، بعد ما تم استيلائهم على مصر والشام، حوالي سنة ٢٧٠ هـ من قبل إمامهم عبيد الله المهدي (٥) لنشر دعوته. وفي سنة ٣٧٥ هـ أمر الخليفة الفاطمي في مصر بتجهيز الجيش للهجوم على "ملتان" وسلك جلم بن شيبان قائد الجيش طريق خراسان لأن معظم البلدان في خراسان كانت في نفوذ الفاطميين (٦) واستولى على بلدة "ملتان" واستمرت دولتهم إلى سنة ٤٠٢ هـ حتى قضى عليهم محمود بن سبكتكين (٧) ولكن سرعان ما تجمعوا واستطاعوا إقامة دولة أخرى في "منصورة" (٨) قريبا

(١) هو ثاني خلفاء بني عباس، باني مدينة بغداد من أشهر الخلفاء في الإسلام انظر الأعلام ١١٧/٤
(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية ولما بدأ الانحلال في دولة بني أمية اتفق رجال من بني هاشم على بيعته سرا وفيهم بعض بني العباس، فذهب الأمويون وحالت دولة العباسيين فتخلف هو وأخوه إبراهيم عن البيعة، وخرج على منصور وقاتله حتى قتل سنة ١٤٥ هـ الأعلام ٦/ ٢٢٠

(٣) انظر البداية والنهاية ١٠/ ١١١ حوادث سنة إحدى وخمسين ومائة.
(٤) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ص: ٧١
(٥) عبيد الله بن محمد، مؤسس دولة العلويين في المغرب وجد العبيدين الفاطميين وأحد الدهاة ت ٣٢٢ هـ الأعلام ٤/ ١٩٧

(٦) انظر: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ص: ١٠١
(٧) محمود بن سبكتكين الغزنوي ٣٦١ - ٤٢١ هـ فاتح الهند وأحد كبار القادة امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور، وكانت عاصمته غزنة، وجعل دأبه غزو الهند مرة في كل عام، وكان كراميا، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٨٤ والأعلام ٧/ ١٧١

(٨) "وهي بأرض السند، مدينة كبيرة كثيرة الخيرات سميت باسم "منصور بن جمهور الكلبي" معجم البلدان ٥/ ٢٤٤

منها ففضى عليها محمود سنة ٤١٦هـ بعدما استمرت أربعة عشر سنة، فطبقوا فيها فترة حكمهم، عقائد هم المنحرفة وأغلقوا المساجد، وكانوا يخطبون على المنابر باسم الخلفاء الفاطميين، وينادون في آذانهم "حي على خير العمل" ويكبرون مرتين وكان لحكام مصر الإسماعيليين سلطة قوية على أهل ملتان حتى لم يكن يتولى أحد الحكم إلا بعد موافقتهم ورضاهم (١)

المرحلة الثالثة (٣٩٠هـ - ٦٠٢هـ)

وهكذا بقيت القارة الهندية إلى نهاية القرن الرابع في معزل من الإسلام والمسلمين إلا في منطقة السند المجاورة لخراسان ولكنها للأسف كانت ألعبوة في أيدي الشيعة الإسماعيلية والخوارج وغيرهم من الفرق المنحرفة "فما امتدت أشعة ذلك النور الوهاج إلى داخل هذا القطر إلا بعد ما امتلك ناصيته محمود الغزنوي" صاحب الحملات المتتابة ". وهو أول من دخل الهند من الفاتحين عن طريق الجبال الشمالية الغربية من مضيق خيبر (٢) في الفترة ما بين (٣٨٨-٤٢١) وأغار على كثير من مناطق الهند ولكن لم يقيم حكومة مستقلة بل كانت هجماته منبثقة عن حب الفتوح وتأديب الهنود المتطاولين على بلده بل كان لرؤساء "الفرقة الكرامية" (٣) أثر بالغ في توجيه الغزوات إلى الهند للقضاء على الإسماعيليين (٤).

نبذة عن محمود بن سبكتكين فاتح السند وجيوشه :

- (١) انظر آب كوثر ص: ٣٠، ٣٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي... ٣٠١/١ وما بعده
- (٢) ممر شهير في باكستان غربي مدينة بشاور قرب حدود أفغانستان على الطريق إلى كابل يتوسطه مجاز ضيق على ارتفاع ١٠٦٨ محصور بين صخور شاهقة ترتفع عموديا إلى ٤٠٠ م معبر تاريخي اشتهر منذ القدم كمنفذ وحيد لغزاة الهند القادمين من الشمال الغربي.
- (٣) زعيمها المعروف محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ كان ممن يثبت الصفات وينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه، ودعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه " انظر الملل والنحل ١٠٨/١ والفرق بين الفرق ص: ١٦٢
- (٤) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ٤ و ٥ و "آب كوثر" ص: ٥٨

كان سبكتكين (١) رئيسا علي منطقة "غزني" في جنوب "كابل" من قبل السامانيين الذين أقاموا "الدولة السامانية" بعد وهن الخلافة الإسلامية في بغداد، سنة ٢٦١هـ وقد أدى السامانيون خدمات جليلة لإثارة روح الوطنية الإيرانية، وإحياء الثقافة الفارسية" (٢) سبكتكين كان يعمل للسامانيين، بل كان هو وابنه محمود فاتح الهند متأثرين كثيرا بالفرقة الكرامية وآرائها، وإن تراجع عنها محمود فيما بعد (٣) .

ثم استقل بدولته في غزنة سنة ٣٦٦هـ وخلف بعده ابنه محمود علي الدولة الغزنوية، وتوجه إلى فتح الهند أول مرة بعد ثلاثة قرون من فتح ابن القاسم، ويصف هؤلاء الفاتحين الأولين الذين دخلوا الهند، مسعود الندوي (٤) حيث قال: الذين دخلوا الهند من الملوك والفاتحين بطريق مضيق "خير" ما كانوا يعرفون من مزايا الإسلام إلا قليلا، وما اضطبغت قلوبهم بالصبغة الربانية مثل المجاهدين الفاتحين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم . ولذلك نراهم لم يؤثروا في عقائد البراهمة (٥) الراسخة تأثيرا ولم يحدثوا فيها تغييرا مدهشا، كما أحدث العرب في الشام وفلسطين ومصر والمغرب الأقصى....".

أما جيوش محمود الغزنوي "من دانوا بالإسلام حديثا ولم يعن بتربيتهم وتدريبهم على المنهاج الذي يدعو إليه الإسلام، وفيهم من الهنادكة والوثنيين عدد لا يستهان به، فأى عجب إذا تنكبت جيوش محمود الغزنوي عن خطة الجهاد الإسلامي ولم يتوخوا في ممتلكاتهم ورعاياهم العمل بالشرع الإسلامي وقوانين الإسلام الحربية" (٦).

(١) "كان ملكا على بلخ وغزنة، وكان فيه عدل وشجاعة ونبل مع عسفه وكونه كراميا" توفي سنة ٣٨٧هـ انظر السير للذهبي ٥٠٠/١٦ و الطبقات للسبكي ٣١٦/٥

(٢) انظر "إيران ماضيها وحاضرها ص: ٥٣

(٣) انظر آب كوثر ص: ٥٧-٥٨

(٤) هو عالم مؤرخ من تلاميذ الشيخ تقي الدين الهلالي، ولد ٢١/محرم ١٣٢٨هـ وتوفي ١٦/مارس/ ١٩٥٤م في كراشي - انظر مقدمة كتابه "مولانا عبيد الله سندهي كي أفكار وخیالات بر ايك نظر".

(٥) هم أهل الديانة الهندوسية، وهي ديانة وثنية قديمة يعتنقها معظم أهل الهند، يعتقدون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهاء يعبد كالماء والهواء والأنهار والجبال... آلهة كثيرة يعبدونها، يعتقدون في التناسخ، وفي وحدة الوجود، ويحرقون الموتى، ويقسمون بني آدم إلى طبقات ولا يمكن إزالتها لأنها من خلق الله، وأعلى الطبقات البراهمة الذين خلقهم الإله من فمه، وهم ملجأ الجميع في جميع شئون الحياة.

انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ٥٣٤

(٦) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٤ - ٥

دخول الإسلام في الهند عن طريق خراسان الموبوءة بالرفض والكلام:

أضف إلى ذلك أن الإسلام قد دخل في الهند عن طريق خراسان وإيران وأفغان وماوراء النهر مع محمود الغزنوي سنة ٣٩٢هـ وكانت هي من مراكز الشيعة في القرن الرابع الهجري (١) وكانت صناعة أهلها من قديم الزمان فنون الفلسفة وحكمة اليونان، وكان قصارى نظرهم في علم النحو والفقه والأصول والكلام علي طريق التقليد (٢) وبطبيعة الحال الذين ساروا في ركب محمود أو جاءوا بعده ليسوا إلا من أبناء تلك المناطق الموبوءة بالأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة، وذلك لوهم الخلافة الإسلامية، في بغداد بعد المتوكل (٣) فاستولى عليها الترك الأعاجم والفرس المجوس (٤) الذين كانوا دائما يحكون المؤامرات ضد المسلمين ودولتهم بل كانوا وراء تشييتها وتمزيقها وتصييرها إلى دويلات وغالبها دول شيعية إيرانية مجوسية، وهم الذين شجعوا طاهر بن الحسين علي الاستقلال بخراسان (٥).

وقامت دولة سامانية متعصبة لحضارة إيران المجوسية، سنة ٢٦١هـ واستمرت إلى ٣٨٧هـ كما ظهرت في نفس الوقت دولة بويهية شيعية سنة ٣٣٤هـ واستمرت إلى ٤٤٧هـ، وقد وقعت فتن عظيمة خلال هذه الفترة بين أهل السنة والشيعة في بغداد وخراسان وأصبهان بسبب سب الصحابة وشتيمهم، واستمرت هذه الفتن مدة طويلة (٦).

ويقول ابن كثير عن مدى انتشار التشيع والرفض سنة ٣٤٧هـ "وقد امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين وكل ملوك البلاد مصر وشاما وعراقا وخراسان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضا وكذلك الحجاز وغيره بلاد المغرب فكثر السب والتكفير منهم للصحابة" (٧).

(١) انظر "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ١٠٤ / ١

(٢) انظر الثقافة الإسلامية في الهند ص: ٩

(٣) الخليفة العباسي اشتهر بإحياء السنن وإماتة البدع وقد منع الجدل في مسألة خلق القرآن ت ٢٤٧هـ البداية والنهاية ١٠ / ٣٦٦

(٤) المجوس يعتقدون بأصلين اثنين، مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر، والصالح والفساد، يسمون أحدهما النار والآخر الظلمة" انظر الملل والنحل ١ / ٢٣٢

(٥) انظر وجاء دور المجوس ص: ٦٧

(٦) انظر البداية والنهاية حوادث سنة ٣٤٥هـ - ٣٤٩هـ وما بعدها

(٧) المصدر السابق ١١ / ٣٤٧

وأدل دليل علي غلبة الرفض في صورة هائلة أمر معز الدولة (١) بتعليق السب علي المساجد سنة ٣٥١ هـ (٢).

ولم يكن التشيع هو المرض الوحيد في أهلها، عندما دخلوا الهند بل كانت تعج بالأشعرية (٣) بعد تفوقها علي المعتزلة (٤)، حتى اعتبرت هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وكانت للأشاعرة مناظرات ومخالفات بل حروب مع الحنابلة والكرامية (٥) وكان محمود كراميا، يميل إلى الكرامية، فقويت فرقته في عهده، وضيق الحنائق علي الأشعرية برفع شكاواها إلى محمود، كما فعل مع ابن فورك المتكلم (٦).

وكان التعصب المذهبي قد بلغ أوجه في هذا لوقت، ونشبت، حروب طاحنة بين الأحناف والشوافع لأجل التعصب المذهبي المقيت " حتى وقعت فتن، وذابت مهج، وضاعت جهود، ونشبت حروب كلامية، بل أدخل في دين الله ما ليس منه من التكافر، والتقاطع، والتدابير، والقول مثلا بتحريم الزواج بين الشافعي والحنفي، وبطلان الإمامة في الصلاة في أحدهما، بل نشبت حروب ومعارك دموية كما حصل بين الأحناف والشافعية بالمشرق في "أصبهان" و "الري" (٧)

(١) هو أحمد بن بويه فارسي الاصل ت ٣٥٦ الاعلام / ١٠٥

(٢) البداية (١) / ٢٤٩

(٣) وهي طائفة من أهل الكلام تنتسب إلى عقيدة أبي الحسن الأشعري قبل رجوعه إلى عقيدة أحمد بن حنبل رحمه الله، تثبت سبع صفات وتنفي غيرها، انظر معتقدها بالتفصيل في الملل والنحل ٩٤/١

(٤) المعتزلة هم القائلون بنفي الصفات، وأن العبد خالق لأفعاله، وقالوا بوجوب الثواب والعقاب والصلاح والأصلح على الله، ويقولون بالمتزلة بين المنزلتين ونحوها من العقائد، انظر مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١ و الملل والنحل ٤٣/١

(٥) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع / ٣٦٣

(٦) " هو شيخ المتكلمين أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني صاحب التصانيف الكثيرة، كان أشعريا رأسا في الكلام" انظر السير للنهجي ٢١٤/١٧ و "وفيات الاعيان" ٣/ ٣٦٣ و "طبقات الشافعية" للسبكي ٣١/٤

(٧) حكم الانتماء الى الفرق والاحزاب والجماعات الإسلامية ص: ٣٥ ومعجم البلدان في مادة "أصبهان" و "الري".

هذا غيظ من فيض و وشل من بحر عن أحوال تلك المنطقة وأهلها الذين فتحوا الهند، فجاءوا بجميع هذه الخلافات، والأفكار الباطلة والعقائد الفاسدة إلى الهند فاعتنقها أهلها وتربوا عليها وكانت بداية معرفتهم الإسلام بهذه الصورة، فما أصدق قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا
والذين خلفوا الغزنويين وتقلدوا مقاليد الحكم في الهند وأقاموا دولة مستقلة هم
"الغوريون" (١) الذين ما أسلموا إلا في القرن الرابع الهجري على أيدي الكرامية (٢).

المرحلة الرابعة (٦٠٢هـ - ٩٣٢هـ)

ثم قامت دولة المماليك في الهند أسسها قطب الدين أيك ، وكان مملوكا تركيا لسيد شهاب الدين الغوري، واستمرت إلى سنة ٦٨٩هـ وقامت على أنقاضها "الدولة الخلجية" التي أسسها جلال الدين الخلجي الأفغاني، بعدما قتل الملك سنة ٦٨٢هـ وبهذا تمت سيطرة الأفغان على الأتراك، وانتهت هذه الدولة بعد فترة وجيزة سنة ٧٢٠هـ عندما قتل آخر ملوكها، قتله غياث الدين تغلق الترك، وأسس الدولة التغلقية، وفي عهدها هاجم تيمور (٣) ملك المغول على الهند سنة ٨٠١هـ وقتل خلقا لا يحصون بحد وعد، ولم تبق بعد رجوعه للدولة التغلقية قوة ولا سيطرة، واستقل الأمراء بالحكم في بلادهم، حتى انتهت سنة ٨١٥هـ، وعمت الفتن والمحن بعدها، ولم تقم دولة قوية، فكانت البلاد ممزقة في دويلات عديدة متناحرة، حتى جاء أحد أمراء الأفغان بهلول لودهي سنة ٨٥٥هـ واستطاع أن يقيم دولة قوية، عرفت فيما بعد بالدولة اللودهيية، ولكنها لم تستمر طويلا، قضى عليها بابر مؤسس الدولة المغولية في الهند سنة ٩٣٢هـ وبهذا بدأ عهد المغول في الهند.

الدول التي قامت طوال هذه الفترة، قام ملوكها بأعمال عظيمة توطد دعائم ملكهم، فقد فتحوا البلدان الكثيرة، ونشروا سلطانهم على نواحي الهند، وشيدوا الحصون المنيعة، وشقوا

(١) "الغور" منطقة جبلية بين هراة و غزنة في أفغانستان، وبعض أهل هذه المنطقة استولوا على الحكم فسموا "بالغوريين" وسميت دولتهم بالدولة الغورية، بدأت هذه الدولة بشهاب الدين غوري، وانتهت بموته، و صاحب التفسير الكبير يعظ في داره، انظر السير للذهبي ٣٢٣/٢١ و العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ص: ١٧٧

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ٦ و آب كوثر : ٥٨

(٣) توفي في مطلع عام ٨٠٨ هـ الذي أعاد دولة المغول الكبرى بعد ما تشتت وضاعت، انظر التاريخ

الإسلامي ص: ٢٠٦

الأنهار الكثيرة، وعمرروا المدن الكبيرة، وبنوا مباني الشاهقة، ورفضوا الشوارع، ولكن لا يوجد فيهم إلا قلة قليلة من اهتم بنشر الإسلام وتعاليمه، وتربية المسلمين الجدد، فبقي هؤلاء على عقائدهم الباطلة، وعاداتهم الوثنية. (١)

وكان غالب رجال الحاشية والجنود قبل قيام دولة المغول، من منطقة "ما وراء النهر" (٢) التي كانت تعج بالفقه الحنفي والعقائد الأشعرية والماتريدية (٣) وعلم الكلام المركب بالمنطق اليوناني وفلسفته .

أما المغول فلم تقم لهم قائمة إلا بجيوش من إيران لأن همايون (٤) بعد هزيمته لجأ إلى إيران الدولة الصفوية (٥) وفتح الهند بمساعدتها، بل وعد ملك فارس برعاية مذهب الشيعة في الهند وكان الشيعة يحتكرون مناصب رئيسية في دولة المغول (٦). فالمغول كانت لهم صولة ومنعة وأقاموا أكبر وأقوى دولة من دول العالم ولم يعتنقوا الإسلام إلا في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري ولذلك نراهم لا يفرقون بين المسلمين والكفار في وضع الجزية والقتل

(١) انظر الهند في العهد الإسلامي ص: ١٧٦ - ٢٠٥ وتاريخ الدعوة الإسلامية ص: ١٨

(٢) المراد بالنهر "نهر جيحون" واسمه الحديث (أمودريا) واشتهر فيما بعد باسم "تركستان" وبعد الاستعمار الروسي عرف "بجمهوريةات آسيا الوسطى" انظر للتفصيل بلدان الخلافة الشرقية ص: ٤٧٦ ودائرة المعارف الإسلامية ١٣/ ١٠٠ - ١٠٨

(٣) وهي طائفة من أهل الكلام تنتسب إلى أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة ٣٢٣هـ ثبت ثمانى صفات التي يدل عليها العقل وتنفي الصفات السمعية، وهي تشبه الأشعرية في المنهج والعقيدة. انظر الماتريدية دراسة وتقويما ص: ٢٦٧ و ١٣٣

(٤) إمبراطور مغولي في الهند ابن بابر، لجأ الى طهما سب ملك ايران الشيعي بعد هزيمته فمده بجيش عظيم ت ٩٦٣ هـ انظر بعض ترجمته في "الهند في العهد الإسلامي ص: ٢٠٧

(٥) ينتسب الصفويون الى صفى الدين الاردبيلي ت ٧٢٩ هـ أسس الدولة الصفوية أحد من أحفاده وهو إسماعيل الصفوي الذي انتحل المذهب الشيعي منطلقا له ت ٩٣٠ هـ، التاريخ الإسلامي ٣٧٦/٦

(٦) انظر "هندوستان كي سلاطين علماء ومشايخ كي تعلقات" و "تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند" ص: ٥٦

وسفك دماء الأبرياء وانتهاك الحرمات كما فعل تيمورالأعرج المسلم ١ وكما فعل ملك إيران نادر (١) المسلم ١ سنة ١١٦٠ هـ بل كان بعض الأتراك يسبون المسلمات أيضا في مدينة هراة".

ولم يكن يهم هؤلاء الملوك بالحروب المستمرة إلا توسيع مملكتهم أو توطيدها " ولو اعتنى هؤلاء الفاتحون من الأتراك والأفغان والمغول بدعوة الإسلام معشار ما اعتنوا بحطام الدنيا الدنيئة لكان للإسلام شأن في بلاد البراهمة غير شأنه اليوم " وإذا عرفت هذا فلا يأخذنك العجب إذا قلت إن هؤلاء الملوك الذين نشروا ظل سلطانهم علي هذه البلاد وبقوا مالكين أزمة الأمر فيها زهاء ثمانية قرون لم ينفعوا الإسلام في قليل ولا كثير. ولم تقع معركة طويلة هذه القرون من مئات بل آلاف المعارك من أجل فكرة دينية خالصة اصطف فيها المسلمون من جانب والكفار من جانب بل ما من معركة إلا في كلا الطرفين جمع من المسلمين والهنداك يقاتلون جنبا إلى جنب، لأنها كانت حروبا شخصية أو قومية فينضم كل واحد مع حليفه سواء كان مسلما أو هندوكيا، فيقتل مخالفه مهما كان دينه أو خلقه، بل وقد قتلوا أبناءهم ونسائهم في معركة "بهتيز" ثم برزوا لقتال إخوانهم متأسين في ذلك قبيلة راجبوت الهندوكي المعروفة بالشجاعة، وليس بغريب أن الملوك في هذه المدة العريضة يتحبيون إلى الوثنيين بل كانوا يؤمرونهم علي الجيوش والمناطق من غير غضاضة وقد فعل ذلك محمود بن سبكتكين الفاتح الأول وكان "سوبندراي" و " ناته " من الهنداكة قوادا لجيشه (٢) فما الاستغراب إن فعل ذلك من بعدهم بل لم يكن ملك من ملوك المغول إلا وقد تزوج من الوثنيات والبرهميات فبنيت المعابد ونصبت الأوثان وأقيمت أعياد المشركين في القصر الملكي، فأصبحت الهند في هذه القرون المديدة في أيدي الملوك الذين ليس في قلوبهم حبة خردل من حب الدين، وكثير منهم لا يعرفون من الدين إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، وأصبحت اللغة الرسمية لغة الفرس "الفارسية".

وزاد الطين بلة عند ما تولى أكبر بن همايون (٣) الإمبراطور الكبير، فقد كان بلاطه مملواً بوزراء الشيعة وعلمائهم، فقد أحدث بدعا شنيعة إلى أن وصل بتأسيس دين جديد جعله

(١) قائد إيراني خدم الشاه حسين الصفوي. واستقل بالحكم وأعلن نفسه ملكا ١٧٣٦ م فقضي علي الصفويين قتل ١٧٤٧ م.

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ٦ وآب كوثر ص: ٦٠

(٣) هو من أعظم ملوك المغول في الهند، حكم حوالي خمسين سنة، واستطاع أن يضم أكثر نواحي الهند تحت حكمه، أنشأ ديناً جديداً سماه " الدين الإلهي " دعا إليه بالشدة، توفي سنة ١٠١٤ هـ انظر الثقافة

الإسلامية في الهند ص: ٢٠٨

ناسخا للدين الإسلامي، وأجبر جميع الناس علي قبوله، وقد ملأ الهند في عهد هذا الطاغية بالبدع والمنكرات ومحاربة الإسلام لانظير له في تاريخ الهند.

ومن أعماله الشنيعة الكفرية،

١- إلغاء الجزية عن المشركين،

٢- سمح للمسلمين بالارتداد عن دين الإسلام إلى أديانهم القديمة،

٣- منع المسلمين من ذبح البقرة لتعظيم الهنادكة إياها بل ومنع أكل لحوم الثيران

والشياه والمعز والخيول كما منع صيد السمك وعاقب من يخالفه بالقتل ومصادرة

الأموال،

٤- منع المسلمين من زواج بنات العم والعمة والخال والخالة والختان وحلل الخمر وأباح

بيعها تأسيا بالهنادكة الوثنيين،

٥- أعطى الحرية للبغايا بل شجعهن علي البغاء وأباح الربا والمقامرة وكان يقرضهم لذلك،

٦- ألغى الاغتسال من الجنابة ورأى هو ومن على شاكلته الاغتسال قبل الجماع أنفع،

٧- رغب في السفرور والخلاعة بل أمر بكشف الوجوه للفتيات،

٨ - جوز نكاح المتعة،

٩- منع من تعليم اللغة العربية ونشر الفارسية وانتشل منها الألفاظ العربية،

١٠- أحدث منكرا شنيعا ألا وهو " سجدة التحية للملك " بل أجبر علي ذلك وكان كل

واحد يدخل على الملك يخبر له ساجدا،

١١- ألزم خاصته بارتداء الملابس الحريرية أثناء الصلاة،

١٢- أسقط بعض أركان الإسلام، ومنع الصلاة والأذان في دار الشورى، وحظر على

الصيام في رمضان، ومنع من أداء الحج بل كان يعاقب من يعزم علي ذلك،

١٣- غير أسماء الذين يتسمون بأسماء النبي والصحابة لإرضاء الأميرات الوثنيات في بلاطه،

١٤- شجع على حلق اللحية وكان رجال حاشيته يستهزئون بها،

١٥- أباح لحم النمر والخنزير الضاري،

١٦- حولت المساجد في زمنه إلى مرابط للخيول وهدمها الهنادكة واستولوا عليها

ثم انه لم يكتف بهذا بل أحدث ديناً جديداً سماه " الدين الإلهي " وجعله ناسخاً للدين الإسلامي لانتهاه مدته بنهاية ألف سنة وذلك بعد ما زكاه علماء الشيعة ومن لف لفهم من علماء السوء، وهذه نبذة يسيرة من قبائح ذلك العهد المشؤم الذي استمر زهاء خمسين سنة من ٩٦٤هـ إلى ١٠١٤هـ (١)

ولا يخفى على المسلم المتأمل مدى تأثر المسلمين في عقائدهم وأعمالهم من ضلالات هذا الملك الضليل وقد قيل " الناس على دين ملوكهم " .

وقد اضطبغت الحياة الاجتماعية في هذا العصر بالصيغة الهندوكية الوثنية أيما اضطباغ ولم يبق للإسلام فيها عين ولا أثر بل كانوا يستعملون " الله أكبر " مكان بسم الله في جميع المناسبات رمزا إلى الملك بل كان بعضهم يبدأ باسم آلهة المشركين، وفي مثل هذه الظلمة الحالكة قام الإمام أحمد بن عبد الأحد سرهندي الملقب بمجدد الألف الثاني من الهجرة النبوية بالقول الحق واستطاع أن يسد سدا منيعاً أمام هذا السيل الجارف (٢) .

أما الدعاة والوعاظ الذين غزوا بلاد الهند بالدعوة الإسلامية بعد قرن الصحابة والتابعين غالبهم لم يكونوا ينهلون من مناهل الكتاب والسنة الصافية بل كان جل اعتمادهم على كتب الفقهاء الخنفية المتأخرين ولم يتسن لهم التخلص من أنجاس البدع ومنكرات الأعاجم فذاقت البلاد وأهلها وبال جهلهم ولا تزال آثارها باقية، وتغلغل الصوفية وانتشروا ولم يكن يعتبر مسلم من لم يكن يظهر التصوف. فقاموا بنشر الإسلام على مشربهم في الهند وأهلها، ونجحوا في دعوتهم، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب منها: عقيدتهم عقيدة وحدة الوجود التي يشترك فيها البراهمة والبوذيون (٣) (٤) ومنها : قلة المعارضة لدعوتهم لأن أهل الهند كانوا خاضعين للزهاد والرهبان والفقراء التاركين للدنيا، وكانت لهم قداسة مضاعفة في المجتمع، وكانوا يقومون

(١) انظر للتفاصيل " تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ٧٠ - ٨١ وملت إسلامية كي مختصر تاريخ ٢٨٣، ٢٨٢ / ٢

(٢) هو أحمد بن عبد الأحد سرهندي يلقب بمجدد الألف الثاني اشتهر برد البدع وله مؤلفات عدة توفي ١٠٣٤هـ انظر أيجد العلوم ٢٢٥ / ٣ و الاعلام ١٤٢ / ١

(٣) البوذية ديانة قديمة نشأت في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد، منسوبة إلى مؤسسها "بوذا" البوذيون يعتقدون فيه أنه ابن الله وهو المخلص للبشرية من مآسيتها وآلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم

انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ١٠٧

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص : ٧٠٨

برياضات شاقة لتطهير الروح من نجاسات المادة، وكان الجمهور يقدسونهم ويعظمونهم ويرجعون إليهم في المصائب والبلايا لاعتقادهم أن فيهم قوى غيبية، ولما يشاهدون الخوارق منهم، لتمكنهم في السحر، واستطاع الصوفية مقاومة هؤلاء المشعوذين بمثل تلك الشعوذات، من الكرامات، وبتغلغلهم في البلاد والاستيطان فيها وبالتكلم بكلام أهلها والتشبه بلباسهم وأعمالهم، وبهذا جذبوا الناس إلى الدين الإسلامي، ولكن هؤلاء الصوفية ما استطاعوا تعليم الدين الصحيح، بل أصبحت قبورهم ومزارات فيما بعد، وامتألت الهند بالقبور والقباب، فلم يكن يميز بين المسلمين والوثنيين إلا بعبادة هؤلاء القبور وأولئك بالأصنام، وأما روح العقائد كلها كانت مختلطة بأنواع من الشرك ورواسب الفكر الصوفي وذلك لجهل الناس مصادر الدين الأصلية ألا وهما الكتاب والسنة (فلم يسمع صوت (أخبرنا) و (حدثنا) في أرجاء الهند إلى قرون عديدة إلا تحلة للقسم أو ردا للعين الحاسدة (١)

ويمكن تقدير اعتنائهم بالكتاب والسنة أن الشيخ نظام الدين الأولياء (٢) أحد كبار الصوفية في الهند ت ٧٢٥هـ استدل على جواز السماع في مناظرة وقعت في عهده بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : أنه قال السماع مباح لأهله، انظر مبلغ علمهم بالحديث أما جواب خصمه فكان أعجب من هذا حيث قال : ما لك والحديث أنت رجل مقلد تقتدي بأبي حنيفة فأت بقول من أقواله " إن الروايات الفقهية مقدمة على الأحاديث في بلدنا هذا، وقال بعضهم : إنا لا نشتهي أن نسمع هذه الأحاديث التي تمسك بها الشافعي وهو عدو مذهبنا (٣).

ولم يكن يدرس إلا فلسفة اليونان والمنطق وكتب التفتازاني وشروحه بل معظم المدارس إلى اليوم لازالت على تلك المناهج، وإذا وجدوا فرصة انكبوا على كتب فقهاء الحنفية المتأخرين وأصولهم وكان اهتمامهم بالقرآن قليلا جدا وذلك أيضا للتبرك به وكانوا يكتفون بدراسة

(١) المصدر السابق ص: ١٦

(٢) وقبره مشهور يزار ويجواره مركز جماعة التبليغ يسكن فيه أميرهم الذي يلقبونه " حضرت جي" تهوي إليه جميع قلوب التبليغيين.

(٣) الثقافة الإسلامية في الهند ص: ١٢٠

كتاب واحد في الحديث وهو مشارق الأنوار للصغاني (١) أو مشكاة المصابيح للتبريزي (٢)(٣).

هذا كان حال جميع أطراف الهند عموما بل لم يرج الحديث إلا في القرن الحادي عشر بمجهود الشيخ عبد الحق الدهلوي (٤) بل لم ينفق سوق الحديث إلا بعد الشاه ولي الله صاحب حجة الله البالغة، وأنجاله الكرام رحمهم الله رحمة واسعة (٥).

ولا ينكر أن العلماء قاموا في الهند بالسنة بين آونة وأخرى ورحلوا في طلب العلم ولكنهم كانوا أفرادا قلائل يعدون على الأنامل محتفين وراء الجم الغفير الهائل وأكثرهم نبغوا في القرون الأولى باحتكاك العرب الأولين، أما القرون المتأخرة إلى القرن الحادي عشر فلم يكن إلا سلطان الفلسفة والمنطق والتصوف في العوام والخواص (٦).

ولذلك لا نجد زمانا خاليا من فتن المتنبيين ومدعي الألوهية ومنشئ الفرق الضالة الجديدة فتتابعت الفتن وكثرت الفرق وأصبحت الهند مزبلة الأفكار والفتن، والأغرب منه أنه ما ادعى أحد نبوة أو بالوهية أو بأنه "هو الحق" إلا وقد وجد له أتباعا.

ولو قال قائل أنه لم ينتشر الإسلام في الهند بل انتشرت عبادة القبور والمشاهد، وانتشر الفقراء ومكاشفاتهم، وانتشر كل شيء سوى التوحيد لكان صادقا في قوله. كما قال غوستاف لوبون المستشرق الفرنسي، "فترى بين من هم على شيء من الثقافة، مسلمين حقيقيين وبراهمة حقيقيين، ولكنك إذا ما هبطت إلى الشعب وجدت اختلاط تينك الديانتين في بعض المرات اختلاطا تاما، فتبصر محمدا وأولياء المسلمين آلهة لها ما لآلهة الهندوس من الصفات، وما أكثر ما تتبادل تانك الديانتان الطقوس جامعة لأتباع مختلف المعتقدات أحيانا".

(١) هو الحسن بن محمد العمري الصاغاني الحنفي، أعلم أهل عصره في اللغة. وكان فقيها محدثا. وله مولفات عديدة ٦٥٠هـ. انظر أيجد العلوم ٢/ ٢١٦ و الاعلام ٢/ ٢١٤.

(٢) هو ولي الدين أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، محدث من علماء القرن الثامن للهجرة، انظر معجم المؤلفين ١٠/ ٢١١ ومقدمة مشكاة المصابيح بقلم زهير الشاويش

(٣) الثقافة الإسلامية في الهند ص: ١٢٠

(٤) هو عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي فقيه حنفي، كان محدث الهند في عصره ت ١٠٥٢هـ انظر أيجد العلوم ٣/ ٢٢٨ و الاعلام للزركلي ٣/ ٢٨٠

(٥) انظر الحديث والمحدثون ص: ٤٤١

(٦) راجع التفصيل في " الثقافة الإسلامية في الهند بعنوان " الحديث في بلاد الهند " ص: ١٤

”... فالحق أن كثيرا من الهندوس والمسلمين يؤلهون محمدا، ثم أخذوا يؤلهون صهره عليا وأن أبناء طبقات المسلمين الدنيا يؤلهون كثيرا من الأولياء فيخلطونهم بالآلهة البرهمنية القديمة“ (١).

(١) حضارة الهند ص: ٦٢٦ وقد كتب هذا الكتاب بعد جولته في الهند .

الباب الأول

حياة الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : عصر الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني

الفصل الثاني : حياته الشخصية

الفصل الثالث : حياته العلمية

الفصل الرابع : دعوة الشاه محمد إسماعيل وأهدافها والمقارنة

بين دعوته ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله

الفصل الخامس : جهاده بالسيف

الفصل الأول: عصر الشاه محمد إسماعيل

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : البيئة السياسية

المبحث الثاني : البيئة الاجتماعية

المبحث الثالث : البيئة العلمية

المبحث الأول : البيئة السياسية

عاش الشاه محمد إسماعيل في الفترة الواقعة ما بين سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف (١١٩٣هـ) حيث كانت مولده كوست وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٦هـ) حيث كانت وفاته، ويعتبر هذا العصر عصر الفوضى والاضطرابات السياسية والاجتماعية كثرت فيه الفتن والثورات والنزعات والحروب الداخلية وتمرد الكفار من السيخ (١) ومرهته* والسزط (٣) واستيلاء هم على عديد من المناطق .

وقد كانت الدولة المغولية قوية مرهوبة الجانب إلى عهد اورنكزيب رحمه الله وكان ملكا صالحا مدبرا، يحب العلم والعلماء (٤) وكانت وفاته بداية لضعف الدولة المغولية وتفككها الداخلي، وخلف بعده ملوك منحلون بعيدون عن الدين وقاصرون في أمور الدنيا وكانوا ألعبوة في أيدي أمراء الولايات وهم يستبدون بالأمور دونهم لاطاعة لهم ولا حكم بل يخرجون عليهم من غير خوف ولا تهديد.

وقد تولى السلطنة بعده ابنه بهادر شاه الأول (٥) بعد معركة دامية مع أخويه، وكان شيعيا فأصدر مرسوما بإضافة كلمات (علي ولي الله ووصي رسول الله) في خطب الجمع والعيدين فقامت فتنة، ثم توالي بعده سبعة ملوك بين فترة ١٧١٢م و ١٨٧٥م التي انتهت فيها دولة المغول. فكان هؤلاء الملوك ألعبوة بين أيدي الوزراء وكثير منهم كانوا من الشيعة (٦)

(١) انظر تعريفهم ص: ٣٤

* - انظر تعريفهم ص: ٣٥

(٣) وهي قبيلة معروفة في منطقة السند، تشتغل بالتجارة والنقل على السفن الصغيرة وبرعي الأغنام، انظر موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ٧٣/١

(٤) وهو ملك صالح له شأن عظيم في ملوك الهند حكم جميع الهند خمسين سنة توفي سنة ١١١٨هـ وله ترجمة حافلة في نزهة الخواطر ١٣٥/٦

(٥) توفي سنة ١١٢٤هـ

(٦) تطلق في الهند كلمة " الشيعة " عموما على روافض الاثني عشرية. ومفهوم التشيع عند السلف غير المفهوم المتأخر، فالتشيع عندهم من فضل أبا بكر وعمر على جميع الصحابة وقدم عليا على عثمان، رضي الله عنهم، أما المفهوم المتأخر فهو الرفض الكامل، ومصطلح الشيعة إذا أطلق فلا ينصرف إلا إلى الرافضة" انظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ١٧١، ١٢٦/١

واستقل رؤساء المقاطعات وأعلنوا حكمهم الذاتي في بنغال، وأود، الشيعية، ودكن الشيعي، وميسور، وبنجاب، والسند، وغيرها من المناطق الكثيرة .

فاشتدت قوة كفار مرهته، والسيخ، والزط، وسيطروا علي بعض الأراضي وعذبوا أهلها أنواعا من العذاب .

وهجم على الهند سنة ١٧٣٩م ملك إيران نادرشاه (١) تلبية بدعوة بعض الشيعة وكان دخوله نكالا من الله حيث أعاد إلي الذهن ذكرى قساوة التثر وظلمهم ووضع السيف في أهل دهلي وقتلهم قتلا ذريعا لم ينج منه النساء والأطفال والأبرياء وحرق البيوت وهدم المنازل، وبعده هاجم ملك الأفغان أحمد شاه دراني أكثر من تسع مرات علي الهند يقتل فيها مئات الناس، وكان الإنجليز يستغلون الأحداث ويمكرون للسيطرة الكاملة على الهند.

الاستعمار الإنجليزي: (٢)

جاء الإنجليز كالتجار وأنشئوا شركة الهند الشرقية البريطانية ثم تسلحوا بحجة التحفظ والأمن وأرادوا الخروج في عهد الملك اورنك زيب فعاقبهم فأخفوا شهرهم (٣) ثم تدخلوا في السياسة لما رأوا تفرق الهند وتناحر الرؤساء، فاستولوا على ولاية بنغال واديسه بعد حرب شديدة مع سراج الدولة سنة ١٧٥٧ م قبل ولادة الشاه باثنين وعشرين سنة، ثم واصلوا الحروب وكانت الانتصارات ترافقهم في أغلب الأحيان حتى استولوا على ولايات بنغال، وبهار، واديسه، (٤) سنة ١٧٦٥م ولم يبق عند الملك شاه عالم سوى دهلي وولاية "اله آباد" ومعاشا سنويا من قبل الإنجليز وفي سنة ١٨٣٠ م كان الشاه في الرابعة عشرة من عمره دخل الإنجليز في دهلي وعينوا ضباطهم وجيشهم في قصر الملك ولم يبق له من الملك إلا اسم الملك وكذلك توجا بعده أكبر شاه الثاني ثم بهادر الشاه الثاني كملكين بالاسم دون المسمى،

(١) تقدمت ترجمته ص: ٤٤

(٢) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، أحمد محمود ساداتي : ٢ / ٢٥١ وما بعد،

(٣) المصدر السابق : ٢٤٨

(٤) انظر تعريف هذه المناطق والتفاصيل عنها في الباب الثاني من "الهند في العهد الإسلامي" ص: ٥٦ - ٧٤

وتقلص ملك أولهما إلى دهلي بينما تقلص ملك الثاني في القلعة الحمراء (١) فقط. ثم قضى الإنجليز على الدولة نهائيا سنة ١٨٥٧م بعد طرد ملكه وسجنه حتى الموت. (٢)

الشيخ:

وفي غضون هذه الحوادث ظهرت قوة معادية للإسلام والمسلمين وهي الشيخ، وهي طائفة متطرفة مذهبية، ظهرت في نهاية القرن الخامس عشر تدعو إلى دين جديد خليط من الإسلام والهندوسية وغيرها، تنكر عبادة الأصنام، وتعتقد بتناسخ الأرواح، وتحرق موتاهم كالهندوس، وتحتفل بأعيادهم (٣)

أعلن الشيخ استقلالهم بالحكم الذاتي على بنجاب سنة ١٨٠١م بعد ما تقروا في تلك المنطقة عندما كان عمر الشاه اثنين وعشرين سنة ثم استولوا على ملتان سنة ١٨١٨م وعلى كشمير سنة ١٨١٩م وعلى بشاور سنة ١٨٢٣م متغلبين على أمراء الأفغان ولم يبق في شمال الهند من يساوي الشيخ في القوة ويقدر على مقاومتهم من أمراء المسلمين.

وقد قهرتهم جيوش المسلمين في زمن قوتهم ولما وهنوا وغلب عليهم الشيخ انتقموا من المسلمين انتقاما شديدا، وظلموا المسلمين أسوأ أنواع الظلم وأذلّوهم كثيرا.

وقد هدموا المساجد وأغلقوها وحولوها إلى اصطبلات للخيول ومستودعات للأسلحة وثكنات للجيش ومنعوا الأذان والتعليم الإسلامي وذبح البقرة وفرضوا عليه عقوبات شديدة وألزموا المسلمين التحية بـ "جى غرو" (٤) مكان السلام، وانتهكوا أعراض المسلمات وخطفوهن من قعر بيوتهن وقاموا بغصب أموال المسلمين ومناجرهم وإحراق بيوتهم وقراهم

(١) قلعة معروفة في عاصمة الهند دهلي بناها شاهجهان ت ١٦٦٦م، وهي آية في العمارة كان ملوك مغول يسكنون فيها .

(٢) كتاب " شاه إسماعيل " ربه عبد الله بت ص: ٧٧ ومقدمة كتاب " كالا بانى " ١٠ - ١١ بقلم الشيخ إسماعيل السلفي.

(٣) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ٢٨٣

(٤) تحية الشيخ، غرو في لغتهم القائد الروحاني الذي يخضعون له و"جى" معناه عاش يعني عاش غرو،

ومزارعهم وإذلالهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وكانت هذه معاملتهم في المناطق التي تحت سيطرتهم.(١)

مرهته:

مرهته كفار متعصبون من البراهمة يحقدون على المسلمين أشد الحقد بل يتعبدون بقتلهم، وفي طيلة التاريخ حاولوا الخروج علي المسلمين ولكن الدولة قضت عليهم وأخضعتهم فلما ضعفت الدولة برزوا على الساحة من ولاية مها راشترا منشأهم ومسكنهم وامتد سلطانهم إلى مناطق عديدة، حتى دخلوا دهلي العاصمة أكثر من مرة (٢).

ولم يكن صنيعهم أخف من السيخ ولم يكونوا أحسن منهم ولم يكن همهم من فتح المدن والقرى إلا القتل والنهب والسلب وهدم البيوت وتحويل الزروع فقد عاثوا في الأرض فسادا.

ويكتب الشاه عبد العزيز بن ولي الله في رسالته إلى قريب له " وهذا من أعجب الأحوال فقد نسينا الأمن والراحة بسبب غلبة الكفار من السيخ ومرهته والظلم على بلاد المسلمين ونهبهم الأموال وانتهاكهم الحرمات ولذا قد انتقل العاجز مع أسرته إلى مرادآباد (٣) والمنطقة بين النهرين في اضطراب دائم من خيول هولاء".

ويقول الشاه عبد العزيز في نظمته الطويل :

واني أرى الإفرنج أصحاب ثروة لقد أفسدوا ما بين دهلي وكابل
وكتب إلى عمه قصيدة طويلة يصف فيها حاله وحال دهلي في وقته ومن أبياتها،
لهم كل عام نهبة في بلادنا يخوضون فينا بالضحى والأصائل
جزى الله عنا قوم سكه ومرهت عقوبة شر عاجلا غير آجل
وقد قتلوا جمعا كثيرا من الورى وقد أوجعوا في أهل شاء وجامل

(١) انظر "سيرت سيد أحمد شهيد" لأبي الحسن علي الندوي ١/ ٤٢٧ - ٤٢٩ والامام الذي لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف له، ص: ١٧ ورود كوثر ٥٩٩، والموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ص: ٢٨٣

(٢) كتاب " شاه اسمعيل " مرتب عبد الله بت ص: ٧٩

(٣) قاعدة مديرية في الولاية المتحدة من بلاد الهند . انظر معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ص: ٥٠

فهل هنا من معاذ لعائذ وهل من مغيث يتقي الله عادل
ويكتب في رسالة أخرى،

أيام برد أتت فالقلب منجزع من قوم سكه وأن الخوف معقول
أنفاهم الله عن هذى الديار فهم شر الأعادي وهم من جنة غول
فوضت أمري وأمر الناس أجمعهم إلى الإله وإن الحفظ مأمول (۱)

(۱) شاه ولي الله اور انکي سياسي تحریک ص ۱۹۰ - ۱۹۱

المبحث الثاني: البيئة الاجتماعية

أما البيئة الاجتماعية في القرن الثالث عشر الهجري في الهند، فقد تدنت إلى أسوأ درجاتها، يقول الندوي: قلم المؤرخ يستحي من وصف خلق المسلمين (١) وقد غرق المجتمع في الشهوات الدنية، والملذات العاجلة ولم يخل بيت أمير من الخمر والمغنيات والراقصات وكانوا يتزوجون من غير حد ولا عد (٢) وأصبح الزنى والرقص والغناء وشرب الخمر ولعب الشطرنج وتهريش الديوك والحمام، من معايير الثقافة ولوازم الحياة.

أما الملك محمد شاه فقد كان فاحشاً متفحشاً وسكيراً، تشرب الخمر في ديوانه ويستنهزاً بالقرآن وشعائر الدين وكانت تعلق الفتاوى الخيالية في قلعة الملك للاستهزاء بها... وزوجات الملوك والأمراء والرؤساء لم يكن من بيوتات شريفة بل إما مغنيات أو عاهرات أو من بنات الوثنيات اللاتي دخلن في حرمهم بعدما أعجبوا بهن وقد شهد به مستشرق فرنسي يقول: لم يكن للملوك المغول عدد معين من النساء فكانوا لا يحترمون شريعة محمد في ذلك كما أنهم لم يحترموها في أمور أخرى فبلغ عدد النساء في دائرة حريم الملك شاهجهان نحو ألفي امرأة (٣)

ولم يكن هذا حال المجتمع بل "رجال الدين" غالبهم كانوا يتظاهرون بالزهد والفقر والحال والوجد والدروشة فالسمع والغنا يتعبد به وحب المردان والشغف بهم بلغ حداً استحي المؤرخون أن يذكروه في كتبهم فكانوا يكونونه بـ "علة المشايخ" ولم يكن يخلو مجلس من شرب الخمر والحشيش، والبنج بل "السوقيات من النساء أصبحن زينة مجالس الدين والدنيا" (٤). ولم يكن هذا حال طبقة خاصة بل كل واحد كان يجري وراء هذه الثقافة سواء كان أميراً أو فقيراً كل حسب طاقته.

ولم يكن الناس في أمن بل كانت الفوضى والفتن والاضطرابات منتشرة في عامة البلاد يقول الشاه عبد العزيز: "وهذا من أغرب الأحوال نسينا الأمن والراحة بسبب غلبة الكفار

(١) سيرت سيد أحمد شهيد ٧٠/١

(٢) وقد أشار إليه الشاه في مكاتيبه انظر مكتوبه الطويل الذي أزال فيه شبهات عديدة حول الجهاد وقال المسلمين / ٧٧ق، وطبعت مصورة .

(٣) حضارة الهند ص: ٤٣١ و ٤٢١.

(٤) سيرت سيد أحمد شهيد ٧٠ / ١

والمرهته والسيخ ونهبهم الأموال وانتهاكهم الحرمات وقتلهم النفوس فانتقلت من دهلي إلى مرادآباد". (١)

وهكذا بلغ المجتمع إلى أقصى حد في الفحش والفحشاء والسلب والنهب وقلة الأمن و كثرة القتل يندى له الجبين مع أنهم كانوا يمرون بأحرج الأوقات في تاريخهم.

(١) المصدر السابق

المبحث الثالث: الحالة العلمية

ولم تكن الحالة العلمية أحسن من غيرها لقلّة العلم والعلماء، ولكثرة البدع والعقائد الفاسدة التي كان يروجها الجهلاء باسم التصوف وتحت ستار الروحانية، وقد وصل الحال إلى أن الشاه ولي الله صرح في كتبه "من أراد أن يقف على عقائد مشركي العرب وأعمالهم وأحوالهم فليَنظر إلى جهال عوام اليوم" (١)

وقد صرح به الشاه إسماعيل نفسه في مقدمة كتابه في موضوع البدعة "إن فنن المبتدعة في عصرنا هذا قد بلغت أوجها واختلطت البدع والمنكرات المتنوعة بسنة أفضل الخلق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم في أكثر العبادات والعادات والمعاملات وفي الأمور الاجتماعية" (٢)

وكان الشرك الجلي ظاهراً في المسلمين وقد اتخذوا شريعة مستقلة عن القبور وأهلها، ومن واجبات ذلك الشرع ومستحباته السجود لها، ودعائها، وتقيلها، والنذور لها، وتغطيتها بالأردية، والذبح لها، والطواف حولها، والغناء والرقص والطبول عندها، واتخاذها عيداً، وإنارتها بالشموع، وحضور النساء، والاعتقاد فيها بأنها الكعبة والقبلة والمأوى والملجأ، و العادات التي أنكرت على اليهود، والنصارى، ومشركي العرب، وجدت في المسلمين (٣).

إضافة إلى ذلك إن المسلمين لمعاشرتهم للهندوس وعباد البقر والسيخ اقتبسوا من عاداتهم وعقائدهم شيئاً كثيراً بل كانوا يعبدون آلهتهم "ستيلا" و"كالي" ونحوها من المعبودات (٤). أما الولايات التي سيطر عليها الكفار كانوا يجبرون المسلمين على التخلي عن شعائر الإسلام والتزام شعائر الكفار.

أما الشيعة فقد تفاقم أمرهم وانتشرت عقائدهم وعاداتهم وتغلغل نفوذهم وقامت لهم دويلات بل كان لهم نفوذ كبير في بلاط الملوك المغول وخاصة في آخر عهدهم، وكان سب الصحابة والاعتقاد في الأئمة الاثني عشر وإقامة محافل المآتم والعزاء ونحوها من عادات الشيعة،

(١) الفوز الكبير ص: ٥

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٠

(٣) انظر سيرت سيد أحمد شهيد ٦٩ / ١

(٤) أشار اليه الشاه نفسه في تقوية الإيمان في أماكن عديدة وسيأتي في هذا البحث والشيخ حرم في رسالته في التوحيد " نصيحة المسلمين (٤٦٥) مطبوع مع تقوية الإيمان.

منتشرة في عموم المسلمين لجهلهم بالدين، وليس أدل على سلطانهم وقوتهم أن الشاه عبد العزيز لما كتب كتابه المعروف " التحفة الإثنى عشرية " ما استطاع أن يصرح باسمه المعروف بل دلس في اسم غير معروف (١).

ويصور حال زمنه الشاه إسماعيل نفسه في كتابه تقوية الإيمان (وقد صار الناس في هذا الزمان في أمر الدين على مذاهب وطرائق شتى لا تحصرها "إلى" و "حتى".

فمنهم من اتخذ رسوم أسلافه شرعا،

ومنهم من اعتقد قصص أكابره واتخذها مشربا

ومنهم من استند في طريقه بالسبيل الذي استنبطه العلماء وأحدثه الأخبار من تلقاء نفوسهم بذكاوة طبائعهم،

ومنهم من يستبد بعقله ويفتخر بفضله. (٢)

أما أركان الدين الأخرى لم يكن حالها أحسن من التوحيد فكانت المساجد خالية من العباد، وقد أفتى بسقوط فرضية الحج بحجة أن السبل غير مأمونة (٣) وأما رمضان فلم يكن له حرمة، وكيف نتوقع ذلك ما دامت وسيلة المشايخ كافية للنجاة والأطعمة المعينة باسم المشايخ ومجالس قراءة القرآن على الأموات، والفاتحة، و" قل " وطعام يوم الثالث، وطعام الأربعين وغيرها من البدع تضمن نجاة صاحبها وتدخله الجنة.

أما علم الكتاب والسنة فليس له وزن ولا حاجة حتى أن الشاه ولي الله لما ترجم القرآن تجمعوا ضده وأرادوا قتله لأنه أهان كتاب الله بالترجمة (٤)

ولم يكن يعتبر عالم إلا من تبحر في الفلسفة والمنطق والتصوف والرياضيات والفلكيات كما يقول الشاه إسماعيل في كلام طويل له (... ثم انهم يفتخرون ويتباهون على تضييع أعمارهم ويعدون من محاسنهم ومناقبهم لذلك ترى عندهم عادة إطراء بعضهم بعضا ويعطي كل الإجلال والاحترام لهؤلاء الحمقى المضيعين أعمارهم في مثل هذه العلوم والفنون ويوقرون ويعظمون ولا يرغبون في الدين بمثل ذرة ولا يزرعون في قلوبهم حبة من خشية الله عز وجل

(١) انظر " تذكرة شهيد " ص: ١١٧

(٢) الترجمة مأخوذة من الدين الخالص ١ / ٢٩٥ انظر تقوية الإيمان ص: ٣٢

(٣) ستأتي التفاصيل عنه،

(٤) انظر " رود كوثر " ص: ٥٥٢

الذي هو شعار العلماء ولا يلتقطون شعيرة علم ولا عمل من بيدر السنة النبوية وينظرون إلى المكين على هذه الفنون بعين الإهانة والاحتقار ... سبحانه الله ! فهذا حال عقلاء هذا العصر الذين يعدون أنفسهم في زمرة العلماء والفضلاء والأسف الشديد على أولئك الأغبياء الذين يزعمون قبح العلم لذلك الجهل المذكور (١)

أما التصوف بجميع آثاره الوخيمة فاختلط باللحم والدم، وأشربت قلوبهم به كما قال أحد العبقرين من رجال الهند (ومن أكبر البليات في الهند أن العامة والخاصة كلهم كانوا مصطبغين بصبغة التصوف حتى بلغ بهم الأمر إلى أنهم ما كانوا يقبلون شيئا إلا إذا كان مسبوكا في قالبه) (٢) ... " ولم تكن في الهند إلا فتنة التصوف الباطل ولم تخل منها قرية أو مدينة من الزوايا ... (٣)

وكان الناس مكبلين إما في حبال الصوفية الماكرة وإما في مكائد علماء السوء. ويقول محمد إكرام (٤) : فان التصوف مع ما فيه من القبائح لن يمكن لمسلمي الهند نبذه بالكلية فان لغتنا، ومذهبنا، وفلسفتنا، كلها ترعرعت في مهد التصوف... (٥) ويقول: فان التصوف قد ازدهر ازدهارا بالغا في الهند.... ولم يكن يخطر على قلب أحد من المسلمين إلى القرن الماضي أن يصل إلى جزء من حياة الروحية الإسلامية من غير انسلاكه في طريقة صوفية ومن غير اعتداء من المرشد الكامل. (٦) ويقول الشيخ ثناء الله أمرتسري (٧) : قال صلى الله عليه وسلم : بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي (٨) الحديث يدل على أن للإسلام أربع أدوار :

-
- (١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضرية ص: ٢٨
 - (٢) تذكرة أبو الكلام آزاد ٢٦٥ وترجمته مأخوذة من كتاب مسعود عالم الندوي تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند : ٢١
 - (٣) المصدر السابق.
 - (٤) وهو مؤرخ معاصر مشهور، ألف كتب كثيرة، توفي سنة ١٨٧٣م انظر تذكره شهيد ص: ٣٧٤
 - (٥) رود كوثر ص: ٥٦٤
 - (٦) أيضا ص: ٥٨٠
 - (٧) عالم كبير من علماء الهند القائمين بالسنة، وله جهود مشكورة في الرد على الارية والقاديانيين وغيرها من الفرق والملل يلقب ب "فاتح القاديان " لأنه ناظر القادياني وهزمه مرات وقذبا له القادياني عام ==

الدور الأول ضعف الإسلام كما كان في عهد مكة،

والثاني : عهد قوة الإسلام وانتشاره،

والثالث : هو عود الإسلام إلى الغربية بحيث يصبح الإسلام نسيا منسيا في أهله، ويغلب الشرك على التوحيد والبدعة على السنة ويعامل الذين يدعون إلى الصراط المستقيم مثل ما عومل المسلمون في الدور الأول،

والدور الرابع، إشارة إلى المصلحين الذين يقومون لإصلاح أحوال المسلمين، وقد وصل حال المرتبة الثالثة إلى أقصى الكمال في عهد الملوك في الهند حيث انتشرت كل أنواع العبادة لغير الله وراجت جميع البدع وأصبحت علامة أولياء الله أن تكون عيونهم مملأة من نشوة الخمر وجمهم طويلة معطرة ويفوح بشذاها الطريق الذي مروا به وينادي عموما،
اكر باب اجابت بند هو جائ تو كيا درهي

كهلا رهتا هي دروازه معين الدين جشتي كا. (١)

(وما الخوف إن أغلق باب الإجابة فان باب معين الدين جشتي مفتوح دائما)
ويقال:

الله كي بلد مين وحدت كي سوا كي هي جو كجه لينا هي ل لينك محمد س، (٢)
(هل يملك الله شيئا سوى الوحدة، وما نريده نأخذ من محمد)

ست وعشرين وثلاث مائة وألف بأن من يكون كاذبا منهما ويكون على باطل يسبق صاحبه إلى الموت ويسلط الله عليه داء مثل الهیضة والطاعون، وقد ابتلي القادياني بهذا الداء بعد مدة قليلة ومات، أما الشيخ ثناء الله فقد عاش بعده أربعين سنة توفي سنة ١٣٦٧ هـ انظر نزهة الخواطر ٨ / ٩٥ - ٩٦ ويكتب عنه الأخ عبد اللطيف البحث في الماجستير.

(٨) أخرجه الترمذي - ٢٦٣١ روي الحديث بأسانيد وألفاظ عديدة وهو صحيح انظر السلسلة الصحيحة ١٢٧٣ .

(١) هوخواجه معين الدين جشتي الاجميري الصوفي، مات سنة ٦٢٠ أو ٦٣٤ هـ هو الذي نشر طريقة الجشتية في الهند وقبره محجة للمسلمين والهندوس على السواء ومشهده من أشهر المشاهد في الهند، انظر الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص: ٣٥٧

(٢) مقدمة أكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان ص: ٢

الفصل الثاني: حياته الشخصية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته ولقبه وولادته ومواهبه:

المبحث الثاني: صفاته

المبحث الثالث: استشهاده

المبحث الرابع: أسرته العلمية

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته ولقبه وولادته ومواهبه

اسمه ونسبه:

هو محمد إسماعيل بن الشاه عبد الغني بن الشاه ولي الله بن الشاه عبد الرحيم بن الشيخ الشهيد وجيه الدين العمري الدهلوي.

ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله فهو إذا فاروقي النسب (١)

نسبته:

ينتسب إلى "دهلي" عاصمة الهند من زمن قديم، فيقال له الدهلوي.

كنيته:

وكان له ابن وحيد اسمه عمر وعلى هذا تكون كنيته "أبو عمر ولكن لم أر من كني به إلا نادرا.

لقبه :

وكان أفراد عائلته يلقبون بـ "ميان" (٢) ولكن لقبه الذي اشتهر به هو "شهيد" ولا يعرف إلا بهذا اللقب بل لا يطلق لفظ "حركة الشهيدين" في تاريخ الهند إلا على هذه الحركة التي قام بها تحت إمارة السيد أحمد ، ولا يذكره أحد إلا بإضافة لفظ الشهيد مع اسمه .

ولادته:

ولد الشاه لاثني عشرة من ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف (١١٩٣هـ) الموافق تسع وعشرين ابريل سنة تسع وسبعين وسبعمائة وألف من الميلادي (١٧٧٩م) في قرية فلت من أعمال مظفر نغر بجوار دهلي بالهند.

وأراد أبوه بعد ولادته أن يسلمه إلى ظفر تقوم برضايته ولكن أبت أمه فاطمة بنت علاء الدين إلا أن ترضعه هي بنفسها مع ضعفها ومرضها، وعاشت حتى رأت بنفسها جهود ابنها

(١) انظر ترجمته : اليانغ الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٦ وأجمد العلوم للقنوجي ٣ / ٢٤٦ و نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ٧ / ٥٦ وتراجم علماء أهل حديث هند ص: ٧١ وفقهاء باك و هند ٣ / ١٨٧

(٢) يستعمل للإكرام والتبجيل في الفارسية بمعنى "السيد" و "الملك" انظر سيد أحمد شهيد لمهر ص: ٦٤٣

و حجت معه سنة ١٢٣٦ هـ في القافلة المشهورة التي ذهب بها الشاه والسيد أحمد إحياء لفريضة الحج ووافتها المنية في مكة المكرمة فدفنت فيها (١).

نشأته:

نشأ الشاه محمد إسماعيل نشأة علمية في بيت معروف بالعلم والتقوى بل لم يكن في ذلك العهد علم الكتاب والسنة بالهند إلا في بيته وذلك أن جده جاء بعلم الحديث وقام هو وأبناءه بنشره فيها (٢).

وكانت تظهر عليه آثار الفطنة والذكاء منذ نعومة أظفاره، بدأ بالعلم وهو في السادسة من عمره، وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنوات، وكان أبوه يريه ويعلمه ولكن وافته المنية فتركه يتيمًا، كفله عمه الشاه عبد القادر ولم يفرط في تعليمه وتربيته فقام به خير قيام كما كان الشاه عبد العزيز والشاه رفيع الدين لم يألوا جهدا في تربية ابن أخيهما لشدة حبهما له .

مواهبه:

وقد أنعم الله عليه بمواهب عديدة من الذكاء والفطنة وقوة الحفظ، وذكر المترجمون له عددا من القصص (٣) تدل على قوة حفظه وشدة ذكائه، ولم يكن أحد من زملائه يساويه في العلم، وكان يحفظ كل ما يسمع ولم يكن يحتاج إلى مراجعته، ويشتغل بالرياضة والفروسية والسباحة والتدرب على الأسلحة، وقد تضايق عمه الشاه عبد العزيز من شدة شكوى تلاميذه عن عدم اعتنائه بالعلم، فنبهه مرة في ملأ من تلاميذه فأجاب الشاه بأنه يحفظ كل ما درس، فسأله عمه عدة أسئلة، فلما رأى حفظه وإتقانه فرح فرحا شديدا، اندهش الطلاب من حفظه (٤).

امتنحه بعض العلماء بأسئلة، محيرة فأقنعهم بالجواب، وكانوا يشهدون له بالحفظ والبراعة.

و الشاه قد تخرج في العلوم النقلية والعقلية وهو في السادسة عشرة من عمره، و درس القرآن والحديث وعلوم الفلسفة والمنطق والجغرافية، وغيرها من العلوم الموجودة في عهده.

(١) تذكرة شهيد ص: ٥٥

(٢) انظر جهود أسرته في نشر الحديث في الهند ص:

(٣) انظر " حیات طيبة " ٣٣ - ٣٥

(٤) انظر تذكرة شهيد ص: ٦١

ولم يحصر نفسه في طلب العلم فقط حسب عادة علماء عصره بل كان شغوفا بالفروسية، والرياضة البدنية، واستعمال البندقية، والمصارعة، في وقت يعتبره العالم والجاهل عارا ومسبة للعلماء (١)

وقد أتقن فن المصارعة، والسباحة، والفروسية، والرماية، بحيث كان الناس يشهدون له ببراعته في هذه الفنون، وقد كان يقطع بالسباحة مسافة بعيدة، ولم يكن يتعب من ركوب الفرس إلى مدة طويلة، وقلما كان يخطئ هدفه في الرمي كان أو بالبندقية، وقد عود نفسه على تحمل المشاق والمصاعب كثيرا. ولعل ذلك كله حسب مقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (٢).

(١) وصرح به الشاه في كتابه "ايضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح" في أحكام البدعة الحكيمة.

(٢) سورة الأنفال / ٦٠

المبحث الثاني : صفاته

تعبده وزهده:

قد بلغ في الزهد والعبادة مكانا رفيعا ترك الدنيا ومنصبها في زمن كان الناس يتهافتون عليها، ووقف نفسه وحياته للدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وقد تحمل في سبيلها مشاكل عظيمة عندما كان في بلده فلما عزم على الهجرة والجهاد عاش عيش المهاجرين المجاهدين في سبيل الله ليس لهم مأوى سوى ساحات القتال ولا ملجأ سوى المخيمات في جبال الأفغان، في حروب دامية وأسفار مستمرة مع قلة المساعدين وكثرة الخائنين وشدة الغدر والعداوة من الذين كان يريد تخليصهم من ظلم السيخ.

وكان يحبي الليالي بالعبادة والتضرع إلى الله، يدل عليه ما حكى ابن عمه موسى بن ربيع الدين فيقول: كان الشاه كان يمشي إلى بعض أراضي أسرته للحصول على محصولاتها فمرض مرة فذهبت مكانه فلما بت في خانة أحضر خادمها السجادة والوضوء، فقلت له: لا حاجة لي في الماء حتى الفجر فقال: إنك لست أخا لإسماعيل فانه كان يصلي العشاء ثم ينام قليلا ثم يستيقظ ويتوضأ ويقوم بالنوافل إلى الفجر وأين أنت منه في العبادة، يقول: استحييت من كلامه. (١)

تواضعه:

كان متواضعا مع كونه أميرا على المجاهدين، يقوم لحاجاته بنفسه، وقد جاء إليه مرة جماعة من العلماء والمشايخ على هيئتهم المعروفة بالعمائم الطويلة والألبسة الغالية، وهو يدق الحبوب لفرسه فلما رآوه بكوا على حاله، يقول الشيخ محمد يوسف بنوري (٢): "انه من ذلك الجيل ومن ذلك الرعيل الذي يشبه تماما بأولئك الصحابة الذين كانوا أولى نفوس قدسية وأرواح ذكية وقلوب تقية" (٣)

(١) انظر "إسماعيل شهيد" ص: ٢٥٥

(٢) وهو من أشهر علماء ديوبند، صاحب "معارف السنن شرح الترمذي" ت سنة: ١٣٩٧هـ انظر ترجمته في مقدمة "معارف السنن" طبعة باكستان، كراشي، ١٤٠٤هـ

(٣) مقدمته على "عبرات" ص: ٢

وكان يسبق غيره لتحمل المشاق ومواقع الخطر، وكان يمشي على أقدامه في أكثر المواقع ويعطي فرسه لغيره إيثارا لغيره على نفسه واحتسابا عند الله عز وجل. (١)

وفاؤه بالعهد:

كان الشاه شديدا في مراعاة الشروط والعهود في الحروب وقد اشترط في الصلح مع أمير رسول خان بعد معركة "مردان" (٢) أن لا يدخل المجاهدون المدينة فأرسل رسولا إلى الأمير بالألا يدخل في المدينة ولكن لم يستطع الرسول الوصول إليه لشدة الزحمة، فدخل المدينة فلما علم الشاه ركب الفرس وطار إليه غاضبا نائرا، وأنكر بشدة فقال: كيف ترتكب مخالفة شرعية، ولاتراعي الشروط وأنت أمير، قد صالحتهم على شروط، يجب إيفاؤها، وليست هذه قافلة الفقراء حتى تقتحم المدينة، والواجب على جميع الجيش أن يخرج من المدينة، فاعتذر الأمير وخرج. (٣)

وقد عاتب عبد الرؤوف عتابا شديدا لغيابه في الليل عن المعسكر، وكان ذومرتبة عند الناس فقال له: "فاني لأرأعي كبيرا ولاصغيرا في تفويض المسئوليات، ولن أجزئ المداينة فيها. (٤) شجاعته :

أما شجاعته فكانت يضرب بها المثل، وكان الأعداء يهابون من اسمه، وقد حاول أحد جنود الأفغان غصب مال امرأة فقالت بأنها ستذهب إلى الشاه محمد إسماعيل فخاف وهرب وترك مالها (٥).

وكان مرابطا في "أمب" فطلبه الأمير لأجل معركة "مايار" فكتب إليه الكاتب أن يشهر خبر بجيئه وسفره إليهم لأن شجاعته معروفة لدى العوام والخواص في هذه المنطقة ولا يستبعد أن يهرب العدو من خبر بجيئك ويترك الحرب ويستعد للصلح (٦).

(١) انظر سيد أحمد شهيد ٢٠٦ / ١ و ٥٨٤ - ٦٥٧

(٢) وهي منطقة في بشاور في أفغانستان.

(٣) المرجع السابق ٦٤١ / ٢

(٤) المرجع السابق ص: ٥٧١

(٥) أهل حديث اور سياست ص: ٧٠

(٦) المرجع السابق

وكان يسبق جميع الجيش في الهجوم بل كان يرى دائما في أخطر المواقع في الحرب وكان
الناس يلجئون إليه في شدة المعركة (١).

(١) تذكره شهيد ٣١٤

المبحث الثالث: استشهاده

عاش الشاه رحمه الله حياة حافلة مليئة بالعلم والدعوة والجهاد بالسيف، وقد حاول أعداءه أن يفتالوه مرارا ولكن قدر الله شهادته في سبيل الله في معركة دامية مع السيخ في أرض الأفغان في جبال "بالاكوت" بعدما قاتل السيخ بشجاعة نادرة وبطولة رائعة.

كادت أن تعود إلى المسلمين الخلافة الإسلامية في هذه المنطقة بجهود المجاهدين، وكرامتهم ولكن قبح الله النخوة العرقية والعصبية القبلية التي أتت على جميع الجهود الجبارة فقد غدر رؤساء الأفغان وخان العلماء المبتدعة حيث أثاروا فتنة "الوهاية" و "الحنفية" وكفروهم عباد القبور وأخرجوهم من الملة، كما سرب بعض المسلمين أخبارهم إلى الأعداء ودلوهم على الطريق الجبلي، فداهمهم العدو من الخلف ووقعت معركة عنيفة سالت فيها دماء طاهرة زكية واستشهد فيها الأمير والشاه ونخبة من خيرة المسلمين .

وقعت هذه الكارثة المؤلمة المفجعة صباح يوم الجمعة في ذي القعدة ١٢٤٦ هـ الموافق

٦/مايو ١٨٣١م (١).

(١) هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٣٢ وسيد أحمد شهيد ٢ / ٤٢١

المبحث الرابع : أسرته العلمية

المطلب الأول : أجداده

كان الشاه ينتمي إلى أسرة ذات شرف وحسب ونسب، وكان ينحدر من سلالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان آباؤه وأجداده معروفين بالعلم والعمل والزهد والتقوى، وأول من جاء من أجداده إلى الهند الشيخ شمس الدين المفتي وكان رجلاً زاهداً عابداً وتنسب إليه كرامات والله أعلم بصحتها، ويقول عنه الشاه ولي الله (كان أول قرشي نزل تلك البلدة فنشر فيها أنوار الإسلام وأحيا شعائره وأزال طغيان الكفر وظلماته(١))

تولى عدد من أجداده مناصب شرعية من القضاء والإفتاء ونحوها في منطقة رهتاك التي كانت مسكنهم.

الشاه عبد الرحيم:

وهو أبو جد الشاه إسماعيل رحمه الله، المولود سنة ١٠٥٤هـ كان عالماً جليلاً، وفقهاً محدثاً، وكان ينتمي إلى الطريقة الجشتية في التصوف. (٢) أنشأ المدرسة الرحيمية لتدريس العلوم الشرعية وخاصة علم الحديث، وكان يتقيد بالمذهب الحنفي في عامة المسائل وإلا أنه كان يترك الفقه الحنفي أمام الحديث الصحيح، وقد اختاره الملك لإعادة النظر في الفتاوى الهندية فراجعها وصحح بعض أخطائها، وتوفي سنة ١١٣١هـ.

المطلب الثاني: الشاه ولي الله ودوره في نشر الكتاب السنة

وهو جد الشاه إسماعيل رحمه الله، من أشهر علماء الهند، فمحاسنه لا تحصى ومعارفه لاتقيد ولن تنسى الهند ما قدم إليها من علوم وفنون، ولدي ضحى يوم الأربعاء ٤ / شوال / ١١١٤هـ وتوفي ١١٧٦هـ.

(١) انظر الامداد في مآثر الاجداد ص: ٢ ذكر فيه نسبه وأسرته.

(٢) وهي نسبة إلى قرية "جشت" في هراة، في الشمال الغربي من أفغانستان مؤسسها أبو إسحق الدمشقي الجشتي توفي في أواخر القرن السادس أو بداية القرن السابع وهي منتشرة في الهند نشرها خواجه معين الدين جشتي الاجميري الصوفي، مات سنة ٦٢٠ أو ٦٣٤ هـ، انظر الكشف عن حقيقة الصوفية ص:

تأثره بابن تيمية:

كان الشاه ولي الله عالما جهبذا ولكن لم ينصب نفسه لنصرة السنة والعمل بالحديث واختيار طريقة فقهاء المحدثين في المسائل إلا بعد زيارة الحرمين، وبعد الاستفادة من مشايخ تلك البقعة المباركة، وكان قبله ينتهج نهج علماء بلده في الكلام والتصوف، تتلمذ في الحجاز على الشيخ أبي طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن الكردي (ت ١١٤٥هـ) وهو تتلمذ على أبيه المتوفى سنة ١١٠١ هـ الذي كان سلفي العقيدة ذابا عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ من الشيخ محمد حياة السندي (١) شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، فاطلع بواسطة هؤلاء المشايخ على كتب ابن تيمية وابن القيم ورحمهم الله ورجع إلى الهند بعاطفة الاعتصام بالكتاب والسنة، (٢) تدل عليه مؤلفاته التي ألفها بعد رجوعه من الحج، وانتصر فيها للسنة، ولذلك ما أحسن ما نقل الأستاذ مسعود عالم الندوي عن قائل: "نحن نعرف (ولي الله) المحدث الفقيه صاحب "حجة الله البالغة" و "إزالة الخفاء" ومثله، أما ولي الله المتصوف الفيلسفي فلا صلة لنا به" (٣).

ودافع عن شيخ الإسلام ابن تيمية دفاعا مجيدا ومدحه مدحا عاطرا، في زمن لم يكن أحد يعرف ابن تيمية ومن يعرفه لم يكن يذكره بخير في الهند.

يقول في رسالة طويلة وجهها إلى تلميذه الذي سأله عن حال ابن تيمية وماذا ينبغي أن يعتقد فيه، (.....) فيقول: وكذلك ابن تيمية فانا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله ومعانيه اللغوية والشرعية، وحافظ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثار السلف عارف بمعانيها اللغوية والشرعية، أستاذ في النحو واللغة، محرر بمذهب الخنابلة فروعه وأصوله، فائق في الذكاء ذو لسان وبلاغة في الذب عن عقيدة أهل السنة، لم يؤثر منه فسق (٤) ولا بدعة اللهم إلا هذه الأمور التي ضيق عليه لأجلها وليس شيء منها إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف ومن يطبق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره والذين ضيقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه

(١) هو الإمام العالم المحدث محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني، ولد في السند وسكن في المدينة، وتوفي فيها سنة ١١٦٣هـ، انظر الأعلام للزركلي ١١١/٦.

(٢) حلاء العينين ص: ٤٥ - ٤٦

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ١٥٩

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية ليس مظنة للفسق، و يعتذر للشاه رحمه الله بأنه كان في دفاعه عنه يرد على أقوام يتهمونه بتهم شنيعة.

الله تعالى وان كان تضيقهم ذلك ناشئا من اجتهاد، ومشاجرة العلماء في مثل ذلك ما هي إلا كمشاجرة الصحابة فيما بينهم والواجب في ذلك كف اللسان إلا بخير...”

ثم تناول المسائل التي ضيق عليه من أجله وذكرها وهي، إن الله تعالى فوق العرش، ومنع السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنكر وجود القطب والغوث والخضر والذي تدعيه الشيعة انه المهدي وأساء الأدب مع علي رضي الله عنه وفسر آية الطهارة (١) بالإرادة التشريعية دون الإرادة التكوينية، ثم أجاب عن كل مسألة وأيد فيه مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وحذر من الوقوع فيه (٢).

وكان ولي الله شديد الإعجاب بابن تيمية ومعارفه وآرائه يدل ذلك كثرة ما ينقل منه في كتبه باللفظ وبالمعنى بل يذكر اسمه ومنزله العلمية أحيانا ويكاد أن يكون كتابه ”البلاغ المبين” في الفارسية ترجمة ملخصة لاقتضاء الصراط المستقيم (٣).

أما كتابه ”إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء” فسفر علمي عظيم ليس له نظير في شرح المباحث والمسائل الخاصة بالخلافة الإسلامية والسياسة الشرعية ومكانة الخلفاء الراشدين الأربعة وغيرهم من الصحابة... (٤). وقد نقل فيه عن ابن تيمية نقولا غير قليلة (٥).

”ولما قام العلامة الشاه إسماعيل بن عبد الغني حفيد ولي الله الدهلوي بالتنفيذ العملي لأفكار جده ظهر أثر معارف ابن تيمية وأعماله التجديدية في الأوساط المسلمة في الهند وبدأت تعمل عملها ولاريب أن” تقوية الإيمان ”و” رد الإشراك ”و” تنوير العينين” من مؤلفات العلامة إسماعيل الدهلوي ثمرات لمعارف شيخ الإسلام ابن تيمية التي ورثها عن جده (٦).

قائد الحركة:

(١) الآية المشار إليها، قوله تعالى... ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ سورة الاحزاب/ ٢٣

(٢) انظر رسائل الشاه ولي الله ص: ١٨ - ٢٣ الترجمة منقولة من كتاب ”الامام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي ص: ٥٣ - ٥٩ وقد ذكر الآلوسي الشاه ولي الله من المشاهير الذين يدافعون عن ابن تيمية واستدل بمحتوى هذه الرسالة. انظر جلاء العينين ص: ٤٥ - ٤٦

(٣) انظر ”الامام المجدد المحدث الشاه ولي الله” ص: ٥٩

(٤) المصدر السابق ص: ١٤٩

(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ٢٨

(٦) مقدمة دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص: ٢٨

يعتبر الشاه ولي الله قائد حركة الإصلاح والتجديد في الهند، هو الذي دعا بقوة إلى التمسك بالكتاب والسنة وترك البدع وترجم القرآن إلى لغة القوم وقام بنشر الحديث وبأعمال عظيمة غيرت مجرى الحياة في الهند، ومما أنجز من أعمال الإصلاح، إعداد جماعه من العلماء والمحدثين والفضلاء النابغين الذين قادوا هذه الحركة إلى أرجاء الهند، كما أنه أورث المسلمين بمؤلفاته القيمة النادرة، وجلى القضايا العلمية ونقد التاريخ الإسلامى وأدرك مواضع وهن الأمة الإسلامية ونبه على سبل تداركها، ولم يتقيد في جميع ما كتب بمذهب معين، ولم يقلد أحداً، بل اجتهد بعلمه ودعا إلى الاجتهاد، "فتبدلت الأرض غير الأرض وتغير الجو، وخفقت راية الكتاب والسنة مرفوفة" (١)

"وبظهوره بدأت مرحلة جديدة بالهند للعمل بالكتاب والسنة والرجوع إلى المصادر الشريعة الأصلية مباشرة بدون التقيد بمذهب معين في الفقه" (٢)

ولكن لم يكمل هذا الصرح إلا حفيده الشاه محمد إسماعيل الذى بلور فكرته ونوه بالرجوع إلى الكتاب والسنة في كل صغير وكبير، فحدثت ضجة في الأوساط العلمية لدعوته الواضحة، فقامت جماعات معادية للقضاء على فكرته ودعوته ولكن أنى لهم أن يفعلوه "وكان الله عزوجل قد قضى أن يحدد دينه على يد هذا الرجل العبقري الذي كان يتميز بالشجاعة والإخلاص والفهم والذكاء والفتنة والبصيرة" (٣)

مؤلفات الشاه ولي الله :

وله مؤلفات عديدة في فنون شتى وقد ألف في علوم القرآن، وعلوم الحديث، وفي العقيدة، والتوحيد، وحكم الشريعة، وعلم أصول الفقه، واختلاف الفقهاء، والسيرة النبوية، والخلافة الراشدة، وفي التزاحم، والتصوف، والنحو، والصرف، وغيرها من الفنون، حيث بلغ عددها ثلاثة وستين مؤلفاً (٤)

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ١٣٧

(٢) الحركة السلفية بالهند ص: ٩

(٣) المرجع السابق ص: ١١

(٤) انظر الامام المجدد المحمده الشاه ولي الله الدهلوي ص: ٣٩ وأبجد العلوم ٣ / ٢٤١

المطلب الثالث: أولاد الشاه ولي الله ودورهم في نشر الكتاب والسنة

”كان له أولاد صالحون الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الغني والد الشيخ محمد إسماعيل الشهيد وكلهم كانوا علماء نجباء حكماء فقهاء كأسلافهم وأعمامهم، كيف وهم من بيت العلم الشريف والنسب الفاروقي المنيف..... وكان بيته في الهند بيت علم ودين، وكانوا مشايخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية أصحاب الأعمال الصالحات وأرباب الفضائل الباقيات لم يعهد مثل علمهم بالدين بيت واحد من بيوت المسلمين

في قطر من أقطار الهند ... لم يكن علم الحديث والتفسير والفقه والأصول وما يليها إلا في هذا البيت". (١)

الشاه عبد العزيز: (١١٥٩-١٢٣٩) هـ

"هو سيد علمائنا في زمانه وابن سيدهم لقبهم بعضهم بـ "سراج الهند" (٢) خلف أباه في التدريس وتلمذ عليه مئات الطلاب من داخل الهند وخارجها وله مؤلفات عديدة في فنون شتى ولكن اشتهر "بالتحفة الإثنى عشرية في الرد على الفقة الرافضة" وهو سفر حافل بديع في موضوعه أودى من أجله كثيرا حتى صودرت أملاكه (٣) اختصره الألوسي (٤) واشتهر اختصاره في بلاد العرب.

الشيخ الشاه رفيع الدين: (١١٦٣-١٢٣٣) هـ

تولى التدريس بعد أبيه وأخيه الشاه عبد العزيز عند ما كف بصره، وكان على منوال أخيه وأبيه في العلم والمعرفة، وله مؤلفات نافعة، وهو أول من ترجم القرآن باللغة الاردية ولا يزال يستفيد منها خلق كثير (٥).

الشيخ الشاه عبد القادر: (١١٦٧-١٢٣٠) هـ

كان عالما زاهدا صادق الفراسة حسن التوسم اشتغل بالتدريس والإرشاد وله ترجمة القرآن الكريم باللغة الاردية مع حواش مفيدة، ولا يزال ينتفع بها (٦).

الشاه عبد الغني والد الشاه محمد إسماعيل: (١١٧١-١٢٠٣) هـ

كان عالما محبا للعزلة والعبادة "توفي وهو حدث السن لم يكد يخدم الدين والأمة بشيء يذكر في بطون التاريخ إلا أن الله رزقه مولودا جعله الله من مجيدي الدين لهذه الأمة وكبار مصلحيها في هذه البلاد الا وهو الشاه إسماعيل" (٧)

(١) أجمد العلوم لصديق حسن خان القنوجي ٢٤٣/٣

(٢) اليانغ الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٣

(٣) شاه ولي الله اورانكا خاندان ص: ١٠٢

(٤) هو السيد محمود شكري الألوسي ت ١٣٤٢ هـ الاعلام ١٧٢/٧

(٥) الامام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي ص: ٥٠ أجمد العلوم ٢٤٥/٣

(٦) اليانغ الجني ... ص: ٧٥ وأجمد العلوم ٢٤٥/٣

(٧) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ١٦١

ولكل واحد منهم أبناء وأحفاد لهم شأن في التدريس والتعليم والتبليغ والجهاد (١).
يقول القنوجي بعد ما تناول موضوع قلة علم الحديث في الهند وأن ثقافة أهلها لا تتجاوز الكتب الفقهية على طريق التقليد دون التحقيق وأن الشيخ عبد الحق بن سيف الدين (٢). أول من جاء به في هذا الإقليم يقول: ".... وبعده جاء الشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هذه الدورة وحكيمها وفائق تلك الطبقة وزعيمها الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم، وكذا أولاده الأجداد وأولاد أولاده أولي الإرشاد المشمرين - لنشر هذا العلم - عن ساق الجد والاجتهاد فعاد بهم علم الحديث غضا طريا بعد ما كان شيئا فريا" (٣)

(١) انظر تراجم علماء أهل حديث في الهند، وشاه ولي الله اور انكا خاندان.

(٢) تقدمت ترجمته ص: ٤٨

(٣) الحطة في ذكر الصحاح الستة ١٤٥ - ١٤٦

الفصل الثالث: حياته العلمية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : طلبه للعلم

المبحث الثاني: تلاميذه

المبحث الثالث : منزلته العلمية

المبحث الرابع : مؤلفاته

المبحث الأول : طلبه للعلم

المطلب الأول: توجهه إلى العلم

ولد الشاه محمد إسماعيل في أسرة كانت مرجعا لجميع الطلاب في عموم الهند، ولم يكن في وقته من يهتم بالكتاب والسنة وعلومهما تعليما وتبليغا إلا أعمامه ولا مدرسة يدرس فيها القرآن والحديث إلا مدرستهم، فكان جده وأعمامه مرجعا لكل من يريد العلوم الإسلامية وخاصة الحديث وعلومه، فبيئة أسرته رغبته في العلم منذ صغره، وقد أتقن من العلوم الرياضية والجغرافية والتاريخ وهو صغير، وحفظ القرآن وعمره لم يتجاوز ثماني سنوات، ثم درس المنطق والفلسفة حسب مقتضى زمانه ثم توجه إلى الحديث وعلومه، حتى تمكن فيها.

ولأنجد له رحلة في طلب العلم إذ لم يكن في الهند والمناطق المجاورة لها من يرحل إليه لأجل طلب العلم بل كان الناس يقصدون أهل بيته الذين عاش بين ظهرانيهم .

المطلب الثاني: شيوخه

١- أبوه عبد الغني

تعلم الشاه على يديه الصرف والنحو والأدب ونحوها من العلوم إلى أن توفي رحمه الله وهو في السنة العاشرة من عمره.

٢- الشاه عبد القادر

تتلمذ عليه في المنطق والفلسفة وغيرها من العلوم كما تتلمذ على الشاه رفيع الدين أيضا، وأخذ الحديث وعلومه من الشاه عبد العزيز قراءة وسماعا، بل كان الشيخ يقدمه في قراءة الحديث عليه لسرعة قراءته وسلامته من الأخطاء.

٣- الشيخ عبد الحي بدهانوي :

تتلمذ عليه أيضا وهو، صهر الشاه عبد العزيز، كان من أحسنهم خيرة بالفقه وأمرسهم بالكتب الدراسية توفي في أرض الجهاد بأرض الافاغنة سنة ١٢٤٣هـ (١)

(١) انظر اليانغ الجني ...ص ٧٦ ونزهة الخواطرص: ٢٤٩/٧

المبحث الثاني: تلاميذه

اشتغل الشاه بالتدريس في مدرسة عائلته المعروفة بتعليم القرآن والحديث وجميع العلوم، لكن الظروف ألبأت ألا يستمر في ذلك، وفي سنة ١٢٣٦هـ وصلته فتوى وهو مع الأمير السيد أحمد أحمد في رحلاته التبليغية بعدم فرضية الحج على أهل الهند، وكانت هذه فتوى مشهورة ومعمول بها بينهم من مدة مديدة فرأى السيد أحمد والشاه وجوب إحياء هذه الفريضة قبل القيام بالجهاد، فذهبوا بموكب عظيم لكي يثبتوا فريضة الحج عمليا، وبعد سفر مضى وصلوا مكة في شعبان سنة ١٢٣٧هـ .

واشتغل بدعوة الجهاد بكل نشاط بعد رجوعه من الحج في أنحاء الهند الشمالية، وكان يدرس "مشكاة المصابيح" كل يوم في معسكر المجاهدين في أرض الأفاغنة، قبل استشهاده، وهذا يدل على أن أكثرهم استفادوا منه، وهذا عدد كثير. (١)
كما أنه درس كتاب "حجة الله البالغة" الذي كان معجبا به في "الحرم المكي" أثناء سفره للحج. (٢)

ولكن نذكر هنا بعض التلاميذ المشتهرين الذين لهم اثر في نشر الكتاب والسنة، والقيام بالدعوة بعده،

١- الشيخ السيد أحمد

كان أميرا على الجهاد والمجاهدين، بايعه الشاه على الدعوة والجهاد، وقد تتلمذ على الشاه إسماعيل أثناء قيامه في دهلي، استشهد هو والشاه إسماعيل وكثير من المجاهدين في غزوة بالا كوت. (٣)

٢- الشيخ عبد الحق بنارسي

هو الشيخ العالم المحدث من أذكي الناس، وأشد الناس تمسكا بالكتاب والسنة وردا على الخرافات والبدع والتقليد أحد العلماء المشهورين ولد (١٢٠٦ هـ) وتوفي بمحرم في ثاني عشر ذي الحجة ١٢٧٦هـ .

(١) سيد أحمد شهيد، مهر ص: ١ / ٧٦

(٢) موج كوثر ص: ٢٣

(٣) تذكره شهيد ص: ٧٥

وله رسائل علمية، " وكان لا يتقيد بمذهب ولا يقلد أحدا في شيء من أمور دينه بل يعمل بنصوص الكتاب والسنة ويجتهد ولذا جرت بينه وبين الأحناف مباحثات كثيرة في الاجتهاد والتقليد ومن مصنفاته " الدر الفريد في المنع من التقليد " (١) وقد حوكم في رحلة الحج مع الشاه على أنه "وهابي" لإنكاره البدع، وتهمته الوهابية كانت تكفي لإيقاع أشد العذاب والنكال، ثم خلاصه الشيخ عبد الحي بدهانوي بحجة أنه لا مانع في العمل بما صح من الحديث وإن كان حنفيا (٢)

وقد طلب صديق حسن خان القنوجي الإجازة من الشيخ عبد الحق فأجازه وقال في إجازته : "وقرأت أكثر كتب الحديث على أسوة المحدثين وارث علوم سيد المرسلين العلامة النبيل مولانا الشيخ محمد إسماعيل الشهيد تغمدہ اللہ بغفرانہ المديد" (٣). وهذا يشير إلى أن الشاه كان يدرس أكثر كتب الحديث، وأن له تلاميذ كثيرين.

٣- الشيخ ولایت علي الصادقپوري

هو الشيخ الإمام العالم المحدث أحد العلماء الربانيين ولد (١٢٠٥ - ١٢٦٩ هـ) أخذ الحديث عن الشاه إسماعيل، وبعثه السيد أحمد إلى حيدرآباد الدكن، للدعوة، فأقام هناك زمانا هدى الله على يديه كثيرا من الناس.

وكان حريصا على إتباع السنة والعمل بها جامعا بين العلم والعمل... (٤) وله جهود جبارة لا تحصى في نشر الحديث وقمع البدع والخرافات والتقاليد والمحدثات في أرجاء الهند، وقام بطبع رسائل الشاه إسماعيل وكتبها كثيرة في السنة والعقيدة ونشرها في المسلمين.

وتسلم إمارة الجهاد والدعوة في أخرج الأحوال بعد استشهاد الأمير ين الشاه إسماعيل والسيد أحمد فضحى بنفسه وأسرته وإخوانه وجميع عائلته في سبيله، ويقول مسعود عالم

(١) انظر نزہۃ الخواطر ٧/ ٢٤٥ و أهل حديث اورسیاست : ٩٥ - ١٠١

(٢) سيد أحمد شهيد ١/ ٢٢٧

(٣) إتحاف النبلاء ص: ٢٦٤ للقنوجي بالفارسية،

(٤) انظر نزہۃ الخواطر ٧/ ٥٢٥ انظر للتفصيل عن أحواله وأحوال أسرته كتاب " الدر المنثور في تراجم

أهل الصادقپور " المشهور ب (تذكره صادقة)

الندوي: "يعجز تاريخ الهند أن يأتي بمثله ومثل أسرته، فلاني لا أستطيع إحصاء جهوده في إحياء السنة، فانه يحتاج إلى مؤلف ضخمة" (١).

٤- الشيخ خرم علي البلهوري

" العالم الصالح أحد العلماء المشهورين، توفي سنة ١٢٧١ و قيل ١٢٧٦ هـ استفاد من أسرة الشاه وكان مقلدا غالبا فكتب رسالة " منع قراءة الفاتحة خلف الإمام " ولكن لما صاحب الشاه إسماعيل أحب السنة النبوية حبا شديدا واصطبغ بصبغتها وثبت عليها إلى النهاية، رحمه الله، وله كتب عديدة منها " نصيحة المسلمين " رسالة مشهورة في نصر التوحيد والسنة (٢) وكان شاعرا مجيدا، نظم في فضائل الجهاد نظما طويلا وكان المجاهدون ينشدونه في وقت القتال، ويدرك مدى تأثيره في قلوب المسلمين أن حكومة الإنجليز منعت قراءته وطباعته. (٣)

٥- الشيخ جعفر علي البستوي

" الشيخ العالم الصالح نشر العلم وتخرج عليه جماعات من الفضلاء أخذ عن الشيخ إسماعيل ولازم السيد أحمد أحمد وجاهد معه ثم رجع إلى بلاده " بستي " وهي بلدة في بطون أودية " نيبال " فسكن بها مدة عمره وأسس المدارس لتعليم القرآن والحديث في " ماهوبور " وسمرا " وفي غيرهما من القرى الكثيرة وهدى الله على يديه أناسا كانوا كالأنعام بل هم أضل ... " (٤) وهو أول من قام بتسجيل أحوال المجاهدين وتاريخهم. توفي سنة (١٢٨٨) هـ

٦- الشيخ عبد الهادي الجهومكوي

" الشيخ العالم الصالح أحد العلماء الراسخين نفع الله به نفعا عظيما ولد (١٢٠٥ هـ) في بيت من بيوت عبدة الأصنام ونشأ على الكفر وأسلم بدعوة الشاه والسيد وتلمذ على الشيخ إسماعيل بن عبد الغني.... فكان يدور في أرض بهار ويذكر الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وينصر السنة المحضة، والطريقة السلفية حتى أودى في ذات الله ... " توفي سنة ١٢٦٥ هـ (٥)

(١) هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٤٠-٤٣

(٢) انظر نزهة الخواطر ١٥٨ / ٧ و تراجم علماء أهل حديث ص/ ٥٠٩

(٣) أهل حديث اور سياست ص: ١٥٤

(٤) نزهة الخواطر ١١٩ / ٧ و "جماعت مجاهدين " و "رجال أهل حديث " - لأبي علي أنرى ص: ١٠٢

(٥) المرجع السابق ١٩٣ / ٧

٧- الشيخ سخاوة علي الجونبوري

" الشيخ العالم الكبير المحدث أحد العلماء المشهورين ولد سنة (١٢٢٥) ... قرأ المطولات على الشاه إسماعيل... وقد انتزع المسجد الجامع الكبير من أيدي الشيعة في "لكهنو" وأقام فيه الجمعة والجماعة وعمره بالمدرسة القرآنية ... وله عدد من المؤلفات وتوفي بمكة سنة (١٢٦٤) هـ (١)

٨- الشيخ جلال الدين البنارسي

" الشيخ العالم الصالح أحد العلماء العاملين بالحديث ولد ١٢١٩ أو ١٢٢١ هـ وكان يرفض التقليد ويعمل بالحديث والنصوص الفاضلة وله مصنفات في اللغة والنحو والحدس على العمل بالكتاب والسنة. (٢)

هذا غيض من فيض وقد أوجزنا أحوال تلاميذه، والتفصيل في أحوالهم وجهودهم يحتاج إلى مؤلفات (٣) ويكفيه شرفا وفضلا أن تتلمذ عليه السيد أحمد الأمير المجاهد ويكفيه مفخرة أن الشيخ عبد الله سراج مفتي مكة تتلمذ عليه في مكة واستفاد منه (٤)

(١) المرجع السابق ١٩٣ / ٧

(٢) المصدر السابق ١٢٠ / ٧ وتراجم علماء أهل حديث ص: ٣٤٥

(٣) قال به صاحب تذكره شهيد ص: ٩٣

(٤) المصدر السابق

المبحث الثالث : منزلته العلمية

المطلب الأول : مذهبه

وقد كان رحمه الله بلغ في علوم الشريعة مبلغا تأهل للاجتهد، ولذا نراه مجتهدا في غالب أقواله، ولا يقلد رأيا ولا مذهبا، بل كان يحكم الكتاب والسنة في جميع الأمور وهذه الميزة جعلته رائد حركة أهل الحديث وقائدها (١) بل "هو مؤسس النهضة السلفية في شعاب الهند وأقطارها" (٢). وله جهود لم يسبق إليها غيره في الهند في رد التقليد وإبطال التعبد بالأقوال وآراء الفقهاء والفقراء والمشايخ والبدع المنتشرة بين العوام والخواص وفي إحياء السنن ونشرها. يقول في شرح آية ﴿يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار...﴾* "وطريق وصول حكم الرب إلى العباد هو بعثة الرسول إليهم وإخباره إياهم، فمن قدم قول إمام أو مجتهد أو فقير أو بمن يسمى غوث أو قطب أو أبدال أو أوتاد أو مولوي أو شيخ أو فقير أو كامل أو حاج أو زائر أو أب أو جد أو سلطان أو وزير أو أستاذ أو قسيس.... على قول الرسول واحتج بقول شيخ أو أستاذ أو حكيم أو فلسفي أو متكلم نظار.... فهذه الأمور مثبتة للشرك فمن كان قوله من هؤلاء المشار إليهم موافقا لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم وما أوحى إليه فهو الحقيق بالقبول، ومن خالف قوله قول الله تعالى وحديث رسوله قيد شعرة فهو مردود عليه وإن علا في المرتبة والمكانة إلى غاية فإن الحق أكبر من كل كبير" (٣)

وعقد فصلا خاصا في رد بدعة التقليد في كتابه تذكير الإخوان.

ولكن للأسف حاول المقلدون أن ينكروا هذه الميزة التي امتاز بها ويجعلوه مقلدا جامدا وقد قال رشيد أحمد : إن مسلكه أن لا يعمل على قول أحد إذا وجد حديثا صحيحا غير منسوخ وإذا لم يجده فليس عنده مذهب أحق من مذهب الأحناف (٤)

وتارة يقولون عنه كذبا و زورا أنه رجع من طريقة فقهاء المحدثين إلى التقليد وترك رفع

(١) لقب به إحسان المهي ظهر في كتابه "البريلوية" ص: ١٦٢

(٢) النهضة السلفية في الهند وباكستان ص: ٥

* - سورة يوسف / ٣٩

(٣) الدين الخاص ص: ٦٧/٢ وتقوية الإيمان ص: ١٠٩

(٤) تذكيرة الرشيد ٢ / ٢٤١

اليدين في الصلاة، (١) وأنكروا أن يكون كتاب "تنوير العينين في إثبات رفع اليدين" من تأليفه (٢) وتارة ادعوا أن كتاب "تقوية الإيمان" وكتابه الشهير في موضوع البدعة (إيضاح الحق الصريح...) محرف ومدسوس عليه لعدم موافقته لأهوائهم فرد عليهم العالم السلفي بتأليف مستقل (٣)

وهناك قرائن عديدة بأنه لم يتراجع عن منهجه الذي اختاره ومن أحسن ما يستدل عليه ما وقع في "كابل" في آخر حياته ويروي لنا هذه القصة ملا حبيب الله قندهاري الذي كان شهادها فيقول: "كنت مع المجاهدين في كابل، فحضرت صلاة العصر، طلب مني الشيخ إسماعيل رحمه الله أن أصلي بالناس، وكان يصلي ورائي، فأحس به رجل بأنه يقرأ سورة الفاتحة خلف الإمام، فلما فرغ من الصلاة أصبح يطعن فيه، ويسبه لقراءته سورة الفاتحة خلف الإمام، فلما سأل، أجاب الشاه اسمعيل: إن الإمام محمد رحمه الله قد اختار جواز قراءة الفاتحة للمقتدي في الصلاة كما هو في "المبسوط" ثم إن قرائتها فرض في مذهب الشافعي، فاخترت قرائتها بناء على الاحتياط، فلم يطمئن المعترض، فقال الشاه: "هذا المعترض إما أن يكون مقلداً أو محققاً، فإن كان محققاً فاستدل له من الكتاب والسنة، وإن كان مقلداً لكتب بلده، فأنا أقلد علماء بلدي، لأن جميعهم حتى الأحناف يفتنون بقراءة الفاتحة خلف الإمام".... (٤)

ولكن قد شهد عبيد الله سندهي الحنفي المتعصب للبغض لغير المقلدين أشد البغض (ت ١٩٤٤هـ) وغيره مع اختلافهم في المنهج بأن الشاه كان ينتهج منهج المحدثين، يقول السندهي: فان إسماعيل أنشأ جماعة بعد قراءة "حجة الله البالغة" كانت ترفع اليدين في الصلاة ويجهرن بالآمين وتمسك بغيرها من السنن مثل الشافعية.... (٥)

(١) انظر أمير الروايات ص: ٢، و١٦١، وقد وهن هذه الحكاية مسعود الندوي في رده على السندهي انظر ص: ٧٤

(٢) انظر شاه ولي الله اور انكا خاندان ص: ١٤٣ واتهم صاحبه أهل الحديث أنهم يحرفون كتب أسرة الدهلوي ص: ١٠٧

(٣) وهو "مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد،

(٤) انظر "مجموعة رسائل ملا حبيب الله قندهاري" مخطوط، نقلا من أكمل البيان ص: ٧٨٤

(٥) شاه ولي الله كي سياسي تحريك ص: ٨٣

و" كان في جماعة المهاجرين والمجاهدين عدد قليل من العلماء الذين كانت لهم اختيارات فقهية وكانوا يعملون بالحديث الصريح في بعض الأحكام والعبادات، وكان على رأسهم الشيخ محمد إسماعيل حفيد الإمام ولي الله وصاحب رسالة تنوير العينين في إثبات رفع اليدين... (١)

ويقول مؤلف "أهل حديث وسياسة": إن الشهيد رحمه الله كان متبعا لمسلك أهل الحديث ونصح الناس باتباع ذلك المسلك (٢) وله اختيارات فقهية انفرد بها عن غيره،

١- انه ذهب إلى رفع اليدين في الصلاة عند الافتتاح والركوع والقيام منه والقيام إلى الثالثة وأنه سنة غير مؤكدة من سنن الهدى فيثاب فاعله بقدر ما فعل إن دائما فبحسبه وإن مرة فمثله ولا يلام تاركة وإن تركه مدة عمره *

٢- أن رفع المسبحة في أثناء التشهد عند التلفظ بكلمة التوحيد ثابت بحيث لا مرد له (٣)

٣- والقراءة خلف الإمام أولى وإن كان دلائل الجانبين قوية،

٤- والجهر بالتأمين أولى من خفضه لأن رواية الجهر أكثر وأوضح،

٥- وأن ترك الجهر بالتسمية أولى من الجهر لوضوح أدلتها وكثرتها،

٦- ووضع اليدين على الأخرى أولى من الإرسال والإرسال لم يثبت من النبي صلى الله

عليه وسلم،

٧- والوضع تحت السرة وفوق السرة متساويان والقنوت وتركه متساويان،

(١) إذا هبت ريح الإيمان ص: ١٦٥ للندوي، وقد أجمل الشيخ الندوي في بيان الحقيقة .

(٢) أهل حديث اور سياست ص: ٤٤ وانظر عن مذهبه التفاصيل في " تراجم علماء أهل حديث هند ص: ٦٧

* - فكيف لا يلام من يترك السنة متعمدا طول حياته؟

(٣) كأنه بهذه المسألة قد أحى سنة ماتت من زمان، وذلك لأن أهل الثغور والافغان كانوا يرون تحريم

رفع السبابة في التشهد وأنه بدعة منكرة وذنب لا يغفر " حتى كان بعض المتحمسين منهم يكسرون

سبابة المصلى وهو في الصلاة لما جاء في بعض الكتب الفقهية، كخلاصة الكيداني، من تحريم رفع

السبابة في التشهد" انظر اذا هبت ريح الإيمان ص: ١٦١

٨ - وما ذهب إليه جواز تجزي الاجتهاد وتجزي التقليد، وأن التزام تقليد شخص معين لم يجمع على لزوم الاستمرار عليه،

٩ - وما اشتهر من منع التقاط الرخص أيضا غير متفق عليه،

١٠ - ولم يجمع على منع إتباع غير الأئمة الأربعة،

١١ - وإتباع مذهب الحنفية ليس تقليد شخص معين، فوحدة هذا المذهب اختيارية وكذلك وحدة المذاهب الأربعة أيضا فلا يلزم على متبعيه نقصان كما لا يلزم على متبع المذهب الحنفي، والحاصل أنه لا يجوز التزام شخص معين مع إمكان الرجوع إلى الروايات الصحيحة.

١٢ - والتقليد المطلق جائز وإلا لزم تكليف كل عامي،

١٣ - وإن قول الصحابي من السنة في حكم الرفع وفهم الصحابي ليس بحجة لاسيما إذا كان مخالفا لأجلة الصحابة رضوان الله عليهم (١)

المطلب الثاني : منزلته عند العلماء

لقد كان رحمه الله يمتاز بثقافته الواسعة في علوم شتى، وله مشاركة في علم التفسير والحديث والفقه والأصول وفي المنطق والفلسفة حسب مقتضى زمنه، وقد بلغ في هذه العلوم منزلة رفيعة.

شهد له بذلك كبار معاصريه وعمه الشاه عبد العزيز الذي كان مرجعا في العلم والإفتاء في ذلك العصر في الهند. وقال بمدحه: إنه لا يختص بعلم دون علم فهو يتفوق في جميع العلوم (٢)

ويدل علي منزلته أن عمه الشاه عبد العزيز لقبه بحجة الإسلام لما رأى رده على من أسقط فريضة الحج. (٣)

وقد أثني عليه العلماء قديما وحديثا وسأذكر نبذة مما قالوا فيه:

(١) جمعه صاحب نزهة الخواطر انظر ص: ٦٧ / ٧ وما بعده وأخذها من رسالته " تنوير العينين في إثبات رفع اليدين.

(٢) منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء نقلا من مجلة الفرقان الشهرية فبراير ١٩٩٢م

(٣) المرجع السابق.

يقول التزهتي: بعد ما ذكر تراجم أسرته: "ومنهم ابن أخيه إسماعيل بن عبد الغني كان من أذكى الناس في أيامه وكان أشدهم في دين الله وأحفظهم للسنة يفضب لها ويندب لها ويشنع على البدع وأهلها" (١).

ويقول القنوجي^(٢): "أحد أئمة الدين، وفقهاء المتقين، ونبلاء المحدثين، وقد أنسى ذكرى القدامى في العلوم العقلية والنقلية، وسابق الأئمة في الأصول والفروع، تجده إماما في كل فن ومغالبا في كل موضوع، أمضى الحياة كلها في إعلاء كلمة الله، وإحياء سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم، وفي الجهاد وهداية الخلق، ولم يسترح لحظة في حياته" (٣).

ويقول سيد جعفر علي نقوي^(٤): لم يكن أحد يساويه في جميع الجيش الإسلامي (٥) في الحلم واللين والتواضع والتحمل والصبر. (٦)

ويقول عبد الحي^(٧): "الشيخ العالم الكبير العلامة المجاهد في سبيل الله الشهيد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي أحد أفراد الدنيا في الذكاء والفطنة والشهامة وقوة النفس والصلابة في الدين... حجة الإسلام الشيخ إسماعيل بن عبد الغني صاحب أبحاث

(١) البائع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٦

(٢) هو عالم الملوك وملك العلماء كان ملك "بهوبال" ويعتبر من رجال النهضة الإسلامية المحدثين "علامة الزمان، وترجمان الحديث والقرآن، محي العلوم العربية، وبدر الأقطار الهندية، صاحب المصنفات الشهيرة والمؤلفات الكثيرة توفي سنة ١٣٠٧هـ انظر ترجمته في كتابه أيجد العلوم ونزهة الخواطر ٨/ ١٨٢ والأعلام ٦/ ١٦٧ وقد جعله صاحب عون المعبود من مجدي القرن الثالث عشر في الهند، انظر ٢٦٦/١١

(٣) إتحاف النبلاء المتقين ومآثر الفقهاء المحدثين ص: ٤١٦

(٤) هو العالم المجاهد الداعي الذي شارك في الجهاد وكان كاتباً خاصاً للشاه وله قصة طريفة في وصوله إلى أرض الجهاد والرجوع منها وله جهود عظيمة وألف كتابه المعروف والمرجع الأساسي في أحوال المجاهدين "منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء" وهو سفر طويل لم يطبع بعد ت ١٢٨٨هـ انظر "جماعت مجاهدين" ص: ١٩٢

(٥) يقصد به جماعة المجاهدين الذين كانوا يجاهدون مع الشاه اسماعيل تحت إمارة السيد في حدود أفغانستان.

(٦) منظورة السعداء.... نقلا من كتاب سيد أحمد للمهر

(٧) هو العالم المؤرخ الأديب المعروف ، صاحب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" وهو كتاب مهم ذكر فيه تراجم أعيان الهند ومآثرهم، مطبوع في ثمانية أجزاء، و صاحب " الثقافة الإسلامية في الهند" والد الشيخ أبي الحسن الندوي ت سنة ١٣٤١هـ، انظر، مقدمة الثقافة الإسلامية بقلم ابنه الندوي.

ومواقف في دعوة التوحيد والسنة والجهاد أولئك الذين رجحت بهم كفة الهند في الجهاد والتجديد على العالم الإسلامي في العصور الأخيرة.... وكان نادرة من نوادر الزمان وبديعة من بدائع الحسان مقبلا على الله بقلبه وقالبه مشتغلا بالإفادة والعبادة مع تواضع وحسن أخلاق وكرم وعفاف وشهامة نفس وصلابة... (١).

يقول أبو الكلام آزاد (٢): إن منزلة الشاه ولي الله كانت عالية جدا ولكن مع ذلك لم يزد ما قام به على تجديد وتدوين العلوم والمعارف وتعليم أصحاب المواهب وتربيتهم، أما العمل والتنفيذ والإبراز والتصريح فكان مقدرا وميسرا للعلامة المجدد الشهيد رضي الله عنه بحيث لو وجد الشاه ولي الله في عصره لكان تحت لوائه.

إن أسرار الدعوة وإصلاح الأمة، التي دفنت في أطلال دهلي القديمة أذاعها هذا العبقري الفذ في أسواقها ودروبها، والأحاديث التي كان يخاف الأبطال من التغرير بها في الحجرات المقفلة قد تناقلها وتبادلها الناس في الشوارع والطرق ورشحات دم الشهادة كانت تثبت الحروف والحكايات على صفحات العالم نقوشا وسوادا (٣).

(١) نزهة الخواطر ٧/ ٥٧ - ٥٩

(٢) "هو العبقري العظيم الذي ملأ أرض الهند بذكرىات شيخ الإسلام ابن تيمية و وضع شخصيته أمام العلماء والمفكرين والدعاة والمثقفين بأدب رائع رفيع، وأسلوب شيق جذاب، وطريقة معجزة مبتكرة فهو إمام الهند أبو الكلام الملقب بآزاد (أي الحر) وهو ابن تيمية الهند (ت ١٣٧٧ هـ) وله مؤلفات قيمة باللغة الأردنية، منها "ترجمان القرآن في تفسير القرآن، انظر" مقدمة كتاب دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص: ٣٨

(٣) تذكره ص: ٢٧٠ والترجمة مأخوذة من مجلة الجامعة السلفية العدد الخاص لمؤتمر الدعوة والتعليم شهر ابريل ومايو سنة ١٩٨٠ م

المبحث الرابع : مؤلفاته

المطلب الأول: مؤلفاته

كانت حياة الشاه إسماعيل رحمه الله مليئة بالدروس والدعوة والرحلات العديدة، ولم يجد فرصة للتصنيف والتأليف ولكن لما ألبأته الحاجة إليه، كتب بعض المؤلفات لإصلاح عقائد الناس وأحوالهم، نرى فيها شخصيته البارزة وعلو قدمه في فهم الكتاب والسنة وتمكنه في تحليل قضايا عصره والحكم عليها ببراهين قاطعة مع استنباطات دقيقة عميقة.

وقد امتازت مؤلفاته مع قلتها واختصارها، بمناقشة أهم الانحرافات العقيدية والدينية والاجتماعية، بل كانت فريدة في أسلوبها، وقوة استدلالها، وتأثيرها على الناس، لأسلوبها الواضح الشيق، يلمسه كل قارئ، فإنه حاول في مؤلفاته بكل إخلاص وحماس إصلاح المعتقدات من جميع أنواع الشرك والكفر وتطهير المجتمع من جميع أنواع البدع، ولاشك أنه لم يفصل تفصيلا علميا في المسائل ولم يقارع الحجة بالحجة والدليل بالدليل ولم يتطرق إلى إيراد الشبهات فيفصل في ردها، ولكنه ميز التوحيد من الشرك بأسلوب سهل وعبارات ناصعة، وخلال بيان التوحيد وتقرير قواعده وشرح صفات الله عز وجل استقصى جميع ما يخالف التوحيد من الأقوال والأعمال والعادات والعبادات والمعتقدات التي كانت منتشرة بين المسلمين عوامهم وخواصهم علماءهم وجهالهم، وسردها سردا مجردا، ثم حكم عليها بأنها من الشرك مخالفة للتوحيد، وكذا فعل في بيان البدع حيث بين السنة ومعناها وموضع إطلاقها والفرق بينها وبين المصالح المرسلّة ثم سرد جميع البدع المنتشرة في طوائف المسلمين من صوفية وكلامية وشيعية وقبورية سردا مجردا عن التفصيل والبيان وحكم عليها في الأخير أنها من البدع، فمثلا يقول في كتابه الشهير "تقوية الإيمان" : ومعلوم أن كثيرا من الناس اليوم ينادون المشايخ

والأنبياء والائمة (١) والملائكة والجنات عند الشدائد ويسألونها قضاء الحاجات وينذرون لها ويقربون لها قرابين لتقضي حاجاتهم ومآربهم وينسبون إليها أبناءهم طمعا في درء البلاء، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي، وبعضهم بعلي بنخش، وحسين بنخش، وبير بنخش، ومدار بنخش وسالار بنخش (٢) وغلان محي الدين وغلان معين الدين (٣) يرسل بعضهم ضفيرة في رأس ابنه باسم ولي من الأولياء وبعض الناس يقلد ابنه قلادة باسم شيخ أو ولي وبعضهم يلبس ابنه لباسا، وبعضهم يقلد ولده حلقة من الحديد في رجله باسم أحد المشايخ والأولياء، وبعضهم يذبح حيوانا بأسمائهم وبعضهم يستغيث بهم عند الشدة وبعضهم يحلف في حديثه بأسمائهم.

والحاصل أنه ما سلك عباد الأوثان في الهند طريقا مع آلهتهم إلا وسلكه الأديان من المسلمين مع الأنبياء والأولياء والائمة والشهداء والملائكة والجنات، واتبعوا سنن المشركين شيئا بشير وذراعا بذراع ونعلا بنعل فما أجزئهم على الله وما أبعد الشقة بين الاسم والمسمى والحقيقة والدعوى وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (٤) (٥).

ولأرى أحدا سبقه إلى هذا الأسلوب الشيق الجذاب في بيان التوحيد والتركيز على جميع أعمال الشرك في بلاد الهند.

فإنها جرأة متناهية لم يكن أحد يتصوره في عهده فضلا أن يحذو حذوه، فقد بين التوحيد والشرك بيانا شافيا ليس فيه غموض ولا صعوبة ولا إجمال ولا إيهام. فقامت من أجل هذا الأسلوب في البيان والتأليف ضجة قوية في أوساط المسلمين علمائهم وعوامهم فأصبح الشاه إسماعيل وكلامه موضوع المجالس، فافترق الناس إلى فرقتين منهم من اهتدى إلى الحق وعرف التوحيد ورحب بدعوته وشكر سعيه وأزر ساعده، ومنهم من أنكر قوله ورد عليه وناظره ولا تزال الردود والاتهامات تترى على كتاباته، جزاه الله عنا خير الجزاء. فمن مؤلفاته:

(١) أئمة أهل البيت الذين يعتقد فيهم الشيعة الألوهية ويتبعهم كثير من العوام .

(٢) بنخش - معناه، الهبة والرزق يعني فلان هبة فلان ورزقه من حاشية المترجم

(٣) أسماء أصحاب المشاهد المعروفة في الهند غلام، معناه العبد

(٤) سورة يوسف / ١٠٦

(٥) تقوية الإيمان ٣٧ - ٤٠

١- رد الإشراك

وهو كتاب نفيس بالعربية اقتصر فيه على جمع الآيات والأحاديث بشرح وجيز تحت عناوين مختلفة، وقد يورد أقوال السلف أيضا.

وللكتاب أثر بالغ في حياة المسلمين في الهند وتاريخهم العلمية والثقافية، يكاد أن يكون أول كتاب صريح واضح يدعوهم إلى التوحيد ونبذ جميع أنواع الشرك، وإلى التمسك بالسنة في جميع أمورهم وترك البدع والمحدثات، ولا شك أن له قيمة علمية لابتكاره في الاستدلال والاستنباط. (١)

بدأ الكتاب بتعريف الإشراك وتعيين مدلوله وبيان شرك مشركي العرب والشرك الذي أبطله الأنبياء ثم فسر معني الألوهية والربوبية واستنبط منه أن الإشراك على نوعين،

١- إشراك في العلم ٢- وإشراك في التصرف،

ويتفرع منه إشراك في العبادات ثم تناول معنى العبادة وقرر أنه يتفرع من الإشراك في العبادة، الإشراك في العادة. ثم بين بان الله ورسوله قد ردا جميع أنواع الشرك مجمله ومفصله، ثم ذكر الأدلة.

قسم الكتاب إلى باين رئيسين، الأول، في التوحيد والثاني، في التمسك بالسنة واجتناب البدعة، ووضع تحت كل باب عناوين عديدة تعطي فكرة واضحة عما كان يقصده المؤلف من إصلاح عقائد الناس وأخلاقهم.

و هذا الكتاب يشبه في منهجه بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

٢- تقوية الإيمان

هذا هو الكتاب الثاني الذي اشتهر به المؤلف، وهو في الحقيقة شرح للباب الأول من كتاب "رد الإشراك" رأى المؤلف أن الفائدة المرجوة لانتحقق إلا بشرح ذلك الكتاب إلى لغة العوام وهي لغة "أردو" التي يتكلم بها معظم أهل البلاد فتزجه.

وكتابه هذا مع أنه ألفه قبل مائتي سنة تقريبا ولكنه آية في الأدب والأسلوب وقوة التعبير ودقة البيان، في نثر اللغة الاردية التي كانت في مراحلها الأولى (٢). "وميزته أن المؤلف لم يستدل إلا بالكتاب والسنة فلا تجد فيه قول إمام أوفقيه، ولا أسلوبا معقدا... ولا زخرفة الشعراء... انه

(١) انظر تفاصيله في مجلة "الفرقان" الشهرية من شهر مارس ١٩٩٣م

(٢) فقهاء باك و هند ١٩٧/٣

يتكلم بأسلوب واضح سليم ويشرح المسائل والعقائد بهدوء ووضوح فلا التواء ولا تعقيد ولا غموض ولا إجمال...“ (١)

ويقول صاحب اليانع الجني: “.....وله كتاب آخر في التوحيد والإشراك فيه أمور في حلاوة التوحيد والعسل وأخرى في مرارة الحنظل فمن قائل أنها دسست فيه وقائل أنه تعمد...“ (٢)

ويرد عليه القنوجي فيقول: “.....وأقول ليس في كتابه الذي أشار إليه وهو المسمى (برد الإشراك) في العربية (وبتقوية الإيمان) بالهندية شيء مما يشان به عرضه العلي ويهان به فضله الجلي، وإنما هذه المقالة الصادرة منه مصدرها تلمذه بالشيخ فضل حق الخير آبادي (٣) فانه أول من قام ضده وتصدى لرده في رسائله التي ليست عليها إثارة من علم الكتاب والسنة (٤)....” فكتابه تقوية الإيمان انتفع به خلق كثير فتعلموا منه التوحيد الخالص ورد الإشراك وانتفع به مثل ما انتفع بـ “كتاب التوحيد” في العرب وكتاب “إحياء السنة” في نائجريا وأفريقية الغربية لعثمان فوديو“ (٥)

“وكان كتابه “تقوية الإيمان” مثل كتاب التوحيد للإمام ابن عبد الوهاب دعوة صريحة إلى التمسك بالعقائد الإسلامية النقية من أكدار الشرك والوثنية والإلحاد والزندقة، فاهتدى به إلى سبيل الحق والرشاد مئات الألوف من الناس ولعله لم يحظ كتاب بعد كتاب الله في عصره بما

(١) مقدمة “تقوية الإيمان المترجم بالعربية ص: ٢٦

(٢) اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٦

(٣) هو فضل حق بن فضل امام العمري الحنفي الماتريدي الخير آبادي أحد الاساتذة المشهورين، فاق أهل زمانه في الخلاف والجدل والميزان والحكمة واللغة وقرض الشعر وغيرها ... وكان زيه زي الامراء دون العلماء يلعب بالشطرنج ولا يمتشم عن استماع المزامير والحضور في مجالس الرقص وغير ذلك من المنكرات، يقول عنه القنوجي: “.... وقع في أهل الحق ونال منهم على تعصب منه، والسبب في ذلك قلة الخبرة منه بعلوم السلف وطريقتهم في الدين مع ميل الى البدع التي يستحسنها المقلدة” نزهة الخواطر ٧ / ٣٧٤ بتصرف يسير.

(٤) أيجد العلوم ٣ / ٢٩٩

(٥) انظر ملت اسلامية كي مختصر تاريخ ٢ / ٣٩٩

حظي به هذا الكتاب من القراءة والمطالعة من قبل الموافقين والمخالفين على السواء فكان حجة لهم أو عليهم ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ (١) (٢).

” فان لغة ”أردو“ تحتوي على مئات الألوف من المؤلفات، ولكن قليل منها حظيت بالقبول وإقبال الناس عليها من يوم التأليف إلى يومنا هذا مثل ما حظي تقوية الإيمان، قد تغيرت الأساليب والأحوال والأزمان ولكن لم يستطع شيء منها التقليل من شأنه والنيل من مرتبته العلمية، فإنه لاشك من المؤلفات التي تدوم حياتها ونضارتها، بل إنه على رأسها، فإنه أكثر الكتب طباعة ونشرا في ”أردو“ فانا لانعرف كتابا في ”أردو“ استمر نشره وقبوله على مستوى واحد من مائة وخمس وسبعين سنة سوى هذا الكتاب، ويحق لنا أن نقول: إن هذه خصوصية وميزة نادرة لكتابه لا يشارك فيها كتاب آخر من ”أردو“. (٣)

”....و يعترف الباحثون بأنه الكتاب الوحيد الذي قام بإصلاح الحياة الاجتماعية والدينية في ذلك الوقت، وما نراه الآن من انتشار السنة الصحيحة في الهند واختفاء مظاهر البدع والعادات، فإنما هو بفضل هذا الكتاب وتأثيره البالغ....“ (٤)

وقد بلغ عدد المهتمين به في حياة الشاه نفسه إلى آلاف من الناس كما يصرح هو بنفسه في رسالته التي كتبها جوابا إلى السيد البغدادى الذي اعترض علي الشاه لأجل بعض العبارات في تقوية الإيمان، فيقول: ”إنني لما رأيت عوام مسلمي الهند قد انهمكوا بجهلهم في الإشراك والبدعات وتمسكوا بالشبهات والواهيات وجعلوا يعبدون القبور وأهلها وسألوا بهم حاجاتهم قلها وجلها ألقت رسالة في رد الإشراك وترجمتها بالهندي تسهلا لاستفادتهم وكشفا للغطاء عن قبح متمسكاتهم واستدلالاتهم فنحمد الله قد هدى ألوفا من النساء والرجال....“ (٥)

ولأهمية هذا الكتاب وشدة تأثيره على المجتمع يقال : أن كل ما نراه من الكلام والنقاش والجدال حول موضوع العقيدة والتوحيد والشرك في الهند يرجع فضل ذلك إلى هذا الكتاب.

(١) سورة الانفال : ٤٢

(٢) انظر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص: ٧٨

(٣) انظر مقالة : نورالحسن راشد الكاندهلوي، في الرد علي من عارض الشاه أو شك في كتابه في ”فرقان“ المجلة الشهرية عدد يوليو ١٩٩١م

(٤) مقدمة تقوية الإيمان المترجم بالعربية ص: ٢٨

(٥) الرسالة هذه غالبا تطبع مع تقوية الإيمان وهي مختصرة جدا

ولاشك أن كتابه أثار قضايا عديدة عقدية كانت مسلمة بين العوام والخواص، وناقش أمورا لم يكن يخطر على قلب أحد في وقته أنها مستكرهة مستقبحة فضلا أن يعدها من الشرك، واستطاع بآرائه أن يمجج السطح الهادئ، فقام من قام ينصره ويؤيده ويشرح كلامه، وخالف من خالف يرد عليه، وينظره، ويكتب ضده، فقامت ثورة علمية في موضوع التوحيد والشرك، وفتحت أفقا جديدا للتحقيق والتفتيش والتأليف، فكم من مسائل عقدية حققت وجليت، وكم من مسائل فقهية نوقشت ورجحت، وكم من مؤلفات ألغت في بيان التوحيد والشرك والسنة والبدعة، لذلك يقول المؤرخ الشهير، سليمان الندوي (١): حركة أهل الحديث الحالية في الحقيقة ليست قدم بل هي أثر قدم، فإن النهضة التي انتهض بها الشيخ إسماعيل الشهيد لم تكن محصورة في بعض المسائل الفقهية بل كانت مشتملة على التعليمات الأساسية، من الإمامة الكبرى والتوحيد الخالص واتباع السنة النبوية... وبها تم استئصال كثير من البدع، وتبلورت حقيقة التوحيد، وبدأ دور جديد في تعليم القرآن وفهمه، وتوطدت صلتنا المباشرة بالقرآن الكريم، ونجحت جهود تعليم الحديث وتدرسه... وحررت مسائل الفقه الكثيرة، وانتعشت عاطفة جياشة لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدة مديدة... ومن فوائد هذه الحركة أن زال الصدا المحتمم من أزمان طويلة، وبطل الزعم أن باب التحقيق مغلق، وطريق الاجتهاد مسدود، وتخلص الناس من كدورة القيل والقال إلى منبع الهداية الصافي... (٢).

٣- وله رسالة مختصرة بالعربية، أجاب فيها السيد البغدادي، الذي اعترض على الشاه (أنه لاتساوى الأصنام وجميع الناس وأنبياء في باب المخلوقية وعدم الاختيار، وإن كان داخلا في العقيدة لكنه نوع من سوء الأدب لا بد له من سند ودليل لأن الصنم نجس فكيف يذكر مع سيد الطاهرين صلى الله عليه وسلم). (٣)

فأجابه الشاه إجابة شافية مفعمة بالدلائل حتى اعترف السيد وجاءه معتذرا (٤).

(١) هو عالم شهير من علماء الهند ومؤرخ أديب، صاحب الموسوعة في السيرة النبوية وغيرها من الكتب الشهيرة توفي سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٢ م) انظر ترجمته مفصلا في نزهة الخواطر ٨ / ١٦٣ و "شخصيات وكتب" للندوي ص: ٥٥

(٢) انظر مقدمته على كتاب "تراجم علماء أهل حديث هند" لأبي يحيى إمام خان نوشهروي

(٣) رسالة الشهيد الذي أجاب فيه اعتراضات السيد البغدادي .

(٤) المصدر السابق .

٤- رسالة "إمكان النظر" بالفارسية، وهي في الحقيقة رد على فضل حق خيرابادي الذي رد على تقوية الإيمان وركز في رده على قول الشاه "...ومن شأنه أن يخلق بمجرد الأمر وكلمة "كن" ألوفا مؤلفة من الأنبياء والأولياء والجن والملائكة كأول ملك وأول نبي فلا أفضل في الملائكة من جبريل ولا أفضل في الأنبياء من محمد صلى الله عليه وسلم وإذا شاء قلب هذا العام رأسا على عقب من الثريا إلى الثرى....." (١).

واعترض عليه من ثلاثة وجوه،

١- أن دعوى تعلق القدرة الإلهية بمثل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة في نفسها،

٢- وأن الادعاء بمثل تلك الدعوى إساءة الأدب مع حضرة النبي صلى الله عليه وسلم،

٣- وأن ذكرها لغو وعبث (٢)

أجابه الشاه في يوم واحد ولذا اشتهرت هذه الرسالة بـ "رسالة اليوم الواحد" كان الشاه في طريقه إلى المسجد فجاءه أحد بهذه الرسالة، فلما فرغ من صلاة العصر كتب الرد عليه في نفس المجلس، وهو في سفر هجرته لأجل الجهاد، ومما رد عليه بأن القدرة صفة والتكوين صفة أخرى فخلق مثل النبي صلى الله عليه وسلم داخل تحت قدرته عز وجل دون التكوين، واستدل بآية ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٣)

وأثبت ذلك بدلائل شرعية وعقلية، وتكلم في مصطلحات المناطقة ولعل ذلك يرجع إلى من يرد عليه لأن الردود عليه كان فائقا فيها دون العلم الشرعي.

٥- تكملة تقوية الإيمان المعروف بـ "تذكير الإخوان"

وهو شرح للباب الثاني من كتاب رد الإشراك، وموضوعه الاعتصام بالسنة والاجتناب عن البدعة.

وكان الشاه إسماعيل رحمه الله يقصد شرح كلمة التوحيد، ولذا جعل كتابه على بايين،

(١) ص: ٧٦-٨٧

(٢) الرسالة المذكورة ص: ١

(٣) سورة يس ٨١/

الباب الأول يشتمل على التوحيد والباب الثاني يشتمل على الاعتصام بالسنة والاجتناب عن البدعة،

كما صرح في مقدمة كتاب تقوية الإيمان: "واعلم أن للإيمان جزأين، الإيمان بالله إلهها والإيمان بالرسول مطاعا يعني أن لا يسلك طريق غيره فالأول هو التوحيد وضده الشرك بالله والثاني هو الإتياع وضده البدعة" (١).... فلما انتهى من شرحه يدعو في آخره: "..... وفهمنا معني البدعة والسنة، كما علمتنا من فضلك معني التوحيد والشرك وأخرجنا من زمرة المبتدعين إلى زمرة متبعي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم آمين يا رب العلمين" (٢). ولكنه لم يجد فرصة ترجمة الباب الثاني وشرحه لهجرته من الهند، واشتغاله بالجهاد، فترجمه تلميذه إلى "أردو" وسماه تذكير الإخوان بقية تقوية الإيمان.

وقد قبله الناس قديما وحديثا كقبولهم "تقوية الإيمان" وعدوه من مؤلفات الشاه إسماعيل رحمه الله (٣)

وقد ناقش هذا الموضوع بالتفصيل الشيخ عزيز الدين مراد آبادي (٤) في كتابه "مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد" (٥).

(١) ص: ٣٥

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٥٩

(٣) انظر مثلا، فتاوى الرشيدية، فانه لما سأل الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي عن تذكير الإخوان قال: إنه كتاب مفيد من تأليف الشاه اسمعيل ١ / ٢ نقلا من "مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد" ص: ٩٧ وانظر: مقدمة أكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان للشيخ إسماعيل السلفي ص: ٢٣ و"أهل حديث اور سياست ص: ٣٣

(٤) عالم معروف من علماء أهل الحديث في الهند، وله جهود مشكورة في نشر السنة ورد البدع، وله مؤلفات قيمة توفي سنة ١٣٦٧هـ (٨ فبراير / ١٩٤٨م) انظر مقدمة أكمل البيان ص: ٣٠

(٥) انظر ص: ٩٤ وما بعده

٦- تنوير العينين في إثبات رفع اليدين،*

رسالة بالعربية كتبها الشاه لإثبات رفع اليدين في الصلوة، يكرهه المتعصب في الهند بل أصبحت هذه السنة علامة "الوهابية" (أهل السنة) في الهند، فهذا الكتاب قد لا يكون موضع عناية من قبل العلماء والباحثين، ولكن لو رأينا البيئة التي كانت في عهده، والجمود المذهبي الذي لا يسمح بالعمل بما صح من الحديث إذا لم يوافق مذهب إمامه، لحرمة الخروج من مذهب إلى مذهب بل كانوا يعتبرونه ردة مثل الردة من الإسلام، فيعجبنا موقفه الجريء ووجه الشديد للسنة، والرغبة الأكيدة في إحيائها، بل استطاع بتأليف هذه الرسالة تحرير الناس من أغلال التقليد الجامد لأئمتهم وعلمائهم وشق الطريق إلى التمسك بالسنة الصحيحة وإن خالف المذهب، وكأنه بإثارة هذه القضية دعا الناس إلى ترك كل ما يخالف الكتاب والسنة مهما كان مصدره ومصيره، وقد يقل شأن مثل هذه الجهود في مسائل فقهية في بلاد غير بلاد الهند ولكن لها أهمية بالغة وشأن عظيم في البلاد التي عاش فيها الشاه إسماعيل رحمه الله.

ويشتكي من شدة التعصب صديق حسن خان القنوجي في زمنه الذي انتشر فيه الكتاب والسنة، فكيف في زمن يسبقه فيقول: "ألا ترى أبناء هذا الزمن من مقلدة المذاهب؟ لا سيما هؤلاء الحنفية الساكنة في مدائن الهند كيف غلوا في إثبات تقليد الإمام، وجاعوا له بكل حشيش، ولا يزال جمع منهم يولف رسائل ويسود قراطيس في رد العاملين بالكتاب والسنة والمتمسكين بها عداوة للإسلام العتيق وإذاعة لبدعتهم في كل فريق...". "وهم قد غلوا في التقليد غلوا عظيما، حتى صرحوا بوجوبه على كل فرد من أفراد الأمة عالما أو جاهلا عاميا، وقالوا فيه بوجوب الشخصي، وكفروا من لا يقول به، أو ينكره ويدعو إلى إتباع السنة". (١)

وكلام القنوجي هذا يشير إلى أنهم كانوا يكفرون من لا يقلد المذهب فيما صح من الكتاب والسنة، وفي مثل هذا القوم كتب الشاه "تنوير العينين في إثبات رفع اليدين" ودعا إلى التمسك بالسنة العديدة في الصلاة اللاتي كانت مهجورة عند القوم، فالصلاة من أهم أركان الدين،

* - وقد أنكر المتعصبون كل كتاب خالف فيه الشاه المذهب الحنفي، وألقوا رسائل في صدهه تقريرا بأنه كان حنفيا واتهموا "غير المقلدين" بأنهم زوروا كتبه أو نسبوا إليه افتراء عليه، انظر تفصيل هذه المباحث في مطرق الحديد....

(١) الدين الخالص ٨٧/٢ و ٤١٠/٣

فمن رضي باتباع السنة فيها معرضا عن آراء الرجال والتعصب المذهبي، فسيرضي تتبع السنن فيما فوقها وما دونها من العبادات. (١)

ونشط الناس بعد كتابة هذه الرسالة إلى تطبيق السنن، والبحث عنها معرضين عن كتب الجدل والقليل والقال، ويشهد بذلك الترهّي الحنفي صاحب "اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني". فيقول: "من مصنفاته ... مختصر في أصول الفقه، وقرة العينين انفرد فيها بمسائل (٢) عن جمهور أصحابه، واتبعه عليها أناس من المشرق ومن بنجالة وغيرها أكثر عددا من حصي البطحاء ..."(٣)

هذه شهادة قوية، تدل على مدى تأثير الناس بدعوة الشاه إسماعيل، وعلى سعة انتشارها في حياته جزاء الله عنا خير الجزاء،

٧- إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح:

وهو بالفارسية، يقول عنه العلامة المحدث سيد نذير حسين الدهلوي: لأمثل له في بابه لكن للأسف لم يتمه". (٤)

وهذا كتاب مهم بلور فيه الشاه فكره وعقيدته، وقد أجاد في بيان السنة وتحديد مفهومها وأهميتها وفي تعريف البدعة وأقسامها وحكمها، وضرب الأمثلة الكثيرة على كل ماذكر، فلاشك أنه كتاب يمثل آرائه وعقيدته أحسن تمثيل.

ولقد تناول فيه بدع الفقهاء والصوفية والمتكلمين وغيرهم بدعة بدعة وحكم عليها بحكم مناسب مقبول، ولكن للأسف لم يكمل الكتاب.

٨ - أصول الفقه:

رسالة مختصرة بالعربية في فن أصول الفقه، فهي مع اختصارها وإيجازها مفيدة ونافعة جدا، علق عليه مشتاق أحمد انتبهوي الحنفي، وانتقد على الشاه ولم يوفق فيه، فمثلا يقول الشاه في باب القياس: "الترجيح بكثرة المقلدين باطل" (٥) فيعلق عليه بقوله (أقول لاشك إنه لا ترجيح

(١) انظر رسالة جامع الشواهد في إخراج الوهابيين عن المساجد.

(٢) وفي الحاشية "منها رفع اليدين وقراءة الفاتحة للموتم،

(٣) ص: ٧٦

(٤) انظر الحياة بعد الممات ص: ١١٢ نقلا من مطرق الحديد ... ص: ٣٤

(٥) أصول الفقه، ص: ٣١

بكثرة المقلدين عند المحققين لكنها علامة حقية الأمر الذي اتفق عليه أكثر الصلحاء، وظاهر في إثبات فضيلة المذهب الحنفي بالنسبة للمذاهب الأخرى، قال في مجمع بحار الأنوار في ذكر إمامنا الأعظم ويدل عليه ما يسر الله له من الذكر المنتشر في الآفاق فلو لم يكن لله سر فيه لما جمع شطر الملاء على تقليده“ (١)

وله شرح آخر للعلامة الأستاذ محمد الغوندلوي السلفي سماه (بغية الفحول في شرح مختصر الأصول) وقد طبع سنة ١٩٦٨م.

٩- منصب امامت: (منصب الإمامة)

والكتاب بالفارسية، يشتمل على باين، الباب الأول يبحث عن حقيقة الإمامة وقسم هذا الباب إلى فصلين، الفصل الأول، ذكر فيه فضائل وكمالات الأنبياء، وأنها غير محصورة ولكن مرجعها إلى خمسة أصول وهي : الوجاهة، والولاية، والبعثة، والهداية، والسياسة. ثم شرح كل واحد منها شرحا حسنا.

وفي الفصل الثاني : تكلم عن وجوه المشابهة والمخالفة بين أنبياء الله وأولياء الله.

والباب الثاني، يشتمل على مقدمة وفصلين وخاتمة.

وناقش في المقدمة موضوع الإمامة من ناحيتين، وهما، الإمامة الحقيقية والإمامة الحكمية.

وفي الفصل الأول تكلم عن الإمامة الحقيقية وأقسامها، كما تكلم في الفصل الثاني عن الإمامة الحكمية وأقسامها.

وفي الخاتمة أوجز المباحث المتقدمة وبين الأحكام المتعلقة بالإمام، فالكتاب قيم في موضوع السياسة الإسلامية وأراد المؤلف بيان الفرق بين النبوة والإمامة والولاية، الذي طالما اختلط على جمع من الناس والكتاب لم يتمه.

١٠- له عدة منظومات : منها "سلك نور" بالفارسية وب "أردو" أيضا، نظم فيه "ما كتب في تقوية الإيمان، فجميع أبياته تدور حول موضوع التوحيد واتباع السنة واجتناب الشرك والبدع والرد على الفلسفة ويشتمل على واحد وخمسين ومائتي بيت، كما أن له منظومة في نفس الموضوع بالفارسية وفيها خمس وستون وثلاثمائة بيت.

ونظم آخر باسم "وصفة قوة الإيمان" في واحد وثلاثين بيتا وهي منظومة رائعة جدا.

(١) المصدر السابق

١١- وله رسالة بالفارسية، في تاركي الصلاة، في النظم أيضا، دعا فيها إلى الصلاة وبين أهميتها والوعيد لمن تساهل فيها واستدل فيها بآيات وأحاديث عديدة مع ترجمتها إلى لغة سهلة.

١٢- وله كتاب باسم " حقيقة التصوف: بين فيه زهد العلماء الذين كانوا في القرون الأولى وذكر صفاتهم، ورد على الصوفية الذين ينتمون إليهم، واستفاد الناس من الكتاب، ولكنه مفقود(١)

١٣- "صراط مستقيم" بالفارسية: وهذا الكتاب يشتمل على موضوع الأخلاق وتهذيب النفس، وهو في الحقيقة خطب ومواعظ ونصائح للأمير السيد أحمد جمعها الشاه إسماعيل، والكتاب يشتمل على مقدمة وأربعة أبواب، فالباب الثالث والرابع جمعه الشيخ عبد الحفي بدهانوي،(٢) أخذه الشاه عند ترتيب هذا الكتاب وأدخله فيه .

وقد تناول فيه البدع المنتشرة بين طوائف المسلمين ورد عليها ولم يخل الكتاب من المواخذات، يرى فيه تأثيره بالتصوف لأنه استحسّن فيه بعض أشغال الصوفية، وأذكارهم ووافق على بعض رياضاتهم على أنها وسيلة تربية الناس، وقد رد فيه ردا عنيفا على الصوفية وبدعهم، ولعل ذلك يرجع إلى البيئة التي عاش فيها،(٣) ولكن لو رأينا تأثيره بالتصوف بالنسبة إلى أهل زمانه لرأينا أنه بون بعيد بينه وبينهم، فهو في واد، وهم في واد آخر، فتأثره لا يتجاوز عن شبهات علمية أو استحسانات اجتهادية إن شاء الله، وأولئك قد غلوا في البدع وعاندوا السنة بل تحلّوا من الشريعة، فأمثاله قد يعذرون في أخطاءهم لحبهم السنة الصحيحة وكرههم البدعة، ولجهادهم الطويل لإحياء السنة المطهرة.

مع ذلك سيأتي الكلام على أن لأفكاره ومؤلفاته مراحل زمنية، لم يمض عليه زمن إلا وقد اقترب إلى منهج أهل السنة طارحا وراءه كل ما يخالف منهجهم، بل أوجب حربا ضروسا ضده.

(١) "الحياة بعد الممات" ص: ١٩٩ نقلا من تذكرة شهيد ص: ٢٧٢

(٢) تقدمت ترجمته ص: ٥٨

(٣) لأن جده وأعمامه، مع جهودهم العظيمة في نشر السنة ورد البدع يرى فيهم ميل إلى التصوف المتأخر والتأثر به،

١٤- "عبارات" وهو بالعربية: هذا الكتاب يشتمل على مقدمة وأربع إشارات وخاتمة، وقد ناقش فيه المؤلف مسائل علم الكلام والمنطق والتصوف، وأسلوبه في هذا لكتاب غامض وصعب و ملئ بمصطلحات المناطقة والمتكلمين وأهل التصوف.

ويرى فيه تأثره من جده وأعمامه، فان جده الشاه ولي الله مع دعوته الواضحة إلى الكتاب والسنة ونبذ البدع المحدثه كان يسلك مسلك اللين والمصلحة، لأنه كان يواجه مجتمعا غريبا في التعصب المذهبي، بعيدا عن الكتاب والسنة كل البعد، يسيطر عليه الصوفية في صورة الفقراء، فأراد الشاه ولي الله أن يعرض عليهم الحق في صورة تجذبهم ولا تنفرهم. فحاول في كتاباته أن يقرب أهل الحديث وأهل الرأي ويبعد الهوة الساحقة بين كلا المدرستين، وقد كان هو بنفسه يستأنس بالفقه الحنفي ولكن كان ينتهج منهج فقهاء المحدثين الذين يتمسكون بالحديث الصحيح وان خالف المذهب، وكان يدعو الناس إلى التمسك بالحديث الصحيح دائما، وكتب لإزالة الخلافات عن الامة كتابه المعروف " غاية الإنصاف في مسائل الخلاف" وقد كان هو وأولاده وتلاميذه يردون على بدع المتصوفة والشيعة وينكرونها أشد الإنكار مع تأثرهم بالتصوف (١)

وقد ألف الشاه رفيع الدين عم الشاه إسماعيل كتابه " تكميل الأذهان " * وجعل فيه بابا مستقلا "بيان تطبيق الآراء" وفيه تمهيد وستة فصول.

الأول: في ماهية التطبيق، والثاني: في موازين التحقيق، والثالث: في أسباب الاختلاف، والرابع: في ضوابط التطبيق، والخامس: في الجرح والتجريح، والسادس: في أمثلة التطبيق توضيحا للواهم وتمرينا للفاهم.

وقد قعد القواعد في هذا الباب لتطبيق الآراء المتعارضة.

ونرى الشاه إسماعيل في كتابه عبارات، ينتهج هذا المنهج، ويحاول الجمع والتطبيق بين الآراء العديدة، ويحاول تقريبها إلى الكتاب والسنة كما يقول في مقدمة كتابه "عبارات" بعد تمهيد طويل: "أردت أن أسرج في سبيل المبادي سراجا يهتدي به السالكون وأضع في مدارج المقدمات معراجا يرتقي عليه الطالبون فألفت رسالة تكون كالبرزخ بين ما ظهر بالعيان وما

(١) انظر للتفصيل " حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد " للعلامة محمد إسماعيل

السلفي تعريب د. مقتدى حسن الازهري.

* - الكتاب مطبوع، وأخذ الفنوجي برمته في كتابه " أيجد العلوم "

ثبت بالتبيان وكالوصلة بين ما فاز به أرباب الكشف وبين ما وصل إليه آل البرهان...."(١). ولكن يلمس القارئ جلياً بأنه مع حسن نيته في تقريب الآراء المتضادة وجميل طويته في الاعتذار عنهم أخطأ في أشياء لا يوافقه في ذلك الكتاب والسنة ولا السلف الصالح.

ولكنه قد أجاد وأفاد في باب الصفات التي هو معترك بين أهل السنة وأهل البدع بل هو الفارق الدقيق والميزان المستقيم الذي يوزن به أهل الحق من غيرهم(٢) وسنوضح ذلك في جهوده في باب التوحيد.

فمن كتبه "عبارات" و "صراط مستقيم" يمكن توجيه النقد إليهما من منظار أهل السنة والجماعة، لما فيهما من التأثير من المتكلمين وأهل الذوق، ولكن لما نرى غيرهما من الكتب الشهيرة التي عرف بها عند مؤيديه ومخالفيه نجد أن محتوياته تقتضي رد بما في الكتابين المذكورين. فمثلاً يقول في عبارات: "طرق العلم للبشر ثلاثة الأخذ من المحسوس، والانتقال من المعلوم إلى المجهول والتلقي من الغيب وفسر كل واحد منها ثم يقول: "وأما التلقي من الغيب فوحي وتحديث وتفهم وذوق ومعرفة وعلم لدني ومشاهدة ووجدان وتجليات معنوية وكشف واتصال بالمثال وتجليات صورية...وقد يسمى جميع أنواع التلقي من الغيب ما عدا الوحي، الكشف والإلهام"(٣).

وهنا أثبت الكشف والإلهام كطريق التلقي من الغيب، ولكن نراه في كتابه تقوية الإيمان يرفضه رفضاً تاماً في مواضع عديدة فيقول بعد تفصيل طويل.... "وبالجملة إن الذين يدعون الغيب أو يدعون الكشف ومن الناس من يعلم طريق الاستخارة التي لا تخطأ قط، ومنهم من يستخرج الأخبار من تقويم النجوم أو الرسل ومنهم من يطوف في الناس وفي يده كتاب يبحث عن الفال فانهم جميعاً كاذبون مزورون فعلى المسلم الصادق أن يتعد عنهم ولا يقع في شراكهم"(٤).

ويقول في إيضاح الحق الصريح في أحكام الميث والضريح: "ليعلم أن مسألة وحدة الوجود ووحدة الشهود ومبحث التنزلات الخمسة والصادر الأول والكلام حول تجدد الأمثال والبروز ونحوها من مباحث التصوف وكذلك مسألة تجرد الواجب وبساطته تعالى حسب

(١) ص: ٣

(٢) انظر بحثه في موضوع الصفات والرد على من يؤولها ص: ٩٠ من كتابه "عبارات".

(٣) ص: ٤

(٤) انظر ص: ٧٢ و ص: ٧٧

الذهن يعني تنزيه واجب الوجود عن الزمان والمكان والجهة والماهية والتركيب العقلي، ومبحث العينية زيادة الصفات وتأويل التشابهات وإثبات رؤية بلا جهة ولا محاذاة وإثبات الجوهر الفرد وإبطال الهيولي والصورة والنفس والعقول أو بالعكس والكلام في مسألة القدر والقول بصدور العالم على سبيل الإيجاب وإثبات قدم العالم ونحوها مباحث أخرى من علم الكلام وإلهيات الفلاسفة كلها من قسم البدعة الحقيقية إن اعتقدها صاحبها أنها من الدين أو عدّها من الدين وإن لم يعتقدها من العقائد الدينية فإنها أصبحت بالتأكيد من البدع الحكيمة في هذا الزمن... (١)

المطلب الثاني : ترتيب مؤلفاته حسب التاريخ

لم يكن الشاه إسماعيل رحمه الله يرى مصادر تلقي الأحكام إلا الكتاب والسنة (٢) ويتقيد بآثار السلف، وما لم يكن معروفاً في القرون الأولى فيجعله من البدعة (٣) وأمضى حياته كلها في الدعوة إلى التوحيد والرد على البدع مع ذلك نرى في بعض كتبه بعض الأخطاء فيضطر القارئ إلى معرفة أسبابها ومدى تمسكه بها وتحمسه لها في حياته العملية واستمراره عليها.

وإذا استعرضنا في حياة الشاه إسماعيل نرى أنه مر في حياته بمراحل، مرحلة طلب العلم والتلقي من مشايخه ومرحلة التخرج والتفرغ للعلم ثم مرحلة الدعوة والاحتكاك بالاجتماع والإنكار على ما هم فيه من الضلالات والانحرافات ثم مرحلة الهجرة والجهاد.

ففي مرحلة التلقي وطلب العلم برزت شخصيته كطالب علم ذكي فاق أقرانه، ولكن في هذه الفترة مهما بلغ الرجل مبلغاً في العلم قلما يستطيع أن يخرج على مشايخه وأساتذته، وعلى بيئته، يرجع ذلك إلى أسباب عديدة، من أهمها عدم الوصول إلى درجة الاجتهاد في المسائل المختلف فيها حتى يرد على العلماء المشهورين ويخطئهم في آرائهم، ثم إن هيبتهم في القلوب وحسن الظن بهم وبأقوالهم وآرائهم يكون مانعاً منه.

ومنها أن البيئة والأسرة والمشايع الذين يتعلم على أيديهم كلها تلعب دوراً هاماً في تكوين شخصية الرجل وثقافته ومعتقداته، وكثير من الأمور يرثها منهم، ويرى أثرها عليه ولا يجد فرصة

(١) ص: ٢٣

(٢) كتابه مختصر أصول الفقه ص: ٣

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٦٥

البحث عنها، ولا يجعلها ديناً يتعبد بها، فكأنما هي أمور وعادات وجد عليها أهل عصره ومشايخه فمضى عليها.

هكذا كان حال الشاه إسماعيل رحمه الله فان ما نرى فيه أثر الكلام والمنطق وزلة القدم في نقد الصوفية فإنما هو في بداية حياته عندما لم يبلغ مبلغ العلماء الذين يقومون لتغيير مجرى الحياة، ولكن لما اشتغل بالدعوة واحتك بالناس ورأى ما هم فيه من المعتقدات الباطلة وتأمل في أسبابها أنكر كثيراً من الأمور والأشياء التي لان جانبها لها من قبل .

ولاشك إن معرفة تاريخ المؤلفات ترشدنا إلى معرفة موقف العالم في آخر الأمر من القضايا المختلفة فيها، وتعطينا فكرة عن مراحل فكره وعلمه تجاه تلك القضايا، فنعرف من خلالها إلى ما وصل إليه نضجه الفكري والعلمي واستقر رأيه آخر الأمر.

وعندما نرى مؤلفات الشاه إسماعيل نرى أن كتابه "صراط مستقيم" الذي جمع فيه أقوال الأمير السيد أحمد ورتبه تم تأليفه سنة ١٢٣٣ هـ (١) وألف قبله كتابه "عبارات" (٢) في زمن الشاه عبد العزيز بن ولي الله المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ (٣) ومما يدل على أن "عبارات" كتبه في فرصة ووجد وقتاً كافياً له، بأنه استطاع إتمامه وأما غيره من الكتب المهمة فلم يستطع إكمالها. أما كتابه تقوية الإيمان فقد قيل إنه ألف قبيل سفره للحج وبدأ رحلته للحج في شوال سنة ١٢٣٦ هـ ولكن هذه الرواية مردودة لوجوه عدة (٤)

ويرى المؤرخ الكبير المتخصص في حركة الشَّهيدَيْن الأستاذ مهر (٥) بأنه لا يمكن إعطاء رأي نهائي في تحديد الزمن الذي ألف فيه تقوية الإيمان، ولكنه صور فيه فناء الكعبة تصويراً يؤثر على القلوب، وهذا يدل على أنه كتبه بعد مشاهدته عياناً، وبهذه القرينة يمكن أن نستأنس بأن الكتاب ألف بعد رجوعه من سفر الحج (٦).

(١) صراط مستقيم ص : ٩٥

(٢) صرح بذلك الأستاذ مسعود عالم الندوي، في كتابه المعروف "عبيد الله سندي ك افكار و خيالات بر اهلك نظر ص: ١٢٦

(٣) انظر مقدمة "عبارات" ص: ٨ بقلم البنوري

(٤) انظر تفاصيلها في مجلة الفرقان الشهرية يونيو ١٩٩٣ م

(٥) هو العالم المحقق المؤرخ الاديب الشيخ غلام رسول مهر تزيد مؤلفاته على أربعين مؤلفاً توفي ١٦ /

نوفمبر ١٩٧١ م (تذكره شهيد)

(٦) وكان رجوعه في شعبان سنة ١٢٣٩ هـ انظر مقدمة تقوية الإيمان لمهر،

وهناك بعض القرائن الأخرى تفيد في تحديد زمن تأليف هذا الكتاب، منها أن السيد البغدادي اعترض على كتابه تقوية الإيمان، فرد عليه الشاه إسماعيل ومما قال في آخر المكتوب "تم هذا المكتوب حين كنت نزيلا في الكانفور سنة ألف ومأتين وأربعين إلى السيد البغدادي حين وسوس له الجهال، فبعد قراءة كتابي هذا جاءني معتذرا.....(١)

والرسالة هذه أيضا تشير أنه كتب هذا الكتاب في بداية سنة ألف ومأتين وأربعين من الهجرة .

وقد ثار الناس ضد كتابه "تقوية الإيمان" حتى وصل الأمر إلى إقامة مناظرة كبيرة في موضوع جواز تقبيل القبور أو عدمه وفي بعض البدع والرسوم الشركية في صباح يوم الثلاثاء ٢٩ / ربيع الثاني سنة ١٢٤٠ هـ طلب فيها الشاه إسماعيل أن يردوا على كتابه فلم يرضوا له (٢) وأنه كتب جوابا مفصلا في الاستفتاء عن تكفير شخص يتعاطى الأعمال الشركية التي ذكرها في تقوية الإيمان فأجاب في ١٢ / جمادى الأولى سنة ١٢٤٠ هـ على ذلك ويوجد هذا السؤال وجواب الشاه إسماعيل في المجلد الثالث من مجموع الفتاوى الرشيدية (٣)

وأثار فضل حق خيرابادي (٤) في غضون هذه الأيام قضية كلامية، وهي هل يمكن وجود نظير النبي صلى الله عليه وسلم أو يمتنع ؟ ضد الشاه إسماعيل رحمه الله لأجل بعض عبارات تقوية الإيمان، فرد عليه الشاه إسماعيل في العاشر من ذي الحجة سنة ١٢٤١ هـ وهو في هجرته إلى بلاد الأفاغنة، وكانت هذه القرائن كلها تدل دلالة قوية أنه ألف الكتاب حوالى سنة ١٢٤٠ هـ ثم لم يلبث أن هاجر من بلاده ولم يرجع بعد.

أما كتابه "إيضاح الحق الصريح في أحكام الميث والضريح" فقد اتضحت فيه آراءه ومعتقداته وضوحا كاملا، وقد بين سبب تأليفه أنه لما رأى أهل البدع وفتنتهم وانتشار البدع واختلاطها مع السنة حتى لم يكدر يفرق بينهما سأله تلميذه أن يفصل الكلام في هذا الموضوع فكتب هذا الكتاب. ولما ثار الناس بعد كتابة تقوية الإيمان واستنكروا ما فيه من الشدة ضد

(١) رسالته المطبوعة مع تقوية الإيمان المترجم بالعربية.

(٢) مطرق الحديد...ص: ٧٥

(٣) المصدر السابق ص: ٧٦

(٤) تقدمت ترجمته ص: ٧٣

الشرك والبدع اضطر الشاه إلى كتابته حتى يبين الفرق بين السنة والبدعة، كما أن محتوى الكتاب نفسه يدل على أنه ألفه بعد وفاة الشاه عبد العزيز أي بعد سنة ١٢٣٩هـ (١).

وصرح الشيخ محمد إسماعيل السلفي رحمه الله، أن كتابه هذا آخر كتاب ألفه الشاه إسماعيل (٢).

ويتضح من هذه التفاصيل السابقة أن الشاه إسماعيل كتب "تقوية الإيمان" وبعده "إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح" في آخر حياته في الهند قبل الهجرة، ولم يجد فرصة التأليف والتصنيف بعد الهجرة كما صرح هو بنفسه في مكتوبه الطويل الذي أبطل فيه عددا من الشبهات (٣).

وأنه لم يتراجع عما كتب في هذين الكتابين، بل استقر رأيه عليه وتحمس له ودعا إليه وناظر في إثبات ما كتب فيه وأجاب على جميع الاعتراضات الموجهة إليه ورد على جميع من خالفه فيما في تقوية الإيمان. فالنتيجة المنطقية من هذه المواقف المشكورة أن ما كتب فيهما فهو يمثل رأيه النهائي وبهما يحكم على شخصيته. وأن ما في هذين الكتابين فهو الحجة لصاحبه أو عليه.

(١) ملوك الأرض: ٣٢

(٢) انظر حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد ص: ٢٧٦

(٣) مجموعة مكاتيب شاه إسماعيل ق ص / ٧٤ - ٧٨

الفصل الرابع: دعوة الشاه إسماعيل وأهدافها والمقارنة بين دعوته ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: هل تأثر الشاه محمد إسماعيل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

المبحث الثاني: منزلة الشاه إسماعيل في الدعوة

المبحث الثالث: أسس الدعوة وأهدافها

المبحث الرابع: وسائل الدعوة

المبحث الخامس: آثار دعوته في شبه القارة الهندية

المبحث السادس: مشاكله في سبيل الدعوة

المبحث الأول: هل تأثر الشاه إسماعيل

بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله

جرى المؤلفون عند كتابتهم في الدعوات والشخصيات على بحث أصولها ومصادرها ومكوناتها وأحوال يقيمتها لكي يستنتجوا منها مدي تأثير تلك العناصر في أفكار هذه الدعوات والشخصيات وعقائدها وتعاليمها ولكن كثيرا ما نلاحظ الوقوع في الأخطاء الجسيمة، وتشويه الوقائع والانحراف عن الحق .

وخاصة في هذا العصر الذي تحررت فيه العقول وانتعشت عاطفة الإسلام والنفت الناس إلى البحث عن الحق لأسباب عديدة، وقامت حركات دينية ودعوات إسلامية تنادي بالعودة إلى الدين والشريعة وإلى الاجتهاد ونبد التقليد وتنسب نفسها إلى شيخ الإسلام بن تيمية أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعاليمه لأقل مشابهة وأدنى ملابسة مع مخالفتها إياها مخالفة بينة في أصول العقائد التي ركزوا عليها وامتحنوا لأجلها وامتازوا بها عن غيرهم (١).

وقد ربط الكثيرون بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين دعوة الشاه محمد إسماعيل، فرددوا تلك المقالة المشهورة أنه تأثر به وأخذ منه في رحلته إلى الحجاز، وقد كان الاستعمار الإنجليزي وغيره يتعمدون هذا لمصالحهم السياسية، لمعرفة أن المسلمين إذا صلحت عقائدهم وأعمالهم تاركين الشرك والبدع متمسكين بالكتاب والسنة سيقوى فيهم حب الولاء والبراء وتنشأ منه الهجرة والجهاد (٢). وكان الاستعمار يخاف قيام المسلمين ضده مجاهدين في سبيل الله، ولم يكن يرحى ذلك إلا من المسلم الصحيح المعتقد والعمل، ويشهد تاريخ الجهاد في

(١) انظر للتفصيل " دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة " تأليف صلاح الدين مقبول، ومنهم محمد يوسف (أمير الجماعة الإسلامية السابق) في مقالته التي ألقها في أسبوع الشيخ بعنوان " الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما ثلثها بشبهات أثرت حول دعوة الشيخ المودودي " قد ادعى فيها بأن دعوة المودودي رحمه الله كانت مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكر أمثلة عديدة IIII انظر "بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب"

الهند أنه لم يقم ضد الاستعمار البريطاني مجاهدا ومرابطا إلا أهل الحق، وخذلهم جميع الطوائف، بل أفتوا بتحريم الجهاد يوالون الاستعمار(١)

وجرت السنة بأن يأخذ الأخلاف من أسلافهم وظلوا يستفيدون بعضهم من بعض " وهذا وإن لم تكن فيه غضاضة فقد ظل المصلحون يقتبسون بعضهم من بعض لم يثبت تاريخيا كما حققه كثير من الباحثين (٢) ولم يتحقق أن أحدهما (السيد أحمد والشاه محمد إسماعيل) لقي أحد تلاميذ الشيخ أودعائه(٣).

و الاختلاف الواقع بين أهداف الدعوتين وأسسهما يشهد على ذلك فضلا عن الشواهد التاريخية.

أما الشواهد التاريخية فان أشرف مكة منذ بداية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانوا معارضين لها أشد المعارضة بل كانوا يمتنعون أهل نجد أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الحج إلى أن استولى آل سعود على مكة المكرمة في ثامن شهر المحرم سنة ١٢١٨هـ واشتهر أمرهم في العالم الإسلامي بعد استيلائهم على مكة، وعرفت دعوتهم، ولكن لم ترض بذلك الخلافة العثمانية، حرصا لبقائها في يد الخليفة حتى تتم "شكليات" خلافته، فلا بد أن يكون خليفة المسلمين حامي البلاد المقدسة وصاحب الخطبة على منابرها(٤)

ومن سنة ١٢٢٦هـ بدأت الحروب بين آل سعود وبين جيوش محمد علي الذي كان يتولى قتالهم بإيعاز من الباب العالي، وفي شهر صفر سنة ١٢٢٧هـ استولى المصريون والأتراك على مكة وجدة، ثم استمرت الحروب الدامية إلى أن سقطت الدرعية سنة ١٢٣٣هـ فقتل أهلها ودمرت منازلها وحرقت قراها(٥)

(١) انظر البريلوية، والقاديانية، للشيخ إحسان المهدي ظهير. و"علماء ديوبند كاماضي"....

(٢) مثل الشيخ العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه " الشيخ محمد بن عبد الوهاب" وأحمد أمين في كتابه " زعماء الإصلاح في العصر الحديث" وفتححي يكن في " الموسوعة الحركية ١ / ١٧٣، أما ما كتب الكتاب الانجليز فأخطاء هم لاتعد.

(٣) انظر اذا هبت ريح الإيمان ص: ١٨

(٤) الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص: ١٩٢

(٥) عنوان المجد ص: ١٥٠ وما بعده وتاريخ عجائب الآثار في التراجم والاخبار ص: هندوستان كي

بهلي اسلامي تحريك ص: ١٦

وكانوا يطاردون "الوهابيين" ويحاربونهم أشد ما يكون، بل كان كل من يتهم بالوهابية يصب عليه سوط العذاب الأليم من السجن والحبس والإعدام.

أما دعوة الشاه محمد إسماعيل فقد بدأت ونضجت وانتشرت قبل رحلته إلى الحجاز وقد كان هو والسيد أحمد والشيخ عبد الحي وغيرهم من العلماء خرجوا من دهلي إلى القرى والمدن المجاورة لها في جولاتهم الدعوية العديدة سنة ١٢٣٣ هـ وكانوا يعزمون على القيام بالجهاد لما كانت تقتضي أحوالهم، ولكنهم رأوا بأن الجهاد لا يقوم إلا بانتشار العقيدة الصحيحة فبدؤوا بالدعوة إليهما قبل الدعوة بالجهاد، وفي أثناء هذه الجولات بلغتهم الفتوى المعمول بها في الهند، بأن الحج لا يجب عليهم لعدم توفر السبل المأمونة، فعزموا على الحج إحياء لهذه الفريضة، وخرجوا لأداء فريضة الحج مع أتباعهم سنة ١٢٣٧ هـ ووصلوا مكة المكرمة في شعبان سنة ١٢٣٧ من التاريخ الهجري (١).

وفي محرم سنة ١٢٣٨ هـ وصلوا المدينة، وفي هذا العهد وبعده كان العثمانيون يكرهون أهل السنة (الوهابية) أشد الكراهة، وكل من يدعو إلى التوحيد والسنة ويشنع على البدع، يمسك بتهمة الوهابية، ويحاكم محاكمة شديدة (٢). وكان في القافلة الشيخ عبد الحق بنارسي تلميذ الشاه محمد إسماعيل (٣)، كان شديدا في رد البدع والتقليد، فاتهمه أعداؤه بالوهابية فسجن وحوكم في المدينة المنورة، وكاد أن يصب عليه العذاب الشديد لو لا أن الشيخ عبد الحي دافع عنه عند القاضي حتى خلى سبيله (٤).

خرجت هذه القافلة بعد هذه الزيارة من مكة يوم الخامس عشر من شعبان سنة ١٢٣٨ من الهجري ووصلوا "بمباي" ٢٠ / ذي الحجة سنة ١٢٣٨ هـ.

هذا التاريخ الموجز وقصة الشيخ عبد الحق بنارسي تعطينا فكرة واضحة أنه لم يكن هناك مجال إظهار دعوة التوحيد والسنة ولم يكن أحد يتجرأ ممن أتى من الخارج إظهار السنة ورد البدع فضلا أن يقدم عليه أحد من رعاياهم، وفي ضوء هذه الحقائق يترجح بأن الشاه محمد إسماعيل لم يستفد من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر سيد احمد شهيد ص: ٢٠٨ و ٢١٦

(٢) المصدر السابق ص: ٢٢٧

(٣) تقدمت ترجمته : ص: ٦٠

(٤) سيد احمد شهيد ص: ٢٢٧ وأهل حديث اور سياست ص: ٩٣

وأما ما يجد القارئ بينهما من موافقات ومشابهات ليس لأجل التأثر واللقاء فيما بينهم بل
لأنهم من منبع واحد وهو منبع الكتاب والسنة. (١)

(١) وقد ناقش الموضوع مسعود عالم الندوي أيضا انظر هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك

ص: ٢٠_١٤

المبحث الثاني: منزلة الشاه إسماعيل في الدعوة

ابتليت ناحية خراسان وما جاورها من البلاد من الهند وفارس بالفرق الضالة والدعوات المنحرفة والأحزاب السياسية والكلامية والفقهية المتناحرة فيما بينها، ومن تلك البلايا التعصب الشديد لفقه الحنفي بل لا يكاد يعتبر مسلماً من لم يتقيد بمذهب الأحناف في الفقه والاعتقاد .
ولذلك عاني من لا يتقيد به معاناة شديدة على أيديهم عموماً وإن كانوا في قوالب مختلفة، ومن شدة كرههم لهم قاموا ضدهم بتكفيرهم وتفسيقهم وتجويز قتلهم وإخراجهم من المساجد وتحريم المعاملات معهم، في حين كان الاستعمار قد شمر عن ساعديه للقضاء على من يسمونهم "الوهابيين" الذين كانوا موضع نقمة منه لعقيدتهم النقية الصافية، ولقيامهم بالجهاد ومساعدتهم لمن يقوم به عندما، وإلى غيرهم الاستعمار، وخضعوا له، وأصدروا فتاوى تحريم الجهاد، ولذا عزم الاستعمار بكل ما أوتي من قوة ودهاء ومكر على قضائهم، فعذبهم أشد العذاب وقتلهم قتلاً ذريعاً، وكانت تكفيه حجة بأنه "وهابي" لمصادرة الأموال والعقار والسجن والحبس والإجلاء والقتل والصلب .

ومن جنائيات هذا التعصب الشديد تشويه التاريخ، وهضم حقوق المتمسكين بالسنة، وتناسي خدماتهم، بل كل من كتب عن تاريخ الإسلام في الهند وجهود العلماء وجهادهم نسي أو تناسى ذكرهم، واتهمهم باتهامات لا تحمل في طياتها حبة خردلة من الحق والصدق إلا كم رحم الله، والعجب كل العجب بأنهم اتهموا بمحوالة الاستعمار، والتكاسل عن الجهاد، مع أنهم بذلوا الدماء الزكية والأرواح الطاهرة (١) ومن آثار هذا العصب البغيض أن الحركة العلمية التي بدأها ولي الله وقام بها أبناؤه، أظهر شأنها ونوّه بأمرها حفيده الشاه إسماعيل، دهلي وكان له دور مهم في الدعوة والجهاد، ولكن لم ينوه بشأنه ولم يكتب مآثره وأخفيت شخصيته وراء السيد أحمد رحمه الله. وكيف يرجى أن يكتب عن مآثر أهل الحق ويسجل تضحياتهم من كان يكرههم ويجعلهم في صف الفرق الضالة، كما فعل مؤلف "تذكرة الرشيد" حيث يقول في أحوال سنة ١٢٤٤هـ: "كما أن العرب زينوا الكعبة بالأصنام العديدة بعدد أيام السنة إيماناً واحتساباً، كذلك كانت تلحق الأفكار المحدثه، والخيالات الباطلة، والعقائد الفاسدة، بالدين في الهند. وقد غلب الإلحاد في مكان، والاعتزال والزندقه في مكان، والرفض في مكان، ونرى غلبة

(١) المصدر السابق ص: ٤٠ و تاريخ علماء ديوبند ص: ٧٤

الخوارج في مكان، وانتشار عدم التقليد في مكان، وظهور القرآنيين والقاديانيين في مكان آخر....." (١)

ويقول أبو الكلام (٢) ينوه بدور الشاه في هذه النهضة المباركة: "إن منزلة الشاه ولي الله كانت عالية جدا، ولكن مع ذلك لم يزد ما قام به على تجديد وتدوين العلوم والمعارف، وتعليم أصحاب المواهب وتربيتهم، أما العمل والتنفيذ والإبراز والتصريح فكان مقدرًا وميسرًا للعلامة المحمد الشهيد (محمد إسماعيل) رضي الله عنه بحيث لو وجد الشاه ولي الله في عصره لكان تحت لوائه، إن أسرار الدعوة وإصلاح الأمة التي دفنت في أطلال دهلي القديمة أذاعها هذا العبقرى الفذ في أسواقها ودروبها، والأحاديث التي كان يخاف الأبطال من التفوه بها في الحجرات المقفلة قد تناقلها وتبادلها الناس في الشوارع والطرق، ورشحات دم الشهادة كانت تثبت الحروف والحكايات على صفحات العالم نقوشًا وسوادًا" (٣).

وراجعه مسعود عالم الندوي في هذا المدح العظيم، فأكد "آزاد" أن ما كتبه كتبه بعلم واقتناع (٤). ويرى الشيخ سليمان الندوي والمودودي *: أن حركة التجديد يرجع فضلها إلى الشاه والسيد كليهما وأنهما يشكلان وجودًا واحدًا (٥).

وكان للشاه إسماعيل دور عظيم في هذا التجديد والإصلاح، بل يرجع إليه فضل جميع ما كُتب في موضوع التوحيد ورد الشرك في الهند بعد الله سبحانه . لأنه أول من شق الطريق في بيان شأن التوحيد ورد الشرك بهذا الأسلوب. ثم إنه كان عالمًا فائقًا، وخطيبًا مصقعا، ومناظرا بارعا، وقائدا باسلا، وبطلا مغوارا، وكانت له موهبة عجيبة في إلقاء الخطب ولم يكن الأمير السيد أحمد يقدر على ذلك (٦) وانتهج الشاه إسماعيل منهج المحدثين في التمسك بالكتاب

(١) انظر ص: ١٠

(٢) تقدمت ترجمته ص: ٦٩

(٣) انظر كتابه الشهير "تذكره ص: ٢٧٠ والترجمة مأخوذة من "مجلة الجامعة السلفية - إبريل ومايو-

١٩٨٠

(٤) انظر هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٣٢

* - هو أبو الأعلى المودودي، مؤسس "الجماعة الإسلامية" في الهند سنة ١٩٤١م صاحب التصانيف

الكثيرة توفي سنة ١٩٧٩م

(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص: ١٧١

(٦) انظر موج كوثر ص: ١٧

والسنة ورد البدع والمحدثات في حين كان الناس لا يتحملون ذلك فخالقوه وتنازعوا في أمره. ولما أفتى الشاه عبد العزيز بوجوب الجهاد في الهند، وأنها أصبحت دار حرب (١) ولم يكن يستطيع هو بنفسه القيام به لضعفه وكبر سنه، ورأى في ابن أخيه الشاه إسماعيل وتلميذه السيد أحمد أهلية تحمل مسئولية الدعوة والجهاد، أمرهم بالقيام بالدعوة والجهاد، فقام صهره عبد الحى السيد أحمد والشاه إسماعيل رحمهم الله بيجولات موسعة في المدن والقرى ينشرون الدعوة ويصححون العقائد ويستطلعون أحوال المسلمين وقدراتهم للقيام بالجهاد، ولما كان هذا الأمر كله إلى حاجة أن تكون لمة قيادة فأمرهم عليهم السيد أحمد، وبايعه الشاه إسماعيل وعبد الحى، ولما علم الناس بيعة هذين العالمين المعروفين من أسرة ولي الله الدهلوي أصبحوا يبايعون عليه، وتأمير السيد أحمد على حركة الدعوة والجهاد يرجع إلى أسباب.

منها: انه كان محنكا بأمر الحرب لعمله في الجيش سبع سنوات، والجهاد بالسيف كان من أهداف دعوتهم فعينوا أميرا له خيرة كافية في هذا المجال (٢) وإن البيعة كانت تقتضي أن يرأس الحركة شخص لا يتنازع فيه حتى تروج الدعوة ويعم الإصلاح وكان السيد أنسب الناس له لما كان يتمتع بمنزلة عالية من الزهد والتقوى، وحسن السمعة، وكان لمواعظه ونصائحه تأثيرا بليغا لعوام الناس، ومع هذه الصفات الجميلة الحسنة كانت لأسرته سيادة دينية واحترام لأنها كانت تنحدر من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم (٣)، وكان الشاه رحمه الله يكرمه ويحترمه كثيرا.

أما الشاه إسماعيل قد اشتهر في أوساط الناس لشدة في إنكار البدع والخرافات في كل مجلس ومكان يجتمع فيه الناس، فقد قامت ضجة شديدة ضده حتى رفع أمره إلى الملك، وانتفض علماء المبتدعة ومشايخ الصوفية لمخالفته ورده ومناظرته، وكان كتابه تقوية الإيمان أشد من الجمر على أنفسهم لصراحته في البيان ولتناوله غالب أنواع الشرك والبدع المنتشرة بينهم بالرد والإبطال. ولم يكن من مصلحة الدعوة أن يرأسها الشاه لشدة مخالفة الناس له

(١) وهو أول من أفتى بوجوب الجهاد بحجة أن الهند صارت دار حرب لاستيلاء الكفار عليها انظر "

الفتاوى العزيزية، ١٧/١، ١٨٥٠ نقلا من شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك ص: ٥٦

(٢) انظر اذا هبت ريح الإيمان ص: ١٥

(٣) انظر نسبه في " سيرت سيد أحمد شهيد " ٨٥/١

ولكن كان وزيرا للأمير وترجمانا له (١) ولسانا للدعوة، ولذا نرى أثره البالغ في المجاهدين والدعاة (٢).

ويشهد لنا التاريخ صدق تفرس هؤلاء في نصب السيد أميراً لهذه الحركة لأن الأفاغنة أصبحوا أشد الناس مخالفة لهم بعد ما أفتى العلماء "أنهم وهابيين" كما أن جميع الناس تراجعوا عن هذه الحركة ودعوتها بعد استشهادهم سوى "أهل الحديث" لأنهم تبينوا حركة الدعوة والجهاد وأصبحوا يقودونها (٣). فخالقهم غيرهم أشد المخالفة، ورموهم بأشد التهم، وعوملوا بالطرد والمقاطعة والإخراج من المساجد (٤).

-
- (١) انظر "الامام الذي لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف ص: ٢٤
- (٢) وقد كانت جماعة في المجاهدين وغيرهم، تمتاز بالعمل بالحديث من أثر الشاه اسمعيل انظر: "شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك" ص: ٨٣
- (٣) انظر ما كتبه صاحب الرحيق المختوم في مقدمة (دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها) ومقدمة "كالاباني" ص: ٢٨
- (٤) وما ذنب العوام فانهم أتباع لعلمائهم وقد جوزها علمائهم وأفتوا بها وطبعوا تلك الفتاوى في أخرج وقت على "الوهابيين" عندما كان الاستعمار يبيد إبادته اذ لم يكن في ساحة الجهاد ضده الا هم انظر مثلاً "جامع الشواهد في إخراج الوهابيين عن المساجد" و "انتظام المساجد بإخراج أهل الفن والمفاسد" و "إخراج المنافقين عن مساجد المسلمين" وقد كان يوقع عليه كبار القوم؟؟ انظر للتفصيل "علماء ديوبند كا ماضي" لحكيم محمود بركاتي ص: ١٣٣، وقد طبعت في "مدراس" ونشرت بكثرة "الفتاوى المكية في إخراج الوهابية" وهي في الحقيقة أوراق المحاكمة التي أجريت على خمسة رجال في مكة باتهامهم بالوهابية وكانوا من جماعة الشاه اسماعيل والسيد أحمد فأخرجوا من مكة المكرمة بعدما عوفوا من الاعدام. انظر التفاصيل "خانواده قاضي بدر الدولة" للأستاذ محمد يوسف كوكن عمري ص: ٣٦٤

المبحث الثالث: أسس الدعوة و أهدافها

”الأسس“ جمع أساس - والأساس أصل البناء، وكل مبتدأ شئ. (١)

فالمراد به هنا الأصول التي قامت عليها الدعوة والقواعد التي تم بناء الدعوة عليها، فإن الدعوة التي قام بها الشاه كانت أصولها مستنبطة من الكتاب والسنة. بحيث اهتم بالتوحيد والعقيدة الصحيحة التي عليها مدار الكتاب والسنة ودعا إلى تحكيم الكتاب والسنة ونبذ التقاليد والعادات والبدع والخرافات في العقيدة والعمل، ثم قام بالهجرة والجهاد ودعا الناس إليهما بعد مارأى وجوبهما، وهكذا استمرت دعوته من البداية إلى النهاية على أساس محكم سليم ولذلك نرى أنها قد أثمرت وتركت آثارها الباقية في كل شعبة من شعب الحياة.

ويقول الشيخ سليمان الندوي: "إن الشاه ولي الله ابتكر نظاماً جديداً للأمة في الهند في وقت التنزل والسقوط ألا وهو الرجوع إلى دين السلف الصالح ومن أصول هذه الدعوة تطهير ما امتزج بالإسلام من أدران البدع، وحث الناس على انتهاج منهج السلف الصالح في العلم والعمل، واختيار طريقة فقهاء المحدثين في المسائل الفقهية.

وفي نفس العهد نشأت فكرة تجديد الدعوة في نجد واليمن، التي بدأها ابن تيمية وابن القيم في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن في مصر والشام، وهدفها الأساسي هو تحرير المسلمين من التقليد الجامد للأئمة المجتهدين واقتفاء آثارهم من غير دليل، ودعوتهم إلى اتباع الكتاب والسنة في العقائد والأعمال، وفي عهد الشيخ إسماعيل الشهيد وصلت هذه الدعوة إلى الهند وانضمت إلى دعوة ولي الله وهي التي سميت بأهل الحديث فيما بعد (٢).

ويتضح من كلامه بأن الدعوة التي بدأها الشاه إسماعيل بعد جده، تسلك نفس المسلك الذي سلكت الدعوات في نجد واليمن، فأصبحت مشتركة معها في الأساس، والهدف.

أما أهدافها فقد كانت شاملة وعامة جداً بحيث كان يسعى وراء الدعوة تغيير مسار الحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية وترسيخ أصول الدين في قلوب العوام والخواص ويمكن تلخيص تلك الأهداف في النقاط التالية.

١- إصلاح العقائد، وإنكار جميع أنواع الشرك المنتشر في المسلمين،

(١) لسان العرب ٦ / ٦

(٢) مقدمة "مولانا عبيد الله سنهري اور انك أفكار وخیالات بر ايك نظر" ص: ٢٠ - ٢١

- ۲- الرد على جميع البدع والمحدثات التي لم تكن في القرون الأولى حيث يقول "وغرضنا الأصلي نشر التوحيد وإحياء سنن سيد المرسلين" (۱).
- ۳- الرجوع إلى الكتاب والسنة في جميع الأحكام والرد على التقليد الجامد ونشر طريقة فقهاء المحدثين في أخذ الأحكام من الدليل دون التقليد،
- ۴- إصلاح المجتمع من المنكرات والردائل والفواحش التي كانت تمارس جهارا ونهارا، بالدعوة إلى الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة،
- ۵- إحياء سنة الجهاد التي كانت مهجورة من زمن بعيد إعلاء لكلمة الله عز وجل،
- ۶- المحاولة الأكيدة لإقامة مجتمع مسلم يحكم فيه شرع الله في جميع شؤونها (۲).

(۱) انظر مكاتيب الشاه إسماعيل الشهيد (مخطوط) نقلا من "تذكرة شهيد" ص: ۱۴۲

(۲) المصدر السابق ص: ۱۷-۴۶ و أهل حديث اور سیاست ص: ۲۶

المبحث الرابع : وسائل الدعوة

ولا يخفى ما للوسائل والأساليب من الأهمية في نشر الدعوة، بل كثيرا ما يتوقف قبول الدعوة على الوسائل والأساليب الجيدة، فالدعوات الباطلة والعقائد المنحرفة تنتشر وتروج بين الناس لاعتمادها على الوسائل المقبولة المؤثرة في قلوب الناس و أمر الله بالرفق والحكمة في الدعوة بقوله ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن....﴾ (١) وقال الله تعالى: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (٢). فأمر باستعمال الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن كما أمر موسى وهارون عليهما السلام بأخذ اللين في دعوة فرعون.

وإذا تأملنا حياة الشاه إسماعيل الدعوية نرى أنه قد استعمل كل ما أمكن من الوسائل القولية والفعلية في عصره.

أما الوسائل القولية فكانت أكبر وسيلة وأعظمها وأنفعها على مر الدهور، وقد كان جل اعتماد الأنبياء في مهمتهم الدعوية الاعتماد على القول بحيث كانوا يخاطبون أقوامهم بالقول الحسن، وكان القرآن المعجز في بيانه ذا أثر في نفوس السامعين، والنبي صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب مطلقا لنصرة الله عز وجل إياه بمجامع الكلم (٣) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحرا" (٤).

فالوسائل القولية أنواع منها الخطابة، والدرس، والوعظ والمناظرة.

الخطابة:

أما الخطابة فهي مؤثرة على نفوس العوام أيما تأثير وذات منفعة كثيرة. وقد أنعم الله على الشاه إسماعيل بموهبة الخطابة، وكان خطيبا بارعا اعترف به الصديق والعدو، ولم يكن أحد يساويه في ذلك، وكان يسحر الناس بكلامه وخطبته، وقد دبر أعداؤه مرارا مخالفته أثناء خطبته وتفريق شمل السامعين ولكن لزمهم السكوت أمام سحر بيانه (٥).

(١) سورة النحل : ١٢٥

(٢) سورة طه : ٤٤

(٣) أخرجه البخاري - التعبير - ٧٠١٣ - فتح الباري ١٢ / ٤٠١

(٤) أخرجه البخاري - الطب - ٥٧٦٧ - فتح الباري ١٠ / ٢٣٧ وصحيح مسلم ٣ / ٤٠٧ - ٨٦٩

(٥) انظر "حيات طيبة" ص: ٣٨

وكان يعظ ويخطب كل يوم ثلاثاء وجمعة في المسجد الجامع الشهير في دهلي، ومن أثر خطبه أصبح الناس يجتمعون لصلاة الجمعة كاجتماعهم لصلاة العيد، وكانت خطبه جامعة يجد كل واحد فيها بغيته وتزول شبهاته، وأسلوبه كان سهلاً يستفيد منه العالم والجاهل.

وقد تاب من أثر مواعظه آلاف الناس، ويمكن تصور مدى تأثير خطبه بما كان يحدث من التغير في المجتمع، بأن الناس الذين ذاقوا حلاوة الإيمان وعرفوا حقيقة الإسلام اعترفوا بأنهم أسلموا من جديد "بل كان يسلم كل يوم عشرة أو خمسة عشر رجلاً من الهنادك والوثنيين ويستأنفون حياة جديدة". (١) ورجع الناس إلى التزام أحكام الدين حتى كسدت أسواق بيع الخمور واعتذر أهل الحوانيت عن دفع الضرائب، (٢) ومن أجل خطبه الجذابة اهتدى كثيرون بعد أن كانوا من أشد الناس مخالفة له (٣) وله خطب رائعة ومؤثرة أمام الملك وفي قصره، تدل على جرأته، استطاع بها نصيحة الملك وإصلاح حاشيته (٤). وقد خطب مرة خطبة طويلة في رد عقائد الشيعة في بلد الشيعة "لكهنو" التي كانت تحت سلطانهم، فاستغرب بعض الشباب من الشيعة من جرأته وتساءلوا؟ كيف يتجرأ هذا الرجل الضعيف على بيان الحق ويتستر أئمتنا بالكذب والتقية مع أن قواتهم حسب معتقدنا فوق التصور، وعرض أحدهم هذا السؤال أمام الحضور والجمهور على علمائهم، فلم يستطيعوا إقناعه، فأعلن برأته من التشيع وتبعه أناس كثير، وتكثر أمثال هذه المواقف الجريئة في حياة الشاه أسماعيل رحمه الله.

يقول عنه صاحب نزهة الخواطر بعد ما أثنى على بيانه وفصاحته ورجاحة عقله وخلقه..... "فإذا جالسه منحرف الأخلاق، أو من له في المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يولف بين الماء والنار ويجمع بين الضب والنون * فلا يفارقه إلا وهو عنه راض" (٥)

(١) إذا هبت ريح الإيمان ص: ٤٦

(٢) المصدر السابق

(٣) انظر بعض الوقائع في ذلك فيمن ترجم له مثل "تراجم علماء أهل حديث هند ص/ ٧٧

(٤) انظر التفاصيل في "جماعت مجاهدين ص/ ١٢٠ و"حيات طيبة" ص: ٨٠

* - النون، الحوت، وذو النون لقب يونس عليه السلام القاموس المحيط ص: ١٥٩٦

(٥) ٥٧/٧

التدريس:

التدريس وسيلة مهمة في نشر الكتاب والسنة، كما أنه يفيد في إنشاء جيل كامل من التلاميذ الذين يحملون العلم والأخلاق والدعوة إلى بلدانهم وأقوامهم.

وكان للشاه حظ وافر من التدريس، حيث كان لأسرته مدرسة يدرس فيها أعمامه، وكانوا قواد حركة علم الحديث في الهند، ويقصدهم الطلاب من أطراف الهند والسند وخراسان، فلما تخرج الشاه على أيديهم أصبح يدرس في المدرسة نفسها ولكنه لم يجد له فرصة كافية لانصرافه إلى الدعوة ولخروجه من دهلي في الجولات الدعوية المستمرة، ثم لهجرته لأجل الجهاد.

ولكنه إذا وجد فرصة للتدريس اشتغل به كما أنه كان يدرس "مشكاة المصابيح" لجميع المجاهدين في ثكنتهم بعد عصر كل يوم، زمن مرابطتهم لمجاهدة السيخ (١) ودرس كتاب "حجة الله البالغة" في الحرم المكي خلال رحلته للحج (٢).

المناظرة:

اضطر الشاه مرارا إلى مناظرة خصومه وذلك تبعا للجو السائد بين أهل الهند، بحيث كانت تقام المناظرات لأتفه سبب ولأدني اختلاف.

وناظر مرة أحد كبار مجتهدي الشيعة في موضوع التقية وأثبت بأنه لا فرق بين النفاق وبين التقية فما استطاع الرد عليه (٣).

وناظر عبد الرحيم الفلسفي الذي تزندق بعد توغله في الفلسفة والعلوم العقلية وتأثر به جمع من الناس، وكان من الطبيعيين من ينكر الخالق ووجوده، فهزمه الشاه هزيمة منكرة حتى هرب من مكانه فهدى الله أتباعه بعد ما رأوا مصير رئيسهم (٤). كما أن له مناظرة تاريخية مع علماء دهلي في مسائل البدعة ورسوم الشرك مثل تقبيل القبر ونحوها التي أثاروها بعد تأليف كتابه "تقوية الإيمان" (٥).

(١) سيرت سيد أحمد شهيد ٧٦ / ١

(٢) موج كوثر ص: ٢٣

(٣) حيات سيد أحمد شهيد ص: ١٠٩ نقلا من تذكره شهيد ص: ١٢٠

(٤) سيرت سيد أحمد شهيد ص: ٣٣٦ / ١

(٥) تقدم تفاصيلها ص: ٨٤

ومن الوسائل التي استخدمها، الجولات الدعوية مع السيد أحمد والشيخ عبد الحي، في أطراف دهلي لنشر التوحيد وإصلاح المجتمع (١). بمشورة من الشاه عبد العزيز (٢). وكان يكتب إلى تلاميذه في مختلف المناطق أن يقدموا لهم كل مساعدة. (٣) وذهبوا في هذه الرحلات إلى أماكن عديدة منها مراد نغر، واله آباد، وبنارس، وميرته، وسرهند، ومظفر نغر، وديوبند، وغيرها من المناطق. (٤) ولم يكن يتجاوز تجوالهم بضعة أيام إلا نادرا، فحدث انقلاب عظيم في نفوس الناس بسبب مواعظ الشاه إسماعيل وعبد الحي، وكان لشخصية السيد أحمد أثر كبير في قبول الدعوة، أثمرت هذه الجولات ثمارا طيبة، اهتدى آلاف الناس في كل مكان وتمسكوا بالسنة بعد ما تابوا من الشرك والبدع والمعاصي (٥).

يقول صاحب نزهة الخواطر: وساح في البلاد والقرى سنتين فانتفع به خلق لا يحصون بحد وعد " (٦) ويمشي إلى كل مكان يجتمع فيه الناس لنشر التوحيد، وكان يتردد على "المشهد المعروف للشيخ نظام الدين" ليحذر الناس من الشرك حتى تأثر الناس به وقل رواده فغضب من أجله السدنة وحاولوا قتله (٧).

(١) مركز شت مجاهدين ص: ١٢٩

(٢) سيد أحمد شهيد ص: ١٢٩

(٣) المصدر السابق

(٤) سيرة سيد أحمد شهيد (الباب الخامس والسادس)

(٥) أيضا ص: ١٨٢ / ١

(٦) انظر ٥٦ / ٧

(٧) تذكره شهيد ص: ١٠٧

المبحث الخامس: آثار دعوته في شبه القارة الهندية

النهضة التي قام بها الشاه والسيد أحمد كانت فريدة في نوعها وشمولها وتنظيمها في الهند، وقد أحدثت تغيرا عظيما في العقيدة والعمل والمعاملات بل في جميع شئون الحياة وما نرى اليوم من نشاط ديني وعلمي ويقظة إسلامية يرجع فضل ذلك كله بعد الله سبحانه إلى هذه الحركة، شهد بذلك أشهر علماء الهند ومؤرخوها قديما وحديثا ومما قالوا عن آثارها بأنها: "أول حركة إسلامية بدأت لتحقيق هدف إسلامي وليس هنا موضع تفصيل ما ترتب على هذه الحركة بيد أعضائها من نشر التوحيد والسنة والقضاء على البدعة وعادات الشرك، وبالإيجاز أن تراث الإيمان والعمل (قليلًا كان أو كثيرا) الذي يوجد في شبه القارة الهندية، يرجع الفضل فيه إلى رجال الحق هؤلاء فإنه إشعاع من علمهم وعملهم(١)

يقول الندوي: "ولم نعرف في هذه القرون الأخيرة في العالم الإسلامي حركة أكثر تنسيقا من هذه الحركة لإحياء السنة والجهاد وأعمق تأثيرا من الناحية السياسية والدينية ولا توجد في الهند حركة إصلاحية واجتماعية لم تتأثر بهذه الحركة وما نرى اليوم في الهند من الحياة الإسلامية و الإصلاح الديني واليقظة الإسلامية وأهمية الكيان الإسلامي ووزنهم السياسي، فإنه قد تحقق وأمكن بهذا الجهاد الطويل(٢).

ويقول المؤرخ سليمان الندوي^(٣): "في القرن الثالث عشر كانت قوة المسلمين السياسية تنهار من جانب، ومن جانب آخر نشأت "الحركة التجديدية" من جهود الشاه إسماعيل والسيد أحمد، وفي نفس الوقت كان الشيخ قد سيطروا على جميع بنجاب واستولى الإنجليز على بقية الهند وفي هذا الوقت الحرج دعا الشيخان إلى الجهاد فسمع دوي صوتهما من قمم "هما ليا" وسفوح نيبال إلى أطراف خليج بنغال، وكانت العيون تشاهد اجتماع الناس تحت علمهما من أنحاء الهند.....(٤)

(١) مجلة الجامعة السلفية، شهر ابريل ومايو ص: ٢٨٢ ١٩٨٠م

(٢) المصدر السابق

(٣) تقدمت ترجمته ص: ٧٥

(٤) كتبه السيد سليمان الندوي في مقدمة سيرت سيد أحمد شهيد ص: ٤٠

" وقام الإمامان بتنظيم الدعوة الإسلامية الشاملة وجولات متواصلة في ربوع الهند وبعث الدعوة و النواب في أطرافها الشاسعة حتى تقلبت الأرض ظهرا لبطن ودوت الآفاق وتفشعت سحائب البدع والضلالات وماجت الأرض بالموجة الإسلامية الكبرى(١).

" وكان الشيخ عبد الحي والشاه إسماعيل بخطبان في كل مكان، فاهتدى جموع من الناس واختاروا الحياة الإسلامية معرضين عن الحياة الجاهلية وهدمت مئات الحسينيات وتحولت إلى المساجد، وتعمرت المساجد بعد ما كانت مهجورة... (٢)

يقول السيد سليمان الندوي خلال كلامه عن آثار هذه الحركة ... "حركة أهل الحديث الحالية في الحقيقة ليست قدم بل هي أثر قدم، فان النهضة التي انتهض بها الشيخ إسماعيل الشهيد لم تكن محصورة في بعض المسائل الفقهية بل كانت مشتملة على التعليمات الأساسية من الإمامة الكبرى والتوحيد الخالص واتباع السنة النبوية، ولكن للأسف راح الفيضان وما بقي منه حط بسيط من مائه. و الآثار التي ترتبت بتلك الحركة نافعة ومفيدة، وبها تم استئصال كثير من البدع وتبلورت حقيقة التوحيد وبدأ دور جديد لتعليم القرآن وفهمه وتوطدت صلتنا المباشرة بالقرآن الكريم ونجحت جهود تعليم الحديث وتدرسه وتأليفه ونشره، ويمكن الادعاء بأن الهند وحدها نالت هذا الشرف في جميع العالم الإسلامي في هذا العصر من أجل هذه الحركة، وحررت مسائل الفقه الكثيرة وانتعشت عاطفة جياشة لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدة مديدة بعد فقدانها... ومن آثار هذه الحركة الشاملة أن عاطفة الجهاد الذي انطفأت شعلته في بحر الإسلام تأججت مرة أخرى حتى انقضى العهد الذي اعتبر فيه لفظ الروابي والثائر كلمتان مترادفتان، فضربت أعناق الكثير وصلب الكثير على المشائق وأجلى الكثير مكبلين بالسلاسل في البحر* وحبسوا في مقصورات مظلمة ..، ومن فوائد هذه الحركة أن زال الصدا المجتمع من أزمان طويلة وبطل الزعم أن باب التحقيق مغلق وطريق الاجتهاد

(١) مجلة الجامعة السلفية شهر ابريل ومايو ١٩٨٠ م تحت عنوان (دور الامامين الشهيدان السيد أحمد بن عرفان والشاه إسماعيل)

(٢) سيرت سيد أحمد شهيد ٣٠٨ / ١

* - يمكن الاطلاع على بعض تلك الاحوال القاسية بما كتبه محمد جعفر تهانيسري في كتابه المعروف " كالا بانني " أي المياه السود، بعد ما رجع من المنفى في الجزر في بحر الهند، وكان مكته فيها ثمانين عشرة سنة .

مسدود فتوجه الناس إلى التفتيش والتنقيب وتعودوا على الاستدلال من الكتاب والسنة وتخلص الناس منكدورة القيل والقال إلى منبع الهداية الصافي...."(١) وكلامه هذا يدل على:

- ١- أن حركة أهل الحديث في الهند بدأها الشاه إسماعيل وقادها إلى الأمام.
- ٢- وما أنجزت من الخدمات الدينية والإصلاحات المالية يرجع الفضل في جميعها إلى هذه الحركة التي بدأها الشاه إسماعيل. وبها سبقت الهند على العالم الإسلامي.
- ٣- وأنها شقت طريقها إلى الجهاد وأحييت سنة الجهاد بعد أن كانت مهجورة من قرون.

٤- ومن ثمراتها أن علماء الحديث قاموا بالتعليم والتدريس والتصنيف. وأحدثوا تغيرا عظيما في الأفكار، أصبحوا يرجعون إلى الكتاب والسنة في صغير وكبير وفكروا أنفسهم من قيود التقليد الجامد وتحرروا من أغلال آراء الرجال التي تشبثوا بها حقبة من الزمن(٢) ولاشك أن الشاه ولي الله قد جاء بمعارف ابن تيمية وآراءه إلى الهند وبدأ يدعو الناس رويدا رويدا إلى تحكيم الكتاب والسنة في العقائد والأعمال ونبذ غيرهما من العلوم المحدثه وترك تقليد الآباء والأجداد، واختيار طريقة فقهاء المحدثين في الأصول والفروع وسار على نهجه أبناءه وتقدم الشاه إسماعيل خطوة إلى الإمام " وطبق في حياته ما كتبه جده وأعمامه في مولفاتهم فتميزت صفوف أهل الحديث في الهند بالاعتصام بالكتاب والسنة عن غيرهم من طوائف المسلمين وتقدمت حركة إحياء السنة إلى الإمام مع تمييز الصف وتوضيح المنهج وتحديد المسار"(٣)

فكان يتبع مسلك أهل الحديث ويدعو الناس إليه، فازدهرت هذه الحركة بجهوده، ثم انتشرت في سائر البلاد إما بمساعيه الجميلة أو بمساعي الذين استفادوا منه مباشرة، أو غير مباشرة، ولذلك يرجع فضل بدأ هذه الحركة إليه رحمه الله رحمة واسعة (٤). يقول الشيخ مناظر أحسن جيلاني عن حركة أهل الحديث: " أيا كانت هذه الحركة في ذاتها لكن لا بد من الاعتراف بان اتجاه المسلمين الهنود قد تحول إلى منبع الدين الأساسي(

(١) مقدمة تراجم علماء أهل حديث هند لأبي يحيى امام خان .

(٢) أهل حديث اور سياست ص: ٤٨

(٣) دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة ص: ٧٨

(٤) أهل حديث اور سياست ص: ٤٤

الكتاب والسنة) بسبب حركة أهل الحديث (غير المقلدين) لاريب أن عامة الناس لم يتركوا التقليد ولكن اختفى التقليد الجاهل الأعمى (١)

ويقول صاحب موج كوثر: " الشاه إسماعيل كان أقرب إلى أهل الحديث " الوهابيين " من جده... وكثير من أتباع الشاه إسماعيل اطلعوا فيما بعد على علماء نجد واليمن فاتبعوهم فعرفوا بأهل الحديث، والوهابي، وغير المقلد.... وإن أهل الحديث امتازوا عن غيرهم بثلاثة أشياء،

١- بنشر الحديث، فأنشئوا مدارس عديدة، ونظموا دروس علماء الحديث،

٢- بمخالفة المسيحية، وآرية، (٢) والشيعية، والمرزائية^(٣)، فألفوا في الرد عليها مئات الرسائل والكتب، وخاضوا لأجلها مئات المناظرات،

٣- بمخالفة الشرك والبدع. (٤)

وهل بقي بعده أمر لم يقوموا به؟؟؟

إحياء فريضة الحج:

كانت فريضة الحج معطلة منذ زمن في أرض الهند لما أفتى العلماء بسقوطها، استنادا إلى بعض الأقوال الشاذة، بأن السفر في البحر معرض للخطر والهلاك فلا يتم شرط من شروط وجوب الحج.

أنكر الشاه هذه الفتوى إنكارا شديدا ووافق في ذلك الشاه عبد العزيز والشيخ عبد الحي، ثم عزم الشاه مع الأمير السيد أحمد على أداء الحج مع جماعة من المتبعين ليطلبوا مزاعمهم،

(١) مجلة البرهان الشهرية أغسطس ١٩٥٨ نقلا من مجلة الجامعة السلفية ابريل ومايو ١٩٨٠

(٢) وهي طائفة من كفار الهند المتمسكين "بالويد" الكتاب المقدس لدي الهندوس، رفضوا عبادة الأوثان وأقروا بتوحيد الخالق، ولكنهم ذهبوا إلى نفي الصفات وقدم العالم وإنكار الرسالة وإثبات التناسخ وهم أكبر أعداء الإسلام في الهند. انظر الثقافة الإسلامية في الهند ص: ٢٢٩

(٣) وهي " القاديانية " فانما سميت " المرزائية " نسبة إلى اسم مؤسسها وهو مرزا علام أحمد القادياني ت ١٩٠٨ م

(٤) انظر ص/ ٦٤ وهذا اعتراف صريح يدل على مدى جهودهم في الهند ويرجع فضل ذلك إلى الشاه إسماعيل رحمه الله لأنه أول من سبق إلى هذا وأثار الطريق لمن بعده وترك خلفائه .

فذهبوا بقافلة كبيرة، ووصلوا سالمين ورجعوا من الحج غانمين، وبهذا استطاعوا إحياء تلك الفريضة. (١)

إحياء سنة زواج الأرمال:

من العادات السيئة التي تسربت إلى المسلمين لمعايشتهم الهنادكة، الحذر من نكاح الأرمال واستقباحه، وكان المجتمع لم يكن يتحمل نكاحهن ويعتبره مسبة وعارا، وخوفا من تلك الوصمة والعار كانت النساء يجتنبن النكاح الثاني أشد الاجتناب مع حاجتهن الشديدة إليه، ولم يكن الشاه لي شاهد هذه البدعة السيئة ويسكت عليها فقد نبه الناس عليها ومنع من هذه العادة القبيحة ودعاهم إلى نكاحهن، ولكن لانتها سنة بعد موتها وتمكنها في جذور القلوب بمجرد المواعظ والدعوة والإرشاد، بل لم تكن تخف شناعتها إلا بالإقدام عليه عمليا من شخص مسموع الصوت مرهوب الجانب يقدر قدره وتمثل أوامره وتطمح إليه الانتظار ويشار إليه بالبنان.

فاختار الله الأمير السيد أحمد أن يحيى هذه السنة في "راي بريلي" * فتزوج من زوجة أخيه المتوفى بعد محاولة شديدة في إرضاءها وإرضاء أسرته لهذا الزواج (٢)

أما في دهلي فلم تكن أسرة أعظم قدرا وأنوه شأننا وأكثر اتباعا من أسرة ولي الله الدهلوي فأصبح الشاه ينكر ويشنع على هذه العادة السيئة في خطبه، ومؤلفاته، ولم يكتف بهذا بل تجرأ على أن يطبقها في بيته وأقنع أخته البالغة من العمر خمسين سنة للزواج، فزوجها بالشيخ عبد الحي، صهر الشاه عبد العزيز وزميله في الدعوة، وهي في الحقيقة لم تكن في حاجة إلى نكاح ولكن حب إحياء السنة دفعه إلى تزويجها فأنكر الناس والمجتمع هذا لنكاح وهجاه الشعراء في أشعار بذية يقول الكاتب الشهير مهر: "فان الحياء والغيرة تمنعان أن أورد نموذجاً من تلك الأبيات لفحشها وبذاءتها". (٣)

(١) انظر سيد أحمد شهيد ص: ١٧٥

* - مدينة تبعد من لكهنؤ ثمانين وأربعين ميلا في جهة الشرق انظر "معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة

الخواطر ص: ٢٩

(٢) سيرت سيد أحمد شهيد ١/ ٢٤٧

(٣) سيد أحمد شهيد ١٤٧

وذكر فصلا في كتابه باسم "رد بدعات الرسوم" بين فيه غالب الرسوم البدعية المنتشرة في المجتمع وعد منها "امتناع النساء من النكاح الثاني" وحث على إحياء هذه السنة وأورد فيها أدلة من السنة وسير الصحابييات رضي الله عنهن. (١)

ويظهر من جميع التفاصيل التي قدمنا أن دعوته وجهوده قد أثرت على المجتمع أثرا بالغا وتركت آثارها مدة مديدة، وقد حث الناس على حب التوحيد والتمسك بالسنة ولذا عرفوا أتباعه فيما بعد بالتمسك بالسنة، فعاد إلى الإسلام رونقه وبهاءه واهتدى كثير من الناس، وانتشر التوحيد ورجع الناس إلى الكتاب والسنة من جديد وتركوا تقاليد الرجال والآباء والأجداد وقامت حلقات المحدثين ومدارسهم وكسدت أسواق الشرك والبدع، ولاتعد السنن التي أحباها والبدع التي أماتها وقضى حياته كلها في الدعوة إلى الله وإلى الدين الخالص. (٢)

(١) انظر "رد الاشراك" وشرحه "تذكير الاخوان" ص: ١١٨

(٢) تاريخ أهل حديث ص: ٤٢٠

المبحث السادس : عقبات في طريق دعوته

فصلت القول فيما تقدم عن الإسلام وأهله في الهند بأنه كان خليطاً مركباً من التصوف الهندي في العقائد والأعمال، والعلماء لم يكونوا يرون الإسلام غير الفقه الحنفي المأخوذ من كتب المتأخرين، ولا يدرس الكتاب والسنة إلا للتبرك أو لإبرار القسم، وأول من كسر هذا الجمود وخرج على هذه العادة ودعا إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة هو الشاه ولي الله الدهلوي وأبناءه وعلى رأسهم الشاه إسماعيل.

فلم يرض به المتصوفة المنحرفون، ولا المبتدعة المتعصبون لبدعهم ولا المقلدون الجامدون الذين لا يرون الكتاب والسنة شيئاً إزاء قول من يقلدونه ولا سدة القبور الأكلين أموال الناس بالباطل فشمروا عن ساق الجذ لمخالفته ومعاندته ورميه بكل اتهام يخلو لهم، وبكل طعن تستعذبه أذهانهم، وبكل طامة يخيل إليهم شيطانهم بأنها تنفر الناس عن دعوته وتبعدهم، وليس بمستغرب فانه ديدن كل ضال ومضل قديماً وحديثاً فكيف ينجو منه علماء الحق ودعائه ولم ينجو منه الأنبياء والرسل فهي سنة الله في عباده ﴿و كذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ (١)

فقد اتهم هو بأنواع التهم واتهم أتباعه بالوهابية لتشابههم معهم في الدعوة لتطهير المجتمع الإسلامي من البدع والخرافات (٢)

مدلول كلمة "الوهابي":

تعود أهل البدع في كل مكان بوصم القائمين بالسنة "بالوهابية" بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكلمة "الوهابية" تحمل في طياتها بحراً زخاراً من المعاني، فإنها تعني أن صاحبه أكفر إنسان في وجه الأرض، وأساء الناس خلقاً، وأبغض الناس للأنبياء والأولياء والشهداء والأئمة، لا يعرف احترام الكتاب والسنة، ولا يكرم علماء الدين ولا يؤمن بالله ورسوله بل هو زنديق ملحد أخبث من الكفار، يحرم دخوله المساجد، وتحرم كل معاملة معه من البيع

(١) سورة الأنعام / ١١٢

(٢) انظر نزهة الخواطر ٧ / ٣١ وكفاح المسلمين في تحرير الهند ٣١

والشراء والنكاح ونحوها، وقتله حسنة كبيرة، وعمل صالح فكل معني من معاني الخبث والشر انطوى تحت مدلول كلمة "الوهابي" (١)

ومن جراء هذه الكلمة التي يوصم بها أهل السنة، قامت ضد الشاه إسماعيل وأصحابه المجاهدين، القبائل الأفغانية تنافقهم بل تقاتلهم، فلم يجدوا راحة برهة من الزمن، في أراضيها، وكانوا في حروب طاحنة مع الشيخ الكفرة الظلمة أصحاب الشوكة والسلطة من جانب، ومن جانب آخر كانوا في ضيق وحرَج وخداع دائم ونفاق مستمر من جهة هؤلاء الأفغان، ولم يتعذ المجاهدون أراضيهم ملجأ، وثكنة لهم، ومركزا لبداية الجهاد، إلا لثقتهم فيهم، يرجون منهم التعاون على الخير، ولكنهم كانوا يتولون الكفار والشيخ، وينافقون المجاهدين و يكرهونهم، وإذا وجدوا فرصة انحازوا إلى الكفار ولم يألوا جهدا في إضرار المجاهدين، حتى تمالتوا يوما بعد ما أخذ المجاهدون مقاليد الحكم وأجروا الأحكام الشرعية وطبقوا الشريعة، ووضعوا السيف فيهم، وقتلوه قتلًا ذريعا يندى له حبين المروءة والإنسانية، هدموا عليهم المساجد عندما لجئوا إليها و" قد قتل الحاج بهادر شاه خان في الصلاة ساجدا (٢)

وقد اتهم الشاه وأتباعه بمذهب الخوارج والاعتزال (٣) والرفض (٤) ولا يحصى عدد الذين كفروه وأخرجوه من الملة وكفروا كل من يقرأ كتابه "تقوية الإيمان" أو يملكه (٥) وإن قراءة تقوية الإيمان أشد حرمة من الزنى وشرب الخمر (٦)

" وجميع الاتهامات الباطلة و الافتراءات الكاذبة والقبائح المزعومة التي أعدت في قرون لأهل نجد نقلت برمتها إلى الشاه إسماعيل وأتباعه " (٧)

(١) انظر دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٥) والبريلوية ص: ١٨١

(٢) انظر "سرگزشت مجاهدين" ٤٤٣-٤٤٨ و " اذا هبت ريح الإيمان" ١٦٨-١٧٤

(٣) تاريخ أهل حديث : ٤٢٠

(٤) كما قال به عبيد الله سندي من كبار الديوبنديين : إن العوام قد عُلِّموا وأرسخ في أذهانهم بأن من دعا إلى ترك الفقه الحنفي والتصوف الهندي فهو شيعي ولذلك كانوا يبنزون لكل من دعا إليه بأنه

رافضي صغير" انظر كتابه "شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك" ص/٩٧

(٥) انظر مطرق الحديد ... ص: ٧٢ والبريلوية : ١٦١

(٦) البريلوية ص: ١٦٨

(٧) انظر "سرگزشت مجاهدين" : ٤٣٢

ويقول العالم الحنفي الديوبندي " ولا أحد طعن وشتّم وسب مثل ما طعن وشتّم الشاه إسماعيل، بل لو جمعت نسخة من كل كتاب كفر فيه ورمي بالفسق والعداوة لله ورسوله لأصبحت مكتبة ضخمة (١)

يقول الندوي: ... إضافة إلى فضائله الكريمة وشيمه الحميدة، استشهاده مسلّم، ومغفرة الشهداء مسلّمة، ولكن لم تطلع شمس من ٢٤ / ذي قعدة ١٢٤٦ هـ إلى يومنا هذا ما يقارب مدة مائة وست وثلاثين سنة (١٣٦) إلا وصدرت فتاوى في تضليله وتكفيره، واستخدم في حقه كل صيغة من صيغ اللعن والطعن والسب والشتّم والفحش، ولم يهمل دليل من أدلة الفقه إلا وقد استدل به في تكفيره، وجعل أعدى أعدى للدين من أبي جهل وأبي لهب، وأشدّ مروقا من الدين من مروق المرتدين والخوارج، وأحقّ بالنار من فرعون وهامان، كما اتهم بأنه مؤسس الكفر والضلالة، وطعن بأنه تلميذ للشيخ النجدي ومقلده، تفوه بهذه الألقاب أولئك الذين لم تشك شوكة في أجسامهم الناعمة، ولم يصب أقدامهم شص في سبيل الله، ولم تقطر منهم قطرة عرق في خدمة الإسلام، فضلا عن قطرة دم، ونطق بها أناس في الشخص الذي قد ضحى بحياته في حماية كرامة أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم، وأعراضهن ... (٢).

(١) انظر مجلة "الفرقان الشهرية" - مايو- ص: ١٧١ - ١٩٨٩م

(٢) سيرة سيد أحمد شهيد ٤٥٢ / ٢

الفصل الخامس: جهاده بالسيف

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف

المبحث الثاني: الهجرة لإقامة الجهاد

المبحث الثالث: جهود الشاه في إقامة أمير شرعي للجهاد

المبحث الرابع: استشهاد المجاهدين

تمهيد

الحرب بين الحق والباطل وبين الإسلام وأهله والكفر وأهله قائمة منذ أرسل الله عز وجل نوحا عليه السلام، ولم يأت نبي ولا رسول إلا وقد وجد له أعداء يخالفونه ويعارضونه كما قال الله ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (١)

وكل من قام بالدعوة إلى الله وأبطل الشرك والبدع ودعا إلى نبذ العادات الجاهلية والتقاليد الفاسدة، جوبه من أهله بحرب شعواء ضده يناضلونه بالسان والسنان ولذلك شرع الجهاد في سبيل الله وجعل فيه مثوبة كثيرة وله منزلة عظيمة، فإنه فريضة فرضها الله على المسلمين إلى يوم القيامة. دفاعا عن دينهم وإيمانهم وحفاظا على عقيدتهم وأراضيهم وحماية لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

المبحث الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف

واعترضات المعاندين عليه

المطلب الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف

كان المسلمون في الهند يمرون بأحرج أدوار التاريخ وأظلمها، فمن الناحية السياسية دب الخلاف بين الأسرة الحاكمة لأجل السلطة وضعف الملك فاستقل الأمراء بما في أيديهم من الولايات، فانهارت دولة المسلمين وقوتهم واستولى الإنجليز الكفار على مناطق واسعة وسيطر الشيخ الظلمة الكفار على بنجاب وكشمير إلى حدود أفغانستان، وهي مناطق المسلمين فأذاقوهم أشد أنواع العذاب، ولم يكن من أمراء القطاعات من يتحرك لنصرتهم ويقوم لإغاثنهم (١) فلما رأى ذلك الشاه عبد العزيز أفتى بوجوب الجهاد، فتكونت بإرشاده وتعليماته أول حركة جهادية في تاريخ الهند قادها العالمان الجليلان الإمام السيد أحمد والعلامة الشيخ الشاه محمد إسماعيل الشهيد بن عبد الغني بن الشاه ولي الله الدهلوي رحمهم الله (٢)

وخالفت جماعات دعوتهم وجهادهم واتهموهم بعدة تهم منها محاولة تشويه صورة الجهاد الذي قام به الإمامان، وقد أجاب الشاه رحمه الله عن جميع تلك الشبهات في مكاتباته.

ومما اتهم الشاه إسماعيل وأصحابه بأنهم كانوا يقصدون غزو الشيخ فقط دون الاستعمار الإنجليزي، وهذا كذب بحت يدل عليه كتاب أميرهم إلى ملك بخارا، وفيه: إذا استولى الكفار على البلاد الإسلامية يجب على المسلمين عموماً وعلى مشاهير الحكام خصوصاً أن يبذلوا قصارى جهدهم لاسترداد تلك البلاد الإسلامية من أيديهم وإلا يآثم المسلمون جميعاً. (٣)

ولا شك أن الشاه وأميره السيد أحمد والمجاهدون قاموا بأمر عظيم مع قلة الوسائل وكثرة المشاكل والأعداء، بعد ما رأوا أن الجهاد قد فرض عليهم ولم يكن يرجى من أحد من الأمراء والرؤساء والمشايخ من يقوم به، فمن يرضى أن يترك عيشاً رغيداً، وفراشاً وثيراً، وأهلاً ودوداً، وأولاداً عزيزة، يواجه الأعداء المسيطرين على أراضي شاسعة الممتلكين جيوشاً جارية وأسلحة هائلة، لا شك أنه الإيمان العميق بالله عز وجل وحب الجهاد المتمكن في أعماق قلوبهم دفعهم

(١) انظر التفاصيل من: ٣٢

(٢) الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله حياته ودعوته ص: ٢٧١

(٣) مجموعة مكاتيب شاه إسماعيل مخطوط ص/ ٥٥ نقلاً من سيد أحمد شهيد ٢٣٩

إلى هذه المهمة العظمى، ولم يقدموا على هذه المسئولية العظيمة والفرض الباهظ إلا إبراء لذمتهم وإقامة للحجة، واستعدوا للهجرة والجهاد حبا لكتاب الله وسنة رسوله ورغبة في نشر دينه وإعلاء كلمته وتحملوا في سبيله هموما وغموما لو صبت على الأيام لصرن لياليا، فعاشوا حياة الفقر والبؤس والجوع بين نفاق المسلمين وخداعهم وبين ضراوة الكفار وعداوتهم حتى استشهد كثير منهم في معركة بالاكوت، ولم ينج منها إلا نزر يسير، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

المطلب الثاني: جهود الشاه في دحض الشبهات حول دعوة الجهاد وتعيين الأمير

وقد أوردوا شبهات عديدة في حياة قادة هذه الحركة وبعد موتهم .
منها: أن الجهاد فرض كفاية إذا قامت به طائفة يسقط عن الباقيين، وكانت هذه حيلة تشبثوا به لهُوى في نفوسهم وإلا لم تكن هناك جماعة ولا قوة تدافع عن الدين والمسلمين بل كانت البلاد الإسلامية تتساقط في أيدي المستعمرين واحدة تلو الأخرى، فكيف تحذل هؤلاء وعددهم قليل وعدتهم يسيرة أمام أعداء كثر أصحاب شوكة وقوة.
ولما وصلت هذه الشبهات والاعتراضات إلى الشاه إسماعيل دحضها في كتاب طويل من أرض الجهاد وكان مشغولا في المعارك ومما قال فيه:

"فطلبتني أن أجيب عن جميع هذه الشبهات ولاشك أن التأليف في مثل هذه القضايا قسم من الجهاد ولكن هذا الضعيف وجميع الحاضرين في هذا المكان مشغولون في أسر لا مجال فيه للخطبة والتأليف فحالنا مثل الرجل المشغول في صلاته فان تعليم مسائل الصلاة واجب ولكن اشتغاله بالصلاة يمنعه عنه، فمن رأى حال المجاهدين أيقن بأن مسلكتهم ليس "قيل وقال وبحث وجدال" فطريق الأول طريق العلماء(١) وطريق الثاني طريق المجاهدين، شتان بينهما، ولكن أوجز لك بعض المسائل.

- ١- لاشك في انعقاد بيعة أمير المؤمنين من جهة الحديث والكلام والفقه.
- ٢- فما ينسب إلى الأمير والمجاهدين من القبائح ليس فيها شيء من الصدق.
- ٣- ما يتهم به المجاهدون باطل، وعلى تقدير تسليمه فلا تقدح في إمامة إمام، عيوب أتباعه، كما أن فساد أفراد الأمة لا يضر نبوة نبي.

(١) لاشك هذا ليس على عموم بل علماء عصره الذين كانوا معاندين له .

٤- وما يوجه إلى الأمير من الطعن فلا يقدر في ثبوت إمامته لأن ثبوت مراتب الولاية ليست من شروط الإمامة حتى الفسق والظلم لا يكون سببا في زوال الإمامة بعد ثبوتها. أولا: إن ما ذكرت أن القوة مثل قوة الكفار مطلوبة للقتال فهذا ممنوع بل المطلوب السعي في تحصيل معنى الشوكة حسب الاستطاعة سواء حصلت شوكة مماثلة بالكفار أم لم تحصل، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١) ولم يأمر "وأعدوا لهم مثل ما أعدوا لكم".

ثانيا: أنه لا يعني بالشوكة أن تودع في جسم الإمام قوة غيبية غير طبيعية يشتمل بها دولة الأعداء متى ما أراد ويهزم جميع الجيوش والعساكر وحده، بل معناه أن يجتمع معه جماعة من المناصرين والمؤيدين يستطيع بهم مدافعة المخالفين بالعقل الظاهر.....

ثالثا: أنه لا يقصد بالمماثلة في الشوكة، شوكة جميع المخالفين من الكفرة في الشرق والغرب وإلا لاثبت إمامة أحد من السابقين واللاحقين، بل المطلوب شوكة مماثلة بالكفار الذين هم في المواجهة بالفعل.

رابعا: سلمنا أن حصول الشوكة العظيمة مطلوب لإقامة الجهاد ولكن السؤال عن طريق حصول الشوكة؟ أتحصل الشوكة بأن يظهر شخص من بطن أمه مع الجنود والعساكر وجميع آلات الحرب أو بمجرد قصده الجهاد يهيا له من الغيب جميع الجنود والعساكر وآلات الحرب، هذا لم يقع ولن يقع، بل طريقته أن يسعى المسلمون سعيا حثيثا لحصول الشوكة لإمامهم ووجوب هذا كوجوب نصب الإمام، والمداينة فيه معصية.

ويكتب في آخر هذه الرسالة بحزن عميق على أحوال المسلمين ومعاملتهم بهم "سبحان الله أهذا هو حق الإسلام بأن يرى استأصال ركنه الأعظم، والشخص الذي جاش صدره له حمية للدين وغيره عليه مع ضعفه وعجزه أن يتخذ هدفا للطعن واللوم أهؤلاء القوم من النصارى، أو من اليهود، أو من المجوس أو من الهنادكة فيعادوا الملة المحمدية بل كان من مقتضى المحمدية أن تفتح قلوب المسلمين مثل الزهرة بمجرد سماع اسم الجهاد، مثل السلف الصالحين الذين إذا قرع آذانهم نداء الجهاد من الأراضي النائية كانوا يلبونه مسرعين غير متأنين في الصحراء والجبال بل

كانوا يطهرون إليه مثل الصقور ولكن الأسف قد انحطت درجة الجهاد مع عظم شأنه من تعلم
وتعليم مسائل الحيض والنفاس" (١)

(١) مجموعة مكاتيب شاه إسماعيل مخطوط بالفارسية ص: ٧٤-٧٨

المبحث الثاني: الهجرة لإقامة الجهاد

المطلب الأول : الهجرة

بعد عزمهم على الجهاد بالسيف، فلم يروا مأوى جديرا لهذه الفريضة إلا مناطق القبائل الحرة القاطنة على الحدود بين بنجاب وبين أفغانستان، لأن الهند كانت بأيدي الكفار أو بأيدي الاستعمار البريطاني، وأما أمراء المسلمين ونوابهم وإن كانوا يتمتعون بنوع من الحرية ولكن كانوا ألوية في أيدي الاستعمار لا يتحرك ساكن في سلطتهم إلا بإذنهم.

وهذه المنطقة لم تخضع في تاريخها لأحد، وقد عجز الاستعمار البريطاني أن يقهرها بعد بذل كل ما يملك من عدد وعدة، وكانت طبيعتها الجغرافية تلائم لعمليات القتال، لكثرة مافيها من الجبال والهضاب والوديان والأنهار والأشجار.

وكان أهلها مسلمين معروفين بالفروسية والبطولة والبسالة وبحب القتال والغزو وكان لهم تاريخ مجيد في الهند.

فاقترح بعض أهالي تلك المنطقة الهجرة إليها واتخاذها مركزا للجهاد فقبل ذلك الاقتراح وخرجوا من بلادهم مهاجرين يوم الاثنين ٧/ جمادي الآخرة ١٢٤١هـ الموافق ١٧/يناير ١٨٢٦م تاركين أهلهم وعيالهم وأوطانهم وكانت هذه أول قافلة تحت إمارة السيد أحمد، مكونة من خمسمائة إلى ستمائة مجاهد من كبار العلماء والوجهاء والصلحاء، فلما وزع الجيش في جماعات كان الشاه إسماعيل في المقدمة يقودها. (١)

المطلب الثاني: مشاكل الهجرة

سلكوا طريق السند وبلوچستان مجاوزين ممر " بولان" * ليدخلوا أفغانستان مارين بقندهار وغزني وكابل ومن ثم يعودوا عن طريق جلال آباد إلى الحدود الشمالية الغربية، وقد قطعوا في هذا السفر الشاق المضني ما يقارب أربعة آلاف كيلومتر. (٢)

وقد تحملوا في ذلك مشاكل ومصاعب كثيرة عرضت لهم الصحارى القاحلة الشاسعة، وطرق جبلية وعرة، وأودية ملتوية، وجبال شاهقة ملساء، وغابات مهلكة، مع قلة الزاد والماء،

(١) انظر سيد أحمد شهيد ص: ٢٧٥

* - ممر في بلوچستان غربي باكستان، طوله ٩٦ كم، مجاز تاريخي للفاتحين في حملاتهم على الهند.

(٢) الشاه ولي الله الدهولي حياته ودعوته ص: ٢٢٨

وشدة الحر اللافتح، والشمس المحرقة، وواجهوا في هذا السفر المتواصل المضني قطاع الطرق وأقواما عديدة في لغات غريبة، وقطعوا مسافة السفر في جو من المخاوف والمخاطر ومع ذلك لم تُثبَط هؤلاء المؤمنين الصادقين والمجاهدين الربانيين الماشين على أقدامهم، ونزر يسير منهم كان يملك ما يركبه، فقطعوا مسافة السفر صابرين محتسين مؤثرين على أنفسهم غيرهم من المجاهدين وقد ضربوا في ذلك أروع الأمثلة يقل وجودها في تاريخ الهند.

واستغرق هذا السفر حوالي عشرة أشهر حتى وضعوا عصاهم في بشاور عاصمة الحدود الشمالية الغربية، ثم نزلوا في نوشهرة في ١٨ / جمادى الآخرة ١٢٤٤هـ (١٨ / ديسمبر ١٨٢٦م) وكان عددهم ألف وخمسمائة مجاهد.

المبحث الثالث : جهود الشاه في إقامة أمير شرعي

للجهاد

المطلب الأول: أحوال سرحد وأفغانستان

لقد كان أهل هذه المنطقة مع شهرتهم في الشجاعة والفروسية وحبهم للإسلام الموروث والمسلمين، متميزين ومتفرقين فيما بينهم أشد ما يكون هذا التفرق .

ولم تكن هناك دولة ولاسلطان قوي بل كلهم كانوا متفرقين في القبائل والعشائر ولم يكن يحكمهم إلا رئيس القبيلة وتنشب الحروب الدامية فيما بينهم لأتفه سبب ولأدنى خلاف وكانوا يقاتلون بضراوة شديدة في نصره قبيلتهم ضد الأخرى كأنهم ليسوا مسلمين ويستبيحون دماء وأموال وأعراض بعضهم بعضا، ولم تكن تطلع شمس في يوم إلا وتقوم فيه حرب جديدة.

ولما وصل المجاهدون واجهوا هذه المشكلة فسعوا سعيا حثيثا بكل جد وإخلاص في جمع كلمتهم ورفع خلافاتهم وإصلاح البين فيما بينهم ولكن لم يكتب لهم النجاح، وأصبح بعض الرؤساء أعداء لهم بعد ما استضافوهم ورحبوا بهم ووعدوا بنصرتهم ومساعدتهم بالأموال والأسلحة والأنفس، لأن المجاهدين لم يتركزوا في أرضهم ولم يتخذوها منطلق الدعوة والجهاد. ولا يغيب عن البال أن القبائل الأفغانية ورؤساء هم لم يكونوا يرغبون في دعوة المجاهدين وجهادهم بل كان همهم الأكبر والأهم المصالح الدنيوية الدنية والأغراض السياسية، فإذا رأوا في الجهاد مع المجاهدين تحقيق مصالحهم، جعلوا أنفسهم في صف المجاهدين واشتركوا معهم في الجهاد والقتال، وينتشعون كالسحب أمام الشمس بأدنى سبب يخوفهم ويهدد مصالحهم، بل كانوا ينافقون المجاهدين ويخدلونهم في أخرج المواقع بمؤامرة مع الأعداء والكفرة، والكفار كانوا يدركون طبيعتهم وحقيقتهم فيسترضونهم بأتفه مال على قتل المسلمين وخذاعهم.

ووقعت معارك ضارية بين المجاهدين وغيرهم، يبلغ عدد المعارك التي خاض فيها الشاه ضد السيخ وضد رؤساء الأفغان (ثلاث عشرة معركة) وقد أبلت فيها الشاه بلاء حسنا، و مثل المجاهدون أروع أمثلة من الصبر والجلد والإيثار وحب الشهادة، وتحملوا مصاعب عظيمة. رحمهم الله .

المطلب الثاني: جهوده في أخذ البيعة للجهاد

في أول معركة وقعت (١٢٤٢ هـ - ١٨٢٦ م) رأى المجاهدون أن من اشترك معهم من الأفغان لا يعرف طاعة الأمير ولا آداب الجهاد ولا يهمهم إلا المال ويتركون ساحة القتال لأدنى انتصار ينهبون الغنائم، فحاولوا جمعهم تحت قيادة واحدة وفكروا في أخذ البيعة للجهاد من العلماء والمشايخ والأمراء وغيرهم التي تربطهم بالطاعة والوفاء وتستثير غيبتهم الإيمانية، ولقد كان للشاه دور مهم في الدعوة إلى هذه البيعة وإقناع العلماء والأمراء وغيرهم لهذه البيعة، فلم يكن في المجاهدين وغيرهم أعلم منه للقضايا الشرعية والمسائل الفقهية وقد انعقدت مجالس لبحث موضوع الإمامة، فكان الشاه ينوب عن المجاهدين في هذه المجالس والمناقشات، وبجهوده رضوا على نصب أمير للجهاد، فأمر السيد أحمد لأن أكثر الأفغان وعلماءهم لم يكونوا يرضون بغيره (١)

فتم مبايعة السيد بإمارة الجهاد يوم الخميس ١٢ / جمادى الآخرة ١٢٤٢ هـ الموافق ١١ / يناير ١٨٢٧ م واليوم الثاني قرئ اسمه في خطبة الجمعة، ويرجع الفضل في جميع هذه الأمور بعد الله عز وجل إلى الشاه إسماعيل رحمه الله (٢).

أخذ البيعة الشرعية وإقامة الشريعة الإسلامية:

خاض المجاهدون مع السيخ الكفار حروبا مريرة وكان الفوز يحالف المجاهدين فيها فأصبح بعض رؤساء الأفغان يحسدونهم ويكرهونهم فأدت تلك الخلافات إلى حروب أيضا، ولم تكن هجرة المجاهدين إلى هذه المناطق إلا لثقتهم في أهلها وحسن ظنهم فيهم ولكن سرعان ما انكشف لهم بأن أهلها اتخذوا العادات والتقاليد والرسوم الجاهلية شريعة يتبعونها إزاء الشريعة الإسلامية، وأنهم متمزقون في القبائل والعشائر متناحرون فيما بينهم فلما رأى السيد والشاه هذه الأحوال عزموا على أن يلزمهم أولا بالشريعة فأرسلت رسائل الدعوة إلى العلماء والمشايخ والرؤساء وكبار القوم، فاجتمع عدد كثير منهم يوم الجمعة في مستهل شهر شعبان (١٢٤٤ هـ) الموافق (٦ / فبراير ١٨٢٩ م). خاطبهم السيد أحمد أولا، ثم خاطب الشاه إسماعيل وبين فيه أحكام الشريعة وأهميتها وأهمية الجهاد ونصب الإمارة له، وأن عون الله ونصره لا ينزل إلا إذا

(١) سيد أحمد شهيد ص: ٣٥٣

(٢) المصدر السابق ص: ٣٥٦

أقيمت شريعته في حياة الفرد والمجتمع وأزال الشاه الشبهات التي وجهت إليه، ووافق العلماء على ذلك واعترفوا بتقصيرهم إزاء هذه الفريضة فبايعه عدد كبير منهم .

وصارح السيد بأمير "بنجتار" الذي دعا السيد ليسكن فيها وكان من كبار المناصرين له في هذا الموضع بأنه لا يقيم في منطقته إلا إذا تعاهد بلزوم الشريعة وإقامتها في نفسه وفي حدود أمارته وبالتخلي من كل ما يخالف الشريعة من التقاليد والعادات وبرد المظالم إلى أهلها، فقبل دعوته.

ثم انعقد اجتماع آخر في بنجتار يوم الجمعة ١٥/شعبان ١٢٤٤هـ الموافق (٢٠ فبراير ١٨٢٩م) جمع فيه رئيسها أهل قبيلته ورغبتهم في قبول البيعة الشرعية.

وانهمك السيد والشاه وغيرهم من المجاهدين بعد هذه البيعة ينشرون علم الكتاب والسنة ويعلمون أحكام الشرع وأقاموا دولة إسلامية ونفذوا النظام القضائي الشرعي وولي العالم الأفغاني محمد حبان (١) رئاسة القضاء وعينوا في كل قرية قاض ومفت ومحتسب وجاب يجمع العشر والزكاة، وكان الشاه إسماعيل يكتب الرسائل بأمر السيد إلى الأمراء والوجهاء والعلماء في أنحاء الهند وأفغانستان وتركستان، وغيرها من البلاد المجاورة يذكرهم بفريضة الجهاد الشرعي ويدعوهم إلى إقامته.

قضى المجاهدون على جميع العادات ونشروا مكانها أحكام الشرع ودعوا الناس إلى نبذ المعاصي والفسوق والظلم والجور وترك العقائد الفاسدة والمعاملات الشنيعة، وألزمهم بالحياة تحت ظل الإسلام.

وكان لهذا النظام الإسلامي ثمرات طيبة استراح الناس تحت ظله وتنعموا بحياة إسلامية كريمة، فقل الظلم والفسق وانتشر الأمن والأمان وعمرت المساجد وخربت دور اللهو واللعب حتى لم يكن يوجد تارك للصلاة في القرى، وفرض قاضي القضاة غرامات وتعزيرات على تاركي الفرائض ومرتكبي المعاصي، فزالت المنكرات الكثيرة (٢) ولكن للأسف لم يقدر المسلمون المجاهدين ولا جهودهم بل لم يكن حالهم أكثر من الذين آمنت ألسنتهم وكفرت قلوبهم، فأطفئوا النور الذي تنورت به المناطق بعد قرون، وقد قمع الأفغان هذه الدعوة لسوء فهمهم وحرصهم على الباطل وتشبهتهم بالأعراف الجاهلية والعقائد الفاسدة، وانغماسهم في الشهوات الدنيئة فما صنع المجاهدون ببذل دمائهم في أربع سنوات قضى عليها الأفغان في ليالي عديدة.

(١) انظر ترجمته في "جماعت مجاهدين" ص: ١٤٨

(٢) سيد أحمد شهيد ص: ٥٧٥

المبحث الرابع: مكيدة خطيرة ضد المجاهدين

المطلب الأول: مكيدة خطيرة

ولقد شق على الأمراء الغارقين في شهوات البطون والفروج والعوام المتشبهين بالعوادات والتقاليد المتخذين مشايخهم المحترفين، أربابا من دون الله، المحافظة على الصلوات وأداء الزكاة والعشر وترك الرسوم الفاسدة، وظنوا هذه الدعوة، خارجة عن الإسلام وأنهم يدعون إلى دين جديد، ورأوا في تطبيق الشريعة حرجا وضيقا يمنهم من التصرفات المطلقة ويقضي على جميع عاداتهم الفاسدة التي ورثوها من أبا عن جد(١)

وكان "الدرانيون" الذين كان لهم نفوذ في هذه المنطقة يعتبرون المجاهدين قوة تزاحمهم في السلطة، واستنقل العلماء النظام الإسلامي الذي أقامه المجاهدون لأنه ضيق عليهم موارد الأموال الضخمة التي كانوا يأكلونها بالباطل، فقاموا بالكفر والتفسيق و نشر السوء.

وشق على عوام الأفغان الغارقين في العصبية القبلية وتعظيم الأمراء والرؤساء، حكم المجاهدين، بالتكيد بالمفسدين والبغاة من رؤساء القبائل وأمراء العشائر، الذي لم يكن يخطر على بالهم، وكانوا يزعمون أن المجاهدين جاءوا بمذهب جديد لا يؤمنون على إمام ولا يقلدونه بل يتبعون الأهواء لما كانوا يرونهم يعملون على ما صح من الحديث وعلى رأسهم الشاه محمد إسماعيل رحمه الله.

هذه العوامل فعلت فعلها وظل الأفغان يتدمرون منهم والتقى العلماء والمشايخ والأمراء والرؤساء والعوام كلهم على مطلب وهو التخلص من المجاهدين ونظامهم(٢)

وكان في كل قرية وموضع بين "بشاور" و "مردان" قاض، ومحتسب، وجاب للعشر وعامل على الصدقات، وجماعة من المجاهدين لتنفيذ الأحكام الشرعية. فدبر رؤساء الأفغان وعوامهم مؤامرة رهيبة واسعة وتواعدوا فيما بينهم على قتل المجاهدين في يوم مؤقت في جميع المناطق، رحمهم الله فلم يكونوا يعرفون ما يكاد لهم بل كانوا مشغولين في إعلاء كلمة الله ليلا ونهارا.

(١) المصدر السابق ص: ٦٦٩ وإذا هبت ريح الإيمان ص: ١٦٤

(٢) هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٢٧

نفذت المؤامرة وكان أول ضحاياها العالم الرباني الشيخ مظهر على "عظيم آبادي" (١) نائب الأمير في "بشاور" والقاضي فيها وأصبح المهاجرون المنتشرون في البلاد والقرى محاطين بأهل البلاد الأصليين، وهذفا لهمجية نادرة وضراوة ووحشية، وصار أبناء البلاد يقتنصونهم اقتناص الصيادين المهرة لظباء وادعة أونعاج ضعيفة وصاروا يتخطفونهم بالسيوف والأسنة ويرشقونهم بالرصاص ويذبحونهم في كثير من المواضع ذبح النعاج في أيام الأضاحي ولجأ كثير منهم إلى المساجد فحوصروا حصارا شديدا فأرادوا هدم المساجد وإحراقها عليهم فاضطروا إلى الخروج وقتلوا قتالا شديدا حتى قتلوا عن بكرة أبيهم وقد قتل بهادر شاه خان الرامفوري في الصلاة ساجدا في الركعة الأولى وهو يوم المصلين في المسجد (٢).

وقتل عدد كثير من المجاهدين لم ينج منهم إلا قليل ومنهم من قتل في الصلاة ومنهم من قتل وهو يتوضأ للصلاة ومنهم من قتل مقاتلا، ومنهم من قتل غرة وغيلة. وبلغت الشقاوة أوجها عندما داسوا حثث الشهداء بالخيول مخاطبين لهم : قوموا وادعوا إلى الصلوة واطلبوا العشر. (٣)

المطلب الثاني: استشهادهم

أثر حادث هذه المجزرة الهائلة في نفوس المجاهدين تأثيرا بليغا حتى كره المجاهدون البقاء فيهم واشتأزت نفوسهم أن يروا وجوه الذين لم يراعوا فيهم إلا ولاذمة، وقد عاملوهم معاملة أسوأ من الكفار والمنافقين، فعزموا على الهجرة من تلك البلاد التي جازؤا إليها مهاجرين من أوطانهم الأصلية احتسابا للأجر عند الله عز وجل يرجون في أهلها الخير والنصر لدين الله عز وجل. (٤) فأرادوا الهجرة من تلك المنطقة إلى كشمير لإصرار أهلها على طلب العون من المجاهدين ولشدة حاجة أهلها إلى نصرتهم، ولم يرض رؤساء القبائل أن يمر جيش المجاهدين من مناطقهم خوفا على نفوسهم فاضطروا إلى أن يختاروا طريقا غير معبد في الجبال والثلوج والغابات، فلما وصلوا "بالاكوت" بدأ موسم الثلوج ولم يكن يمكن فيه الجهاد.

(١) انظر ترجمته في "سركزشت مجاهدين" ص: ١٦١

(٢) اذا هبت ربيع الإيمان باختصار ص: ١٧١

(٣) منظورة السعداء ... ص: ١٠٠٣ نقلا من سيد أحمد شهيد ص: ٦٩٦

(٤) سيد أحمد شهيد ص: ٦٩٧

وكان العدو الشيخ مذعورا من المجاهدين يتابع أخبارهم ولما علم حاكم الشيخ وصولهم إلى "بالاكوت" أرسل تحت قيادة ابنه جيشا عظيما كان قوامه ثلاثين ألف مقاتل مدعمين من جميع الأسلحة فنشبت بين الفريقين معركة دامية في قرية "بالاكوت" بوادي "كاغان" يوم الجمعة ٢٤ / ذي القعدة ١٢٤٦ هـ الموافق (٦/ مايو ١٨٣١ م) واستشهد فيه الإمامان السيد أحمد بن عرفان والشيخ الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني مع رفقة صالحة من المجاهدين بعد ما قاتلوا قتالا شديدا، مثلوا فيه أمثلة نادرة من الشجاعة والتفاني في سبيل الله جزاهم الله خير الجزاء.

يقول الترهتي في ترجمة الشاه إسماعيل: "استشهد في الغزوة المشهورة حين هجم عليهم العدو كفرة الشيخ وخذلهم من كانوا في دارهم، ونكثوا ببيعة إمامهم حتى صاروا مع العدو يدا واحدة وأعانوهم على دماء المسلمين وربما سفكوها والله أعلم (١)

ويقول مسعود عالم الندوي على إثر مدح المجاهدين: وكاد النجاح والفوز أن يستقبلهم ويهنتهم، وكادت منطقة "بنجاب" وسرحد أن تستضيء بنور الإسلام إلا أن أياما مريرة كانت مقدرة على المسلمين، فالويل للتعصب القبلي والافتخار العرقي الذي قضى على هذه الجهود كلها، وقد غدر رؤساء الأفغان وأثار المفسدون فتنة الحنفية والوهابية وأفتى القبوريون وعلماء السوء بتكفير المجاهدين ونتجت من ذلك كله كارثة استشهاد السيد أحمد والشاه إسماعيل في "بالاكوت" (٢) رحمهم الله رحمة واسعة.

(١) البائع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني ص: ٧٦

(٢) هندوستان كي بهلي اسلامي تحريك ص: ٢٧

الباب الثاني: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب
والسنة، والتحذير من البدعة وما يصد عن التمسك بهما.

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة

الفصل الثاني: جهوده في إبطال ما يصد عن التمسك بالكتاب والسنة

الفصل الثالث: جهوده في التحذير عن البدعة ببيان مضارها وأخطارها وتحديد

مفهومها وأقسامها والأمثلة عليها

الفصل الرابع: الرد على المبتدعة

تَهْيِيد

إن كتاب الله عزوجل هو أصل الشريعة وأساسها فإنه كلام الله المعجز المنزل على خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (١) المحفوظ بحفظ الله عزوجل إلى يوم القيامة ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٢) وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني في التشريع كما قال صلى الله عليه وسلم " أوتيت القرآن ومثله معه " (٣) .

فمكانة السنة في الدين عظيمة، ولا يؤمن أحد حتى يؤمن برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ومقتضى الإيمان به طاعته وامتثال أوامره كما قال تعالى ﴿ فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (٤) ولا يمكن طاعة الله عزوجل إلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ (٥) وقد حذرنا الله من مخالفة أمره لأنه يجز فتنة أو عذاباً أليماً يقول الله عزوجل ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٦)

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يأخذون كل حكم من الرسول على أنه حكم من الله عزوجل لإيمانهم بأنه لا يقول إلا بأمر من الله عزوجل ولم يخطر على قلب أحد منهم الإعراض عن أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم لإيمانهم الجازم بأنه يبين الوحي، ونرى ذلك واضحاً فيما حصل لابن مسعود مع امرأة حيث قال: " لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " فتكلمت فيه امرأة فقال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت المرأة لقد

(١) سورة فصلت / ٤٢

(٢) سورة الحجر / ٩

(٣) أخرجه أبوداود - السنة - حديث - ٤٦٠٤ والترمذي مايقارب هذا المعنى - العلم - حديث - ٢٦٦٣

وابن ماجه - المقدمة - حديث - ١٢ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ١/ ٥١٦

(٤) سورة الأعراف / ١٥٨

(٥) سورة النساء / ٨٠

(٦) سورة النور / ٦٣

قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾ (١)(٢)

هكذا نرى مواقف الصحابة والتابعين تجاه الحديث مواقف مشكورة، فلم يكونوا يتركون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أمام قول أحد كائنا من كان (٣) ثم نشأت فتن وبدع بعد زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين منها إنكار الأحاديث الصحيحة أو تأويلها أو الاستناد إلى العقول وتقديمها على النقل ونحوها، ومنها بدعة التعصب للمذاهب الفقهية وأئمتها التي انتشرت في جميع البلاد الإسلامية، فأعرض الناس عن الكتاب والسنة مشغولين بالمذاهب بل لم يكونوا يلتفتون إليها لاعتقادهم أن أئمة المذاهب وأتباعهم قد سبوا أغوارها وسهلوا صعابها فوجب على كل واحد اتباعهم ولا يجوز الخروج منها فهجر القرآن والحديث .

ومن تلك الفتن والبدع بدعة الصوفية التي دعت الناس إلى تقديس الأشخاص وآرائهم وأذواقهم وأنهم يحدثون عن الله ورسوله مباشرة، فأصبح الناس يتعبدون بأقوال المشايخ وآرائهم وربما عبدوهم من دون الله عز وجل .

وواجه الشاه هذه البدع وأصحابها الذين يغفلون في الأشخاص ويتعبدون بآرائهم، وواجه الأحناف أصحاب الرأي الذين غلب عليهم الرأي دون الأثر وشدة التعصب لرأيهم كما صرح الكرخي (٤) به "أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولي أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق..... وإن كل خير يجيء بخلاف قول أصحابنا فإنه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله" (٥)

وقالوا: "إن المسيح عليه السلام عندما ينزل يحكم بالمنهج الحنفي" (٦)

(١) سورة الحشر / ٧

(٢) رواه البخاري - التفسير - ٤٨٨٦ - الفتح ٨ / ٤٩٨

(٣) انظر قصة ابن عمر رضي الله عنه وكلامه على من احتج بقول عمر في مسألة التمتع في سنن الترمذي ٨٢/٢ وتفصيله في مقدمة "صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني ص: ٥٤

(٤) وهو عبيد الله بن حسين بن دلال، أبو الحسن الكرخي، مفتي العراق، شيخ الحنفية، انتهت إليه رئاسة المذهب، توفي سنة ٣٤٠ هـ السير للنهجي ١٥ / ٤٢٦

(٥) الأصول لأبي الحسن الكرخي ص: ١٦٦ ملحقة بتأسيس النظر .

(٦) انظر رد المحتار ١ / ٥٩ من حاشية ابن عابدين .

وينقل صاحب "إعلاء السنن" في مقدمته نقلا عن التهانوي: "فوالله لم يولد في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أئمة وأسعد من النعمان أبي حنيفة ودليل ذلك ما هو شاهد من اندراس مذاهب الطاعنين عليه وانتشار مذهب أبي حنيفة وازدياده اشتهاارا ليلا ونهارا ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا حنيفة"(١)

ومن جهة أخرى كان جل اعتمادهم بل العلم عند هم هو علم الكلام ووالفلسفة، وعلم المنطق وعلم الجدل، والمناظرة والتعمق في الطبيعيات والخوض في الرياضيات(٢).. أما علم الكتاب والسنة "أصبح غريبا كالكبريت الأحمر وعديما كعنفاء المغرب وغلب على الناس الشعر والنجوم والفنون والرياضة وفي العلوم الدينية، الفقه والأصول، ومضت على ذلك قرون متطاولة حتى صارت صناعة أهل الهند حكمة اليونان والإضراب عن علوم السنة والقرآن إلا ما يذكر من الفقه على القلة....(٣)

وفي مثل هؤلاء القوم ظهر الشاه محمد اسماعيل رحمه الله بعد جهود جده وأعمامه ودعا إلى التمسك بالكتاب والسنة دعوة صريحة في كل صغير وكبير وركز على هذه الدعوة لثقتة بأن الرجوع إلى المنبع الصافي والمصدر الأساسي يقضي على كثير من البدع العقيدية والعملية .

(١) إعلاء السنن ص: ٢٧

(٢) انظر للتفصيل " البيئة العلمية " في هذا البحث.

(٣) الثقافة الإسلامية ص: ١٣٥

الفصل الأول: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة خلال شرح الإيمان بالله ورسوله

المبحث الثاني: في بيان المضار الناتجة من الإعراض عن التمسك بالكتاب والسنة

المبحث الثالث: مرتبة الكتاب والسنة أمام أقوال الأئمة والمشايخ

المبحث الأول: دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة خلال

شرح الإيمان بالله ورسوله

المطلب الأول: استدلاله على التزام التوحيد ونبذ الشرك

واتباع الرسول واجتناب البدع بأجزاء كلمة الإيمان.

تنوعت جهوده في الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة ونبذ جميع ما يخالفهما، وقد بوب باباً مستقلاً في كتابه رد الإشراف "باب وجوب اتباع السنة واجتناب البدعة" جمع فيه آيات وأحاديث تدل كلها على النهي عن الفرقة بإحداث المحدثات واستنبط من تلك النصوص أن النجاة في التمسك بالسنة وطريق الصحابة والتابعين، والهلكة في مخالفتها ومخالفة السلف.

وقد بدأ ذلك بمبدأ مهم في حياة المسلم ألا وهو الإيمان بالله ورسوله، فيقرر خلال شرحه أن الإيمان بالله يقتضي توحيد الله عز وجل في الألوهية ورد الشرك بجميع أنواعه كما أن الإيمان بالرسول يقتضي الرجوع إليه وإلى سنته في جميع أمور الدين وبهذا يدعو كل مؤمن بالله ورسوله إلى صدق الإيمان الذي يقتضي تحقيق التوحيد وترك الشرك والتمسك بالسنة وترك البدع فيقول: "واعلم أن للإيمان جزئين، الإيمان بالله إلهاً ورباً، والإيمان بالرسول مطاعاً وإماماً، والإيمان بالله ربا يعني أن لا يشرك به أحد والإيمان بالرسول مطاعاً يعني أن لا يسلك طريق غيره،

فالأول: هو التوحيد وضده الإشراف بالله.

والثاني: هو الاتباع وضده الابتداع، فيجب على كل أحد أن يعتصم بالتوحيد واتباع السنة بقوة ويعض عليهما بالنواجذ ويحترز من الشرك والبدعة كل الاحتراز فإنهما يؤثران في الإيمان ويحدثان خللاً فيه وتتبعهما سائر الذنوب والمعاصي فإنها تؤثر في الأعمال وتحدث خللاً فيها...." (١)

فالتوحيد إذا طرأ عليه الفساد ابتلى الإنسان بالشرك وإذا طرأ الفساد على الاتباع ابتلى بالبدعة، فالإيمان إذا لا يسلم إلا باجتناب الشرك والبدع وهما أعظم الذنوب التي يرتكبها المسلم لأن الشرك ينقض التوحيد الذي به ينجو في الآخرة، والبدعة تجر صاحبها إلى التعبد بما لم

(١) تقوية الإيمان ص: ٣٥

يشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم فيصبح كمن يتعبد بأهوائه، فمضرة الشرك العظيمة تجعل المؤمن، يهتم بالتوحيد ويعتصم به ومضرة البدعة تجعله يتمسك بالسنة ويحكمها في كل أمر من أمور الدين. وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "... فإن الإسلام مبني على أصلين أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له والثاني: أن نعبد بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ... فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم (١)

المطلب الثاني: استدلاله على التمسك بالسنة بشرح مقتضى الشهادة والإيمان

ويدعو إلى التمسك بالسنة ببيان مقتضى الشهادة بكونه رسولا، هذه الشهادة التي يشهد بها كل مسلم تستلزم طاعته وامتنال أوامره ورد جميع ما يخالف من أقوال وأعمال وعادات واعتقادات مهما كان مصدرها فيقول الشاه مبينا معنى الشهادة: "والشهادة بكونه رسولا تعني الشهادة بأن جميع الأوصاف المحمودة التي يثنى عليها البشر كانت فيه أكثر من أي واحد وأنه كان صادقا ومعصوما من جميع الذنوب، وقد بلغ الرسالة بالأمانة وكلما أمر وبين كان من الله عز وجل، وأن أوامره كلها من أحكام الله عز وجل، فمعناه إذا بأننا صدقنا أحكامه واخترنا طريقه وأنكرنا طرق غيره وليس لنا رسول غيره، فمن لم يكن رسولا لم يكن معصوما ويقع منه الذنب والخطأ فإذا أمكن منه الذنب والخطأ فلا يكون طريقته ونهجه معصوما وليس علينا طاعته، إلا إذا كان ثبت من النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرشد بطاعة أحد أو بطريقة أحد فهذا يعتبر العمل حسب أمر النبي صلى الله عليه وسلم" (٢)

فهو رحمه الله يقرر أن مقتضى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم أن نؤمن بكونه صادقا في كل ما أخبر ومعصوما في كل ما بلغ ووجوب طاعته في كل ما أمر وأن طريقته هي الصراط المستقيم لأنه محفوظ من الخطأ والزلل .

ويستدل بقوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (٣) على وجوب تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم في كل أمر فيقول في شرحه: "فالآية تدل على أنه عندما ينشأ الخلاف في أمر العبادة أو العادة أو في أمر من أمور الدنيا، يجب الرجوع إلى حكم النبي صلى الله عليه وسلم وتتخذ حاكما،

(١) انظر الفتاوى ٨٠ / ١

(٢) تذكير الإخوان ص: ٧٩

(٣) سورة النساء / ٦٥

فما يحكمه النبي صلى الله عليه وسلم أو يثبت من حديثه يجب التسليم والرضا به سواء وافق
رغبنا أو لم يوافقها، فمن فعل ذلك فهو مسلم وإلا فلا يكون مسلماً".

فأما من لم يجعله حاكماً منصفاً أو يسخط على حكمه صلى الله عليه وسلم ولم يسلم له
فإنه ليس بمسلم بل هو كافر ومنافق.....".

"ولو تأملنا حال المسلمين في الهند اليوم نجد أن ألوفاً من المحدثات والعقائد المحدثنة والرسوم
الرائجة فيهم مثل الذبح عند ولادة المولود، وإطلاق الرصاص، ووضع السهم والقرآن على
سرير المرأة الحديثة الولادة، وحفلة يوم السادس والتسمية بـ "فلان بخش أو عبد فلان.....
وفي النكاح وضع علامات الزيت أو النورة على الأبواب، والرقص والسماع واللعب بالنار.....
وترك المرأة الزينة وترك مصاحبها وترك النوم على السرير واتخاذ التعزية وانعقاد محافل المحرم في
الشهر المحرم (١).... واعتقاد نحوسة ثلاثة عشر يوماً من صفر (٢) والنزهة يوم الأربعاء الأخير
فيه (٣) وإقامة عيد الميلاد في شهر ربيع الأول والقيام عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
باعتماد أن روحه تحضر وإقامة عيد الحادي عشر في ربيع الثاني (٤) والذهاب إلى عرس بديع
الدين الشاه في جمادي الأول (٥) واللعب بالألعاب النارية في شعبان والتزام طبخ الحلاوة

(١) يعتبر الشهر المحرم شهر الحزن والمأتم عند الرافضة ومنهم تسربت هذه العادة إلى المسلمين في الهند
فيلبسون فيه اللباس الأسود ولا يلبسون غيره، ولا يتزوجون فيه وقيمون محافل العزاء والرثاء والبكاء،
و يتخذون فيه أعلاماً بالقماش والقرطاس إحياء لذكرى حسين رضي الله عنه وأسرته الذين قتلوا في
كربلاء، ثم يطوفون به في الأحياء وطرقها ثم يدفنونها.

(٢) وسبب نحوستها عندهم مرض النبي صلى الله عليه وسلم فيها، ولكن مرضه بدأ في اليوم التاسع
والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ وكان يوم الإثنين، ولحق بالرفيق الأعلى يوم الإثنين ١٢، ربيع
الأول سنة ١١ هـ فلم يمرض إلا في آخره (الرحيق المختوم ص: ٥٤٩) ولم يتوف إلا بعده، ومن أبين
جاءت النحوسة في بدايته؟؟؟ إنما هو الهوس والبعد عن شرع الله.

(٣) يلتزمون الخروج إلى البر آخر الأربعاء من شهر صفر، يتخذونه عيداً وسببه أن النبي صلى الله عليه
وسلم شفي في هذا اليوم من مرضه وخرج إلى البر كما زعموا!!!

(٤) وهو عيد مقدس جداً عند القبوريين يقام سنوياً في الحادي عشر من ربيع الآخر يذبح فيه الكبش
ويسمى "النذر للشيخ عبد القادر جيلاني" ولعل ذلك التاريخ موافق ليوم وفاته لأنه توفي في عاشر
ربيع الآخر سنة ٥٦١ انظر سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٥٠

(٥) هو الشيخ المعمر بديع الدين المدرا الحلبي أحد مشاهير الصوفية بأرض الهند، ينسبون إليه من الوقائع
الغريبة ما يباه العقل والنقل، وإليه نسب شهر من شهور السنة في التقويم المنتشر عند العامة وأهل
==

الخاصة، وإنارة السرج الكثيرة فيه، وفي شهر رمضان إقامة جمعة الوداع (١) والقضاء العمري (٢)..... وفي شوال، الالتزام بطبخ الشعيرة يوم العيد، والامتناع من النكاح في ذي القعدة..... ونحوها من الرسوم العديدة الرائجة بين المسلمين ينهى عنها جمع من الناس ويعمل بها آلاف من الناس فبغض النظر عن أدلة كثيرة على حرمتها عند ما نشأ الخلاف فيما بينهم وجب عليهم أن يحكموا الرسول في ما اختلفوا فيه لأنه لم يكن شيء إلا وقد وجد في عهده صلى الله عليه وسلم مثل ولادة المواليد والنكاح والختان... فماذا كان يفعله صلى الله عليه وسلم ويأمر به في مثل هذه المناسبات وماذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يعملون فيها".

"إذا ثبت قبح أمر بقوله صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره يجب على المسلم أن يذعن له بقلبه ويعمل وفق حكم الرسول صلى الله عليه وسلم فأما من كره حكمه ولم يرض به وشق عليه ترك هذه المحدثات فينبغي أن يعلم أن الآية تنفي كونه مسلماً، ولاشك أن هذه العادات أحدثت بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأتباعهم" (٣) ولاشك فإن هذا منهج أهل السنة وطريقتهم بأنهم لا يعدلون عن النص الثابت.

ثم يدعو إلى وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة ويقرر بأن الرجوع إليهما من مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٤)

يقول في شرحه: "فإن الآية تدل على أن الرجوع إلى الكتاب والسنة واجب فيما اختلف فيه وما ثبت منهما فيجب قبولهما دون غيرهما" (٥) ويستدل علي ذلك بأحاديث منها "عن

القرى في الهند، وهو مؤسس الطريقة المديارية، توفي في عاشر جمادى الأولى سنة ٨٤٤ هـ انظر نزهة الخواطر ٤٣/٣

(١) المراد به آخر جمعة من شهر رمضان يهتمون بها مثل العيد

(٢) يصلون في ليالى القدر، المكتوبات الفائتة في طول الحياة فيصلون بنية القضاء من غير عد ولاحد.

(٣) تذكير الإخوان ص: ٦٠-٦٢ بلفظه مختصراً.

(٤) سورة النساء ٥٩/

(٥) تذكير الإخوان ص: ١٥٨

عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة، وما كان سوى ذلك فهو فضل (١) يعنى إن القرآن والحديث والاجماع أصول الدين يثبت بها الأحكام وأما غيرها فهي من الفضول مثل الفنون الأخرى (٢)

المطلب الثالث: محبة الله ورسوله تقتضى التمسك بالسنة

ويحرض على التمسك بالسنة مستدلاً بمحبة العبد لله عز وجل فإنها ركن من أركان العبادة بل لا يتم توحيد العبد إلا بحبه لربه، فما من عبادة يأتي بها العبد إلا ويوجد فيها دافع الحب لمعبوده وأن ذلك الحب يستلزم تجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، بل من علامة محبة العبد لمعبوده إخلاص متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الشاه رحمه الله في صدد تقرير ذلك: قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣) ويقول في شرحه: "قل لهم أيها الرسول صلى الله عليه وسلم إن كنتم صادقين في ادعائكم الحب لله فاتبعوني واتبعوا طريقي في عبادته لأنه جعلني رسولا إليكم، أرشدكم إلى مرضاته وأسباب محبته فاتبعوها حتى يغفر ذنوبكم فإنه غفور رحيم، فمن لم يتبع الرسول ويحدث الطرق المحدثه ثم يدعي حب الله فهو كاذب فإن الله ورسوله بريء منه، فهو مدعى الرسالة في الحقيقة وإن ادعى الحب في الظاهر، ويشرع لنفسه شرعا جديدا.... فإن المحبة الصادقة تقتضى أن تعمل ما يريد المحبوب لا كما تهوى نفسه" (٤)

يقول ابن كثير في تفسير الآية المذكورة: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله... (٥) ويؤكد الشاه هذا المعنى بالأحاديث، أن من لوازم محبة الرسول هو اتباعه لأنه إذا أحب النبي كما ينبغي بقلبه أطاعت جوارحه بطاعته فيقول: "عن أنس قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب

(١) أي زائد لضرورة معرفته. الحديث رواه أبوداود في سنته (٢٨٨٥) وابن ماجه في المقدمة (٥٤) في

استداه ضعف انظر تخريج المشكاة للشيخ الألباني ٨٠ / ١

(٢) تذكير الإخوان ص: ١٥٩

(٣) سورة آل عمران / ٣١

(٤) تذكير الإخوان ص: ٦٠

(٥) تفسير ابن كثير ١ / ٣٦٦

إليه من والده وولده والناس أجمعين" (١) يعنى " أن الرجل إذا أحب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ولده ووالديه والناس جميعا ويفضل حبه على حب ما سواه ويقدم رضاه على رضى الجميع ويقدم قوله على قول الجميع ويعمل على أمره أكثر من غيره فيكون مسلما وإلا فلا يكون مسلما... وعلم من هذا أن الرجل إذا رأى شيخ طريقة أو فقيرا أو درويشا أو عالما أو مولويا أو أبيا أو أما أو أميرا أو ملكا يخالف قوله أو فعله الحديث وجب عليه رده فمن عكس بحيث رد الحديث ووافق قولهم أو فعلهم فليس بمسلم" (٢)

المطلب الرابع: ترك الحديث بعد ثبوته من مشاققة الرسول

وكان رحمه الله شديد التمسك بالحديث في كل أمر ولم يكن يرى ترك الحديث بعد ثبوت صحته وأحسن ما يستدل على هذا العمل كتابه " تنوير العينين في إثبات رفع اليدين " فإنه لما رأى المتعصبة يتركون رفع اليدين في الصلوة ويطعنون فيمن يعمل بهذه السنة طعنا شديدا، ألف رسالة يدعو الناس إلى التمسك بهذه السنة فيقول بعد تقرير هذه السنة بالأحاديث والآثار: " أما الطاعن العالم بالحديث أي من ثبت عنده الأحاديث المتعلقة بهذه المسألة فلا إخاله إلا في من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى" (٣) فيشير إلى الآية ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ (٤) فإن الله هددها فيها من يشاقق الرسول بالنار وسوء المصير. ويحذر الشاه الذين يعرضون عن السنة بعد ثبوتها أن صنيعهم هذا من مشاققة الرسول ولا يعد أن يلحقهم الوعيد الموجود في القرآن . ويرد على من يترك الأحاديث زاعما بأنها منسوخة بحجة عدم اشتهاار العمل بها عند علماء المذاهب ونحوها من الحيل التي يستندون إليها لترك الأحاديث الصحيحة أو يحاولون إبطالها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان انظر فتح الباري ١ / ٥٨

(٢) يقول الخطابي في شرح الحديث: " لاتصدق في حبي حتى تفدي في طاعتي نفسك... وإن كان فيه هلاكك" شرح السنة للبغوي ١ / ٥١ وقال القاضي عياض: ومن محبة نصرة سنته والذب عن شريعته... وأن حقيقة الإيمان لا يتم إلا بذلك ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن"

انظر شرح النووي ١ / ٣٧٤

(٣) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ص : ٩

(٤) سورة النساء / ١١٥

فيقول: "الظاهر أن ما ثبت منه صلى الله عليه وسلم يلزمنا اتباعه ما لم يقدّم دليل على نسخه" (١)

(١) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ص: ١٤

المبحث الثاني : في بيان المضار الناتجة من الإعراض عن التمسك بالكتاب والسنة

المطلب الأول : الإعراض عن الكتاب والسنة يسبب الفرقة

دعا الشاه إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ببيان المضار الوخيمة التي تنشأ من إهمالهما فيقرر أن التفرق في الأمة والتشتت الموجود سببه الوحيد هو الإعراض عن الكتاب والسنة فيقول في شرح قوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (١)

"فما كان قبيلها عند الشرع أو العقل، يستقبحه كل أحد. ولكن ما يستحسنه شخص بمجرد عقله ولا يجد قباحتها الصريحة في الشرع يعتبره حسنا فيفرح به ويتبعه جمع من الناس ويختارونه، وهكذا تصبح لكل فرقة بدع غير البدع التي توحد عند أختها وبهذا يقع التفرق ولا يبقى التماسك في الدين.

فمثلا فرقة فضلت عليا على غيره من الصحابة فسميت بـ "التفضيلية" (٢) وفرقة فضله على غيره من الصحابة وطعنت في الصحابة وابتدعت بدع المآثم والتعزية ونحوها في "الشهر المحرم" فسميت بالشيعة وأهل البيت (٣)، وفي مقابلهم فرقة طعنت في علي وعرفت باسم "الخوارج" (٤) وفرقة عادت عليا رضي الله عنه وعرفت بـ "ناصبية" (٥) وفرقة أنكرت الشفاعة

(١) سورة الروم / ٣٢

(٢) فرقة من فرق الشيعة يقول عنهم أبو الحسن الأشعري: يقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مقالات الإسلاميين ١ / ٦٥

(٣) وهي في الحقيقة "الرافضة" و"الإمامية" وإن كانت تتظاهر باسم الشيعة وأهل البيت في الهند إلا أن عقيدتها وأعمالها كلها تدل على كونها رافضية بحتة. انظر مقالات الإسلاميين ١ / ٨٨ والمل والنحل ١ / ١٦٤ ومختصر التحفة الإنثي عشرية.

(٤) تقدم تعريفها ص: ١٦

(٥) الخوارج والنواصب بمعنى واحد انظر تعريفها ص: ١٦ يقول المقرئ: الفرقة العاشرة الخوارج ويقال لهم النواصب انظر خطط المقرئ ٢ / ٣٥٤

ورؤية الله عز وجل وجعلت مرتكب الكبيرة خارجا من الإسلام وأصبحت "معتزلة" (١) وفرقة اختارت العزلة وتركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأحدثت "شغل البرزخ" (٢) أو الصلاة المعكوسة أو الختم أو الزاد والأوراد والوظائف والقال واشتغلت بالأعراس والمراقبة على القبور والسماع عليها والحاضرات واشتهروا "بالمشايع" ثم افترقوا هؤلاء فيما بينهم فمنهم من أصبح "جشتيا" (٣) ومنهم من أصبح "قادريا" (٤) "ومنهم من أطال شعره وحلق حاجبه ولبس القلائس الطويلة وعلق الكفن في رقبته واشتهر بـ "المدارية" (٥) أو "الجلالية" وكل حزب فرح بما لديه، فمعنى الآية بأن لا تفعلوا مثل فعلهم بل عليكم بالملة الواحدة والدين الواحد الذي أمر به الله عز وجل،... فعليكم بالقرآن والحديث فاتبعوا نبيكم حتى لا تختلفوا.

والآية صريحة بأنه لا ينبغي للرجل أن يطمئن على مذهبه وطريقته وعاداته وتقاليده بل الواجب عليه البحث عن الحق ويوازن طريقته وتقاليده بالكتاب والسنة فما وافقهما يقبله وما خالفهما يتركه، فكثير من الناس لا يستلون عن حكم الله ورسوله ولا يحققونه بل يطمنون إلى طريقة كبرائهم ويعتقدونه حقا ويتيهون في الضلال" (٦)

ويواصل الكلام في بيان مضار الإعراض عن الكتاب والسنة فيقول: "قال الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا" (٧) يقول في شرح الآية "فإن الله قدم على الناس بيعت الرسول وإنزال الكتاب فيجب العمل حسب مقتضاه ويجب الحذر من التفرق بإحداث المحدثات

(١) المعتزلة هم القائلون بنفي الصفات وأن العبد خالق لأفعاله وقالوا بوجوب الثواب والعقاب والصلاح والأصلح على الله ويقولون بالمنزلة بين المنزلتين ونحوها من العقائد، انظر مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١ والمل والنحل ٤٣/١

(٢) وستأتي التفاصيل عن هذه البدعة الخطيرة .

(٣) تقدم تعريفها ص: ٥١

(٤) طريقة صوفية تنتمي إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي، راجع لمعرفة تطور هذه الطريقة الثقافة الإسلامية في الهند ص: ١٧٩

(٥) طريقة صوفية من طرق الصوفية تنتسب إلى المدارس المعمر بديع الدين (تقدمت ترجمته) يمتازون بعدم ستر العورة وارتكاب الملامح والمناهي: انظر نزعة الخواطر ٤٣/٣ والثقافة الإسلامية في الهند ص: ١٨٥

(٦) تذكير الإخوان ص: ٥٧-٥٨

(٧) سورة آل عمران ١٠٣

بحيث ينشئ أحد مذهباً وينازعه فيه غيره بإنشاء مذهب آخر فتنتشر الطرق والفرق فلا يبقى التماسك والاجتماع بعد وجود الطرق الجديدة والمذاهب العديدة، فالقرآن كحبل ينحو به من كان متزدياً في القعر إذا استمسك به ولا ينحو إذا تركه، وتنص الآية بأن أصل الضلال هو إحداث البدع في الدين وأن البدع والمحدثات إذا انتشرت يهجر القرآن" (١)

ويواصل الكلام في بيان المضار التي تنشأ من إهمال الكتاب والسنة وأهمها التفرق في صفوف الأمة الإسلامية فيقول: "قال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢) ويشرحه بقوله "إن الطريق المستقيم الموصل إلى رضى الله عزوجل هو كتابه سبحانه ولا تتبعوا سبل الملوك والمشايخ أو المرشدين وتقاليد الآباء والأجداد، وإن اتبعتم تلك الطرق ضللتكم عن طريق الله عزوجل، ومثاله أن ملكاً أرسل رسوله إلى شخص بعيد يطلبه وقد بين في رسالته الطريق الموصل إليه وحذر من الطرق الضالة وأمره باتباع رسوله فإنه يوصله إليه، فإن تعرج الشخص المذكور إلى الطرق ولم يتبع رسول الملك أو لم يلتفت إلى رسالة الملك ولم يبحث عن مفهومها ويقتضي آثار الناس فلن يصل هذا الرجل إلى الملك أبداً".

"فظهر من الآية أن الطريق الصواب هو طريق القرآن الموصل إلى الله عزوجل وأن الطرق كلها ضلالة سواء كانت هذه طرق الكفار السابقين أو طرق الجاهل أو طرق المبتدعة" (٣)

هذا التفسير الذي فسره الشاه تفسير ماثور وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم وحذر عن اتباع السبل كما روى ابن مسعود رضى الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه

(١) تذكير الإخوان ص: ٥٥-٥٦

(٢) سورة الأنعام/١٥٣

(٣) تذكير الإخوان ص: ٥٨-٥٩

سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا ﴿وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١)

يقول ابن عطية في تفسيرها: "هذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشنوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد" (٢)

ويقول ابن تيمية: "وإذا تأمل العاقل الذي يرجو لقاء الله هذا المثال وتأمل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، والرافضة، ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام، مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ويدعي أن سبيله هو الصواب، وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم الذي لا يتكلم عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى" (٣)

وبعد شرح الآية يقول الشاه إن الناس قد تركوا الحق الواضح المبين فأصبحوا في فرق وجماعات فيقول: "ولكن الناس في هذا العصر قد اختاروا طرقا عديدة وتركوا طريق الكتاب والسنة واختاروا طرق الفرق العديدة من السوفسطائيين (٤) والدهريين (٥) الذين يتركون أركان الدين، وطريق النصارى والهندكة ببناء المساجد على القبور وتشيد المقابر ورفعها أو الاعتقاد في أنفسهم أنهم اتحدوا مع الله أو أن الله حل فيهم، وطريق الكفار السابقين والهندكة

(١) أخرجه الدرعي في مقدمته (٢٠٢) وابن ماجة في المقدمة (١١) وأحمد في مسنده ٣٩٧/٣ يقول القرطبي عن إسناد الدرعي "إسناده صحيح" انظر تفسيره ١٣٧/٧ وحسن إسناده الشيخ الألباني في المشكاة ٥٩/١

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٤٦/٢

(٣) الفتاوى ٥٧/٤ وما بعده

(٤) السوفسطائية : طائفة من اليونانيين ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد تقوم فلسفتهم على إنكار حقائق الأشياء ويزعمون أنه ليس ها هنا ماهيات مختلفة وحقائق متميزة فضلا عن اتصافها بالوجود بل كلها أوهام لا أصل لها، انظر حاشية بغية المرتاد لابن تيمية ص: ١٨٣

(٥) هم الذين ينفون الربوبية ويقولون بقدم العالم وينكرون الخالق وينسبون الحوادث إلى الدهر، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٩/١

بالاستغاثة بالأموات وبالنذور لهم وبترجيح طريق الآباء والأجداد على طريق الله ورسوله واختيارها مع مخالفة الله ورسوله..." (١)

وصرح الشاه رحمه الله في الكلام المذكور بأن الصراط المستقيم هو اتباع طريق الكتاب والسنة ونبذ جميع ما يخالفهما من البدع والعقائد الفاسدة عقائد الحلول والاتحاد وبناء القبور وغيرها مما تمس العقيدة الصافية وجعل جميع تلك الطرق والتقاليد مخالفة للشرعية الإسلامية.

ويقول في شرح قوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ (٢) "الآية تدل على أن الأمم من قبلكم قد افترقت في فرق شتى من اليهود والنصارى فيذوقون عذاب التفرق فلا تكونوا مثلهم ولا تحدثوا عادات محدثة ولا عقائد مخترعة فتتفرقوا في الدين، فمنكم من يكون معتزليا أو خارجيا أو رافضيا أو ناصبيا أو جبريا أو قدريا أو مرجئا أو يدعى الفقر بخلق الحواجب، ثم منكم من يكون قادريا، أو نقشبينديا، أو جشتيا، والحكم الصارم للجميع أن يتمسكوا بالكتاب والسنة وأن يكونوا مسلمين على طريقة أهل السنة وأن لا يفتزقوا في الفرق كاليهود والنصارى... فيقال يوم القيامة للذين اسودت وجوههم أنكم آمنتم وأقرتم بالإيمان بالقرآن والعمل به، ثم أحدثتم العادات والتقاليد والبدع الكفرية، فحجر القرآن من أجلها وارتوت القلوب بحبها فصارت سببا لترك العمل بمقتضى القرآن فذوقوا ما كنتم تعملون، فالمتبدع والعامل على البدع يعتبر من منكري القرآن وتسود وجوههم يوم القيامة" (٣)

براءة النبي صلى الله عليه وسلم ممن ترك السنة :

ومن مضار الإعراض عن الكتاب والسنة براءة النبي صلى الله عليه وسلم منه يقول الشاه في شرح قوله تعالى ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينتههم بما كانوا يفعلون﴾ (٤) يعني الذين تفرقوا وأحدثوا السبل المحدثه فلم يرجعوا عنها ولم يتبعوا طريق الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بريء منهم وسيرون وبال بدعهم عندما يذيقهم

(١) وقد ذكر هنا عشرات البدع وأنواع الشرك المنتشرة في المسلمين. انظر ص: ٥٩-٦٢

(٢) سورة آل عمران / ١٠٥-١٠٦

(٣) تذكير الإخوان ص: ٥٦

(٤) سورة الأنعام / ١٥٩

الله العذاب، والآية تدل على أن الناس إذا أهملوا العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحدثوا المحدثات ولم يتركوها بعد ما تبين لهم الحق، ينزع الله عنهم الهداية والمحبة فينخبطون في الضلال حتى يذيقهم الله العذاب يوم القيامة" (١)

المطلب الثاني: في التمسك بالسنة نجاة من الفرقة والبدعة

ويدعو إلى التمسك بالسنة (بعد بيان مضار الفرقة) لأنه لانجاة من التفرق إلا في التمسك بالسنة، فيقول: "عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين زمان على أمي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقوا على ثنتين وسبعين ملة وتفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي" (٢) "وأنه سيخرج في أمي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب (٣) لصاحبه لا يبق منه عرق ولا مفصل إلا دخله" (٤)

"فكما أن الكلب يتجارى في الجسم كله كذلك البدع تنتشر في العقائد والعبادات والوظائف والصيام والصدقة والمراقبات، ويفترق المسلمون أكثر من تفرق اليهود والنصارى.... فنبه النبي صلى الله عليه وسلم بأن من كان متمسكا سنته وسنة أصحابه في مثل هذا الوقت فهو الناجي الذي يدخل الجنة والفرق كلها في النار" (٥)

(١) تذكير الإخوان ص: ٥٧

(٢) أخرجه الترمذي : (٢٦٤١) والحاكم في المستدرک ١ / ١٢٨ من حديث أبي هريرة بلفظ آخر، وأشار إلى ضعف السند المروي عن ابن عمرو، فيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف، ولكن تشهد لها روايات صحيحة في هذا المعنى، انظر "اقتضاء الصراط المستقيم" ١ / ١١٨

(٣) الكلب بالتحريك داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعرض أحدًا إلا كلب، وتعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا" النهاية ٤ / ١٩٥

(٤) أخرجه أبوداود في سنته (٤٥٩٧) ٥ / ٦٥ وأحمد في مسنده ٤ / ١٠٢ وابن أبي عاصم في "السنة"

(١-٢) وصححه الشيخ الألباني بشواهده، يقول ابن تيمية وهو حديث محفوظ، انظر اقتضاء الصراط

المستقيم ١ / ١٢٢

(٥) تذكير الإخوان ص: ٦٦

المطلب الثالث: فضل التمسك بالسنة عند الغربة

ومن جهوده في الاعتصام بالكتاب والسنة أنه رغب في التمسك بالسنة ببيان ما فيه من الفضائل، وما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم من الدرجات العالية للتمسك بها فيقول: "عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي، ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة" (١)

"فالحديث يدل على أن للعامل بالسنة مرتبة عظيمة في الجنة وأن الله سينعم عليه بمعية الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة" (٢)

ويستدل عليه بحديث آخر فيقول: "عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد" (٣) ويقول في شرحه "هذا عندما يحدث الناس البدع المختلفة وكل واحد يحسن الظن ببدعته ويعمل بها وتصبح آلاف البدع، وكل واحد يدافع عنها أو يحسبها فرضاً، أو سنة، أو مستحبة، أو يعمل بها على أنها من تقاليد الآباء أو خوفاً من الناس فعندئذ من يتمسك بالسنة ولا يعرض عنها فله أجر مائة شهيد، وذلك لمعاداته آلاف المبتدعة وطعنهم فيه وإيذائهم له في نفسه وماله وأهله وهو محتسب صابر متمسك بالسنة، (٤)

(١) أخرجه الترمذي، العلم، (٢٦٧٨) وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وانظر ضعيف

الجامع الصغير - ٦٣٨٩

(٢) تذكير الإخوان ص: ٦٧

(٣) الحديث ضعيف انظر سلسلة الضعيفة (٣٢٦) ولكن قد صحت أحاديث عدة في فضل الصبر على

السنة في الغربة، انظر "كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة" لابن رجب ص: ١٥ - ١٦

(٤) تذكير الإخوان ص: ٦٧

المبحث الثالث: مرتبة الكتاب والسنة أمام أقوال

الأئمة والمشايخ

ابتلي كثير من المسلمين بعد القرون المفضلة بالغلو في الأشخاص وآرائهم وبلغ ذلك إلى التعبد بأقوالهم دون الرجوع إلى الكتاب والسنة فارتفعت منزلة أقيستهم وآرائهم في قلوبهم على منزلة الكتاب والسنة فيعرضون عن الكتاب والسنة لأجلها، فلما رأى الشاه هذا المنكر الشائع اضطر إلى بيان أهمية الكتاب والسنة ومرتبته الرفيعة أمام الأئمة وأقوالهم واستنباطاتهم ووضح ذلك بمثال رائع فيقول: "إن الملوك العادلين ينفذون قاعدتين في تنسيق أمور البلاد وضبط شئونها :

أولهما: وهو مدار الحكم وأساسه وقاعدة السلطنة وركنها، مثل تعيين قوانين السياسة وقواد الجيش وأمراء المدن (الذين مأمورون بتنفيذ أوامر الملك بكل وسيلة يقدرون عليها)

ثانيهما: " القسم الذي يكمل القسم الأول ويمهده مثل تعيين سعاة البريد لإبلاغ المراسيم والمنشورات إلى الأمراء والرعية وتعيين الأذكياء والعقلاء لكي يدركوا المقاصد من ظواهر القوانين ويميزوا بين الأهم والمهم ويلفتوا أنظار الرؤساء عن طريق المشورة وينبهوا العوم تعليما وتربية..... وإن كان هذان القسمان يندرجان تحت أمور السلطنة وضبط شئون المملكة ولكن لا تخفى على العقلاء ما للقسم الأول من المزية على القسم الثاني فمثلا ينبغي لكل جندي ولكل فرد من أفراد الرعية أن يحقق أحكام المدرجة في المراسيم الملكية وينبغي تنويعها في المدن والقرى وتعليقها على الأعمدة والجدران وإعلانها في الأحياء والأسواق وينبغي على كل عالم وجاهل معرفتها إن كان يعرف لغتها فيها ونعم، وإن لم يكن يعرفها يرجع إلى من يعرف اللغة من غير تخصيص،.....عكس القسم الثاني تماما فلا يلزم على كل جندي من الجنود وعلى كل فرد من أفراد الرعية أن يعرف أحكام المستنبطة من العقلاء والمصالح المرتبة من الفضلاء(١).... وكذلك لاتعلق هذه الأحكام ولا تشهر في الجيوش والمدنيين بل قد يواخذ

(١) وقد أوضح في هذا المثال الفرق بين الأمور الصادرة من الملوك وبين الأمور التي يستنبطها أهل الحل والعقد والعقلاء، وبين ما يجب على الرعية تجاه كل أمر، فشتان بين أمر الملك وبين أمر العاقل الذي

عليها إن صدر ذلك الفعل على علم ومعرفة، ويصبح نوعاً من الخروج على الدولة وإن لم يتعمد ذلك لنسب إلى حماقة والسفاهة".

"كذلك تخصيص شخص معين لنفسه من غير أن تعينه الجهات الرسمية، مثل التزامه بواحد من سعاة البريد فيقبل ما وصل عن طريقه من المراسيم السلطانية ولا يقبل عن غيره وإن كان ثقة، أو أن يلتزم واحداً من العقلاء والفضلاء فيقبل ما استنبطه من المسائل واستخرجه من المصالح ولا يقبل من غيره وإن كانوا عقلاء وفضلاء مثله، وإن استفسر عند الضرورة من بعض العقلاء حكماً من الأحكام المستنبطة منهم أو مصلحة من المصالح المستخرجة منهم يعمل به ويلتزمه دائماً ولا يستفسر عن غيره أبداً، وإن استفسر لا يعمل به، بل دائماً ينسب نفسه إلى الشخص الأول، ويرى وجوب إظهار النسبة إليه والبراءة من الانتساب إلى غيره في كل مجلس ومحل (١)..... فهذه الأمور كلها مبنية على السفاهة والجهالة". (٢)

وبعد هذا المثال المفصل الدقيق أراد أن يبين أمراً هاماً وهو الرد على من يرى وجوب تقليد الشخص المعين، أو وجوب التمسك بشيخ طريقة معينة، وأشار في المثال جميع الأمور التي أراد أن ينكر عليها والأمور التي تشبث بها المتعصبة والمبتدعة وتهالكوا بها ثم يقول: "ولما ضربنا هذا المثال كالتمهيد فيعلم أن المالك المطلق والملك بالاستحقاق جلت قدرته قد أقام مصدرين لتنظيم الملة الحققة:

"المصدر الأول: الذي عليه مدار شيوع الملة، وذلك يتعلق بشان الملوكية يعني تكليف عباده بالطاعة عن طريق الإلزام بحيث يقبلونه رغبة أو رهبة، ومركز هذا المنبع منصب الرسالة وفروعها أولو الأمر، من الخلفاء الراشدين والأئمة العادلين وأمراء جنود المجاهدين وقضاة المسلمين ونوابهم..... فمرسومه العالي الجليل الشأن، القرآن الواضح البيان والتصريحات العالية الجليلة

استنبط أمراً لتنظيم الأمور، فهو بهذا المثال يشير إلى الفرق بين أمر الله ورسوله وبين ما استنبطه العقلاء والفقهاء، فبأن بعيد بينهما فمن لم يراع تلك الفروق فلا يعتبر عاقلاً.

(١) يشير بكلامه بأنه كما لا ينبغي في الأمور الدنيوية مثل هذه المعاملة من التزام آراء شخص وتخصيصه لنفسه في قبول الأوامر الملكية من غير أن يكون مأموراً من جهة رسمية، كذلك لا يجوز في الأمور الدينية تخصص شخص في معرفة الأحكام والتزام آرائه والانتساب إليه إلا إذا كان مشروعاً في الشرع.

(٢) مختصر بلفظه، انظر "إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٤١ - ٤٥

من الأحاديث القدسية، يوحىها الله إلى رسوله أولاً، ويلهم على قلبه الذي هو آية الهداية، القوانين والأوامر لإيضاح مراسيمه التي تسمى بالسنة النبوية، ثم تنشر هذه القوانين في أنحاء العالم بمساعي أولئك النواب المذكورين ويلزم جميع عباده طاعة أولئك النواب، بحيث أن كل من أطاع أمن في الدنيا ونجا في الآخرة، ومن أعرض عنها أصبح مباح الدم في الدنيا ومطرودا في الآخرة، وأعماله باطلة وجهوده مردودة".

"المصدر الثاني: في الحقيقة تنمة للمصدر الأول وتكملة له وهذا متعلق بشأن الربوبية، يعني تيسير الأمور التي يفتقر إليها العباد للقيام بمقتضى الأحكام الإلهية والسنة النبوية، ومركز هذا المصدر الدولة، وفروعها مناصب العلماء والأولياء من القراء والمحدثين الذين يبلغون الأحكام الإلهية والأحاديث النبوية إلى جميع الأمة، والمجتهدين الذين يستنبطون الأحكام ومشايخ الطرق (١) الذين يستخرجون التدابير المفيدة لنشر السنة النبوية حسب مصلحة الوقت ومقتضاه وأئمة اللغة والتفسير الذين يشرحون قواعد اللغة.....، والمهبط الأصلي لهذين الكمالين قلوب الأنبياء عليهم السلام، أما الأول فنور وهاج قوي الإشراق يضيئ مرآة الرسالة من شمس السلطنة الإلهية ومنها انعكست أشعته واحتضنت العالم كله واطمحت ليلة الكفر والفساد وأضاءت نهار الإسلام وجلت نظام الدارين".

"أما الثاني فمآل زلال عذب، نزل عن سحب الربوبية وفار من فوارات حكمة الأنبياء ثم اجتمع في حياض قلوب الخواص ووصل إلى أفواه العطاش الملهوفين للماء حسب مراتبهم".

ثم يصل إلى النتيجة بعد هذا المثال الطويل فيقول: "فيجب احتفاظ مرتبة الأول على الثاني والاهتمام المبذول للأول لا ينبغي لثانيه فمثلا، يتحتم على كل فرد سواء كان عالما أو جاهلا أو عاقلا أو سفيها أو كاتباً أو أمياً أن يفتش مضامين ظاهر الكتاب والسنة ويحققها إما أن يفهم بنفسه أو باستفهام من يفهمها، ويجب على جميع الأمة من أول اليوم التزام طاعة الأنبياء (٢) وأولي الأمر بالتعيين، وإظهار الانتساب إليهم، والاحتراز من مشابهة الكفار ومخالطة المبتدعة والابتعاد من مشاركة البغاة يعد من أركان الدين، وكذلك القيام بنشر ظاهر الكتاب والسنة بالسيف والسنان، والمناظرة والبيان، وتشهيرهما في جميع المدن والقرى من أركان الدين....

(١) فكانه لا يرى بأساً في وجود المشايخ إذا كانوا متمسكين بالسنة ومشغولين بنشرها والعمل بها، وسيأتي الرد عليه.

(٢) الأولى أن يقال طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يلزمنا الشرائع الفرعية للأنبياء السابقين.

بخلاف القسم الثاني، فلاحاجة لكل شخص تحقيق الأحكام القياسية وأشغال الصوفية وقواعد اللغة العربية، وليس من أسس الدين إرادة وتقليد شخص معين من المجتهدين والمشايخ (١) ويكفيه أن يستفسر عند الضرورة من أي واحد من هؤلاء، ولن يجعل الإرادة (٢) والتقليد مثل الإيمان بالأنبياء ركنا من أركان الدين فيظهر لقب "الحنفي" و"القادري" مثل إظهار لقب "المسلم" و"السنّي" ويعتبره من لوازم التدين ويميز نفسه من "الشافعية" و"الجبشيتية" كما يميز من الكفار والروافض، ويجعل الانتقال من مذهب إلى مذهب أو من طريقة إلى طريقة مثل الارتداد والابتداع والبغي الموجب قتله وهتكه، ويجعل دعوى الاجتهاد والولاية مثل ادعاء النبوة أو ادعاء الإمامة لنفسه بالخروج على الإمام الحق الباعث على قتاله وإهانته، أما ترى حواجز الإجماع على طاعة القاضي ولا يجبر على طاعة المجتهد (٣) ولا حق لقاض أن يرد قضاء قاض آخر فكيف أحاد الرعية يستحق ذلك، بخلاف اجتهاد المجتهد فلا يجب قبوله على كل شخص، خاصة إذا كان الشخص في نفسه مجتهدا فالأصل أن لا يجوز له تقليد مجتهد آخر، ولا يجوز الخروج على الإمام الحق وإن كان في الخارج عليه صلاحية الإمامة، بخلاف دعوى الاجتهاد فيلزم لمن حصل له ملكة الاجتهاد أن يدعي به ويخلع ربة التقليد عن رقبته.

(١) المراد بالإرادة هنا هي إرادة خاصة، إرادة المريد لشيخ طريقة صوفية، فمن أصبح مريدا له لا يستطيع العدول عن أمره وقوله ويجب عليه طاعته في كل أمر ويحرم عليه الخروج منه أيضا. وقد أوجبت تعاليم الصوفية الانسلاخ في طريقة من طرق الصوفية الأربعة المشهورة كما أوجبوا التمنّيب بمذهب من المذاهب الأربعة، ويقول صاحب بذل المجهود، وهو يبين معتقدات الأحناف الديوبنديين: "إنا بحمد الله ومشايخنا رضوان الله عليهم أجمعين وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلدون لقدوة الأنام وذروة الإسلام إمام الهمام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه في الفروع، ومتبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية، والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الجبشيتية، وإلى الطريقة البهسية المنسوبة إلى السادة القادرية، وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلى السادة السهروردية، رضي الله عنهم أجمعين" المهند على المفند يعني عقائد أهل السنة رحمهم الله علماء ديوبند" ص: ٣٠

(٢) المراد به كون الشخص مريدا لشيخ من شيوخ الطريقة، وقد أوجب الصوفية التزام شيخ الطريقة أشد من إيجابهم الإيمان بالله.

(٣) يستدل على عدم وجوب طاعة شخص معين من المجتهدين.

بعد هذا التفصيل وحشد الأدلة وإزالة الشبهات يقول الشاه رحمه الله: "ومقصودنا من هذا الكلام كله هو الاشتغال بالكتاب والسنة وتعلمهما وتعليمهما، والسعي في نشرهما وإشاعتهما، وهما بمثابة الأكل والشرب واللبس لأن عليهما مدار الحياة بخلاف الاشتغال في معرفة الأحكام الفقهية المعتمدة، (١) والأشغال الصوفية المقيدة فإنها بمثابة الدواء والعلاج الذي يستعمل عند الضرورة بقدر الحاجة، (٢) ثم يتوجه إلى العمل الأصلي الأساسي، وينبغي أن يكون عنوانه وشعاره محمديا خالصا، وأن يتمسك بالسنن القديمة ولا يتمذهب بمذهب خاص ولا ينسلك في طريقة مخصوصة ويعتبر المذاهب والطرق مثل دكاكين العطارين، أما نفسه فيجعلها من المنضمين إلى الجيش الحمدي، فكما أن شعار الجنود القروسية وإعلاء كلمة السلطان شغلهم، وعندما يحتاجون إلى الدواء يأخذون من أي دكان يصادفهم ويستعملونها على قدر الضرورة ويحتفظون بقيتها لوقت الحاجة، فينشغلون في أعمالهم الأصلية، كذلك يجب علينا أن نتخذ شعارنا الحمدي الخالصة ونجعل شغلنا الشاغل ترويج السنة، أما الأحكام الفقهية الصحيحة وأوراد الصوفية المعتبرة الخالية من شوائب الفساد والبدعة يستعمل بقدر الحاجة ولا ينبغي التوغل فيها أكثر من الحاجة".

وخلاصة الكلام أن الأحكام الفقهية التي استنبطها المجتهدون السابقون المعترف بهم في اجتهادهم بالقياس الصحيح فهي من قسم السنة من غير شك ولكنها من قسم السنة الحكمية التي لا تزن بحجة شعيرة مقابل السنة الحقيقية فالإفراط والغلو في ذلك بدعة. (٣)

(١) لا يقصد الشاه "بالأحكام الفقهية" هنا الأحكام التي تكون مصدرها الكتاب والسنة، بل يظهر من صنيعه بأن المراد بها تفرعات المتأخرين، اللاتي لا تكون معتمدة عليهما، والله أعلم.

(٢) يرى الشاه أن الأشغال الصوفية كالوسائل التي تخدم الغرض الأصلي ولا يتعبد بها، ويفض البصر عنها إذا لم تكن فيها مخالفة شرعية ظاهرة، وجانب الصواب في قوله، انظر التعليق عليه ص:

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٤٥ - ٤٩

الفصل الثاني: جهوده في إبطال ما يصد عن التمسك بالكتاب والسنة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في رد التقليد الجامد

المبحث الثاني: جهوده في رد تحكيم العقول و الأقيسة الفاسدة

المبحث الثالث: جهوده في إبطال علوم، لاتنفع في فهم الكتاب والسنة

تهيد

الشاه رحمه الله لم يقتصر على الدعوة إلى الكتاب والسنة مستدلا بالآيات والأحاديث، ومبيناً فوائد الرجوع إليهما، وحذراً عن مخالفتهما، بل قد بين العوائق التي تعوق عن الرجوع إليهما ومن تلك العوائق اتباع الأشخاص والتزام أقوالهم وآرائهم والتعصب لهم وتقليد أقوالهم (والتقليد كما هو مصطلح عليه عند العلماء هو قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل) (١).

وجهوده في رد التعصب المذهبي والدعوة إلى الكتاب والسنة وإن كانت مشكورة ولكن تتضاعف أهميتها وقيمتها في بلاد الهند والأفغان، التي أهلها أشد الناس تعصبا لآرائهم الفقهية، وتزداد قيمة جهوده عندما نلاحظ أنه سبق على غيره في إبطاله بكل صراحة وجراءة في ديار الهند (٢) وقد بلغ جمود أهالي تلك المنطقة وتعصبهم أنهم لا يزالون يكرهون من لا يقلد المذهب الحنفي أشد الكره ويسبونهم بكل سب وشتم ويجعلونهم في صفوف الدهريين، والطبيعيين، والقاديانيين، وغيرها من الفرق الضالة (٣) وهذا القنوجي يصف أحوال الهند في زمنه الذي عرف فيه الناس السنة "ألا ترى أبناء هذا الزمان من مقلدة المذاهب؟ لاسيما هؤلاء الحنفية الساكنة في مدائن الهند كيف غلوا في إثبات تقليد الإمام وجاعوا له بكل حشيش ولا يزال جمع منهم يولف رسائل ويسود قراطيس في رد العاملين بالكتاب والسنة والمتمسكين بها عداوة للإسلام العتيق....." (٤)

هذا في زمن نعتبره زمن انتشار السنة فكيف في زمن الشاه الذي كان بداية للسنة وعلومها، وأسوق إليك مثالا واحدا من الآلاف المؤلفة من الأمثلة فإن الشيخ محمود الحسن (٥) يقول: "فالحاصل أن مسألة الخيار من مهمات المسائل وخالف أبو حنيفة فيه الجمهور وكثير من الناس من المتقدمين والمتأخرين صنفوا رسائل في ترديد مذهبه في هذه المسألة ورجح مولانا الشاه ولي الله المحدث الدهلوي قلس سره، مذهب الشافعي من جهة الأحاديث والنصوص وكذلك

(١) التعريفات للجرجاني ص: ٦٤

(٢) انظر "علماء ديوبند كما ما ضي تاريخ ك آئنه مين" ص: ٣٤٧

(٣) انظر "تذكرة رشيد" ص: ١٠

(٤) الدين الخالص ٨٧ / ٢

(٥) من كبار مشايخ الديوبنديين يلقبونه بـ "شيخ الهند" ت ١٣٣٩ هـ انظر "نزهة الخواطر ٨/ ٤٦٥

قال شيخنا مد ظله : يترجح مذهبه وقال: الحق والإنصاف أن الترجيح للشافعي في هذه المسألة، ونحن مقلدون يجب علينا تقليد إمامنا أبي حنيفة" (١)

وقد بلغت عداوتهم لغير المقلدين أنهم كانوا يتعدون على دمائهم وأعراضهم في حين كان الاستعمار يطاردهم ويقتلهم قتلا ذريعا والمبرر لكل هذا النكال بأنهم "هابيون"، وإذا نجا أحد من الهند ولجأ إلى مكة أو زارها حاجا أو معتمرا يؤلبون الحكومة العثمانية عليه حتى تسجنه وتقتله وقد أشار إليه القنوجي فيقول: "... وأما قصة الحال فمن غرائب الزمان وهي أن أهل مكة يخرجون كل من يسمعون أنه يعمل بالحديث وينكر التقليد ويضطرونه إلى الخروج والجلاء مع أنه مهاجر غريب الدار والأهل والوطن والسكن، هاجر من ماله وأهله حبا لله ولرسوله وسكن أشرف البلاد وهو ليس بمشغول في رد أحد من أهل المذاهب ولا في الجهاد يصلي الصلاة في الحرم الشريف المكي، ويطوف ويدرس في بيته محتفيا إن كان من أهل العلم، وإلا يسكت عن الجميع إن كان عاميا، ومع ذلك إذا سمعوا في حق أحد من هؤلاء المهاجرين من بلاد الهند وغيره أنه لا يقلد إماما من الأئمة الأربعة ويتبع السنن ويقتدي بكتاب الله ذي المنن، سخطوا عليه ورموه بكل حجر ومدر وسعوا به إلى الحكام وألزموه مالا يلزمه من الآثام وتعاقبوه إلى أن أخرجوه من مكة إلى جدة ومن جدة إلى الغربة" (٢)

(١) انظر التقرير للترمذي: ص ٣٦

(٢) الدين الخالص ٣/ ٤١٢ - ٤١٣

المبحث الأول: جهوده في رد التقليد الجامد

المطلب الأول: الرد على التمسك بما يخالف الكتاب والسنة

إن من العوائق الشديدة في الرجوع إلى كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، التقليد الجامد. فلما رأى الشاه رحمه الله هذا المنكر المنتشر في بلاد الهند والسند والأفغان، حاول الرد عليه بأساليب عديدة، وبأدلة كثيرة، وبطرق شتى حتى يقنع الناس بالتمسك بما جاء في كتاب الله وما صح من حديث النبي وإن خالف المذهب. وقد بوب بابا مستقلا بعنوان "ذكر رد بدعات التقليد" في كتابه "رد الإشراف".

يقول في شرحه: "فلن كثيرا من الناس يستدلون بكلام المشايخ والفقهاء وبفعلهم، ويعتقدون فيهم أن الحق ما قالوه وما فعلوه سواء كان ذلك موافقا لكلام الله ورسوله أو مخالفا، فكأنهم اتخذوهم المشرعين لهم، وإن نصحهم ناصح واستدل بأية أو بحديث ينكرونه أو يؤولونه ولا يزالون بذهاب الإيمان به".

"فالحاكم المطلق هو الله عز وجل، يجب امتثال حكمه ولا يمثل لغيره و امتثال حكم الرسول هو امتثال لحكم الله عز وجل، فالرسول نفسه ليس حاكما، فكيف يستحق ذلك المنصب المجتهد، أو الفقيه، أو المولوي، أو المفتي، أو القاضي، أو طالب علم، أو الفتوى أو القطب، أو الولي، أو الشيخ، أو الشهيد، أو ابن الشيخ، أو الخادم أو المجاور، والمريد".

"و لكن يجوز له أن يسأل أهل العلم لقول الله عز وجل: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾ (١) فيجوز له أن يسأل المجتهد، أو العالم، أو الفقيه، أو المفتي، أو القاضي، مسألة شرعية ولكن لا يتخذهم حاكما على الشريعة" (٢)

ويدعو الشاه دعوة صريحة إلى التمسك بالكتاب والسنة في كل شيء وإبطال جميع ما يخالفهما فيقول: "ومن عارض أمر الله بأمره، رد ولم تكن له قيمة ولم يأمر الله تعالى بنسج أمثال هذه التخيلات والأوهام، إن أصل الدين وقوامه أن يمثل العبد أمر الله، ويفضله على كل

(١) سورة النحل / ٤٣

(٢) انظر تذكير الإخوان : ١٥٦

شيء، وعلى كل ما انتشر في الناس من العادات والتقاليد، ولكن معظم الناس لا يسلكون هذا الطريق بل يؤثرون أقوال مشايخهم وتقاليدهم على أمر الله وأمر رسوله" (١)

وخلال نهيه عن الإعراض عن حكم الله ورسوله اتباعاً للأهواء أو حباً للآباء والأصدقاء والأزواج والأولاد، يقول: "ينبغي أن يقبل من أقوالهم ما كان موافقاً للكتاب والسنة ويهجر ما كان غير ذلك، وما أشقى برجل اتبع المسيح الدجال معرضاً عن المسيح عيسى عليه السلام وما أسوأ برجل أعرض عن الله الهادي المطلق ورسوله محمد الهادي بالحق واتبع شيطاناً" (٢)

ثم إنه رحمه الله يحذرهم عن اتباع العلماء والمشايخ في أخطائهم وعن جدال المنافقين الذين لا يريدون اتباع الحق وكذلك الأئمة والأمراء والقضاة الذين ينحرفون عن الحق، فيسببهم يعم الفساد ويضل الخلق، فيحذرهم عن اتباعهم والفتنة بهم فيستدل عليه بقول عمر رضي الله فيقول: "أخرج الدرامي عن زياد بن حدير قال قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الإسلام قلت: لا، قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب و حكم الأئمة المضلين" (٣)

ثم يحذرهم عن اتباع أحد من الخلق مهما بلغ من المرتبة في الدين والعلم فيما يخالفه الشرع فيستدل عليه بالحديث فيقول: "أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (٤)

وقد تعود المبتدعة على معارضة النصوص الصحيحة بتقاليد الآباء والأجداد كما كان أهل مكة يستندون إليها في رد ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان الشاه يواجه هذه المعارضة فيرد عليها بأسلوب جيد، فيقول في شرح الآية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٥) "فإن أمر المسلمين غريب يقدمون طريق آبائهم معرضين عن طريق الله ورسوله وإن كان آبائهم جهالاً

(١) تقوية الإيمان ص: ١٠٨

(٢) انظر تذكير الإخوان ص: ٧١

(٣) رواه الدرامي ٨٢/١ برقم (٢١٤) وسنده صحيح كما في تخريج المشكوة للألباني ٨٩/١

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - الأحكام - باب السمع والطاعة للإمام ... (٧١٤٤) و مسلم

- الإمارة - (١٨٣٩)

(٥) سورة البقرة/ ١٧٠

وضلالا، ولا يختارون طريق الله ورسوله وإن كان فيه خير الدنيا والآخرة، وقد بلغ أمرهم إلى هذا الحد بأن أسلافهم فعلوا شيئا لمصلحة، (١) فأصبحوا يقلدونهم فيه مع فوات تلك المصلحة، مثلا لو كان الأب مريدا لأحد فابنه يصبح مريدا لتلك العائلة مع أن شيخ أبيه كان رجلا صالحا عابدا أما ابنه مرآتي خادع ولكنه لا يتركه أبدا ويلتزمه، ويصبح مريدا له ...، وكذلك لا يعلمون البنات القرآن ومسائل الشرع تقليدا لأبائهم فهذه عادة تسربت من الهنادكة (لأنهم يحرمون على بناتهم تعلم العلم) سبحانه الله!! مع وجود جميع هذه الأمور يفتخرون بأنهم مسلمون، والواجب على المسلم ألا يستدل بتقاليد الآباء والأجداد مثل الكفار، وإن كان شيء منها يوافق الكتاب والسنة فيقبلها على أنه حكم الله ورسوله ويتعبد به لا يقصد به اتباعهم، فالآية تدل على أن اختيار تقاليد الآباء والاستناد إليها في مقابل الكتاب والسنة من أعمال الكفر وقد زجر الله الكفار على صنيعهم هذا" (٢)

المطلب الثاني: مضار التقليد الجامد

أ- الغلو في تقليد الأشخاص شرك:

يقول الشاه: "قال الله عز وجل: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾" (٣) يقول في شرحها "وقد ثبت عليهم الشرك لإيجابهم على أنفسهم أحكام علمائهم ومشائخهم مع حكم الله عز وجل وهو أحد لا شريك له فإنهم كلهم خلق الله محكومون فكيف أصبحوا حاكمين يتدخلون في أحكام الله بعقولهم" (٤)

ويؤكد هذا المعنى بآية أخرى فيقول: "قال الله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾" (٥) يقول في

(١) ليست فيما يخالف الكتاب والسنة من مصلحة.

(٢) تذكير الإخوان ص: ١٦٤ - ١٦٥

(٣) سورة التوبة / ٣١

(٤) تذكير الإخوان ص: ١٥٧ - ١٥٨

(٥) سورة الشورى / ٢١

شرحه : " فالآية تدل على أن من شرع في الدين من عند نفسه ومن عمل به فقد ثبت عليه الشرك فيدخل في عذاب أليم يوم القيامة" (١)

وقد استدل بالآية المذكورة وبحديث عدي بن حاتم عدة مواضع يستدل على عدم الغلو في الأشخاص وآرائهم يقول في موضع: " أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي اطرح عنك الوثن وسمعتة يقرأ في سورة براءة ﴿ اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ وقال: إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموا (٢) ويشرحه بقوله: " فإن اليهود والنصارى كانوا يستحلون ما أحل مشايخهم وعلماءهم ويحرمون ما حرموا عليهم ولم يكونوا يرجعون إلى التوراة والإنجيل فقال الله عز وجل إنهم أشركوا بالله عز وجل بهذا العمل فبدل الحديث على أنه لا ينبغي للمسلم أن يختار طريق اليهود والنصارى، ويجب عليه أن يعتبر الله عز وجل الحاكم الأصلي والشارع الحقيقي، ويقدم القرآن على كل شيء ويتبع ما في القرآن ولا يقدم عليه قول إمام ولا شيخ....." (٣).

ب - الغلو في التقليد والتعصب داء عضال أهلك الشيعة

يقول الشاه رحمه الله يرد على التقليد وجنائاته أن من يلتزم به يضطر إلى تأويل النصوص وإخضاعه لقول إمامه، وقد كانت الشيعة هلكت بهذا الداء العضال حيث غلت في أئمتها حتى خرجت من الدين وأتبعت شريعة جديدة، يقول رحمه الله: " وقد غلا الناس في التقليد وتعصبوا في التزام تقليد شخص معين حتى منعوا الاجتهاد في مسألة ومنعوا تقليد غير إمامه في بعض المسائل وهذا هي الداء العضال التي أهلكت الشيعة فهؤلاء أيضا أشرفوا على الهلاك إلا أن الشيعة قد بلغوا أقصاها فجوزوا النصوص بقول من يزعمون تقليده وهؤلاء أخذوا فيها، وأولوا الروايات المشهورة إلى قول إمامهم، والحق تأويل قول الإمام إلى الروايات إن قبل وإلا فالترك" (٤)

(١) تذكير الإخوان ص: ١٥٨

(٢) رواه الترمذي - التفسير - (٣٠٩٤) قال الترمذي هذا حديث غريب. والحديث حسن انظر غاية المرام

في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص: ٢٠

(٣) تذكير الإخوان ص: ١٦٠ - ١٦١

(٤) تنوير العينين ص: ٢٥

وقد قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية من قبل فيقول: " أن من نصب إماما فأوجب طاعته مطلقا اعتقادا أو حالا، فقد ضل في ذلك كأئمة الضلال الرافضة الإمامية حيث جعلوا في كل وقت إماما معصوما يجب طاعته فإنه لامعصوم بعد الرسول ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء... (١) ويقول أيضا: " ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقي فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقيين كالرافضي الذي يتعصب لعلی دون الخلفاء وجمهور الصحابة (٢)

ج - الطعن في من تمسك بالسنة:

ومن مضار التقليد الجامد، الطعن في من تمسك بالسنة وترك التقليد يقول الشاه في صده " والعجب من القوم لا يخافون من مثل هذا الاتباع بل يحيفون تاركه فما أحق هذه الآية في جوابهم ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾ (٣) فتدبر وانصف ولا تكن من المميزين ونعوذ بالله أن نكون من المتعصبين" (٤)

وكان علماء السنة يعانون من هذه البلية كما يقول الفلاني رحمه الله: " فقد شاهدنا في هذه الأعصار رأيا مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مصادما لما في كتاب الله عز وجل قد جعلوه سنة واعتقدوه ديناً يرجعون إليه عند التنازع وسموه مذهبا ولعمري أنها لمصيبة وبلية وحمية وعصية أصيب بها الإسلام إنا لله وإنا إليه راجعون" (٥)

المطلب الرابع: الرد على من أوجب التقليد

ثم يتطرق إلى الرد على من أوجب التقليد الشخصي ويرد عليه بكل شدة فيقول: " وليست شعري كيف يجوز التزام تقليد معين مع تمكن الرجوع إلى الروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم الصريحة الدالة خلاف قول الإمام المقلد، فإن لم يترك قول إمامه ففيه شائبة من

(١) الفتاوى ٦٩ / ١٩

(٢) الفتاوى ٢٥٢ / ٢٢

(٣) سورة الأنعام / ٨١

(٤) تنوير العينين ص: ٢٧ - ٢٨

(٥) إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني ص: ١٣ - ١٤

الشرك كما يدل عليه حديث الترمذي عن عدي بن حاتم أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم﴾ فقال : يا رسول الله إنا لم نتخذ أحبارنا ورهباننا أربابا، فقال: إنكم حللتم ما أحلوا وحرمتم ما حرموا (١) يقول الشاه: " وليس المراد بالتقليد في العقائد على ما ينطق به لفظ "حللتم وحرمتم" فإن التحليل والتحريم إنما يستعملان في الأفعال، وليس المراد به التقليد مطلقا وإلا لزم تكليف كل عامي بالاجتهاد، وليس المراد به رد النصوص وإنكارها في مقابلة قول أئمتهم وإلا لم يكونوا نصارى، بل المراد هو تأويل الدلائل الشرعية إلى قول أئمتهم..." (٢)

ونوع أسلوبه في الاستدلال في رد التقليد الشخصي ومقصود كلامه أن من تمسك بقول إمام معين وترك ما يخالفه من الحديث الصحيح ولم يرجع إلى الرايات الصحيحة مع تمكن الرجوع إليها ففيه شائبة من الشرك لأنه أطاعهم في تحليلهم وتحريمهم، والطاعة في التحليل والتحريم والمعصية بمثابة اتخاذ الأرباب من دون الله كما هو موجود في الآية وكما صرح به السلف من المفسرين.

قيل لحذيفة : أرايت قول الله اتخذوا أحبارهم: قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه فتلك كانت ربوبيتهم" (٣) ثم يدفع ما يعترض على استدلاله بأن المراد منه هو أن يعتقد فيهم، بما يعتقد في رب العلمين، فيرد هذه الشبهة بقوله " وليس المراد بالتقليد في العقائد" أي ليس المقصود في الآية هو الاعتقاد فيهم بالنفع والضرر ونحوه بل المراد هو اتباعهم فيما أحلوه وما حرموه لأن لفظ التحليل والتحريم إنما يستعملان في الأفعال دون العقائد. ولقائل أن يقول إن أهل الكتاب كانوا يردون الوحي والنصوص الإلهية ولذلك قال الله فيهم إنهم اتخذوا الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، فيجيب الشاه على هذا الاعتراض بأنه لا يمكن أن تحمل الآية على المعنى المذكور لأنه يلزم منه الكفر و به يخرجون من الملة النصرانية، ولكن القرآن لم يعتبرهم خارجين من النصرانية بل عداهم منها ويجعلهم من المشركين لأسباب مذكورة في القرآن وفسره النبي صلى الله عليه وسلم ألا وهو قبول قولهم في التحليل والتحريم.

(١) سبق تخريجه. ص: ١٥٦

(٢) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ص: ٢٧

(٣) تفسير ابن جرير ٦ / ٣٥١

فإذا انتفت هذه الشبهات لا يبقى إلا أن نفهم أنهم كانوا يُخضعون الدلائل الشرعية لما كان يشرع لهم علماء هم ولذلك يقول الشاه في الأخير " وليس المراد به رد النصوص وإنكارها في مقابلة قول أئمتهم وإلا لم يكونوا نصارى بل المراد هو تأويل الدلائل الشرعية إلى قول أئمتهم" (١) يعني أنهم أصبحوا مشركين لتأويل الدلائل الشرعية إلى قول أئمتهم، فمن فعل مثل فعلهم يجرى عليه الحكم الذي جرى عليهم، من اتخاذ الأخبار والرهبان أربابا من دون الله.

ثم يواصل الرد على من يلتزم تقليد الشخص المعين فيقول: " فعلم من هذا إن اتباع شخص معين بحيث يتمسك بقوله وإن ثبت على خلافه دلائل من الكتاب و السنة ويؤولهما إلى قوله، ففيه شوب من النصرانية وحظ من الشرك" (٢)

يقول ابن عبد البر رحمه الله: " وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر اولئك من الاحتجاج بها لأن التشبه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر وإنما وقع التشبيه بين التقليد بغير حجة للمقلد، كما لو قلد رجل فكفر وقلد آخر فأذنب فقلد آخر في مسألة دنياء فأخطأ وجهها، كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضا وإن اختلفت الآثام فيه" (٣)

الحق ليس محصورا في المذاهب الأربعة:

يقرر في موضع آخر أن الحق ليس محصورا في مذهب من المذاهب بل الواجب على المسلم أن يرجع إلى الحديث الصحيح إذا وجده، سواء كان في المذهب أم لا، فيجيب على سؤال، سأل عن رجل يعتقد أن الحق محصور في المذاهب الأربعة فيقول الشاه: " هذا القائل مخطئ وقوله باطل ولكن يصعب أن تميل المذاهب الأربعة كلها عن الحق ولكن يمكن أن يجد المتأخرون حديثا صحيحا لأن علم النبي صلى الله عليه وسلم قد انتشر في الآفاق ولو وجد حديثا يخالف المذاهب الأربعة فلا يرد لمجرد مخالفتها بل الواجب تحقيقه والتثبت فيه وإن ثبت كونه صحيحا

(١) تنوير العيين ص: ٢٧

(٢) المصدر السابق

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١١٠/٢

وجب القبول له، وهذا القبول أيضا يعتبر من اتباع المذاهب الأربعة لأن أبا حنيفة قال: يرد قولي إذا خالف الحديث" (١)

ويقول الشاه في موضع بأن اتباع المذاهب بالنسبة للعوام جيد ولكن يجب على كل واحد إذا وجد حديثا صحيحا غير منسوخ الرجوع إليه فيقول: "فإن متابعة المذاهب الأربعة الرائجة بين أهل الإسلام جيد ولكن لا يعتبر بأن علم الرسول صلى الله عليه وسلم منحصر في شخص واحد بل علمه منتشر في جميع العالم ووصل إلى كل واحد حظ منه حسب ظروفه، ولما ألقت الكتب ظهر ذلك العلم مجتمعا فإذا وجد حديثا صحيحا صريحا غير منسوخ لا يتبع مجتهدا كائنا من كان، ويجعل أهل الحديث هاديه فيحبهم حبا جما لأنهم يحملون علم الرسول صلى الله عليه وسلم كأنهم بمصاحبه صلى الله عليه وسلم أصبحوا مقبولين عند الله عز وجل." (٢)

ومما يتعلق بهذا الموضوع هو التقليد بمذهب من المذاهب وإمامه وعدم الخروج منه وأوجب بعض المتأخرين التقليد الشخصي وهو التمسك بمذهب من المذاهب الأربعة ويرد عليهم الشاه بأن التزام المذاهب الأربعة ليس بواجب فيقول: "إن اتباع غير الأربعة أيضا مما لم يجمع على منعه قال صاحب "المسلم" (٣) في آخر الكتاب" وعليه أي على منع العوام من تقليد الصحابة ابتنى ابن الصلاح منع تقليد غير الأربعة، لأن ذلك أي التنقيح والتسبير لم يدر في غيرهم، وفيه ما فيه ثم بين وجه النظر في المنهية ناقلًا عن العراقي أنه انعقد الإجماع على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء بغير حجر، وأجمع الصحابة على أن من يستفتي أبا بكر وعمر وقلدهما فله أن يستفتي أبا هريرة، ومعاذ بن جبل وغيرهما ويعمل بقولهم من غير تكبر فمن ادعى على رفع هذين الإجماعين فعليه الدليل" (٤) ويرد عليهم بوجه آخر بأن اتباع مذهب واحد في نفسه ليس تقليد شخص معين لأنه ليس لإمام واحد بل هو مركب من اجتهادات عديدة من المجتهدين ولو سلم وجوب تقليد شخص معين خلال مذهب من المذاهب الأربعة كما يقرر،

(١) انظر مطرق الحديد ص: ٦٦ نقلها من رسالة مخطوطة للشاه إسماعيل رحمه الله، و لمعرفة أقوال الأئمة التي تنص بالرجوع إلى ما صح من الحديث انظر مقدمة "صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم" و"إقظاهم أولي الأبصار للفلاني ص: ٦٢ وما بعدها

(٢) انظر صراط مستقيم ص: ٩٦

(٣) يعني كتاب "مسلم الثبوت" في أصول الفقه، مطبوع على حاشية المستطفي. و الكتاب لمحبه الله البهاري الهندي، انظر ترجمته في أيجد العلوم ٢٣٣/٣

(٤) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ٢٥ - ٢٧

فلا تثبت دعواهم، لأن المذهب ليس لشخص معين، فيقول: "إن اتباع مذهب الحنفية مثلاً ليس تقليد شخص معين فإن المذهب الحنفي عبارة عن مجموع أقوال عمدة المجتهدين المطلقين كأبي حنيفة وصاحبيه وزفر فإن نسبة أبي يوسف مثلاً إلى أبي حنيفة كنسبة أحمد إلى الشافعي على ما يظهر بالرجوع إلى مواضع الاختلاف من الفروع والأصول فوحدة هذا المذهب اختيارية فنقول وحدة المذاهب الأربعة أيضاً كذلك فلا يلزم على متبعه نقصان كما لا يلزم على متبع المذهب الحنفي" (١)

رد شبهة المقلدين:

ومن شبه المقلدين الذين يتركون الحديث الصحيح أن الأئمة والعلماء السابقين لم يأخذوا به ولو كان صحيحاً لأخذوا به، فيجيبهم الشاه ويقول: "إنه رُبُّ عالم وسيع العلم خفي عليه مسألة يتفق عليها، وتكون مشهورة قبله، فإن الإمام مالك رحمه الله مع كونه أعلم من الثوري، على ما تشهد به أقوال الفقهاء قد خفي عليه وضع اليد على الأخرى في الصلوة ويحكي أنه حكم بالإرسال (٢) مع أنه كان مشهوراً في القرن الأول واتفق عليه أكثر العلماء في القرون الأخرى" ثم يؤكد ذلك فيقول: "وقد خفي على الأجلة من الصحابة أشياء كثيرة فقد خفي على ابن مسعود، الأخذ بالركبة، (٣) وخفي على علي حرمة بيع أمهات الأولاد (٤) وعلى عمر تطهير التيمم، من الجنابة (٥) ومثل هذا كثير، على أنه قد سبق اتفاق أكثر الكبار عليه، كأبي بكر، وابن عمر، وجابر، وغيرهم وهكذا من التابعين". (٦)

(١) المصدر السابق

(٢) روى عنه الإرسال والوضع، انظر نيل الأوطار ٢/٢٠٨ وقد روى حديث الوضع في الموطأ.

(٣) وكان رضى الله عنه يطبق يديه بين ركبتيه، ولم يكن يقبض الركبتين، وكان الصحابة أمروا به أولاً

ثم نهوا عنه، انظر سنن أبي داود - الصلاة - ٨٦٨ والنسائي ١٤٣، ٢

(٤) لم يخف عليه بيع أمهات الأولاد، بل وافق عمر في حياته، وخالفه بعد ما ولي، ثم رجع عن مخالفته،

انظر التفاصيل في تلخيص الحبير ٤/٢١٩ وإرواء الغليل ٦/١٨٩

(٥) انظر قصة نسيان عمر حديث التيمم في البخاري (٣٣٨) والفتح ١/٤٤٣

(٦) تنوير العينين ص: ٢١

المطلب الخامس : حكم التقليد

بعد ما بين بدع التقليد وآثاره الوخيمة أراد أن يبين حكم التقليد الذي أفرط فيه الناس فيقول: "أخرج البيهقي عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين(١)

يقول في شرحه: "والعجب أن يتعلم الرجل كل العلوم من الصرف والنحو واللغة والمنطق وعلم المعاني وأصول التفسير والحديث ثم لا يبحث عن حقيقة المسألة الفقهية من أين استنبطت وبأي آية أو حديث استدل عليها فمثله مثل البصير الذي يغمض عينيه ويتبع كل ناعق مثل الأعمى، فهذا يليق برجل لا يعلم الكتاب والسنة ولا يفهمهما، وأما العالم العارف بأصول التفسير والحديث واللغة والنحو، يجب عليه أن يعرض كل مسألة على الكتاب والسنة فإن وافق أخذ وإلا حاول توجيهها وإن كان مخالفا صريحا يرده سواء كان قول إمام أو شيخ ولا يبعد أن يقع هؤلاء في الخطأ لأنه لا معصوم غير النبي صلى الله عليه وسلم"(٢)

ويقول تأكيدا لقوله بأنه لا يجوز أبدا إذا حصل له أمر بالاجتهاد أن يقلد فيه غيره، فكيف يجوز له بعد علمه ومعرفته أن هذا هو الحق، أو قريب من الحق وأن الله يرضى به ثم يخالف الله عز وجل بتقليد أحد من خلقه، فيقول: "وليس للمسلم أن يقلد أحدا فيما حصل له بالاجتهاد اختياريا كان أو اضطراريا، كيف وهل من شأنه إذا حصل له الاطمينان بأن خالفه يرضى له الفعل الفلاني ويكره الفلاني ثم يتبع مخلوقا من المخلوقين"(٣)

وعندما بين بأنه لا يجوز التقليد للعالم المتمكن في العلوم الشرعية يجعله رخصة فيقول: "و الاعتماد في ذلك (في معرفة الأحكام) على قول الثقات، وهو التقليد رخصة"(٤) جعله رخصة

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى بهذا السند - ٢٠٩/١٠ وأخرجه غيره بطرق عديدة ، واختلفت آراء العلماء في الحكم على الحديث ، صححه الإمام احمد وضعفه ابن القطان والعراقي ، والحديث يصل إلى درجة الحسن، انظر تخريجه المفصل في " ضوابط الجرح والتعديل" ص: ٢٣-٢٦ وعلم أصول البدع ص: ٤٧

(٢) تذكير الإخوان ص: ١٥٩

(٣) أصول الفقه ص: ١٣٧

(٤) المصدر السابق ص: ١٢٩

يعمل عليها عند الضرورة، فالاستمرار عليه غير محمود، و لذا يقول: "والتقليد ليس بواجب لكن إذا نزل نازلة لأحد ولم يتحصل الاطمينان سأل أي ثقة وجد وهو مسألة التجزئ" (١)

الرجوع إلى العلماء الثقات من غير تعيين.

ثم يقرر بان تقليد المعين الشائع بين العوام والخواص غير لازم بل الواجب على المسلم أن يرجع إلى واحد من علماء الثقات في معرفة حكم شرعي كما كان عادة المسلمين في القرون الأولى قبل انتشار التقليد الشخصي، فيقول: "وتقليد المعين ليس بواجب بل يكفي العزيمة على اتباع ثقة من الثقات (٢) نعم إذا ظن أن الوثوق منحصر في شخص واحد فحينئذ يجب التعيين به" (٣)

وقد تجاوز المتعصبون في إيجاب التقليد بل أوجب كل واحد منهم تقليد إمامه وأتباعه" فقالت طائفة: ليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلئي وهذا قول كثير من الحنفية" (٤) ولم يكتفوا على هذا بل قعدوا قاعدة لخصر الناس في مذهب من المذاهب حتى لا يخطر على قلبه الخروج منه فقالوا: "كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ" (٥)

"ومثل هذا القول قاله أكثر العلماء المذهبيين المتأخرين بلسان قاهم أو بلسان قاهم... (٦)"

(١) المصدر السابق ص: ١٤٠-١٤٢ والمراد بمسألة التجزئ هو تجزئ الاجتهاد، بحيث يتمكن العالم بالاجتهاد في بعض المسائل دون بعضها، وهذا جائز عند المحققين من العلماء فيجوز له أن يجتهد فيما استطاع ويأخذ فتوى غيره فيما لم يستطع.

(٢) يقول الغزالي: "لا يستفتي العامي إلا من عرفه بالعلم والعدالة أما من عرفه بالجهل فلا يسأله وفاقاً" المستصفى ٢/ ٣٩٠

(٣) أصول الفقه ص: ١٤٣

(٤) إعلام الموقعين ٢/ ٢٥٦ وقد ذكر ابن القيم أقوالاً عديدة فراجع.

(٥) انظر مقدمة "الاتباع" لابن أبي العز ص: ٦

(٦) بدعة التعصب المنهي ص: ١٣٥

ثم إنهم لما أوجبوا تقليد إمامهم لم يجوزوا لأحد أن يخرج من مذهب إلى مذهب وإن كان دافعه التمسك بالسنة الصحيحة (١)

وقد رد عليهم ملا علي القاري بقوله: "وإن اشتهر بين الحنفية إن الحنفي إذا انتقل إلى مذهب الشافعي يعزر وإذا كان بالعكس فإنه يخلع عليه فهو قول مبتدع ومخترع... (٢)"
ويستدل الشاه بعدم التزام شخص معين بأن السلف لم يكونوا يلتزمون شخصا واحدا فيجوز أن يأخذ من هذا وذاك حسب الضرورة فيقول: "ونحن نثبتها أي تجزئ الاجتهاد وتجزئ التقليد، أما الثاني: فلا أنه لم ينقل عن عوام الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف التزام شخص معين بل كان دأبهم في تحقيق المسألة الاستفتاء عن الفقهاء، فتارة من هذا وتارة من ذلك قال في المسلم: "لا يرجع المقلد عما عمل به اتفاقا وهل يقلد غيره في غيره، المختار، نعم" (٣) ونقول: "أيضا أن بعد التزام تقليد شخص معين لم يجمع على لزوم الاستمرار عليه كما قال في المسلم "ولو التزم مذهبنا معينا فهل يلزم الاستمرار عليه فقل: نعم، وقيل: لا، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله، وعليه السبكي وهو الغالب على الظن" (٤) ويستفاد منه أن المراد بالرجوع هو ما ذكرنا، وإلا فإن كان المراد بالرجوع في فعل هو الرجوع في نوع ذلك الفعل فكيف يمكن الاتفاق في منعه والاختلاف في الاستمرار بعد الالتزام، فإنه إذا التزم تقليد شخص معين فقد التزم في جميع الأفعال فإذا خالفه في فعل لزم الرجوع، بل نقول إن فيما اشتهر من منع التقاط الرخص أيضا خلاف" (٥)

ثم إنه يرجح تقليد الحي دون الميت لأنه أيسر للمراجعة وأقرب للوصول إلى دليله فيقول: "وتقليد الحي أولى من تقليد الميت إلا إذا شك في وثوق الأحياء وتيسر له المراجعة إلى أقوال الميت تفصيلا" (٦)

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ص: ٢٨

(٢) المصدر السابق : ٢٩

(٣) انظر فواتح الرحموت بشرح "مسلم الثبوت" على حاشية المستصفي ٢ / ٤٠٥

(٤) المصدر السابق

(٥) تنوير العينين ص: ٢٥ - ٢٦ فإن الشاطبي رحمه الله لا يجوز تتبع رخص المذاهب ويجعله من باب اتباع الهوى وله كلام مفصل في هذا الباب انظر الموافقات ٤ / ١٤٤ وحوزه ابن الهمام وابن الأمير الحاج

من الأخناف انظر "التقدير والتحجير لابن الأمير الحاج والشرح عليه لابن الهمام ٣ / ٣٥١

(٦) أصول الفقه ص: ١٤٥

المبحث الثاني: جهوده في رد تحكيم العقول و

الأقيسة الفاسدة

إن العالم بالكتاب والسنة عند ما يرى حال المسلمين وبعدهم عن التوحيد والسنة واستغراقهم في الشرك بجميع أنواعه وفي البدع المتنوعة يدرك أن وراء هذا الضلال أسباب عديدة، ومن أهم تلك الأسباب بعد الناس من الكتاب والسنة و اعتمادهم على عقولهم القاصرة وأهوائهم الجامحة، فإن "الهوى" لم يذكره الله في الكتاب إلا ذمه (١) ولذا نرى السلف رحمهم الله كانوا يذمون الرأي المخالف للكتاب والسنة ذما شديدا، بل لم يكونوا يعتبرون أهل الرأي من أهل السنة وكانوا "يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخيرية ومسائل الأحكام العملية، أهل الشبهات والأهواء لأن الرأي المخالف لسنة جهل لاعلم وهوى لادين" (٢)

ومن آثار الاعتماد على الرأي والآراء والقياس الفاسد تفرق الأمة إلى فرق عديدة، فرق عقدية، و فرق مسلكية و فرق متعصبة الفروع، وقد حذر أئمة السلف عن ترك السنة وتحكيم العقول والآراء وإجراء الأقيسة الفاسدة في الدين فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى الناس (لا رأي لأحد مع سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٣) يقول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه: "... وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هي الاتباع وترك الهوى.. (٤)

وقد تضافرت جهود الشاه في رد تحكيم الرأي والعقل والضلالة الناشئة منه،

(١) الموافقات ٤ / ١١٥

(٢) إغاثة اللهفان ٢ / ١٩٣

(٣) الإبانة ١ / ٢٦٣

(٤) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ص: ١٥٦

المطلب الأول : جهوده في الرد على تحكيم العقول

ويقول عن سبب انحراف الناس عن صراط الله المستقيم: " إن الناس ينحرفون عن صراط الله المستقيم إذا غلبهم الهوى وجمحت بهم النفوس(١)

ويقول بعد ما ذكر من الأعمال الشركية التي وقع فيه المسلمون " والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله وسنة رسوله وراء ظهورهم وسمحوا لعقولهم القاصرة بأن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه وتشبهوا بالأساطير والروايات الكاذبة التي لا تستند إلى تاريخ ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية وعادات جاهلية وإن كانوا اعتمدوا على كتاب الله وسنة رسوله وقاموا بتحقيقها، عرفوا أنها نفس التأويلات والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ويحاجون بها..."(٢)

وقد أشار إلى أهم الأسباب التي أوقعت الناس في الشرك وهي:

١- الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله .

٢- تحكيم العقول في أمور الدين.

٣- التشبث بالروايات الكاذبة والأساطير المزورة.

٤- الاحتجاج بالتقاليد والعادات كما كان الكفار يحتجون بها.

ويرد على من يلجأ إلى العقل في أمور الشرع أو يحكمه بقوله: " وينبغي العلم بأن أمور الإيمان لا يعلم إلا عن الله ورسوله ولا دخل للعقل فيه ولو كانت تدرك بالعقول لكان بقراط(٣) وأرسطاطاليس(٤)، أكمل المسلمين ويجب إخضاع العقل للشرع وليس العكس"(٥) فكما أنه لا يجوز معارضة الكتاب والسنة بقول أحد أو رأيه كذلك يقرر في رسالته في علم أصول الفقه بأنه لا يجوز أن يعارض الكتاب والسنة بالقياس إلا الخير الضعيف(٦) يعني" إذا وقع الحكم في

(١) تقوية الإيمان ص: ٥٣

(٢) المصدر السابق ص: ٤٠

(٣) بقراط واضع الطب الذي قال بفضله الأوائل والأواخر، وكان أكثر حكمته في الطب وشهرته به،

انظر أيجد العلوم ١١٣/٣ وحاشية الملل والنحل ١٠٩/٢

(٤) وهو المسمى بأرسطو فيلسوف يوناني له مؤلفات كثيرة عاش ما بين ٣٨٤ - ٣٢٢ ق، م - حاشية بغية

المرتاد ص: ١٨٠

(٥) تذكير الإخوان ص: ٧٣

(٦) أصول الفقه ص: ١٢١

الكتاب والسنة الصحيحة أو الحسن وعارضه القياس فالقياس مردود، وإذا تعارض الخبر الضعيف و القياس الجلي، يقدم القياس عند المصنف ويؤول الخبر وإن كان خفيا يقدم الخبر ويترك القياس" (١) ولا شك أنه لا يجوز معارضة الكتاب والسنة بالقياس، يقول القرطبي نقلا عن ابن عباس و الحسن وابن سيرين: " أول من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس" (٢) وقد أنكر الشاه على من يتمسك بالأقيسة الضعيفة (٣)

ثم يقول بعد شرح هذا الموضوع : " فالخلاصة أن كل حكم مستنبط من قياس فاسد من قسم البدعة وإن كان الذي استنبطه معذورا... لأن الذي يقيس شيئا على شيء زاعما أنه نظيره وفي الحقيقة لا يكون نظيرا له، فالحكم المستنبط يكون محدثا، فمن اعتبر ذلك الحكم المحدث أنه من الدين يصبح أمرا محدثا في الدين وهذا هو مفهوم البدعة" (٤)

المطلب الثاني: جهوده في إبطال المعتقدات الفاسدة المبنية على العقول والظنون

وقد أوضح الشاه رحمه الله خلال كلامه عن البدعة أن كثيرا من المحدثات التي ترسخت في المسلمين ليس وراءها دليل شرعي، وإنما تشبثوا بها بأدلة موهمة وقد لا تتجاوز تلك الأدلة عن دعاوي محضة فيعتقدون في البدع والمحدثات أنها من الدين. بمجرد تلك المزاعم فيقول: " وينشأ هذا الاعتقاد من جهتين (أي اعتقاد كون المحدثات من الدين وأنها مشروعة)

١- من جهة اعتقاده الجازم بأنها مشروعة من الله عز وجل وأنه جعلها من الدين فيقول: " وهذه العقيدة أيضا تنشأ لأسباب:

"أولا: الدعوى المحضة بغير دليل وبمجرد المعاندة يحاول إثباته ويقول: "أنا أعرفه جيدا، هذا قولي، وهكذا يقول عقلي.... وهذا في الحقيقة افتراء على الله وتقول في الدين، وهو من أقبح القبائح وأشنع الشنائع وصاحبها مردود من الله عز وجل كما قال ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء

(١) شرح الفوندلوي لأصول الفقه للشاه اسماعيل ص: ١٢١

(٢) تفسير القرطبي ٤ / ١٧١ وقد حسن ابن كثير الاسناد المروي عن الحسن، انظر تفسير ابن كثير ٢ / ٢١٢

(٣) انظر رسالته أصول الفقه ص: ١١٣، وكتابه " إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح " ص: ٣٧-٤٠

(٤) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٣٩

وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون ﴿١﴾ ويقول في سورة الأنعام ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ ﴿٢﴾ وذكر آيات كثيرة في هذا المعنى ثم ذكر أحاديث منها "وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم أنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" (٣) فيذم الحديث الشخص الذي يحكم عقله في الأحكام الشرعية اتباعا لهواه من غير استناد إلى دليل شرعي، والقول بلا علم مذموم من الله عز وجل كما قال الله عز وجل ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ ﴿٤﴾

"ثانيا: ومنشأ تلك العقيدة المذكورة اتباع تخمين العقل وحده، يعني قد يظهر حسن الأشياء وقبحها ومنفعتا ومضرتها بالتجربة أو بالنظر إلى آثارها وقرائنها فبناء عليها يحكم أنها مما يحبه الله أو يسخطه فلنا وتخميننا معتزا بحب التخمين ومفتخرا بتحكيم عقاه ب. رجوع إلى كتاب الله، فهذا الفعل نافع جدا في الأمور الدنيوية ولكنه مردود في الأمور الدينية، يقول الله عز وجل ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ ﴿٥﴾ ويقول الله عز وجل ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم

(١) سورة البقرة : ١٦٨

(٢) الآية ١٣٨ - ١٤٠

(٣) أخرجه مسلم - الإيمان - ٥٠

(٤) سورة الأعراف / ٢٨

(٥) سورة الأنعام / ١٤٨

إن هم إلا يخرسون ﴿١﴾ وعن جندب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ﴿٢﴾

ثم يذكر الأسباب التي تجر إلى هذا الاستحسان العقلي:

" منها : الألفة بالعادات

فيقول: " وسبب عظيم لهذا التخمين المورث للاستحسان العقلي عاطفة حب الاتباع بما ألف من الأعراف والعادات، والإنسان لما يرى عملا رائجا في العوام والخواص من مدة مديدة وفي كل مكان، ومضت عليه قرون طويلة ولا يجد عليه دليلا سماويا ولكنه يستبعد شهرته واستمراره من أزمان طويلة بين الحكماء والعقلاء بدون أصل أصيل، وبناء عليه يحكم أن الله يحبه ويستجلب وأنه يستجلب بركاته وهذا كلام باطل محض ومردود بكامله، والحق أن إثبات رضى الله عز وجل لشيء وسخطه عليه وحبه وبغضه له لا يثبت إلا بدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله كما قال الله عز وجل في سورة الأنعام ﴿٣﴾ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا... ﴿٤﴾ (٣) وذكر آيات عديدة ثم استدلل بأحاديث منها " عن عمرو بن عوف رضى الله عنه أنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سني" (٤)

ب - القياس الناقص

يقول الشاه: "ومن جملة أسباب الاستحسان العقلي القياس الناقص فيجوز حكم أمر مشروع على أمر غير مشروع وهذا القياس يجر إلى طريق الضلالة أو إدخاله في الأحكام الدينية

(١) سورة الزخرف / ٢٠ - ٢١

(٢) رواه الترمذي - ٢٩٥٢ - ١٨٣ / ٥ وهذا لفظه ورواه أبو داود - ٣٦٥٢ - ٦٣ / ٤ وفي سننه ضعف،

انظر مشكاة المصابيح بتخريج الألباني ٧٩ / ١ وضعيف الجامع الصغير / ٨٢٧ والمراد بالحديث العقل

المجرد أما من فسرهم بالفهم وبما يوافق اللغة والنصوص فقد أصاب، انظر الفتاوى ١٣ / ٣٧٠

(٣) سورة الأنعام / ١٤٨ - ١٤٩

(٤) الترمذي - الإيمان - ٢٦٣٠ الجملة الأولى من الحديث في صحيح مسلم - ١٤٥ - والجملة الثانية فلها

شواهد عدة وبها يصح الحديث - انظر سلسلة الصحيحة - ١٢٧٣ .

مردود كما يقول الله عز وجل في سورة البقرة ﴿الذين يأكلون الربو لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربو وأحل الله البيع وحرم الربو﴾ (١)

ويواصل الشاه كلامه في بيان أسباب ظهور البدعة وانتشارها فيقول: "ومن: "أسبابها الإفراط في أمور الدين يعني إذا رأى المرء ثبوت عمل في الشريعة يظن أنه بقدر إفراطه فيه ترجع إليه ثمرته ويمدح عليه..... مع أن الشارع قد حدد حدودا لكل عمل ديني وعين مرتبة من المراتب الشرعية، فحصول مرضاة الله والفوز بمنافع الآخروية ... كلها متوقفة على أن يكون العمل المشروع محدودا بحدوده وقيوده ومواقعه كما قال الله عز وجل في مواضع كثيرة ﴿وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ (٢) ويقول ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ (٣) " وعن ثعلبة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمان فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها (٤)..... ليعلم أن الإفراط إذا وقع في الاعتقادات والمقامات والواردات والحالات يسمى " الغلو" وإن كان في باب العلوم يسمى " التعمق" وإن كان في باب الخلق والعبادات، يسمى " الرهبانية" (٥) و"التشدد" وإن كان في باب العادات فهو " التكلف" وإن كان في باب الطهارة والنجاسة يسمى " الوسواس" وإن كان في باب عدم مراعاة المقاصد والوسائل والأصول والفروع بحيث يهتم بالوسائل مثل المقاصد وتطرح المقاصد خلف الظهر مثل الوسائل، وتنزل الأصول منزلة الفروع فيسمى هذا "ظلم وسفاهة" كما أن محافظة المراتب المذكورة تسمى "عدلا وفقها".

(١) سورة البقرة/ ٢٧٥

(٢) سورة الطلاق / ١

(٣) سورة النساء/ ١٢

(٤) أخرجه الدارقطني ٢٩٨/٤ والبيهقي ١٢/١٠ عن أبي ثعلبة وفي سنده انقطاع، والحاكم ٣٧٥/٢

والترمذي - اللباس - ١٧٢٦ وابن ماجه (٣٣٦٧) بطرق أخرى " الحديث حسن بشواهد حسن، انظر تخريجه " معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" ص: ٢٧٢

(٥) لزهبيهم في الجبال والغيوان عن النساء وأكل اللحم بل من علائق الدنيا، انظر الكشف للزنجشري ٤/

٦٩ والقاموس المحيط - مادة " رهب" ص: ١١٨

"ولذا يقول الله عز وجل ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (١) يعنى أن تعليم الأحكام الدينية وأمورها وتلاوة كتاب الله كلها وسيلة للعمل وذريعة لإصلاح النفس وتهذيبها ولكنكم جعلتم نفس التعليم والتلاوة مقصودا لذاته وصرفتم همكم كله إليه زاعمين أنه أصل الدين واتخذتم المقصود الأصلي وراء الظهر وهو إصلاح النفس فصرتم الحمقى لاتعقلون شيئا" (٢)

(١) سورة البقرة/٤٤

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٧٤ - ٨٣

المبحث الثالث: جهوده في إبطال علوم، لاتنفع في فهم الكتاب والسنة

المطلب الأول: التحذير من الخوض في علم الكلام والفلسفة والمنطق وعلوم الصوفية

الشاه رحمه الله لما رأى أهل عصره قد خاضوا في علوم غير علوم الكتاب والسنة وما كانوا يعتبرون علماء إلا من تبحر في هذه العلوم، أبطلها الشاه بكل شدة ودعاهم إلى الحق أحيانا، وبين لهم ما تسبب تلك العلوم من الصد عن الحق أحيانا، وجعل جميع العلوم والفنون التي كانوا يفتخرون بها ويتباهون بها من البدعة يقول وهو يحذرهم: "الاستغراق الكامل والتبحر في العلوم الآلية مثل تتبع المسائل الغريبة في العلوم العربية، والبحث عنها وهي لاتفيد شيئا في فهم لغة الكتاب والسنة لأنها مبنية على المحاورات العرفية، وعلى الكلام الدائر بين الناس، وليست على النكات الشعرية ودقائقها، ومثل التحقيق الزائد في دقائق المنطق والفلسفة والإلهيات والطبيعات والتعمق الزائد في قواعد أصول الفقه وعلم الكلام وفي كتب الفقه والبراعة في فن المناظرة والجدل وفي علم الطرق الكلامية... وغيرها من العلوم التي يستخدمها الحكماء ويفتخرون بها على معاصريهم ويتعالون بها عليهم. وكذلك الاستغراق في حفظ الأشعار الغريبة والإحاطة بقواعد علم العروض وتعلم مسائل الفقه الفرضية الخيالية التي لاوجود لها في الحقيقة، والاشتغال بفنون الرياضيات والتواريخ والتكسير والنقوش وغيرها من الفنون النادرة، كلها من البدع الحقيقية في حق عقلاء هذا الزمن لأنهم إن لم يعتبروها من أسباب التقرب إلى الله، لكنهم يضيعون أعمارهم الغالية في حصول هذه الأمور كما أن طالب الحق يصرف أوقاته في معرفة أصول الدين وتحقيق أحكام الشرع المتين، ثم إنهم يفتخرون ويتباهون على تضييع أعمارهم ويعدونها من محاسنهم ومناقبهم، لذا ترى عندهم عادة إطراء بعضهم بعضا ويعطى كل الإجلال والاحترام لهؤلاء الحمقى المضيعين أعمارهم في مثل هذه العلوم والفنون ويوقرون ويعظمون ولا يرغبون في الدين بمثقال ذرة ولا يزرعون في قلوبهم حبة من خشية الله عزوجل الذي هو شعار العلماء ولا يلتقطون شعيرة علم ولا عمل من بيدر السنة النبوية، وينظرون إلى المكين عليها بعين الإهانة والاحتقار مع أنهم يسعون لطلب الحق وينهمكون في البحث عن السنة ويتحلون

يلباس التقوى". (١)

"سبحان الله ! فهذا حال عقلاء هذا العصر الذين يعدون أنفسهم في زمرة العلماء والفضلاء والأسف الشديد على أولئك الأغبياء الحمقى أي على طلاب علم الجهلة الذين يزعمون قبح العلم لذلك الجهل المذكور ويحسبون الإفراط والسفاهة عين القربة والعبادة ويزعمون أن مثل هؤلاء السفهاء المفرطين فيها علماء أجلاء، وبهذا السبب أصبحت الأمور المذكورة بالنسبة في حق هؤلاء من أقبح البدع الحقيقية ومن أفحش المنكرات الشرعية" (٢)

فالشاه رحمه الله قد أنكر على العلوم التي لاعلاقة لها بالكتاب والسنة، وهذا المنهج الذي سلكه كان منهج السلف في السابق ولقد كانوا يحذرون أشد الحذر من الاشتغال في مثل هذه العلوم التي لا طائل تحتها.

يقول قوام السنة: "قال علماء السلف: " ما وجدنا أحدا من المتكلمين في ماضى الأزمان إلى يومنا هذا رجع إلى قول خصمه ولا انتقل عن مذهبه إلى مذهب مناظره، فدل أنهم اشتغلوا بما تركه خير من الاشتغال به وقد ذم السلف الجدل في الدين ورووا في ذلك أحاديث وهم لا يذمون ما هو الصواب" (٣)

وقال ابن الوزير (٤): "... وسع دائرة المراء والضلال هو البحث عما لا يعلم، والسعي فيما لا يدرك، وطول السير والسعي في الطريق التي لا توصل إلى المطلوب ، والاقتداء بمن يظن فيه الإصابة وهو مخطئ، والاشتغال بالبحث عن الدقائق التي لا طريق إلى معرفتها ولا يوصل البحث عنها إلى اليقين ولا إلى الوفاق ولا ظهرت للخوض فيها مع طوله ثمرة نافعة، لا باليقين صادقة ولا للافتراق جامعة ولا روى عن أحد من الأنبياء عليهم السلام ولا صح عن أحد من السلف الكرام" (٥)

(١) هذه ميزة امتازوا بها عن غيرهم يقول الذهبي عن الدارقطني : " وصح عن الدارقطني أنه قال : ما من شيء أبغض إلى من علم الكلام قلت: لم يدخل الرجل أبدا في علم الكلام ولا الجدل ولا خاض في ذلك بل كان سلفيا" السير ١٦ / ٤٥٧ فهو يشير أن الخوض في الكلام والجدل، ليس من منهج السلف.

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٧-٢٨

(٣) الحجة في بيان المحجة ١ / ١٠٠

(٤) اسمه هادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسيني عالما شهيرا توفي ٨٢٢ هـ انظر الأعلام ٨ / ٥٨

(٥) إنبار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ص: ١٠

المطلب الثاني: جهوده في الحث على العلم النافع وهو علم الكتاب والسنة

ولما حذر من هذه العلوم التي كانت سببا لكثير من البدع دعا إلى علم نافع وهو علم الكتاب والسنة الذي كان مهجورا لدى أهل عصره فبين أهمية السنة، وضرورة تعلمها والتمكن فيها بمثال رائع بليغ يقول: "أما ما ورد في الحديث والسنة من طلب العلم والتعليم، نوضحه بمثال: " فإن الخادمين والعاملين والمشتغلين عند الملوك وأتباعهم وأمراءهم في بحث مستمر عن الأوامر الملكية ومراسيمه الصادرة لتنظيم البلاد وضبط شؤونها، فهؤلاء مجرد ما يعرفون هذه الأحكام ينفذونها ويهتمون بتطبيقها وقد بلغ الأمر في هذه الأيام أن هذه المراسيم ترسل بلغة فارسية إلى أطراف الهند وفيها مصطلحات قانونية ومن الموظفين من يفهم هذه اللغة ومنهم من لا يفهمها ومنهم من لا يعرف هذه المصطلحات ولكن يجب العمل بها على كل من عرف ومن لم يعرف، كما يجب عليهم السعي لمعرفة ثم تعليمها وتبليغها إلى من لا يعرفها، ثم إن من عرف هذه الأوامر والمصطلحات يعتبر ماهرا بها وإن لم يتقن القراءة والكتابة فيجب عليه تعليمها وتبليغها مثل غيره، ثم إن هؤلاء جميعهم يتساوون في طاعة الحاكم الأصلي وتنفيذه أوامره، ولا يصير أحد منهم حاكما أصليا لمعرفة هذه الأحكام ولا يصير أحد منهم خادما للشخص الذي بلغه الأحكام أو علمه والمطلوب من الجميع الجد والسعي في تطبيق أوامر الملك والحد من البعد من اللغو والكلام الفارغ الذي لا علاقة له بتنفيذ الأوامر" (١)

وقد أجاد المؤلف وأفاد بهذا المثال ورد على جميع الشبهات التي كانت تثار حول تعلم الكتاب والسنة والعمل بهما، وخلاصة قوله بأن المراسيم الملكية ترسل بلغة قد يعرفها جميعهم وقد يعرفها بعضهم ولكن لا يستغنى أحد عن العمل بها، كذلك فإن الكتاب والسنة قد نزلا من ملك الملوك فيجب على القاضي والداني والعالم والجاهل والعابد أن يعمل بهما ويطبقها في شؤون حياته.

وثم إنه لا يشترط في من يعرف أحكام الملك أن يتمكن في القراءة والكتابة بل يكفي أن يعرفها بأي طريق كان وبعد معرفته إياها يعد ممن يعرفها وبمجرد علمه بها يجب عليه أن يبلغ غيره، ويلزمه وغيره طاعة تلك الأوامر. ويقاس عليه عالم الكتاب والسنة أيضا، فلا يشترط له أن يكون ماهرا في العلوم الآلية مثل الفلسفة والمنطق وغرائب اللغة وعلم العروض بل يكفي أن يعلم الكتاب والسنة سواء كان حصوله قراءة أو تلقيا أو تعلما أو سماعا، ثم إن من عرف

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٨- ٢٩

الأحكام الشرعية بأي طريق كان يجب عليه أن يبلغها إلى غيره، ويتساوى هو وغيره في العمل بها، ولا يجوز لأحد مهما بلغ في الزهد والتقوى والعلم والفضل أن يخرج من متابعة الشريعة المطهرة، فمن عرف أحكام الله عز وجل وأتقنها لا يصبح مشرعاً يشرع من نفسه كما يظهر ذلك من المتعصين، يشير إلى هذا المعنى في المثال بقوله: "... ولا يصير أحد منهم حاكماً أصلياً لمعرفته هذه الأحكام..." كما أن من عرف أحكام الحاكم لا يكون حاكماً كذلك من عرف أحكام الله ورسوله لا يستحق التشريع ويشرح ذلك بقوله: "كذلك يجب على عباد الحق جل وعلا صرف الهمّة كلها في البحث عن الأحكام المبنية في القرآن المجيد فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وفيها كثير من المصطلحات الشرعية، والذين ليس لهم باع طويل في معرفة اللغة العربية وفي معرفة المصطلحات الشرعية الموجودة في القرآن العظيم يلزمهم الرجوع إلى علماء اللغة والسيرة النبوية كما يلزم علماء الدين تعليم الجهال وتبليغهم وبعد الاطلاع على الأحكام الشرعية وجب على جميعهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب التعمق الزائد والتدقيق المتكلف وهذا من شعار العبودية، ويلزم جميع الناس تقليد الأنبياء عليهم السلام وتقليد النبي الأمي مفخرة لنا ومكرمة في حقنا، ونتتوج على رؤوسنا تاج ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (١) ونتزين بخلعة "نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" (٢) ونكره فنون "علم الحكمة" والكياسة كما نترأ من جميع العلوم والفنون التي تستخدم للشهرة والصيت، فلما نحن نلتقط اللقم من مائدة السنة النبوية ونحتني من ثمارها ونلتقط من سنابلها.. والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً" (٣)

ويقول وهو يحرض إلى التمسك بالسنة: "وينبغي العمل الشديد والمحاولة الأكيدة في تعليم الناس الأحكام الواضحة من الكتاب والسنة فلا ينبغي التوسع في الافتراضات الفقهية الغريبة وطرف الفقهاء الخيالية والتأمل في المباحث الكلامية الصعبة وفهم الاشارات الصوفية الدقيقة" (٤) ويستدل بقوله تعالى ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقا لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على

(١) سورة الأحزاب / ٢١

(٢) أخرجه البخاري - الصوم - ١٩١٣ - الفتح ٤ / ١٢٦

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٩

(٤) المصدر السابق ص: ٣٠

ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴿١﴾ يقول في شرحها: "يعنى أنهم أعرضوا عن العلوم الشرعية التي عليها مدار النجاة في الآخرة واشتغلوا بالعلوم الفارغة التي لاتنفع في الآخرة كما تدل عليه الآية ﴿٢﴾ ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ﴿٣﴾ وإن كان بعض هذه العلوم مأخوذة من الشياطين وبعضها من الملائكة ﴿٤﴾ ولكن لعدم علاقتها بالآخرة أصبحت في حقهم من اللغو وعدمية النفع بل السعي في حصولها مضرة وخسارة" ﴿٥﴾

فقد استدل بهذه الآية بأن العلوم إذا لم تكن نافعة في الآخرة فهي مضرة وإن كانت مأخوذة من الملائكة، فضلا عن ان تكون مأخوذة من حكماء اليونان وفلاسفة الروم ومتكلمي المسلمين، ولا ينفع في الآخرة إلا علم الكتاب والسنة.

ويحذر من الخوض فيما لايعني المسلم لأن الخوض فيما لايقدر عليه البشر، لاينمره إلا حيرة وضلال وهلاك كما حصل لزعماء المتكلمين والفلاسفة ويستدل عليه بقوله تعالى فيقول ﴿٦﴾ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴿٧﴾ " والمراد أن الأمر الذي لايعلم من كتاب الله فالبحث فيه عبث لأن إحاطة جميع المعلومات شأن الله وليست من شأن البشر، وهذا في الحقيقة منع من التعمق ويدل عليه قول الله عزوجل في نفس السورة ﴿٨﴾ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب ﴿٩﴾ ويستدل عليه بآيات عديدة فيقول: "ورد نفس الموضوع في آية أخرى ﴿١٠﴾ ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً ﴿١١﴾

(١) سورة البقرة / ١٠٢

(٢) يشير إلى بعض الأقوال الضعيفة الواردة في تفسير "هاروت وماروت" بأنهما كانا من الملائكة، انظر تفسير ابن جرير وابن كثير في شرح الآية المذكورة.

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٨٣

(٤) سورة آل عمران / ٦٦

(٥) سورة آل عمران / ٧

(٦) سورة الإسراء / ٣٦

ويقول الله عز وجل في نفس السورة ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (١) واستدل بآيات كثيرة ثم يقول: " والآيات كلها تشير بأنه ينبغي الاشتغال بتعليم وتلاوة كتاب الله وفي تحقيق علوم الشريعة وليس في سعي الإحاطة بعلم الله وتفتيش وقائع التكوين " (٢)

الشاه رحمه الله قد ساق هذه الآيات واستدل بها على أمر واحد ألا وهو الحذر من الخوض في علوم لا تنفع، والاشتغال بالكتاب والسنة، لأن الإنسان ضعيف ومداركه محدودة وعلمه قليل فإذا خاض فيما لا يدركه حسه فإنه يضل عن الطريق المستقيم " فإن الذي وسع دائرة المراء والضلال هو البحث عما لا يعلم والسعي فيما لا يدرك والاشتغال بالبحث عن الدقائق التي لا طريق إلى معرفتها..... " (٣)

(١) سورة الإسراء / ٨٥

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٨٥ أشار إلى الصوفية الذين يأتون برياضات ومراقبات خاصة لاستكشاف عالم الغيب وما في اللوح ونحوها من الأمور المعروفة لديهم.

(٣) إنبار الحق على الخلق ص: ١٠

الفصل الثالث: جهوده في التحذير عن البدعة ببيان مضارها وأخطارها وتحديد مفهومها وأقسامها والأمثلة عليها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : جهوده في بيان مضار البدعة، وتحت ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: مفهوم البدعة، وتحت ستة مطالب.

المبحث الثالث : البدعة الحكومية أو الفعلية، وتحت ثلاثة مطالب.

تمهيد

تقدم في بداية الفصل الأول أن الشاه رحمه الله قد بنى دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة والتحذير من البدعة، على مبدأ أساسي في الدين ألا وهو الإيمان ومما قال هنا: "واعلم أن للإيمان جزئان: الإيمان بالله إلها وربا والإيمان بالرسول مطاعا وإماما والإيمان بالله ربا يعني أن لا يشرك به أحد والإيمان بالرسول مطاعا يعني أن لا يسلك طريق غيره، فالأول هو التوحيد، وضده الإشراك بالله، والثاني: هو الاتباع وضده البدعة... (١)

ثم بين أن التمسك بهما مهم جدا فالانحراف فيهما يطل الأعمال ولذا قد اهتم بهذين الأساسيين وبذل جهودا في تقرير توحيد الألوهية ورد الشرك وألف فيه مؤلفا مفيدا كما ألف مؤلفا في بيان السنة والبدعة.

(١) تقوية الإيمان ص: ٣٥

المبحث الأول : جهوده في بيان مضار البدعة

المطلب الأول: البدعة تحدث خللا في الإيمان

قال الشاه: "أخرج مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من نبي بعثه الله من قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم خلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهد هم بيده فهو مؤمن ومن جاهد هم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. (١) يقول في شرح كلمة " ويفعلون ما لا يؤمرون " أنهم يتدعون بدعا فمن جاهد هم بيده، أي بعقابهم و ضربهم وبتغيير بدعهم وبهلم ما ابتدعوه، فهو مؤمن كامل الإيمان ومن أنكر عليهم وعلى بدعهم وفضح أمرهم ونصحهم بلسانه فهو مؤمن دون الأول في المرتبة ومن يكرهها بقلبه ويفكر في تغييرها ويأخذ في باله أمرها ولا يعلق قلبه بها فهو مؤمن أيضا ولكنه في المرتبة الأخيرة، وأما من كان مبتدعا فماذا سيكون مصير إيمانه" (٢)؟؟

المطلب الثاني: المبتدع يطعن في الله ورسوله

يقول الشاه : " عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" (٣).

"إن الله أنزل القرآن وبين فيه خيري الدنيا والآخرة، فاعملوا عليه، وأرسل رسوله الذي بين القرآن بيانا شافيا وعمل عليه ولم يترك شيئا في الدين حتى يحدث فيه فمن أحدث فيه فقد ارتكب أكبر الكبائر فإن الإحداث بمثابة إقامة شرع جديد من عنده وفيه طعن على القرآن وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتنقيص في شأنهما، فكأن المحدث يتهم الله بأنه لم ينزله في القرآن ويتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يعلمه، فإذا كان هذا مصيره فهو ضلال واضح مبين، ولذا كانت البدعة شر المحدثات كلها".

(١) أخرجه مسلم - الإيمان - ٥٠

(٢) تذكير الإخوان ص: ٦٥

(٣) جزء من حديث، أخرجه مسلم - الجمعة - ٨٦٧

ثم إن المبتدع لا يحظى بالتوبة لأنه يأتي بالبدعة ويحسبها حسناً فلا يوفق إلى التوبة" (١).
ويقول: "عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس إلى الله ثلاث، ملحد بالحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرأ مسلم بغير حق ليهرق دمه. (٢) والحديث يدل بأن الله أرسل رسوله وأمره بالقضاء على عادات الكفار السابقين فمن ابتغى إحياء تلك العادات والسنن الجاهلية في المسلمين فكأنه أسس أساساً للقضاء على الشريعة، وبه يشاقق الله عز وجل، والعادات الجاهلية التي كانت مستندة عندهم هي: الاعتقاد في ما شرعه علماءهم ورهبانهم بأنه حكم الله عز وجل، ولا يعتبره خطأ مع مخالفته لأمر الله ورسوله ولا يتركه ويرد قول الله ورسوله مستنداً إليه، ومن عاداتهم كتمان الحق طمعا في الدنيا أو لهوى في النفس والتحريف في كلام الله ورسوله وتأويله حسب رغبته، والصلح مع الكل،.... ورفع المقابر، وكتابة التاريخ عليها، وبناء المساجد عليها ونذر الطعام لها والتعبد بالسماع..... واعتقاد السعادة والنحوسة بالكواكب... واعتقاد بأن من لم يصدر منه المعجزة فليس بنبي ومن لم تصدر منه الكرامة فليس بولي، وغيرها آلاف من الرسوم كلها من عادات اليهود والنصارى والمجوس والمنافقين ومشركي مكة والهنداك، اختارها الناس، فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث لمحو هذه الرسوم وأمثالها، فمن سعى إلى إحياءها ورواجها في المسلمين فإنه يستحق غضب الله ويطرده من رحمته. فدل الحديث على أن البدعة استساغ رسوم الجاهلية في الإسلام" (٣)

(١) تذكير الإخوان ص: ٦٣ كما ورد في الحديث "إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة" انظر

سلسلة الصحيحة / ١٦٢٠

(٢) أخرجه البخاري - الدييات - ٦٨٨٢ انظر الفتح ١٢/ ٢١٠

(٣) تذكير الإخوان ص: ٦٤ ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عندما يذكر أمور الجاهلية الممنوعة في الحديث: "وهذا كله يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله سبحانه ﴿ولا تترجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ الأحزاب/ ٣٣ فإن في ذلك ذمًا للتبرج وذمًا لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة، ومنه قوله لأبي ذر لما عير رجلاً بأمه: "إنك إمروء فيك جاهلية" صحيح البخاري (٣٠) ومسلم (١٦٦١) فإنه ذم لذلك الخلق والأخلاق الجاهلية التي لم يجيء بها الإسلام ومنه قوله تعالى ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية

المطلب الثالث : المبتدع مطرود من الحوض

خلال بيانه مضار البدع يورد الحديث الذي فيه أن ناسا من أمته يطردون عن الحوض بسبب محدثاتهم، فقد صور الشاه تصويرا مؤثرا عن شدة الموقف ودنو الشمس وتعطش الناس إلى الماء وعرضهم على النار ولكن بدعهم في هذا الموقف الحرج تحيل بينهم وبين حوض النبي صلى الله عليه وسلم وتمنعهم من الماء واستنبط منها بأنه يجب الحذر من البدع وإلا سيطرد صاحبها عن الحوض في وقت تشتد الحاجة إليه (١).

حمية الجاهلية فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ﴿الفتح/ ٢٦﴾ فإن إضافة الحمية إلى الجاهلية

اقتضى ذمها فما كان من أخلاقهم وأفعالهم فهو كذلك" اقتضاء الصراط المستقيم " ١ / ٢٠٩

(١) انظر تذكير الإخوان ص: ٧٢-٧٣

المبحث الثاني: مفهوم البدعة

ويتطرق الشاه إلى تحديد مفهوم البدعة وأقسامها وأحكامها ويقرر قبل تعريف البدعة بأنه يجب تفسير المصطلحات الشرعية بنصوص شرعية أخرى فيقول: "لفظ البدعة الوارد في الحديث لا ينبغي الرجوع لمعرفة معناه ومدلوله إلا إلى الحديث الشريف" (١)

ثم يقول: "... عن عرياض بن سارية أنه قال: "صلى بنا رسول الله ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالتواجد، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" (٢) وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (٣) وعن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا: أئین نحن من النبي صلى الله عليه وسلم فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبدا وقال الآخر أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر، وقال الآخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنني لأخشاكم لله وأنقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" (٤)

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٣ يقول شيخ الإسلام: "ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة..." الفتاوى ١٣/ ٢٨

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٢٦/ ٤ وأبو داود في سننه - السنة - ٤٦٠٧ - ١٣/ ٥ والترمذي - العلم - ٢٦٧٦ - ٥/ ٤٤ وقال حديث حسن صحيح وابن ماجة في المقدمة (٤٢- ٤٤) ١٥/ ١ وهو حديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ١/ ٤٩٩ والسنة لابن أبي عاصم ٣٧- ٥٤، وإرواء الغليل ١٠٧/ ٨ وسلسلة الصحيحة ٢/ ٦٤٧

(٣) أخرجه البخاري - ٢٦٩٧ - الفتح ٣٠١/ ٥

(٤) أخرج البخاري في صحيحه بالفاظ مختلفة - ٥٠٦٣ - الفتح ٩/ ١٠٤

المطلب الأول :تقسيم البدعة إلى أصلية و وصفية

وبعد الإطالة في شرح هذه الأحاديث الثلاثة يقول الشاه: " ليعلم أن الأحاديث الثلاثة المذكورة تدل على أن البدعة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يكون الشيء في نفسه محدثا كما يدل عليه الحديث الأول : يعني حديث عرباض بن سارية رضى الله عنه "

وجه الدلالة فيه قوله " وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة.." فالمفهوم من هذه الفقرة هو الاجتناب من " محدثات الأمور" أي من مستجدات الأمور التي لم تكن عليه سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا سنة الخلفاء الراشدين.

"القسم الثاني: هي الزيادة أو النقصان في عمل مشروع أو إحداث الهيئات الجديدة فيه، أي يؤتى عمل مشروع على وجه غير مشروع في الشريعة، يدل عليه الحديث الثاني والثالث" (١)

"وجه الاستدلال بهما أن حديث عائشة يدل على المنع من الإحداث مطلقا فيما شرعه النبي صلى الله عليه وآله لقوله "في أمرنا" وذلك لا يتحقق إلا بالزيادة أو النقص أو بإحداث شروط وقيود وهيئات لم يأت بها الشرع كما يدل عليه حديث الرهط الثلاثة أيضا".
يقول الشاه: " فالقسم الأول أسميه " البدعة الأصلية " والثاني " أسميه "البدعة الوصفية".

المطلب الثاني: في تحديد مفهوم البدعة الأصلية

يقول الشاه إن " تعيين مفهوم البدعة الأصلية موقوف على تعيين مفهوم الكلمتين اللتين وردتا في الحديث الأول وهما " المحدثات " و " أمور".

مدلول لفظ "المحدثات"

بعد بحثه في مدلوله يقول: " إن لفظ الإحداث يطلق على إيجاد شيء جديد في العرف، ويطلق أيضا على شيء جديد لم يكن موجودا ولا مثله في الزمن السابق، فخطاطة عباء جديد أو طبخ خبز طازج أو صنع سيف جديد لا يسميه أحد اختراع لباس أو خبز أو سيف".

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٤

" فمن هنا يعلم أن وجود مثل شيء ونظيره في الزمن السابق (١). بمثابة وجود الشيء نفسه يعني أن الشيء المحدث الجديد لم يكن موجودا في الحقيقة قبل هذا الزمن ولكن يحكم له بالوجود لوجود مثيله ونظيره" (٢)

هذا المعنى الذي ذكره الشاه هو شرح لمدلولة اللغوي، فإن في اللغة يقال: "حدث، حدوثا وحدائث، نقيض "قُدُم" (٣) "والحدوث، كون شيء لم يكن، ومنه أحدثه الله فحدث، (٤) والحديث، الجديد من الأشياء (٥)

فاستنبط من هذا المعنى " أن لفظ الإحداث يطلق على إيجاد شيء جديد.... ويطلق أيضا على شيء جديد لم يكن موجودا ولا مثله.....".

يقول البغوي: " محدثات الأمور، ما أحدث علي غير قياس أصل من أصول الدين" (٦)
ثم يقول محمدا مفهوم المحدث: " فالمحدث إذا، الشيء الذي لم يكن موجودا في نفسه في تلك الأزمنة المباركة ولا نظيره لأن وجود شيء بنفسه أو نظيره في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يجعله سنة أصلية ووجوده أو نظيره في الأزمنة الثلاثة يلحقه بالسنة، (٧) ودليله أننا منعنا من اتباع المحدثات لأمره صلى الله عليه وسلم: " إياكم ومحدثات الأمور" وأمرنا باتباع الأمور الرائجة في عهد الرسالة والصحابة والتابعين لقوله صلى الله عليه وسلم: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين" (٨) "ولما روى عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أنه قال : قال

(١) ويقول الشاه يعرفه " المراد في كلامنا ب" الزمن السابق" زمن سيد المرسلين والخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين لهم رضوان الله عليهم أجمعين"

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والصريح ص: ٥

(٣) انظر لسان العرب ٢ / ١٣١

(٤) الصحاح ١ / ٢٧٨

(٥) القاموس المحيط ٢١٤

(٦) شرح السنة للبغوي ١ / ٢٠٨

(٧) "يلحقه بالسنة" يعني في عدم كونه بدعة، إذ يجوز اتباع ما كان معروفا لدى الصحابة والتابعين كما يظهر من تفسيره.

(٨) أمره صلى الله عليه وسلم بالاتباع يستلزم أن ما كان من سنتهم لا يدخل في مدلول البدعة كما قال البغوي: " فأمر بلزوم سنته وسنة الخلفاء الراشدين والتمسك بها بأبلغ وجوه الجد ومجانبة ما أحدث، وفيه دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولا وخالفه غيره من الصحابة كان المصير إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليأتين على أمي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: "من هي يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي" (١)

ويستدل بخيرية القرون المفضلة التي شهد بها النبي صلى الله عليه وسلم بأن ما كان فيها من الأمور الرائجة لا يدخل في مفهوم البدعة لأنها شر فيقول: "عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير أمي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم أن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن" (٢)

وقد قرر الشاه خلال هذا الكلام أن ما كان عليه أهل القرون المفضلة لا يدخل في مدلول المحدثات (٣) وخصص هذا العموم بقبود تفيد بأن مراده هو أن يكون الأمر منتشرًا عندهم من غير إنكار فيكون ذلك من قبيل السنة الحكيمة، والاستناد إلى ما كان أهل القرون المفضلة أصل مهم استند إليه علماء السلف من قبل و ردوا بها على المبتدعة كثيرا يقول الأشعري: "قولنا الذي نقول به وديانتنا الذي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما

قوله أولى وإليه ذهب الشافعي في القديم" شرح السنة للبغوي ٢٠٦ / ١ وانظر تفاصيله بأحسن وجه في "إعلام الموقعين ٤ / ١١٨ - ١٢٣

(١) تقدم تخرجه. استدل به المؤلف بأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل طريق الصحابة طريق النجاة، ويستنبط منه بأن ما عليه الصحابة لا تدخل في مدلول المحدثات لأنها شر الأمور فكيف يكون فيها النجاة.

(٢) أخرجه البخاري - ٣٦٥٠ - ومسلم - ٢٥٣٥ يقول النووي: "والصحيح أن قرنه صلى الله عليه وسلم، الصحابة والثاني، التابعون والثالث، تابعوهم" شرحه لصحيح مسلم ١٦ / ٢٢١ ويقول ابن حجر: "واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله ممن عاش إلى حدود العشرين ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا...." فتح الباري ٦ / ٧

(٣) سيأتي تعريف المحدثات ص: في تعريف البدعة الأصلية

روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل... " (١)

"ولذا لا نجد كتابا من كتب السلف ومن هم على طريقتهم من أهل السنة إلا ويذكرون فيه أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، يفسرون بها القرآن والحديث ويستدلون بها على من خالفهم ويعتصمون بها في معرفة الحق والصواب" (٢)

شروط اتباع أهل القرون المفضلة والأدلة على ذلك:

إنه لما قرر اتباع القرون المفضلة لم يجعل اتباعهم مطلقا بل خصص قوله بأن الاتباع المطلوب في الأمور التي كانت منتشرة فيما بينهم ومشتهرة فيهم من غير إنكار ولارد ولا قدح، أما إذا كان هناك أمور أنكر عليها أو أتى بها شخص أو أشخاص فإنها لا تخرج من كونها محدثات فلا يتبع فيها فيقول: "المراد بوجود الشيء أو نظيره في القرون الثلاثة، هو انتشار العمل عليه في قرن من القرون الثلاثة من غير تكبر ولا استنكار واشتহারه فيما بينهم من غير رد عليه ولا قدح فيه، وليس المقصود صدوره عن بعض الناس شاذًا أو نادرا، أو قد اعترض على من أتى به وأنكر عليه وإن كان المتلبسون بذلك طائفة ضخمة، فهذه الأمور لا تخرجها من حد المحدثات بل هي داخلة فيها" (٣) والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أنا عليه وأصحابي" والمراد بـ"ما" هنا هو خلق الصحابة وسيرتهم وعملهم يشير إليه الحديث الذي رواه رزين عن ابن

(١) الإبانة ص: ٥٢ "واعتبروا أن أحسن طرق تفسير القرآن هو تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة، ثم

بأقوال الصحابة والتابعين" انظر الفتاوى ٣٦٣/١٣ وانظر للتفصيل "إعلام الموقعين ٤/ ١١٨ - ١٥٥

(٢) انظر الفتاوى ٣٣٣/ ١٣

(٣) فإنه من الممتنع أن يقول بعض الصحابة والتابعين في كتاب الله الخطأ المحض وبمسك الباقر عن الصواب فلا يتكلمون به فيستحيل خلو عصرهم عن ناطق بالصواب واشتماله على ناطق بغيره فقط. انظر إعلام الموقعين ٤/ ١٥٥ بتصرف ويقول ابن القيم: "إذا قال الصحابة قولاً فلما أن يخالفه صحابي آخر أو لا يخالفه، فإن خالفه صحابي لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر وإن خالفه أعلم منه كما إذا خالف الخلفاء الراشدون أو بعضهم غيرهم من الصحابة في حكم.... الصحيح أن الشق الذي فيه الخلفاء أو بعضهم أرجح وأولى أن يؤخذ به.... وإن لم يخالف الصحابي صحابياً آخر.... واشتهر قوله فالذي عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع وحجة...." ٤/ ١١٩ - ١٢٠ ويقول عن حجية قول التابعي: "يجب اتباع التابعي فيما أفتى به ولم يخالفه فيه صحابي ولا تابعي..." ٤/ ١٥٦

مسعود رضى الله عنه أنه قال : من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة وأولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بها ما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (١) ويوضح ذلك بمثال فيقول: "والمبتادر إلى الذهن بلفظ السيرة المضافة إلى قوم أن تكون رائحة ومنتشرة في القوم كله وليس المقصود شذوذ واحد من الناس بعمل، أو طعن فيه وأنكر عليه منهم..... فمثل أكل اللحم النيئ، لا يقال في العرف أنه من عادات الهنود وإن أكله بعض الناس نادرا بخلاف الأحباش فكان من عاداتهم الرائحة أكله نيئا فهو إذا من عادات الأحباش" ويستدل عليه بقاعدة أصولية أيضا فيقول: "فإن لفظ" أصحابي" جمع تكسير ومضاف إلى ياء المتكلم التي هي معرفة في نفسها، وصيغة جمع التفسير المضاف إلى المعرفة تفيد الاستغراق، يعني أنه يشمل جميع أفرادهِ ويطلق على كل فرد منها (٢) ودليله ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في رواية التشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فإنه إذا قال أى كلمة "عباد الله الصالحين" أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض، (٣) فعلم من الحديث أن لفظ "عباد الله" يفيد الاستغراق ويقصد به كل العباد وكذلك لفظ "أصحابي" أيضا يفيد الاستغراق ويدخل فيه جميع الصحابة، والاستغراق الحقيقي الذي نتكلم عنه في هذا الموضع يثبت إذا اجتمع جميع الصحابة على خصلة أو طريقة ما ويتحقق الاستغراق العرفي عند اجتماع أكثر الصحابة عليها ومن لم يوافقهم في هديهم وطريقتهم منهم لا يُنكر عليهم".

ويستدل بحديث "خير أمي قرني" أيضا فيقول: "وجملة "خير أمي قرني" أيضا تدل على المعنى المذكور لأن إضافة الخيرية إلى "قرني" تفيد أن العادات الشائعة في هذا الزمن يغلب عليها الخير والصلاح، ولا يفهم منه أن كل عمل من كل رجل من أهل هذا الزمن يكون خيرا، فمثلا لو قال قائل: "أن الناس من دهلي في زمن ملك محمد شاه كانوا مسرفين" يفهم منه في

(١) أخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" ٩٧ / ٢ وزاد فيه "أقلها تكلفا، وأقومها هديا وأحسنها حالا، الرواية منقطع انظر المشكاة بتعريج الألباني ٦٧ / ١

(٢) "المحلى بالألف واللام بغير المعهود، أو إضافتها إلى معرفة" من صيغ العموم انظر روضة الناظر وجنة المناظر ١٢٣ / ٢

(٣) جزأ من حديث أخرجه البخاري - الصلوة - ٨٣١ انظر الفتح ٣١١ / ٢ ومسلم - الصلوة - ٤٠٢

العرف أن العادات الرائجة في الزواج والمأتم والمأكل والملبس والمسكن يغلب عليه الإسراف والتبذير وإن كان بعضهم يتعدون عنه نادرا أو العدد الكثير من البدويين لم يكونوا يعرفونها، وقوله صلى الله عليه وسلم ثم "يظهر الكذب" في الحديث نفسه من رواية النسائي يوضح هذا المعنى جليا لأنه قال: "ثم يظهر الكذب" (١) ولم يقل ثم يوجد الكذب، والمستفاد الصريح من هذا هو عدم ظهور الكذب في القرون الثلاثة، وليس فيه نفي وجوده..... و لايعني ذلك أن الكذب يعدم في القرون المفضلة أو لا يكذب واحد من الناس" (٢)

خلاصة ما تقدم:

بعد ما شرح الشاه رحمه الله معنى المحدثات وحدد معناها بأنها الأشياء التي لم تكن موجودة بنفسها ولا نظيرها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لأن وجودها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يجعلها من السنة، ووجودها في القرون المفضلة يلحقها بالسنة واستدل لهذا المعنى بقول النبي صلى الله عليه وسلم "ما أنا عليه وأصحابي" ويقول صلى الله عليه وسلم "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...."

والمراد بوجودها في القرون الثلاثة هو أن ينتشر العمل بها من غير تكبر، أما إذا شذ بالعمل به أحد أو طائفة، أو أنكر عليه فلا تخرج من حد المحدثات، واستدل عليه بأدلة، منها أن قوله صلى الله عليه وسلم "ما أنا عليه وأصحابي" يدل على ما كان عليه خلق الصحابة وسيرتهم

(١) كلمة "ثم يظهر الكذب" ليست في رواية عمران بن حصين فهي رواية مستقلة رواها الترمذي عن عمر بن الخطاب في - الفتن - ٢١٦٥ - وفي - الشهادات - ٢٣٠٣ وابن ماجه - الأحكام - ٢٣٦٣ - و لكنها بلفظ "ثم يفسد الكذب" ولعل "ثم يظهر الكذب" في النسائي الكري كما أحال عليه صاحب "مشكاة المصابيح" ١٦٩٥/٣

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٥ - ٨ يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: "واقضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ هل بحث وإلى الثاني نحا الجمهور "فتح الباري ٦/٧ بل العكس الصحيح انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣١٨/١٦ وقال ابن القيم: "وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب وهذا حكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد فرد من المسائل، كما أن عصر التابعين وإن كان أفضل من عصر تابعيهم فإنما هو بحسب الجنس لا بحسب كل شخص شخص ولكن المفضلون في العصر المتقدم أكثر من المفضلين في العصر المتأخر...." إعلام الموقعين ١١٨/٤

وعاداتهم وليس المراد إذا كان أحاد من الناس انفرد بالعمل به فأنكر عليه جمع من الناس، ومنها استدلاله بلفظ "أصحابي" أيضا، وهو أن صيغة الجمع إذا أضيفت إلى ياء المتكلم التي هي معرفة تفيد الاستغراق فلفظ "أصحابي" يفيد الاستغراق فيدخل فيه جميع الصحابة فلا يتحقق هذا المعنى إلا إذا اجتمع جميع الصحابة أو غالبهم على أمر من الأمور، فاجتماعهم هذا يخرجهم من حد المحدثات، ومنها استدلاله بقوله صلى الله عليه وسلم "خير أمتي قرني" بأن إضافة الخيرية إلى "قرني" تفيد أن العادات الشائعة في هذا الزمن يغلب عليها الخير والصلاح، ولا يدل هذا أن كل عمل من كل رجل فيه خير وصلاح، وأطال في شرح هذا المعنى، وبعد هذا الشرح وتحديد معنى المحدثات تناول معنى "الأمور" الوارد في الحديث "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

المراد "بالأمور" في الحديث أمور الدين:

يقول في شرح هذا اللفظ: "ليعلم أن المراد بـ"الأمور" في الحديث أمور الدين.... لأن الأمر الذي يختص به الأنبياء إنما هو أمر ديني يدل عليه الحديث الذي رواه مسلم عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما أنا بشر إذ أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر" (١) "دلالة هذا الحديث صريحة أن اتباع سيرة السلف في غير الأمور الدينية ليس بواجب، فمن هنا لامانع من إيجاد شيء جديد من أمور الدنيا" (٢)

وقد فسر تلك الكلمة أبو عبيد، يقول يحيى بن سعيد سمعته يقول: "جمع النبي صلى الله عليه وسلم جميع أمر الآخرة في كلمة" من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد، فأشار بأن المراد بهذه الجملة هي أمور الآخرة دون أمور الدنيا... (٣)

يقول الشاه "والمقصود بأمر الدين الأمور التي يتعلق بها أحكام الشارع..... وهي الأحكام السمعية التي لا يتصور معرفتها من غير إعلام الشارع ولا مجال للعقل فيها، ولها قسمان:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - وبوب عليه النووي "باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من

معايش الدنيا على سبيل الرأي" - ٢٣٦١- انظر شرح النووي ١٥ / ١٢٦

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٨ - ٩

(٣) شرح السنة للبغوي ١ / ٢١٨

القسم الأول: الأحكام التكليفية، والمراد بها مطالبة أمر من أمور الدين، أو الترغيب في فعله أو التحذير منه.... وتفيد جميع العبارات الواردة في هذا الباب (باب الترغيب أو التهيب) بأن أمرا إما ينفع في الآخرة أو يضر فيها، ونسمي هذه الأحكام "الأحكام التكليفية".

"القسم الثاني: " هو الحكم في شيء أنه ركن أو شرط أو لازم لعبادة أو معاملة، أو نعهده مُكَمَّلًا لشكل العبادة أو لهيئتها ونسمي هذه الأحكام "الأحكام الوصفية".

" فالأمر الديني إذا هو الحكم السمعي سواء كان الحكم التكليفي أو الحكم الوصفي "

خلاصة تعريف البدعة الأصلية:

وبعد هذا التفصيل يلخص تعريف البدعة فيقول: "فالبدعة الأصلية إذا " كل عقيدة أو مقام أو حال أو وارد أو عبادة أو عادة أو معاملة محدثة في المعنى المذكور، والعامل به يعتقد (١) فيه منفعة الآخرة، ويسعى لأجلها، أو يحترز منها لاعتقاده أنها ضارة في الآخرة، أو يعمل معتقدا أنه ركن عبادة أو معاملة أو شرطها أو لازمها أو يتركها زاعما أنه مناف لعبادة أو معاملة ومخالف لها نسميها البدعة الأصلية، وهو المقصود بلفظ "محدثات الأمور" الوارد في الحديث".

المطلب الثالث: البدعة الوصفية

يقول الشاه خلال بحثه عن البدعة الوصفية: " أما البدعة الوصفية فمدار البحث كله على حديث عائشة رضي الله عنه " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

فتحقيق معنى البدعة الوصفية موقوف على تحقيق معنى الكلمات الثلاثة وهي "أحدث" و"أمرنا" و"ما" الموصولة، وقد سبق تحقيق معنى "أحدث" و"أمرنا" فيما قبل أما "ما" الموصولة فمدلوله يكون عاما وشاملا إلا أنه يخصص في الاستعمال بوجهين:

أولا: بصلته،

ثانيا: بالتأمل في سياقه وقرينة الكلام والمتكلم والسامع.... " (٢)

ثم فصل المؤلف في إثبات هذا المعنى بضرب المثال، وخلاصته أنه لو قيل للجاهل أنه لا يليق له إحداث أمر يتعلق بالعلماء يفهم منه أنه منع من إحداث شيء يختص به العلماء لعلمهم

(١) فإن الشاه قد جعل اعتقاد صاحب البدعة فيها شرطا لازما للحكم بالبدعة وهو شرط مهم . انظر "

كتاب الحوادث والبدع" للطرطوشي مع حاشية المحقق ص: ٢١

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ١٣

والعقلاء لعقولهم، كصنيف كتاب أو إنشاء أسلوب جديد... ولم يمنع هو من إنشاء طراز خاص في المأكّل والمشرب والملبس والمسكن ونحوها من الأشياء التي لاعلاقة لها بالعلم وبعد إيضاح هذا المثال يقول: " كذلك يفهم من الحديث أن من أحدث أمرا يهتم به الأنبياء بالتعليم والتبليغ فهو مردود وغير مشروع" (١)

بيان الأمور التي يهتم بها الأنبياء لأجل النبوة:

وهنا يختلج في الصدر سؤال ألا وهو المعرفة عما يهتم به الأنبياء لأجل منصب نبوتهم فيجيب عليه الشاه بقوله: " إن الترغيب في الأمور النافعة في الآخرة والترهيب مما يضر فيها من خواص النبوة، وهذا هو الدين، ويشترك فيه جميع الأديان السماوية كما يدل عليه قوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ (٢)

ويقول في شرحه: " فتعين الأمور المذكورة وحدوده وتخصيص أشكالها وهيئاتها التي تنفع في الآخرة أو تضر من خصائص رسالة الأنبياء وهي الشريعة والمنهاج وهذا يختلف باختلاف الرسل، قال الله عز وجل ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ (٣) ويوضح ذلك بمثال فيقول: " فمثلا الترغيب في الصلاة والنكاح والتنفير عن الشرك والزنا مشترك في اصل كل دين، ولكن تعين الصلاة بتحديد أوقاتها وركعاتها وشروطها وغيرها من التفاصيل، أو تعين النكاح باشتراط الإيجاب والقبول والصدّاق والشهود، أو تحديد الشرك بالطيرة والحلف بغير الله فتعين هذه التفاصيل والجزئيات كلها تشريع والتشريع حق الأنبياء عليهم السلام". (٤)

المطلب الرابع: التفصيل في طرق التشريع

ثم أطال النفس في تعيين طرق التشريع لأهميتها وحاجة الناس إليها لأنه ذكر فيما قبل أن التشريع حق الأنبياء عليهم السلام خاص بهم واستحقوا ذلك لأجل النبوة، ويهتمون به لأنه

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ١٣- ١٤

(٢) سورة الشورى / ١٣

(٣) سورة المائدة / ٤٨

(٤) يعنى أن الأنبياء يشرعون هذه التفاصيل بأمر من الله عز وجل. إيضاح الحق الصريح ص: ١٤

مقصود بعثتهم. وإذا اتضحت طرق التشريع واختصاص الأنبياء بها وأنه لا مدخل فيه لعقل بشر واللكلام أحد من الناس، تبقى صورة الشريعة واضحة وجلية فلا مناص لأحد إلا الاتباع دون الابتداع ولذلك قد فصل تفصيلا كثيرا في بيان طرق التشريع فيقول: "إن تعيين الصور المخصوصة لأصول الدين أو تحديدها بحدود معينة من الشارع يتم على جهتين، أولا: "جهة اللزوم وذلك أن يعين أصل من الدين بطريقة مخصوصة فلا يعتبره الشارع إذا كانت مفقودة منه أو يعتبره معلوما،

الثاني: "جهة التكميل وذلك أن يعين عمل من الدين بهيئة لو أدى بها كان مقبولا ومستحسنا عند الشارع، فالصورة المعينة سواء كان لها أثر في الاستحسان الشرعي أم لا ولكن لها أثر بالغ في ثبوت ذلك الأصل"

وقد حاول الشاه في هاتين الصورتين أن يبرز أمرا هاما وذلك أن الشارع إذا عين صورا وقيودا وشروطا للعقائد والعبادات أو حدها بحدود معينة فتعيينه وتحديده هذا يكون من جهتين يعني جهة اللزوم والتكميل، فما شرعه الشارع على جهة اللزوم فهو واجب، ولا عبرة بعمل مع فقدانه عند الشارع وقد يعين الشارع أمرا بهيئة خاصة فيجب أن يؤتى بتلك الهيئة، وهذه الهيئة قد لا تكون لازمة ولكن لها أثر بالغ في كمال تلك العبادة وتمامها. وإذا فقدت تلك الهيئة تكون العبادة مشوهة ناقصة ثم ذكر أمثلة عديدة من الأمور الشرعية التي تدل على هذين الجهتين فيقول: "منها: إجراء أمر وإنفاذه في الأمور الدينية إما أن يكون على سبيل اللزوم مثل تعيين القيام والقراءة والركوع والسجود ونحوها في الصلاة وإلزام الإيجاب والقبول في النكاح وإما أن يكون على سبيل التكميل مثل تعيين القيام بعد الركوع والجلوس بعد السجود والتسبيحات فيها وإعطاء مقدار زائد على القرض الذي اقترض من غير شرط سابق".

ومن هنا: "تعيين الأوقات إما لزوما نحو تحديد الأوقات الخمسة لأداء الصلوات، وشهر رمضان للصيام، وشهر ذي الحجة للحج، وحولان الحول لوجوب الزكاة ونحوها وأذان الجمعة للإمساك عن البيع والشراء.....".

وإما مكملًا نحو: تعيين ليالي رمضان ونصف شعبان (١) للقيام وآخر الليل للتهجد وارتفاع الشمس لصلاة الإشراق.... وغيرها من الأوقات التي عينها الشارع لا يمكن إحصاءها".

ومنها: "تعيين الأمكنة إما أن يكون لازماً مثل تعيين المكان الطاهر للصلاة غير المقبرة والحمامات، والمدينة لإقامة الجمعة والأعياد، (٢) والمساجد للاعتكاف، والمواقيت للإحرام، والحرم والكعبة وعرفة ومنى والمزدلفة، والصفاء والمروة للحج".

"إما أن يكون تعيينها للتكميل دون اللزوم نحو: تعيين المساجد للصلوات المكتوبات، ولعقد النكاح (٣) والبيوت لتلاوة القرآن وصلاة التطوع.... وغيرها كثير من الأمكنة المعينة من جهة الشارع لا يمكن إحصاءها مثل التوقيتات الزمنية".

ومنها: "تعيين العدد إما لزوماً نحو عدد الركعات في المكتوبات، وعدد الصيام المفروض... وإما تكميلاً نحو تعيين عدد الركعات في النوافل وعدد التسبيحات في الصلاة وبعد الفراغ منها ...".

ومنها: "تعيين أعمال الأعضاء والجوارح إما أن يكون لازماً وإما أن يكون مكملًا نحو تعيين القلب للنية وكنايات الطلاق.....".

ومنها: "تعيين هيئات مخصوصة، إما أن يكون لازماً أو مكملًا له، مثل استقبال القبلة وسر العورة..... وأمثلة الأوضاع المسنونة في جميع العبادات".

(١) يقول ابن القيم بعد ما ذكر حديثاً في فضل القيام في ليلة النصف من شعبان: "والعجب ممن شم رائحة العلم بالسنن أن يفتر بمثل هذا الهذيان، ويصليها، وهذه الصلاة وضعت في الإسلام بعد الأربع مائة، ونشأت من بيت المقدس فوضع لها عدة أحاديث" ثم ساقها / انظر "المنار المنيف" ص: ٩٩ وقال القرطبي في تفسيره ١٦ / ١٢٨ "وليس في ليلة النصف من شعبان، حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها" انظر للتفصيل "كتاب الحوادث والبدع" ص: ١٢٨ - ١٣٣ و"كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث" ص: ١٢٤ - ١٣٧

(٢) وقد اشترطت الحنفية، المدن لإقامة الجمعة دون القرى، وهو شرط لا أصل له، إذ به تفوت الجمعة على عدد هائل من المسلمين، انظر "الموعظة الحسنة للقنوجي في آخر كتاب "الأجوبة النافعة" للشيخ الألباني ص: ٤٣ - ٤٤ وقد ألح البخاري إلى جوازه في صحيحه حيث يوب "باب الجمعة في القرى والمدن" انظر الفتح ٢ / ٣٧٩

(٣) ولم يثبت شيء من السنة في عقد النكاح في المساجد.

ومنها: " تعيين المقدمات البدائية فإن كانت لازمة نسميها "شروطا" وإن كانت مكملية نسميها التمهيدات، نحو تعيين الغسل أو الوضوء أو التيمم عموما للصلوات الخمسة وللجمعة والعيد... وتقديم خطبة النكاح وحضور الولي أو السيد أو الشهود في النكاح.... وتقديم البسملة في العبادات والعادات والأفعال ونحوها من الأمور التمهيدية الكثيرة للأعمال المشروعة".

ومنها: " تعيين الأمور النهائية في العبادات والعادات على الوجهين المذكورين نحو قراءة الأذكار المسنونة بعد التسليم، وأداء السنن المؤكدة، والجلوس على المصلى إلى طلوع الشمس..... وتعيين المسجد النبوي ومسجد القباء للزيارة في الحج، (١) وإلزام الصداق ودعوة الوليمة والدعاء بالبركة في حفلة النكاح.... وغيرها الأمور الكثيرة في العبادات والمعاملات من جهة الشارع...".

ومنها: " تعيين المصارف والمحل للأفعال....".

ومنها: "تخصيص الألفاظ لمواقع مخصوصة، نحو تخصيص ألفاظ الأذان والإقامة للمكتوبات والاستعاذة والبسملة قبل قراءة القرآن في القيام.....".

ومنها: " تعيين صفة أداء الأذكار والأدعية فمثلا الجهر بالأذان والإقامة والقراءة في الصلوات الجهرية، والتلبية وتكبيرات أركان الصلوة والعيد، وتشريع الإخفاء والإسرار في غيرها من المواضع وخاصة عند الدعاء".

منها: "تحديد أنواع الأموال، فمثلا حددت بعض أقسام الأموال في باب الزكاة والربو وتحديد أربعة أقسام من الأنعام في باب الأضاحي مع تعيين عمرها وخلوها من العيوب...".

ومنها: "تعيين اللباس وألوانه، فمثلا مشروعية الحرير والأحمر والأصفر من اللباس وحلي الذهب والفضة للنساء دون الرجال".

ومنها: "تعيين الأمور التي يشرع إظهارها أو إخفاءها، فبعض الأمور الشرعية مطلوبة إظهارها وإشهارها مثل إظهار العبادات الواجبة وصلاة الجنازة... وبعضها مطلوبة إخفاءها وإسرارها مثل التطوعات والنوافل وزيارة القبور".

منها: "تخصيص الجماعة لأداء بعض الأعمال وبعضها تشرع أداؤها فرادى.....".

(١) يجوز زيارة المسجد النبوي ومسجد القباء لورود الأحاديث الصحيحة فيها، ولكن لم يثبت شيء في تخصيصها بالحج.

منها: " تعيين طرق جبر النقص مثل تعيين الغدية والقضاء ومثلية الشيء الهالك أو قيمته عند تلف المغصوب والأمانة.....".

ومنها: " تعيين النتائج والثمرات في باب العبادات والمعاملات والجنايات فمثلا إذا أتى بالعبادات المطلوبة استحق الأجر العظيم في الآخرة وبرئت منه الذمة في الدنيا في باب العبادات...".

وبعد هذا التفصيل يقول الشاه رحمه الله: " والغرض من هذا التفصيل أن الصور المذكورة وغيرها التي تشبهها، من أمثلة التحديدات الشرعية، وكلها داخلية تحت أبواب التشريع كما ذكرها الله عز وجل في الآية ﴿تلك حدود الله فلا تعتلوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ وكما أشار إليها في الحديث (إن الله حد حدودا فلا تضيعوها) (١)(٢)

المطلب الخامس: ثمرة التفصيل في بيان طرق التشريع

ولقد فصل الشاه في تحديد مفهوم البدعة الوصفية تفصيلا دقيقا وأطال النقاش فيه، بدأ البحث عن البدعة الوصفية بحديث عائشة رضي الله عنها (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وأشار إلى أن معنى الحديث متوقف على شرح ثلاثة ألفاظ " الإحداث " و " الأمور " ولفظ " ما " الموصولة في الحديث وقد تقدم شرح كلمتين السابقتين في تعريف البدعة الأصلية أما " ما " فيكون مدلوله عام وشامل إلا أنه يختص بقرينة الكلام وبصلته، فالمراد هنا هو الأمر الذي يهتم به الأنبياء لأجل منصب الرسالة، فالمفهوم المستخلص إذا " من أحدث أمرا في أمور الأنبياء التي يهتمون بها لأجل نبوتهم فهو مردود".

وهذا الإجمال اقتضى منه أن يفصل عن الأمور التي يختص بها الأنبياء فذكر أن الأنبياء مهمتهم إرشاد الناس إلى ما ينفعهم في الآخرة والتحذير عما يضرهم فيها، ويشترك فيه جميع الأديان إلا أن الشرائع تختلف في تعيين صور العبادة وأوقاتها وهيئاتها وأشكالها وفي العادات

(١) سبق تخريج الحديث ص: ١٧٠.

(٢) انظر إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ١٤ - ١٩ يقول الطرطوشي رحمه الله: " وأصل هذا الباب أن زمان الفعل ومكانه وقرائنه كل ذلك شرط في الفعل وجوبا أو استحبابا " الحوادث والبدع ص: ١٦١ ويقول الشاطبي مبينا ما كان مطلوبا تركه في الشرع: " أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفا لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات والتزام الهيئات المعينة أو الأزمنة المعينة مع الدوام ونحو ذلك " الاعتصام ١ / ٢٨.

والمعاملات، وهذه الحدود والصور المعينة والتحليل والتحريم كلها تشريع والتشريع حق الأنبياء عليهم السلام خاص بهم، ومن هنا بين صور التشريع ولهما جهتان، جهة اللزوم وجهة الكمال.

والمراد من جهة اللزوم بأنه يجب أداء العمل المشروع حسبما شرع لازما من غير زيادة ولا نقص فيه وإلا يصبح غير معتبر عند الشارع،

أما المراد من جهة الكمال بأن العمل على الصورة المشروعة مستحب ومستحسن جدا، ولكن إذا طرأ فيه نقص أو زيادة فلا يبطل أصل العمل بل يفقد بهاءه وكماله، ومن الصور التي عددها تعيين الأوقات، والأمكنة، والعدد، والهيئات، والشروط والأركان، في العبادات والعادات والمعاملات والأقوال والأفعال وأنها كلها من باب التشريع وكذلك تعيين أعمال الأعضاء والجوارح وتحديد أنواع الأموال في الزكاة والأضحية والربا وتعيين الأمور التي يشرع إظهارها أو إخفاءها ونحوها الصور المذكورة كلها لا يشرع إلا من جهة الشارع فهو تشريع.

قصد الشاه بهذا التفصيل الدقيق الرائع، إبطال ما يفعله الناس من عند أنفسهم بتخصيص بعض الأشياء أو بتعيين بعض الأشياء في العبادات والعادات والأقوال والصدقات مع اعتقاد بأنها مشروعة، وأراد أن يمنعهم عن ذلك و أن ينبههم على أنها بدعة .

فلا يستحق أحد غير الأنبياء عليهم السلام أن يشرع مثل تلك التحديدات أو التعيينات. وهذا التفصيل الذي ذكره الشاه تؤيده الأدلة، وقد أشار الشاطبي رحمه الله إليه إشارة موجزة، ولما عرف البدعة بقوله " طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه " نقول في شرح تلك الكلمات "... تضاهي الشرعية " يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة".

" منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لا يقعد، ضاحيا لا يستظل، والاختصاص في الانقطاع للعبادة والاقتصار من المأكول والملبس على صنف دون صنف من غير علة".

ومنها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً وما أشبه ذلك".

ومنها: " التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة كالتزام

صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته". وثم أوجه تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة" (١)
فالشاطبي رحمه الله قد جعل هذه الشروط والقيود والهيئات وتعيين الأوقات والأزمنة من
الشريعة، ومعلوم أن الشريعة لا تؤخذ إلا من الله ورسله عليهم السلام، فمن زاد الأمور
المذكورة مستندا إلى عقله وهواه فإنه قد ابتدع بدعة في الدين.
والتفصيل في طرق التشريع المذكورة مهم جدا، لأن المبتدعة لا يتدعون بدعة إلا ما تشبه
السنة في حدودها وقيودها وأوقاتها وآدابها حتى يلبسوا بالسنة فيكون مقبولا كما يقول
الشاطبي: "فإن صاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبسا بها على الغير
أو تكون هي مما تلبس عليه بالسنة، إذ الإنسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع لأنه إذ
ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع نفعا ولا يدفع به ضررا ولا يجنيه غيره إليه، ولذلك تجد
المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل
الخير....." (٢)

المطلب السادس : وجوب مراعاة المراتب في الأمور الشرعية

بعد ما تناول الشاه صور التحديدات الشرعية وقرر بأنها من باب التشريع وليس لأحد أن
يحدد شيئا أو يعينه ويتعبد به بل الواجب عليه أن يتبع فيه الأنبياء عليهم السلام، تناول أمرا هاما
وفصل الكلام فيه وهو "مراعات التفاوت والمراتب في الأمور الدينية" فيقول: "هذا باب طويل
الذيل لطيف المأخذ ومسرح العلماء الربانيين وذلك بأن العالم الرباني لما يتأمل في أمر شرعي ذو
جوانب عديدة يستحضر في ذهنه قواعد الشرع وأدلته المتعلقة به، فيدرك أن الجوانب كلها وإن
كانت مستحسنة عند الشارع ولكن الاهتمام ببعضها أكثر من بعض، فمثلا الصلاة مطلوبة
بجميع شروطها وأركانها وهيئاتها ولكن أهمية أركانها وشروطها أكثر من غيرها... وهكذا
عندما يكون العالم الرباني واسع العلم ولطيف الذهن ويتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
ينكشف له أن جميع الأمور التي اشتملت عليها سيرته المباركة تعد من قبيل السنة النبوية، ولكن
اهتمامه صلى الله عليه وسلم وعنايته لبعض الأفعال والعادات أكثر من غيرها، يظهر هذا
بالتأمل في قرائن حاله وقوله وفعله ويتضح الفرق بين الأمور التي اهتم بها أو أكثر الاعتناء بها

(١) الاعتصام ١/ ٢٩ - ٣٠

(٢) الاعتصام ١/ ٣٠

وبين الأمور التي لم يهتم بها كثيرا أو لم يكثر الاعتناء بها، فمثلا الاعتناء الموجود بالمساجد وبناءها وتعميرها وترسيخها وحمايتها غير موجود في شأن القبور، فرغب في اجتماع المسلمين بالمساجد مع التأكيد فيه والثناء عليه، وأنذر من التكاسل فيه والإعراض عنه، وأبدى السرور والحبور على هذا الاجتماع كما أبدى الغضب والسخط على ترك هذا الاجتماع، وعلى هذا القياس الأمور التي ورد فيها الترغيب أو التهيب ينبغي الاعتناء به والاجتهاد فيه، أما زيارة القبور فلا ينبغي الاهتمام بها، وكما ينبغي الاهتمام لنفع الميت بالصلاة عليه والترغيب فيها وتعليمها وتبليغها وترويجها والتأكيد عليها والتنويه بشأنها فلا ينبغي مثل ذلك الاهتمام لأدعية أخرى، والاهتمام الذي ينبغي للصدقة عن الميت لا ينبغي في إيصال ثواب الصلوة والصوم وتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل، والاهتمام الذي ينبغي في الاستعداد للجهاد سواء كان استعدادا ماديا أو معنويا، من ترغيب الناس فيه وتحريضهم عليه، وبذل الوسع في جمع العدة والعدة وصرف الأوقات الغالية في التدابير المتعلقة بالجهاد، لا ينبغي مثل ذلك السعي الخيث والارغبة الشديدة في تدريس علوم غير نافعة، وفي العزلة والنوافل والتزام الخلوات والرياضات والمجاهدات وفي الأذكار والمراقبات، وكما ينبغي العمل الشديد والمحاولة الأكيدة في تعليم الناس الأحكام الواضحة من الكتاب والسنة لا ينبغي في حل المسائل الفقهية الغريبة وطرف الفقهاء الخيالية والتأمل في المباحث الكلامية الصعبة وفهم الإشارات الصوفية الدقيقة.

ويواصل الشاه كلامه فيقول: "وخلاصة الكلام أن فروع مباحث التشريع متنوعة وجوانبها عديدة ومع ذلك فهي ترجع إلى قسمين،

١- باب التحديدات ٢- باب حفظ مراتب أمور الملة

بعد هذا البحث الطويل يقول الشاه محمدا معنى حديث عائشة: "فالمراد بالحديث في ضوء هذا التحقيق كالتالي: "من أحدث أمرا جديدا في الدين أو قام بتزويجه وهو من قسم التحديدات أو يحدث بسببه تغير في المراتب في أمر من أمور الدين فهو مردود" ثم يستنتج منه معنى البدعة الوصفية، فيقول: "كل تحديد محدث في أمر من أمور الدين أو كل إحداث يسبب تغييرا في مراتب أمور الدين، ويعتبر المبتدع هذا الوصف الطارئ من قبل الشارع، أم يعتبره من الاستحسان الشرعي فيعمل به، أم يجعل هذا الوصف الطارئ مبطلا للعمل المشروع الأصلي، فنسميها البدعة الوصفية" (١)

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ١٩- ٢١

فالبدعة الوصفية عند الشاه هو العمل المشروع الثابت في الأصل إلا أنه زيدت فيه قيود أو شروط تسببت في تغيير مرتبتها المشروعة، ثم أن هذا التغيير الطارئ يعتبره المبتدع من الشارع، وأن له أثرا في قبوله أو رده مع أن الشرع لم يأت به .

والبدعة الوصفية عنده تشبه البدعة الإضافية عند الشاطبي رحمه الله (١) وبهذا التعريف للبدعة الوصفية، جعل الشاه كل ما يقوم به المبتدعة من الزيادة أو النقصان في الأمور الشرعية أو في مراتبها من البدعة.

وبهذا قد ألزم وجوب التمسك بالسنة كما هي وأنه لا يجوز الميل عنها قيد شبر، بل يتبع في كل أمر صغير كان أو كبير اتباعا كاملا كما يقول ابن الوزير اليماني: "إن معظم ابتداع المبتدعين من أهل الإسلام.... الزيادة في الدين أو النقص منه....". "ومن الزيادة في الدين أن يدخل فيه ما لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه رضي الله عنهم". ولا يخفى على من له أدنى عقل وتمييز من المسلمين أن نجاة أهل الإسلام في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولزوم ما جاء به من غير تصرف فيه بزيادة ولا نقصان ولا ابتداع عبارة لم تكن ، وسواء كانت تلك الزيادة أو النقص حقا أو باطلا....(٢)

(١) انظر الاعتصام ١ / ٢١٠

(٢) إنبار الحق على الخلق ص: ١٠٠-١٠٢

المبحث الثالث : البدعة الحكيمة أو الفعلية

المطلب الأول : مدار البدعة على اعتقاد صاحبها أنها من الدين

ولم يكتف الشاه بهذا التفصيل في البدعة بل رأى الناس قد استغرقوا في أنواع من البدع فأراد تنبيههم وإقناعهم على كونهم على البدعة ففصل تفصيلا دقيقا فيقول: "ولا يخفى عند التأمل في تعريف قسَمى البدعة أن مدار البدعة المطلقة على العقيدة فقط يعنى الاعتقاد في الشيء أنه نافع أو ضار عند الله عز وجل ولم يكن كذلك عند الله عز وجل فهي بدعة حقيقية" (١)

والمح الشاه إلى أن الأصل في الحكم بالبدعة اعتقاد صاحبه، فمن اعتقد في عمل الثواب عند الله أو العقاب عنده ولم تأت به الشريعة فهو بدعة، كما تقدم.

المطلب الثاني: البدعة الحكيمة أو الفعلية

مدلول البدعة الحكيمة :

إذا كان الاعتقاد شرط أساسي في الحكم بالبدعة، فماذا يقال عن بعض الأعمال التي لا يعتد فيها صاحبها النفع والضرر في الآخرة ولا يعتد مشروعيتهما ولكنه يهتم بها كاهتمامه الأعمال المشروعة ويذل فيها جهده وماله، كبذله في الأعمال المشروعة ويعتني في أدائها كاعتنائه بأمور مشروعة، وصار يلتمس العذر بأنه لا يعتد فيه ثوابا ولا عقابا، فهل يجوز له أن يعمل عليه؟؟

نجد الشاه رحمه الله لرغبته في السنة وبعده عن البدعة وما يقرب إليها لم يستسغ تلك الأمور أيضا بل حذر الناس منها وجعلها مثل البدعة في الحكم فيقول: "إن شيئا محدثا لا يعتد فيه صاحبه النفع والضرر في الآخرة ولكن يهتم بها مثل اهتمامه بالأمور النافعة أو الضارة في الشرع، فمثلا ينبغي تحري يوم العيد للأضحية لأجل فضيلته مع جوازها في اليومين بعده وإن غلت الأسعار .. وكثرت الأشغال من صلاة العيد وآدابها وزيارة الأحبة والأقرباء، وقل نفعه لكثرة اللحم في ذلك اليوم وقلة حاجة الفقراء إليه، فالهم أن لاتفوت فضيلة يوم العيد مع هذه

(١) إيضاح الحق الصريح ص: ١١

المشاكل والمصاعب، أما أن يقاس عليه تعيين يوم الوفاة للصدقة عن الميت وإن أصابه فقر أو عرضت له أسفار أو كثرت الأمطار وانتشرت الأمراض أو واجهت المشاكل مثلها أو أشدها في تلك الأيام التي عينها هو، فلا يستسيغ ولا يستحسن فوات خصوصية اليوم المذكور، وإن اضطر لها أن يفترض أو يسبب ذلك في زيادة المرض ولا يبالى ذلك بل يتحمل إلغاء السفر لأجله ويعد الأجهزة الكاملة ليحمي طعام الصدقة من الأمطار ولا يبالى لأجله التلوث بالوحل والوسخ وفوات الجماعات وطمأنينة الصلوة وضياح التعليم الشرعي ودروسه، يتحمل هذه كله ولا يرضى فوات اليوم المذكور وإن لم يعتقد أفضليته على غيره من الأيام" (١)

ويمثل أيضا بمثال من واقع المجتمع فيقول: "والأرملة التي لا ترغب في النكاح مع غلبة الشهوة وشدة الفقر والمسكنة لأجل موت زوجها، وكثرة الوحشة لفقد من تستأنس إليه، تجتنب عن الزنى وتبتعد عنه وهذا يعد من حسناتها ... وكذلك تجتنب عن النكاح الثاني وتبتعد عنه إن لم تعتقد قبح النكاح الثاني" (٢)

ويمثل من واقع المجتمع بمثال آخر فيقول: "فإن النكاح لا يصح إلا بإذن الولي وحضور الشاهدين فالولي والشهود من شروطه، تتوقف صحة النكاح على هذه الشروط، وإن كان في هذا التأخير مشاكل، كذلك الناس يؤخرون النكاح ويوقفونه على استطاعة وتجهيز الجهاز المطلوب الموعود (٣) أو على استطاعة إقامة حفلة مناسبة، كتأخيرهم لعدم وجود الكفو أو الولي وقد يضطرون إلى اقتراض قروض باهظة لتجهيز الجهاز المناسب أو لإقامة الحفلة الفخمة التي تكون مصدرا لكثير من المشاكل الدينية والدنيوية، منها الفقر والإفلاس والتعامل بالربا، أو

(١) فإن القبورين في بلاد الهند قد شرعوا أنواعا من الأطعمة للأولياء والأموات تعبد بها يقول إحسان الهي في كتابه "البريلوية" بعد ما نقل من كتب القوم "فأنهم أوجبوا على اليتامى وورثة الميت أن يقدموا إليهم الأطعمة في اليوم الثالث ثم الرابع ثم السابع ثم اليوم العاشر وأما الحادي عشر فضروري على كل شخص... لأنه يوم مخصوص لنذر الشيخ عبد القادر جيلاني...." ص: ١٣٤

(٢) انظر حول هذه العادة القبيحة ص:

(٣) ففي بلاد الهند عادة قبيحة شنيعة تسربت إلى المسلمين بطبيعة مجاورتهم مع الهنادكة وهي أن الرجل يطالب أموالا هائلة وأشياء كثيرة من أهل البنت عند الزواج بها وقد بلغت هذه المطالب قديما وحديثا إلى حد أصبح الناس يتشاءمون من ولادة البنت ويفلس الرجل بعد زواج بنته "وفي بلاد الأفغان عكس ذلك يطلب ولي المرأة من الزوج أموالا كثيرة فيمسك بنته ولا يرسلها إلى زوجها حتى يوفي شروطه"

طلب المساعدات والذل أمام الناس بالسؤال فيصبرون على هذه كلها ولكن يأبون تخطي هذه الرسوم والعادات، فمثل هذه البدع نسميها البدعة الحكيمة أو العملية" (١)
وبهذا قد سد الشاه أبواب البدع التي يعمل بها الناس وإن لم يعتقدوا مشروعيتها.

المطلب الثالث : حكم البدعة

بعد ما عرف الشاه البدعة تطرق إلى بيان حكم البدعة وقبل بيانه للحكم قدم له بعض المقدمات :

المقدمة الأولى:

يقرر فيها الشاه بأن لفظ البدعة إذا أطلق يقصد به مفهوم شرعي دون مفهوم لغوي فيقول: " فعلم من هذه التفاصيل بأن المراد من لفظ البدعة في الأحاديث المذكورة، هو ما قدمنا ثم إن المعنى المذكور للبدعة حقيقة شرعية، وحمل لفظ البدعة عليه واجب عند انعدام القرائن الخارجية، واستعماله في معني سواه من قبيل المجاز، الذي لا يمكن الحمل عليه إلا بوجود قرائن خارجية، كما وقع في كلام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في التراويح " نعمت البدعة هذه" (٢) والمراد من لفظ البدعة في كلامه أن التراويح في هذه الهيئة المخصوصة بهذا الالتزام في جميع ليالي رمضان لم يكن موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم المبارك، وهذا المعنى أعم من المعنى الأول فإطلاق لفظ البدعة على هذا كإطلاق لفظ النفاق على تغير الحال المطلق كما وقع في قول حنظلة رضي الله عنه " نافق حنظلة" (٣) وقرينة تجوزه في هذا المقام امتناع قصد الحقيقة الشرعية، لصدور تلك العبارة من الخليفة الراشد، وما فيها من الدلالة على مدح التراويح، وتحسين الخليفة الراشد لشيء يلحقه من سنته وسنته ملحقة بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فتصبح ضد البدعة".

وبعد تمهيد هذه المقدمة ينبغي العلم أن المراد من لفظ البدعة في هذا الموضع يعني في موضع تحقيق حكمه، معنى شرعي، وليس معنى مجازي" (٤).

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢١ - ٢٢

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري - التراويح - ٢٠١٠ انظر الفتحة ٢٥٠/٤

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه - التوبة - ٢٧٥٠

(٤) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٦١ - ٦٤

المقدمة الثانية:

يقرر الشاه في هذه المقدمة بأن كل أمر شرعي يشتمل على حسن قليلا كان أو كثيرا وتتراوح درجة الطلب له في الشرع بين الوجوب والندب، كما أن كل أمر منهي في الشرع قبيح، وتختلف درجات النهي بين الكراهة والحرمة فيقول: "ليعلم أن حكم الشارع الذي يخاطب به عباده يكون على ثلاثة وجوه:

١- أن يكون مطلوبا مثل الصلاة والصيام،

٢- أو يكون مطلوبا تركه مثل السرقة والزنى،

٣- أو يخير فيه إن شاء فعله وإن شاء تركه.

فالشارع لا يطلب فعله ولا تركه مثل أكثر الأشياء المباحة من الأكل والشرب واللباس ونحوها.

ثم إن مراتب الحسن في الأمور المطلوبة تختلف باختلاف مراتب العلة، مثل الأكل باليمين والاستئثار بالشمال، وسائر آداب الأكل والشرب واللباس والجماع ... ونحوها من العادات الحسنة لكل منها درجة من الحسن، وطلب الشارع يتعلق بها حسب مرتبتها، فللخلق الحسن والواردات والأحوال والمقامات مرتبة حيث حسنها الشارع وطلبها، ولمسائل العبادات والمعاملات، وخاصة أحكام الصلاة لها مرتبة أعظم من غيرها، ومرتبة العقيدة، خاصة التوحيد والإيمان بالرسالة فوق جميع المراتب. وتقاس علي هذه المراتب قباحة الأمور الممنوعة مثل الأكل بالشمال والاستئثار باليمين ونحوها من العادات السيئة، لكل منها مرتبة من القبح ويتعلق نهى الشارع حسب مرتبتها، وهكذا لو تأملنا في كل مرتبة من تلك المراتب المذكورة لظهرت في كل مرتبة، مراتب كثيرة، ثم إذا أعدنا النظر في كل مرتبة من هذه المراتب لظهرت فيها مراتب أخرى، وهكذا تستمر هذه المراتب من غير نهاية، ... فعلام الغيوب جلّت قدرته ما خلق من درجات الجنة، وفي مقابلها من دركات النار، يعجز عقل البشر عن إدراك تفاصيلها، ولكن بالجملة نؤمن إيمانا يقينا أن في جميع درجات الجنة راحة ونعمة وفي جميع درجات النار عذاب ومشقة، ودرجة الأنبياء في حصول الراحة والنعمة أعلى من جميع السابقين ودرجة السابقين أولى وأفضل من جميع الصالحين وإن كان هناك تفاوت بين أفراد كل صنف من الأصناف المذكورة . ويقاس عليها دركات النار أيضا فمثلا فإن دركة الكفار من حيث الألم أشد من المبتدعة ودركة المبتدعة أشد من دركة الفساق والفجار".

"و بهذا يفهم بجملا أن في جميع الأمور المطلوبة في الشريعة، حسن سواء كان قليلا أو كثيرا، وفي جميع الأمور الممنوعة في الشريعة قبح قليلا كان أو كثيرا، و يفهم أيضا أن مقتضى بعض الأمور المطلوبة في الشرع ندب ومقتضى بعضها وجوب وبعضها داخل في أصل الإيمان، وهكذا مقتضى بعض الأمور الممنوعة في الشريعة كراهة، ومقتضى بعضها حرمة وبعضها كفر" (١).

ثم يقرر الشاه بأن معرفة حكم الشرع في أمر ما يكون على مرحلتين:

"الأولى: معرفة بمحتملة، هل هو مشروع أم لا؟

الثانية: معرفة درجة الطلب أو النهي"،

"وتكفي للمؤمن الصادق حجة لانتفاء عن أمر بأنه منهى، من غير أن يلتفت إلى درجة النهي، فيستنبط الشاه بناء على هذه القاعدة بأن البدعة منهية في الشرع مطلقا، فيجب الاجتناب عنها فيقول: "ثم ليعلم أن معرفة الحكم الشرعي في أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية، يكون على طريقتين.

أولا: بحث إجمالي يعني التحقيق عن أمر أهو حسن في الشرع أو قبيح يعني أهو من جنس المطلوبات الشرعية أم من الممنوعات؟؟

ثانيا: البحث عنه بحثا تفصيليا يعني معرفة درجة ذلك العمل من الحسن والقبح ومحاولة إدراك درجة الطلب ودرجة النهي عند الشارع.

ومثاله أن الجوعان إذا أخبر بوجود طعام في مكان يشنق إليه برغبة شديدة ويندفع إليه كذلك العاشق الصادق بمجرد علمه أن معشوقه يحزن من شيء ويتألم منه، يبغضه ويكرهه ويفر من قربه كما يفر الجبان من ساحة القتال، وإن لم يعرف مدى حزن المعشوق ودرجته.

كذلك المؤمن الصادق بمجرد علمه عن شيء بأنه قبيح في الشريعة وممنوع فيها، يكرهه في قلبه ويبغضه وينفر من قربه كنفور أصحاب العز والشرف عن العار والمذلة، ويدل عليه الحديث الآتي: "الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه" (٢)

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٦٤-٦٥

(٢) رواه البخاري بمعناه - الإيمان - ٥٢ انظر الفتوح ١/ ١٥٣

"فالخلاصة بأنه يكفي للمؤمنين المتقين والموحدين المتبرئين من الشرك الحكم الإجمالي في الترغيب والترهيب، أما البحث عن حكمه التفصيلي فهو منصب المجتهدين، وخوض المقلدين فيه لا يفيد إلا المشاغبة والمشاجرة أو المناظرة والجدال وتضييع الأوقات".

"فإذا بيننا هذه المقدمة فينبغي العلم أن مقصودنا الأصلي في هذا المقام البحث عن البدعة مطلقاً، هل هي حسنة في الشريعة أم قبيحة وليس مقصودنا معرفة درجات حسن البدعة وقبحها" (١).

المقدمة الثالثة:

يقرر الشاه في هذه المقدمة بأن حكم الشرع قد يكون مخصوصاً فلا يعمم ذلك الحكم على جميع أفرادها، ويستنبط منه الشاه بأنه نهى عن البدعة مطلقاً فيدخل فيه كل بدعة، فمن استثنى بدعة من هذا الحكم العام يجب عليه الدليل فيقول: "ليعلم أن الأمور المتعددة إذا كانت مندرجة تحت حكم عام واحد مثل اندراج المسلم والكافر في مفهوم الإنسان، ولحم الخنزير والغنم في مفهوم المطعوم، والخمر والماء في معنى المشروب، واندراج النقد والجنس في مفهوم المال والزنى وجماع الزوجة والأمة في معنى الوطى، فحكم الشريعة يتعلق به على طريقتين.

"أولاً: أن يتعلق حكم خاص مع كل واحد من تلك الأشياء المخصوصة، وأما بالنظر إلى ذاته مطلقاً لا يتعلق به حكم من أحكام الشريعة، فمثلاً لحم الغنم حلال ولحم الخنزير حرام ولكن لا يتعلق حكم التحليل باللحم مطلقاً، وعلى هذا التقدير لا ينبغي في موضع الترغيب والترهيب التحذير من اللحم مطلقاً ولا الترغيب فيه، وكذلك في باب التقوى والتورع الذي أفضل المحاسن الشرعية الاحتراز من اللحم مطلقاً ليس بشيء بحجة أن لحم الخنزير المحرم من جنسه، بل هذا من الوسوس الممنوعة في الشرع، وفي باب الفتوى لن يجوز للمفتي أن يحكم بحكم على شيء مطلقاً وينبغي له أن يعلم المستفتي أن سؤاله ناقص لا يستحق الجواب لأن المطلق في هذه الصورة ينقسم إلى أقسام مختلفة ولكل قسم حكم مستقل وفي باب بيان الأحكام لا يناسب عقد "القضية الكلية" أو "القضية المطلقة" مثل أن يقول في موضع بيان المطعومات المحرمة "كل لحم حرام" أو "هذا القدر من اللحم حرام" وإن كان يصح هذا الجواب في عرف اللغة بالنظر إلى مُخصَّص العموم ومُقَيَّد المطلق لاحتمال المراد بـ "كل لحم" لحم

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٦٥-٦٧

الحيوانات المخصصة، وباللحم المطلق لحم الحيوانات المحرمة، ولكن مثل هذا الكلام قبيح عند العوام والخواص وساقط من البلاغة، وبعيد من عرف اللغة".

"ثانيا: أن يتعلق حكم من أحكام الشريعة بالنظر إلى ذاته مطلقا ثم إن ذلك الحكم ينطبق على جميع أفراداه باعتبار إطلاقه، فالمطلق بالنظر إلى ذاته يقتضي ذلك الحكم في جميع أفراداه وإن اختلف الحكم المطلق في بعض أفراداه بسبب العوارض الخارجية، مثل أن مطلق لحم الخنزير حرام وإن يصير مباحا في المخصصة، ومطلق شرب الخمر حرام وإن وجب عند الإكراه، ومطلق السرقة حرام وإن جاز عند الاضطرار..... وعلى هذا التقدير فإن الترغيب في مطلق الذكر الإلهي والترهيب من مطلق شرب الخمر في باب الترغيب والترهيب ركن من أركان إشاعة الدين وإعلاء كلمة الله، وذكر تفاصيل الموانع والعوارض الخارجية ليست من لوازم الوعظ والتذكير بل قد يضر ذكرها، وعند بيان معنى الآية ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ وبيان الحديث "لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله" (١) ينبغي بيان فضائل دوام الذكر ومنافعه وليس من اللازم بيان مسألة الاحتراز منها في الحمام. وعند بيان معنى الآية ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (٢) وحديث "إن شارب الخمر كعابد وثن" (٣) ينبغي بيان مضار شرب الخمر ومفاسده، ولا بيان وجوب شربه عند الإكراه، لأن بيانه في باب الترغيب والترهيب يضر كثيرا ويخف حسنه وقبحه في نظر العوام إلا عند وقوع تلك الصورة وسؤال الناس عنها ينبغي الجواب مطابقا للسؤال وبهذا المنهج يقع الترغيب والترهيب من الشارع..... وفي موضع الفتوى ينبغي للمفتي أن يجري الحكم بالحلل والحرمه على المطلق ولايفصل الموانع والعوارض الخارجية ما لم يسأل عنها السائل، ولايتكلم عن تقسيم المطلق إلى حلال وحرام، بل يقرر الحكم المطلق ويجعل من الشاذ الصور الخارجية التي يكتفي فيها حكم المطلق لعوارض خارجية، فمثلا لو سأل أحد عن الخمر هل هي حلال أم حرام؟ يكتفي على هذا القدر من السؤال فيجيب بحرمته، أما لو سأل أحد في خصوص مسألة الإكراه فعندئذ يتحقق قضية الإكراه وحال المكروه عليه ثم يجيب حسب

(١) جزء من حديث رواه الترمذي - الدعوات - ٣٣٧٥ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ٢ / ١٢٧٣

(٢) سورة المائدة / ٩٠

(٣) رواه ابن ماجه بمعناه - الأشربة - ٣٣٧٥ - والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ٢ / ١٠٢٠

حاله، ولكن القول بأن الخمر ولحم الخنزير ينقسمان إلى حلال وحرام كسائر الأطعمة، وهذا القول وإن كان له وجه من الصحة بعد التدقيق بحيث أنه حلال في حالة الإكراه وحرام في غيرها ولكنه من الألفاظ الفقهية التي يختبر بها أذهان الطلاب، وليس من قبيل أحكام القضاء والإفتاء... وقد يكون مثل هذا الكلام عند بيان الأحكام الشرعية استهزاء بآيات الله وتعويد العوام على المداينة، بل هذا كلام باطل محض في العرف والعادة وإن صح من ناحية اللغة، بل الكلام المفيد والنافع في عرف اللغة أن يقول: "أن كل خمر حرام ونجس ويعد عن الله، وأصله خبيث وإباحتها عند الإكراه والضرورة يجري مجرى الشواذ، والحق في هذا المقام عقد قضية كلية أو مطلقة، وليس التفصيل في تقسيمه. يعني كل "خمر حرام" أو "القدر القليل من الخمر حرام" ولا يقول: بعض الخمر حلال وبعضه حرام."

"وفي باب المناظرة عند تحقيق حكم صورة خاصة من ادعى جريان الحكم المطلق في الصورة الخاصة بالمبحث فيها فهو متمسك بالأصل لا يفتقر إلى دليل لإثبات دعواه ودليله ذلك الحكم المطلق، بخلاف الشخص المدعى تخصيص الصورة المذكورة فدعواه مخالف للظاهر فيحتاج إلى دليل خارجي، مثل قول قائل: "شرب الخمر حرام لزيد" فلا يحتاج إلى دليل بخلاف من قال: "إن كان مطلق شرب الخمر حرام ولكنه يجوز لزيد، فهو محتاج في دعواه إلى دليل خارجي من إثبات حالة الاضطرار أو الإكراه أو الجنون، بحيث جاز له شربه" (١)

بعد هذه التمهيدات التي ساقها الشاه يقرر بأن الواجب هو إجراء الحكم المطلق على البدعة فيقول: "ولما اتضحت هذه المقدمة ليعلم أن مقصودنا في هذا المقام هو التأمل في البدعة هل هي من القسم الأول حتى يتأمل في كل بدعة مخصوصة لنعرف كونها حسنة أو سيئة، ثم التأمل في إثبات حسناتها وقبحها بالأدلة الخارجية وأن لا يحكم بحكم مطلق على البدعة، أو هي من القسم الثاني بحيث تثبت لمطلق البدعة صفة الحسن أو القبح بقطع النظر عن الدلائل الخارجية".

"الغرض أن المقصود هو البحث عن حكم مطلق، وليس البحث عن العوارض الطارئة التي يختلف من أجلها الحكم المطلق في بعض الصور، فعند ما يحكم على أمر أنه بدعة يجري عليه حكم البدعة المطلقة من الحسن أو القبح، وإن ادعى أحد استثناء الصورة الخاصة وجب عليه أن يقيم عليه دليلاً".

(١) انظر إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٦٧ - ٧١

"ولما بينا هذه المقدمات الثلاثة نقول أن هناك ثلاث احتمالات:
أولاً:

"أن تكون البدعة المطلقة حسنة من حيث أصلها مثل العبادات الشرعية من الصلاة والصيام والذكر وتلاوة القرآن....

و هذا الاحتمال باطل اتفاقاً، لم يذهب إليه عاقل ولا سفيه لأن جميع أصحاب المذاهب يعتبرون البدعة عيباً لا كمالاً، والاختراعات في أمور الدنيا مثل القوس والرمح يعتبرونها حرفة وليست من أمور الدين".

ثانياً:

" أن البدعة المطلقة لا تكون حسنة ولا قبيحة مثل مطلق الأكل والشرب والجماع والمحادثة واكتساب الأموال والاشتغال بالصنائع فتتقسم إلى قسمين، حسن وقبيح، فيحتاج لإثبات حسن بدعة مخصوصة أو قبحها إلى الدلائل الخارجية والعوارض الطارئة عليها حتى يظهر أحد الحكمين، وبمجرد اندراجه في البدع لا نستطيع أن نحكم بحكم، وهذا هو المشهور عند العوام في هذا العصر".

ثالثاً:

"أن تكون البدعة المطلقة في معنى الحقيقة الشرعية، سواء كانت حكمية أو حقيقية أو أصلية أو وصفية، أو كانت بدعيتها من جهة تحديدات وتوقيتات المبتدعة، أو بتغيير موقعها الثابت في السنة، فسائر هذه الأقسام قبيحة باعتبار أصلها، سواء كانت مكروهة أو حراماً أو موصلة إلى الكفر، مثل سائر الأمور القبيحة في الأصل مثل الكذب والفحش والظلم والغيبة والحسد، فإثبات قبحها لا يحتاج إلى دليل آخر فيكفي لكونها قبيحة بأنها بدعة، كما أنه لا حاجة إلى دليل آخر لإثبات قباحة الكذب أو الفحش، فكونه كذباً أو فحشاً يكفي للحكم عليه بالقبح، كذلك يجري حكم البدعة بمجرد ثبوته بأنه من البدعة، فيجب الاجتناب عنها لأجل التقوى، وعند الترغيب والترهيب يجب تحذير جميع الناس منها، وينبغي بيان قباحة هذه الأشياء علناً في مجالس الوعظ ومحافل التذكير خاصة إذا كانت منتشرة، ويبالغ في الإنكار عليها والتحذير منها ويعتبر بذل الجهد في محوها وإبطالها من مساعي إعلاء كلمة الله، فمثلاً لو انتشر الكذب والفحش بين الناس في عصر من العصور فكما يهتم في إنكاره وتحذير الناس منه كذلك ينبغي الاهتمام في محو كل بدعة منتشرة في كل زمان، وكما أنه يجب التنفير من مطلق الفحش

كذلك يجب التحذير من مطلق البدعة دائما وأبدا بل أشد منه بمراتب كثيرة".
 "ومن ادعى في بدعة بأنها مستثناة من القباحة ويحاول إثبات حسنها فيلزمه دليل قاطع من
 الدلائل الشرعية ولا يلزم ذلك من يذمها لأجل كونها بدعة، مثل الشخص الذي يستحسن
 كذبا خاصا أو فحشا خاصا، فيلزمه إقامة دليل قاطع عليه وليس في ذمة من يوجب الاحتراز
 منه، فاحتمال كونه بدعة يكفي للاجتناب عنه، كما صرح بذلك الشيخ ابن الهمام في "فتح
 القدير" (١) وصاحب "مجالس الأبرار" ويدل عليه ما جرى عليه العلماء في باب رواية الحديث
 بأن احتمال الكذب أيضا ملحق بأصل الكذب، كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "من
 روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" (٢) وهذا هو المذهب الحق."
 "والخلاصة أن البدعة المطلقة تكون بمثابة الذكر الإلهي من حيث الاحتمال الأول ومثل
 الكلام المطلق من حيث الاحتمال الثاني ومثل الكذب والفحش من حيث الاحتمال الثالث.
 فالمنهج الثالث مويد من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأما الاحتمال الثاني المشهور
 بين العوام باطل مثل الاحتمال الأول والدلائل التي يتشبثون بها كلها باطل منشأها سوء
 الفهم" (٣)

وبهذا التفصيل قد فند الشاه مزاعم من يستحسن بدعة ما أو يستسيغها، وجعلها مثل
 الكذب والفحش الذي لا يحتاج إلى دليل لإثبات قبحه بل كونه بدعة يكفي الاجتناب عنها.

(١) وهو محمد بن عبد الواحد الشهير بابن الهمام السكندري، كان من أهل الاجتهاد توفي في رمضان

٨٦١ هـ انظر الفوائد البهية ص: ١٨٠

(٢) رواه مسلم في آخر مقدمته وهو آخر حديث في الباب الأول.

(٣) انظر إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٧١ - ٧٤

الفصل الرابع: الرد على المبتدعة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الرد على الصوفية

المبحث الثاني: الرد على بدع الفقهاء

المبحث الأول: الرد على الصوفية

المطلب الأول: الصوفية أهم المانعين عن طريق الحق

الشاه رحمه الله لم يكتف بالدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة و بيان العوائق التي تصد الطريق إليه بل حذر مما يناقضه من البدع التي هي أعظم معصية بعد الشرك بالله عز وجل، ولما فصل الكلام في تعريف البدعة وأقسامها وأنواعها تفصيلا دقيقا عرج على بيان أنواع البدع الخطيرة المنتشرة في طوائف المسلمين، وهم لا يستذكرونها بل يتعبدون بها ويدعون إليها. ومن تلك البدع الخطيرة بدعة التصوف التي ابتلى بها المسلمون، فإنه قد أدخل في الإسلام والمسلمين كل أنواع الكفر والزندقة وحمل في طياته كل الفلسفات الباطلة ومبادئ الانحراف والضلال ومزجها بالإسلام وعقائده، ولذلك قد تكثفت جهود الشاه رحمه الله في الرد عليهم وفي بيان معتقداتهم الفاسدة وأعمالهم المنكرة ويعتبرهم أهم المانعين عن الصراط المستقيم.

فيقول: "فإن أهم المانعين عن طريق الحق أولئك الصوفية الملاحدة الذين لا يخافون من مخالفة الشريعة بل يعملون المخالفة طريقة لهم، ويتعلمون أشغال القبيحة البدعة الشريكية، ويعلمونها وينشرون الإلحاد بين الناس فينبغي أن يعاملوا حسب أعمالهم وأقوالهم فمن يستحق القتل يقتل ومن يستحق التعزير يعزر وإن لم يكن استطاعة لإجراء أحكام الشريعة عليهم فيتبرأ منهم ولا يلتقي بهم ويستقبح الذهاب إليهم، وإن كان يرجو هدايتهم فينصحهم مرة أو مرتين فإن اهتمدوا فهو من فضل الله وإلا يجتنب من زيارتهم، واجتناب مصاحبة السوء لازم في حق من يتنفي وجه الله" (١)

صرح الشاه في الكلام المذكور بأن الصوفية الذين لا يحترمون الدين وأحكامه من "الملاحدة" فمن سبر معتقد أصحاب وحدة الوجود، وعرف سرهم حق المعرفة فلا يتردد في الحكم عليهم بالإلحاد (٢) لما عندهم من اللعب بالدين والاستهزاء بالله ورسوله وبشريعته وكل ذلك يرجع إلى عقائدهم الفاسدة المبنية على الفلسفات الضالة، منها أن الوجود كله واحد ليس هناك خالق ومخلوق وعبد ومعبود بل ليست هناك غيرية، فمن لم يدرك هذه الحقيقة فإنه محجوب عن

(١) انظر صراط مستقيم ص: ٦٥

(٢) وقد جعلهم ابن تيمية في أماكن عديدة من الملحدين انظر الفتاوى ٩٦ / ٢، ١١٥

التوحيد ونشأت من هذه العقيدة سلسلة لامتناهية من العقائد الفاسدة من إباحة الخروج من الشريعة وعبادة إبليس وتعاطي القبائح (١)

ويقول الشاه في موضع أن من بلايا أولئك الملاحدة الاستهزاء بالدين، وانتشر هذا بين عوام المسلمين أيضا فيقول: "فإن الاستهزاء بالله وشعائره من بدع الصوفية الملاحدة التي انتشرت بين العوام بل ابتلى به بعض المقبولين أيضا وينبغي لطالب الحق أن يحترز من سماع هذه الطامات وإن كان يحسن الظن بقائلها ولن يتلفظ هو بنفسه ولا يتبع فيه أحدا. كائنا من كان، مثلما قال القائل: اشتريت الله بدرهم.... (٢)

ولاشك أن هذه الطائفة قد جعلت أصولا تبيح له كل شيء، فاستهان أهلها بالشريعة. وما أحسن ما قال الذهبي في آخر ترجمة الحكيم الترمذي: نعوذ بالله من الإشارات الحلاجية والشطحات البسطامية وتصوف الاتحادية، فواحزنه على غربة الإسلام والسنة" (٣)

ثم الشاه رحمه الله يستغرب من جرأة هؤلاء على الاستهزاء بالدين والخروج منه فيقول في شرح حديث الاستسقاء الذي قال فيه الأعرابي: "فلأنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله! سبحان الله! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد شأن الله أعظم من ذلك...." (٤) ويقول في شرحه: "سبحان الله إن محمدا الذي شرفه الله على جميع خلقه لما سمع من إعرابي كلمة تدل على جهله بالله وقصور عقله وإساءة أدبه معه، ملأ قلبه خوفا ومهابة، فجعل يبين عظمة الله التي ملأت العالم من العرش إلى الفرش وما بال أقوام طالت ألسنتهم فتشدقوا بكلام تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض كأن بينه وبينهم صداقة، فقال البعض: إنني اشتريت ربي بأقل من درهم وبعضهم يقول: "أنا أكبر من ربي بستتين ومنهم من يقول: "إذا تجلّى ربي في صورة غير صورة شيخني ومرشدي لأرفع إليه بصري.... (٥)

(١) الفتاوى ٢/ ٨٢ و ١٢٤ - ١٢٥

(٢) انظر صراط مستقيم ص: ٦٣ - ٦٤

(٣) السير ١٣/ ٤٤٢

(٤) جزء من حديث أخرجه أبوداود - السنة - ٤٧٢٦ قال أبوداود والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح ووافقه عليه جماعة ... وقد صحح الحديث ابن القيم في تهذيب السنن ورد على من ضعفه، انظر حاشية عون المعبود ٩/ ٩ وما بعده

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٣٩ - ١٤٠

المطلب الثاني: الرد على عقائد الصوفية ورياضاتهم وأحوالهم

يرد الشاه على العقيدة التي أطبقت عليه جميع الطرق الصوفية، وهي منتشرة عند عوامهم وخواصهم فيقول: "فإن الكلام في التوحيد الوجودي من بدع الملاحدة الوجودية التي اشتهرت بين العوام والخواص واشتهت بأقوال كبار أئمة الطرق، فيستلذون بالشهوات النفسية بزعم اتحادهم بالله تعالى ويظنونها معارف وحقائق مبتلين بمكر الشيطان وخبث النفوس، فيضيعون أوقاتهم فيما لا ينفع، ولم يأمر بها إمامنا وقدوتنا محمد المصطفى عليه السلام ولو كان نافعا مثل الصلوة والصيام لأرشدنا إليها ﴿حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (١)(٢)

الشاه جعل الوجودية من الملاحدة، والوجودية فرقة صوفية تعتقد بوحدة الوجود، وهي عقيدة منتشرة حيث يرون "أن وجود المخلوق هو وجود الخالق لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر بل يقولون: "الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق ويقولون إن وجود الأصنام هو وجود الله وأن عباد الأصنام ما عبدوا شيئا إلا الله" (٣)

ويقول في موضع يرد على عدد من معتقداتهم: "ليعلم أن مسألة وحدة الوجود ووحدة الشهود (٤) ومبحث تنزلات الخمسة والصادر الأول والكلام حول تجدد الأمثال والكمون والبروز ونحوها... من مباحث التصوف كلها من قسم البدع الحقيقية، إن اعتقد صاحبها أنها من الدين، أو عدها من الدين وإن لم يعتقدوها من العقائد الدينية فإنها بالتأكيد أصبحت من البدع الحكمية في هذا الزمن" (٥)

يقول الشاه يرد على الرياضات الصوفية: "السعي في حصول مقام الفناء العلمي (٦) والانسلاخ والاضمحلال واستكشاف مغيبات عالم المثال (٧) والجهد في نيل واردات الوجد

(١) صراط مستقيم ٦٩

(٢) سورة التوبة / ١٢٨

(٣) الفتاوى ٢ / ٣٦٤، ٣٦٥

(٤) وهو الاعتقاد عن وجود الله بأنه وجود مستقل بائن من الخلق، ولكن الكون والخلق بمثابة الظلال،

والكون مضمحل في وجود الخالق. انظر "شريعة وطريقة: ص: ٧٥

(٥) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٣-٢٤

(٦) "الفناء" عند الصوفية غاية عظمى ويعانون في سبيل حصوله معاناة عظيمة، وهو "أن يفني العبد ذاته

في ذات الرب فتزول صفات البشرية وتحل الصفات الإلهية، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية

مقامها فتزول صفة العبد في الجهة الربانية" دراسات في التصوف ص: ٢٨٩ وقيل: "الفناء أن لا ترى

==

(١) والحال (٢) والغيوبة (٣) والاستغراق (٤) والسكر (٥) والشطح (٦) والقيام بالرياضات الشاقة لحصولها (٧) وعقد المهمة، في باب تأثيرات الكونية والنفسية (٨) وإشراف الخواطر (٩) وإلقاء

شيئا إلا الله ولا تعلم إلا الله فتعتقد أنه لا شيء إلا هو" معجم المصطلحات الصوفية ص: ٢٠٧ يقول شيخ الإسلام يبين أقسام الفناء: "أما النوع الثالث وهو الفناء عن وجود السوي وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب القصص وأتباعه هم الذين يقولون وجود الخالق هو وجود المخلوق، وما نم غير ولا سوى في نفس الأمر" ويسمونه التوحيد انظر الفتاوى ٣٧٠/٢

(٧) فإن الصوفية يعتقدون بعالم غير عنصري تتمثل فيه المعاني بأجسام مناسبة لها في الصفة، وتحقق هنالك الأشياء قبل وجودها في الأرض، فإذا وجدت في الأرض فكانت تلك التي تحققت قبل وقوعها في الأرض، وأن كثيرا من الأشياء مما لا جسم لها عند العامة تنتقل وتنزل ولا يراها جميع الناس (الحجة الله البالغة للشاه ولي الله ص: ١٣) ولكن الصوفية يكتشفون كل غيب بناء على كشفهم فيكشف لهم معاني من القرآن والحديث لا يعلمها علماء الظاهر ويعرفون أسرار الحروف المقطعة ويقرؤون من اللوح المحفوظ، فيشير الشاه بأن ما يسعون في الرياضات لاستكشاف الغيب فكلها باطل.

(١) أما "الوجد" عند الصوفية" يخشع الروح عند مطالعة سر الحق" وقيل: "أن يعجز الروح من غلبة الشوق عند ورود حلاوة الذكر فلا يعرف صاحبه ماذا يفعل فيرقص تارة ويصنف أحيانا وقد يمزق ثيابه وقد يزعم الواحد ويصفر.... انظر معجم مصطلحات الصوفية ص: ٢٦٣

(٢) أما "الحال" عندهم هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض" وقيل: "الأحوال هي المواهب الفاضلة على العبد من ربه" (معجم المصطلحات الصوفية ص: ٧٣) وهي صفة ممدوحة لا يحصل عليها إلا من كان أهلا لها وهم قليلون.

(٣) "الغيوبة" أن يغيب الشخص عن حظوظ نفسه وقد يغيب من نفسه أيضا، فلا يعلم ما يجري حوله لا اشتغال الحس بما يرد إليه من الله عز وجل فما تصدر منها من أفعال لا يشعرها فمثلا يروى أن أبا حفص الحداد كان في حانوته فسمع آية من القرآن فورد على قلبه وأرد فغفل من إحساسه فأدخل يده في النار وأخرج الحديد المحماة بيده" انظر معجم المصطلحات الصوفية ص: ١٩٨

(٤) "الاستغراق" أن لا يلتفت قلب الذاكر إلى الذكر في أثناء الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق في مشاهدة الحق دون الخلق، ويعبرونه بالفناء أيضا انظر معجم المصطلحات الصوفية ص: ٦

(٥) "السكر" وهو دهش يلحق سر الحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة لأن روحانية الإنسان إذا انجذبت إلى جمال المحبوب ذهل الحس من المحسوس وألم بالباطن فرح ونشاط وهزة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة.. انظر معجم المصطلحات الصوفية ص: ١٣١

(٦) أما "الشطح" فحدث عنه فإنه بحر لا ساحل له فهم يتفوهون بكل الزندقة والكفر والاستهزاء بالدين ويجوز أنه استنادا إلى الشطح ويعبرونه ببناء عليه، ويعرفونه بأنه: "عبارة مستغرقة في وصف وجد

الحرارة في قلوب الحاضرين (١) وعلم دعوات الأسماء الجلالية والجمالية، فهذه كلها من البدع الحقيقية لأن المشتغل بهذا يعتقد فيه القربة والعبادة بل أكثر الناس يعتبرون هذه الأمور حقيقة الإحسان المشروع المطلوب في الشريعة". (٢)

فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته " الفكر الصوفي" ص: ٤٥٣ و" بأنها " كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى تصدر من أهل المعرفة باضطراب واضطراب" معجم المصطلحات الصوفية ص: ١٤٠ فإنهم قد برروا بهذا التعريف كل كفر وزندقة واعتذروا لمن تكلم به.

(٧) أما الرياضات الشاقة فقد امتاز القوم بالتشدد على النفوس والغلو في العبادات والمعاملات بإحداث المحدثات، لا أصل لها في الدين . فمثلا يقول الشعراني عن كيفية بلوغه درجة عالية في السلوك: "... فجاهدت نفسي كذا كذا سنة، وجعلت لي حبلا في سقف خلوتي أضعه في عنقي حتى لأضع جنبي على الأرض وبالغت في التورع حتى كنت أسف التراب إذا لم أجد طعاما يليق بمقامي الذي أنا عليه في التورع وكنت أجد للتراب دسما كدسم اللحم أو السمن أو اللبن " " تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي" ص: هذه طريقتهم وديندهم ولهم فيها آداب وأصول متبعة شاقة يسلكها كل من انضم معهم وقد تلاعب بهم الشيطان في ترويض النفوس فحرموا على أنفسهم ما أحل لهم وقللوا من تناول الطعام بل تنزهوا من شرب الماء البارد حتى أضروا أبدانهم وقلوبهم، فقد رد عليهم الشاه في موضع آخر انظر صراط مستقيم ص: ١٢٠

(٨) فالمراد بعقد الهمة في تأثير الكون والنفس " اعتقادهم في مشايخهم بأنهم بمجرد إرادتهم وعزمهم يؤثرون في الكون والنفوس والمراد بالهمة: " كل مالا يتوصل إليه شخص إلا بسبب ظاهر يتوصل إليه النبي والولي بهمة وزيادة، وهي الزيادة في الأمور الخارجة من مقدور البشر رأسا" ومثاله بأن صوفيا قال: " قل للسلطان هذه همة واحدة أثرت في شجرة مثمرة أيسستها فكيف هم جماعة من المظلومين في قمع الظالمين" ومن أمثله أن أم الفقراء قالت: " تمنيت أن يأتي غدا أبو الحسن بن فيطون فاكثبوا إليه فقال أبو عماد: هكذا تعمل العامة، فقالت: له العجز فماذا تفعل؟ قال: أسوقه بهمي فقالت: افعل، فقال: قد حركت الساعة خاطره بالوصول إلينا غدا إن شاء الله " المعجم الصوفي ص: ١١٤

(٩) "إشراف الخواطر" يقصدون به أن المرشد والولي يدرك ما يخطر في قلوب الناس أو ما يوسوس في قلوب المريدين له، فإن أبا سعيد الخراز كان يقول في شرح آية ﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ الْمُتَوَسِّمِينَ﴾ المتوسم هو الذي يعرف الرسم وهو العارف بما في سويداء القلب " انظر المصدر السابق

(١) والمراد " بإلقاء الحرارة في قلوب الحاضرين " بأن مشايخ الصوفية يقومون بإلقاء المعارف على قلب مريدتهم يسمونه " التوجه" وذلك لأنهم يوجهون قلوب من يريدونهم إلى ما يريدون من العبادة والزهد، وهي معروفة لديهم . سيرة سيد أحمد شهيد ص: ١٢٠

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٤

ولاشك إن جميع ما ذكر من أحوالهم وعقائدهم وعاداتهم، يعتزون بها ولا يقوم نخلتهم إلا بها، فقد رد الشاه على جميعها وجعلها من البدع الحقيقية، فلا يجوز لأحد أن يشتغل بها. ويقول في موضع يبين فضائل الأنبياء وخصائصهم بأنهم كانوا بعيدين عن هذه الأمور فيقول: ".... وأنهم بريئون من السكر والشطح ونزیهون من الغيوبة والضوضاء ويبحثون دائما عن طريق العبودية" (١)

ويقول في شرح آية ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم﴾ (٢) فإن الآية تدل على أن ما يعتقد الناس بأنهم من الأشراف أو من عائلة الشيخ الفلاني أو من أولاد الشيخ الفلان، وسيكونون مكرمين معززين يوم القيامة بسبب كبارهم، وذنوبهم كلها تكون مغفورة من أجل آبائهم ثم أنهم ينحون أتباعهم وتلاميذهم من النار، فهذا كله معتقد باطل فلا عيرة بالأنساب هنا" (٣)

فإنه يرد بهذا الشرح على الصوفية الذين يخدعون العوام ومريديهم بأنهم سوف يحمونهم من العذاب ويدخلونهم في الجنة ومن دخل في طريقتهم فاز بسعادة الدنيا والآخرة ويدل على اعتزازهم بالعائلة والطريقة ما ينقل عن الرفاعي أنه قال:

أحمي مريدي على كل حالة	وأدخلهم دار النعيم أمامي
فمن كان منا أو يلوذ ببابنا	غدا يوم القيامة تحت خيامي
وأحميهم ما يخشى يوم خوفه	وفي معظم الحالات منه أحمي (٤)

ويواصل الشاه يرد على بدع الصوفية فيقول: "تعيين العدد والأشخاص والأوقات والأجناس في باب الختم والزاد وعقد محافل السماع الصوفية ومحافل قراءة الكتاب وإقامة مجالس المراثي والمآتم... دعوة الناس وتجميعهم للأربعين وليوم الثالث (٥) والأعراس (٦) والتداعي على

(١) منصب إمامت ص: ١٣

(٢) سورة المؤمنون / ١٠١

(٣) تذكير الإخوان ص: ١٧٣

(٤) دراسات في التصوف ص: ٢٢٤

(٥) وهي أطعمة يطبخونها وجوبا عن الميت بعد وفاته، "البريلوية" ص: ١٢٤

(٦) أما الأعراس المراد بها الأعياد يقيمونها سنويا في يوم معين على القبور يسمونها أعراسا، وسمي عرسا لأن ذلك اليوم يزور الأولياء عروس الكون أي محمدا صلى الله عليه وسلم لأنهم يوم وفاتهم يزورونه ويرونه "البريلوية" ص: ١٢٤

الاجتماع في زيارة القبور وتعيين الأوقات لها والمراقبة عليها (١) وقراءة القرآن عليها مجتمعين،
وتعيين أوقات الصدقة عن الميت والتزام قراءة سورة الفاتحة والإخلاص عليها وتعظيمها وتعيين
جنسها ومصرفها، والاستمداد من أهل القبور وتقبيلها، والطواف بها و تقبيل أعتابها والوقوف
أمامها تعظيما وإجلالا وإلقاء الأردية والشيلان والأزهار والأغلفة عليها، وغسل القبور وإيقاد
السرچ عليها والاجتماع عندها بنية التقرب إلى الله، وتعيين صلوة الهلع للأموات والأذان على
القبر بعد دفن الميت وغيرها كثير من الأعمال، كلها بدع حقيقية في حق أهل عصرنا لأنهم
يعملونها تعبدا..." (٢)

المراد بالختم، المجالس التي تعقد لختم القرآن، فإن الخرافيين قد أحدثوا محدثات واشترطوا لها
شروطا للمبالغة في التعبد، منها مجالس الختم يقيمونها بكل اهتمام ويطبخون لها أنواعا معينة من
الأطعمة ويستأجرون ناسا لقراءة القرآن وإهداء ثوابها للأموات، وغالبا ما يكون هؤلاء
الأموات مبتلين بالشرك الأكبر وكثير من المكفرات، فإنهم " قد أعطوا للعصاة البغاة رسيد الجنة
ووزعوا عليهم صكوك الغفران بإقامة محافل إهداء الثواب وختم القرآن وقراءة الفاتحة وقد كتب
البريلوي وأتباعه كتباً ومصنفات ذكروا فيها استحباب بل وجوب قراءة الفاتحة وختم القرآن
على الأطعمة والثمار والحلويات والمأكولات والمشروبات وإيصال ثوابها إلى الميت في الأيام
المعينة المخصوصة..." (٣)

وقد ذكر الشاه بعض ما كانوا يأتون من الزاد والأطعمة وما جوزوا منها وما منعوا منها في
كتبه (٤).

الرد على الأوراد والأذكار المحدثه:

فللأوراد المحدثه أهمية كبرى عند الصوفية، وتمتاز كل طريقة بأذكار معينة ويحافظون عليها
محافظة شديدة أكثر من فرائض الله عزوجل ويعتقدون في أذكارهم وأورادهم فضائل لاتوجد

(١) الصوفية ومن على منهجهم يعتكفون على قبور مشايخهم والصالحين وتنزل عليهم أرواحهم أو يلتقون
بأرواحهم فتخبرهم عن الغيب وقد يستمدون ويستغيثون بأرواحهم ويطلبون منها الدعاء ونحوها من
الشركيات التي يعتقدونها فيلتزمون هذه الأعمال بكل تقلس واحترام.

(٢) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٥ - ٢٦

(٣) البريلوية ص: ١٣٥

(٤) انظر تقوية الإيمان ص: ١٢٩

لأهم أركان الدين بل غالبهم يتبحر أن الخضر والنبي لقنوهم بها يقظة أو مناما، وعموما يوجد في تلك الأذكار المحدثه شرك وكفر واستعانة بالشياطين واستمداد بالأرواح، والشيطان يلعب بهم بتلك الأذكار فيحسبون أن الأنوار تتجلى عليهم وتنزل عليهم الملائكة، وينكشف لهم غيب السموات والأرض، وما هي إلا وساوس الشيطان، وتلاعبه بهم، ومن هنا أراد الشاه إبطال هذه الوظائف والأوراد وما اشترطوا لها من شروط وآداب فيقول: "تعيين الأوراد والأذكار والرياضات والخلوات والأربعينات (١) والعبادات النافلة (٢) وتعيين أوضاع الأذكار من الجهر والإخفاء والضربات والأعداد والمراقبات البرزخية (٣) والتزام الطاعات الشاقة كلها من البدع الحقيقية في حق أكثر الطالبين لها لأنهم يعتبرون إياها أصل الكمال الشرعي أو مكمله له، وتعتبر بدعة حكمية في حق الخواص الذين يعلمونها ويروجونها مع اعتقادهم أنها وسيلة لاغير أما في حق خواص الخواص الذين يقومون بتعليم الأغبياء ويليدي ذهن الذين ابتعدت نفوسهم عن العبادة كثيرا أو تورطوا في المعاصي، فيجذبونهم بإظهار هذه الروضة الغناء إلى عبادة الحق، ولإصلاح استعدادهم الناقص يستخدمون بقدر الحاجة والضرورة على أنها وسائل بدون التزامها ولا ترويحها ولا يهتمون بها ويتزكرونها بعد حصول المقصود فتعليمهم أحيانا تلك

(١) الخلوات والأربعينات، أمكنة مخصصة للعبادة بعيدة من مجتمع الناس يدخلون فيها لتكميل مراحل السلوك، وللدخول فيها آداب وشروط وقد ذكر الفوتى ستة وعشرين شرطا للدخول في الخلوة منها أن تكون مظلمة وأن تكون بعيدة من الناس ويداوم الصوم والسهر وقلة الأكل فيها وقد يجعلونها في مغارات الجبال والغابات فلا يحضرون الجمعة ولا الجماعات ونحوها من الشروط التي ليس لها برهان. انظر فرق معاصرة ص: ٦٤٧، ٦٤٩

(٢) أما العبادات النافلة التي أشار إليها الشاه ما يفعلها الصوفية بتشريعها من عند أنفسهم من الصلاة والصوم وزيارة القبور والمراقبة ونحوها ويهتمون بها مالا يهتمون لما شرعه الله ورسوله ويجعلون فيها من الفضائل مالا توجد في الفرائض المشروعة ومن صلواتهم مثلا صلاة الفاتحة، وصلاة الكفاية ونحوها . انظر فرق معاصرة ص: ٦٠٦-٧١٧

(٣) والمراقبة" هو أن يعتزل الذكر في الخلوة بمكان مظلم فيلف رأسه في جبهته أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية" انظر حاشية "إغاثة اللهفان نقلا عن الغزالي ١/ ١٦ ففي المراقبات يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد، ولها أنواع وأقسام وآداب عندهم.

الأمر المذكور، التي نشأت صدفة ولمصلحة مؤقتة لتعليم بعض الناس لاتعتبر بدعة، ولكن كلامنا هنا في أكثرية أهل زماننا الذين يعتقدونها من الشريعة المستمرة والطريقة المسلوكة" (١) الشاه رحمه الله جعل هذه الأمور كلها التي تنبني عليها شريعة الصوفية من البدع الحقيقية في حق أولئك الذين يعتبرونها من الدين ويتعبدون بها أو يعتبرونها من الفضائل، وتصبح هذه الأمور بدعة حكمية في حق أولئك الذين لايتعبدون بها ولكن يهتمون بها نشرًا وتعليمًا، ثم إن من يجعلها مجرد وسيلة ولا يلتزم بها بل يستعملها عند الضرورة وحسب الضرورة لمصلحة مؤقتة ولا يهتم بتزويجها وتعليمها فلا تكون في حقه بدعة. ولكن يؤخذ عليه بأن الأمور المذكورة قد أصبحت شعار أهل البدعة المتصوفة، فكيف يسوغ لمن يريد إصلاح "بليدي الذهن" أن يستأنس بها ويترك ما ثبت من منهج الصحابة والتابعين في تربية العصاة وغيرهم.

ثم إن الشروط العديدة التي اشترطها حتى لاتكون في حقه من البدعة،

- ١- أن يكون صاحبها من أخص الخواص أي فوق درجة الخواص.
- ٢- وأن يستعملها بقدر الحاجة والضرورة في إصلاح من فسدت أمزجتهم كثيرا.
- ٣- وأن يجعلها من الوسائل ولا يلتزم بها .
- ٤- وأن لا يروجها ولا يهتم بها ولا يعلمها غيره.
- ٥- وأن يتركها بعد حصول المقصود.

فوجود هذه الشروط ومراعاتها من الصعوبة بمكان، وليس هناك ميزانا يوزن به وجود هذه الشروط وعدمها حتى تجوز لشخص دون شخص، وأيضا أن تجويزها مع هذه الشروط الصعبة يفتح بابا خطيرا وهو إحداث الوسائل المحدثه لمن تتوفر فيه هذه الشروط لحصول مقاصد شرعية.

ولاشك فإنه مخالف لما كان عليه السلف رحمهم الله فإنهم كانوا يوصون أنفسهم وغيرهم بالوقوف على ما وقف أولئك الأسلاف وقد اشتهر عن إمام دار الهجرة قوله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٤ - ٢٥

الغلو في تعظيم المرشد:

الصوفية لاتقوم قائمتهم إلا بالغلو في الأشخاص مشايخهم أحياء كانوا أو أمواتا، وقد اختلقوا أساطير خيالية، لترسيخ تقديس الأشخاص والمشايخ في قلوب المريدين، وأكدوا وجوب التمسك بمرشد من مشايخ الطرق للنجاة بل كفروا كل من لم ينسلك بطريقة ما، يقول القشيري: "يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان (١) ثم إنه لايجوز لأحد أبدا أن ينتقل من طريقة إلى طريقة أخرى ويجعلون الانتقال بمثابة الارتداد من الدين (٢)

هذه ظاهرة منتشرة في جميع المسلمين وخاصة في بلاد العجم فينكر عليهم الشاه ويقول: "فإن الغلو في تعظيم المرشد يظهر منه اعتقاد كونه إلها أو نبيا من بدع الصوفية المشركين الرائجة في جميع أهل العصر وخاصة في الهند وقد تورط فيه الصالحون أيضا فينبغي اتخاذ المرشد للرجل الذي لا يخالف الشريعة أبدا وأن يكون ثابتا على متابعة الكتاب والسنة ويجعله مرشدا وقائدا ولكن لا يجعل أتباعه نصب عينيه دائما بل يكون متبعا لله ورسوله في الحقيقة، فما أمره المرشد من أمر الشريعة فيقبله بكل حماس ويلتزم الأمر المباح إذا أمره المرشد (٣) وأما ما كان مخالفا للشريعة فلا يتبعه أبدا بل يرده لما ورد في الحديث (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (٤) وإن بايع على مرشد ثم رأى منه أمرا منكرا ينصحه وإن لم ينته ينكث البيعة ولم يعتبره مرشدا" (٥)

فقد قوم الأود وصحح المسار بقوله: "ينبغي اتخاذ المرشد للرجل الذي لا يخالف الشريعة أبدا وأن يكون ثابتا على متابعة الكتاب والسنة... فجعل أتباع الشريعة ميزانا فمن كان

(١) "الفكر الصوفي" ص: ٣١٤

(٢) انظر الفكر الصوفي ص: ٤٤٥ وقد أشار إليه الشاه أيضا.

(٣) لا إلزام إلا ما ألزمه الكتاب والسنة.

(٤) صح الحديث بألفاظ مختلفة وقد رواه البخاري بمعناه انظر صحيح البخاري - الأحكام - ٧١٤٤

(٥) صراط مستقيم ص: ٦٩

خاضعا للشريعة يستحق أن يسترشد منه، وأما من خالف الشريعة لن يكون إماما ولا شيوخا ثم إنه أجاز نكت البيعة التي يمنعه الصوفية ويهددون بكل ويل ودمار لمن نكت أو أراد نكتها . وبهذا قد رد الشاه على جميع الصوفية الذين يبالغون ويغلون في طاعة المشايخ بل يوجبون بعدم الإنكار عليهم مهما رأوا منهم من المنكرات، لأن العارف يجوز له الإتيان بجميع المحرمات، كما أسسوا قواعد وأصولا تأييدا لقولهم (١)

الرد على شغل البرزخ:

شيخ الطريقة يحتل مكانا عظيما في شريعة الصوفية وقد بالغوا في تعظيمه حتى أوصلوه إلى درجة الألوهية، ويلقنون أتباعهم أول درس " كن بين يدي شيخك كالميت بن يدي الغاسل " (٢) ومن أصولهم بأن يستحضر دائما وأبدا صورة الشيخ بل ويستغيث به عند الملمات فيغيثه (٣) بل زاد الطين بلة عندما أوجدوا ذكرا خاصا سموه شغل البرزخ فيرد عليه الشاه فيقول: " ومن الأشغال المبتدعة " شغل البرزخ " اشتهر عند المتأخرين وطريقته أنهم يستحضرون صورة الشيخ في الخيال بكل تعيين وتشخص لأجل دفع الوسوس وجمع الهمة ويتوجهون إلى تلك الصورة بكل تعظيم وإكرام كأنهم جالسون أمام الشيخ بكل أدب واحترام وخشوع " .

ويفصل في حكمه فيقول: " فيمكن لنا معرفة حكمه بمعرفة حكم "التصوير" فإن تصوير صورة الحيوان كبيرة من الكبائر، واتخاذها تعظيما وتوقيرا محرم، وأن قول إبراهيم عليه السلام ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ (٤) يدل بعمومه أن العكوف على التصاوير ممنوع واستحضار صورة الشيخ في كل وقت قائما أو قاعدا بكل تعظيم يعتبر من العكوف، ولا شك أن من فعل هذه الأعمال مع التصاوير فإنه آثم، والفرق بينه وبين من يستحضر ذات الشيخ بأن الأول يتعلق بصورة في الورقة والآخر ينقش صورة شخص بجميع صفاته الحية من اللون والشعر وسمات الوجه في خياله، وإن كان هذا ليس عبادة الأصنام في الظاهر ولكنه في الحقيقة عبادة

(١) انظر للتفصيل موضوع " الصوفية والخروج عن التعاليم الشرعية " في رسالة " تقديس الأشخاص في

الفكر الصوفي " ص ٤٢٧

(٢) انظر الفكر الصوفي ص: ٣١٩

(٣) انظر للتفصيل عقيدة التيجانيين في التيجاني على لسان الشيخ تقي الدين الهلالي في آخر كتاب " الفكر الصوفي "

(٤) سورة الأنبياء / ٥٢

صنم، ثم إن الصورة في الورقة لا يحيط بجميع الملامح الدقيقة كما تحيطها الصورة الخيالية، وقد يؤدي شغل البرزخ ببعض الناس إلى اتخاذ صور الشيخ، وتعظيمها بكل معاني التعظيم، فيصبحون مثل عباد الأصنام تماماً، ولا شك إن هذا الشغل سيؤدي إلى أمور منهية فوجب أن يكون هذا الشغل محرماً، كما أن الصور حُرمت لأنها تسبب عبادة الأصنام" (١)

فالشاه رحمه الله جعل هذا الذكر المهم في شريعة الصوفية مثل العكوف على الأصنام بل أشد منه تحريماً.

بدعة الاقتداء فيما يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم أو ببعض أفراد أمته:

مشايخ الصوفية لم يقتصروا على جواز الخروج من الشريعة بحيل عديدة كما قدمنا بل رفعوا أنفسهم عند أتباعهم إلى درجة جاز لهم التشريع من التحليل والتحريم، وجعلوا أنفسهم مكان النبي، فلهم من القداسة والأدب ما للنبي ولذا نسبوا إلى أنفسهم جميع الخصائص التي كان يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم من جواز الزواج بأكثر من أربع، وحرمة أزواجه على غيره، ونحوها من الخصائص، وهذه ظاهرة ملموسة عند الصوفية فيقول الشاه يرد عليها: "اتباع الأنبياء عليهم السلام في أحكام تختص بهم أو في أخطاء صدرت منهم بطبيعة الاقتضاء البشري، أو في أحكام تختص ببعض أفراد أمتهم بنص ثابت، مثل عدم نقض الوضوء من النوم (٢) والجمع بين أكثر من أربع نساء في الوقت الواحد كما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم (٣) ومثل الاستغفار للمشرك (٤) والصلاة على المنافق (٥) التي صلاها خطأ، ومثل الامتناع عن النكاح الثاني الذي يختص به أزواج المطهرات (٦) وعدم قبول الصدقات الواجبة كالزكاة، وصدقة الفطر وصدقات

(١) صراط مستقيم ص: ١٦٣

(٢) يشير إلى حديث صحيح روته عائشة قالت: ... فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال:

يا عائشة إن عيني نمامان ولا ينام قلبي. أخرجه البخاري - التهجد - ١١٤٧ انظر فتح الباري ٣/ ٣٣

(٣) كما ورد في قول تعالى ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك التي آتيت أجورهن ...﴾ الآية الأحزاب/ ٥٠

(٤) كما في قوله تعالى ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم...﴾ التوبة ٨٠/

(٥) كما في قوله تعالى ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ سورة التوبة ٨٤/

(٦) لقوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ سورة الأحزاب ٦/

النذور والكفارات لكونها محظورة على بني هاشم (١) والاكتفاء بشهادة شاهد واحد في موضع الشهادتين الذي كان خاصا "بذي الشهادتين" (٢) والقطع بدخول الجنة الذي كان خاصا ببعض الصحابة وأهل البيت (٣) ونحوها من الأمور تعتبر بدعا حقيقية شنيعة في حق من يعتقد تعميم هذه الأمور الخاصة أو يحتسب باتباع الأخطاء" (٤)

ويواصل الشاه الرد على من يتبع أخطاء السلف الشاذة فيقول: "اتباع الصحابة والتابعين واتباعهم فيما وقع منهم شذوذا وليس عليه دليل من الكتاب والسنة ولا من القياس الصحيح المنقول من المجتهدين ولم يصدر عن جميعهم ولا عن أكثرهم ولم يصل إلى درجة الرواج والتعامل عليه من غير إنكار عليه في عهدهم مثل الاستمداد من أهل القبور الواقع من الأعرابي في عهد عمر رضي الله عنه (٥) أو زيارة القبور للنساء كما هو منقول عن عائشة رضي الله عنها (٦) وجواز المتعة (٧) ومسح القدمين في الوضوء المروي عن ابن عباس (٨) والعزف على

(١) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لآئحل لنا الصدقة" أخرجه مسلم - الزكاة - ١٠٦٩
(٢) يلقب به خزيمة الأنصاري رضي الله عنه "الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين" انظر صحيح البخاري - التفسير - ٤٧٨٤ الفتح ٥١٨/٨
(٣) قد وردت أحاديث كثيرة تنص عموما وخصوصا بدخول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الجنة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة" رواه مسلم - ٢٤٩٦ - وقوله صلى الله عليه وسلم في أصحاب بدر: "اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم" رواه البخاري ٧ / ٣٠٤ و ٣٠٥، ومسلم - ٢٤٩٤ وقد أجمعت الأمة على دخول العشرة المبشرين بالجنة في الجنة وغيرهم من الصحابة.

(٤) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٣٤
(٥) وهو أثر غير ثابت انظر للتفصيل "التوسل وأنواعه وأحكامه" مقالات الشيخ الألباني، ربه عيد عباسي ص: ١٣٠ - ١٣٤
(٦) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها، رواه الترمذي - الجنائز - ١٠٥٥، بأنها قالت: "لو حضرتك ما دُفنت إلا حيث مُت، ولو شهدتك ما زرتك" انظر تفصيل المسألة والكلام حولها. أحكام الجنائز للألباني ص: ٢٣١

(٧) انظر ماروي في جواز المتعة عن ابن عباس/ البخاري - النكاح - ٥١١٦ الفتح ١٦٧/٩
(٨) وقد روى عن ابن عباس وغيره المسح على القدمين، انظر أقوالهم والراجع منها في تفسير ابن جرير ٤ / ٤٧١ في تفسير آية الوضوء في المائدة: ٦

العود المروي عن عبد الله بن جعفر (١) وغيرها من الأمور التي ظهرت في زمنهم ولكن أنكرها أهل الحق في زمنهم، مثل جلوس الأمراء والحكام على عرش السلطنة وقيام الخدام والخواشي أمامهم المنقول عن الأمير معاوية رضى الله عنه والجلوس على المنبر للخطبة المنقول عنه وعن سائر خلفاء بني أمية ورفع اليدين للدعاء أثناء خطبة الجمعة المنقول عن بعض أمراء بني أمية واتخاذ المنبر في مصلى العيد وتقديم خطبته على صلاته المنقول عنهم (٢) وغيرها من الأعمال التي ظهرت في عهدهم وعمل به بعض الناس ولكن أهل الحق رفضوه فهذه كلها من البدع الحقيقية، إن اعتقد صاحبها أنها ملحقة بالسنة، وإن لم يعتقد كونها من الدين تصبح في حقه من البدع الحكمية بشرط أن لا تكون من الممنوعات الشرعية" (٣).

بدعة الإسقاط:

الخرافيون المتأثرون بالصوفية وغيرهم كما استهانوا بالشريعة بإباحة الخروج لأناس معينين، كذلك قد سهلوا طريق الاستهزاء بالدين للعوام بإحداث بدع خطيرة، منها بدعة الإسقاط التي بها تسقط جميع التكاليف من المكلف وذلك أن المشايخ يأخذون فدية الصلاة ويقومون بإسقاط ذنوب الميت، وطريقته أن وارث الميت يقدم مصحفا ونقودا وأجناسا من الأطعمة إلى جماعة من المشايخ المجتمعين، لإسقاط الفرائض عنه، فيقبلون هذه الأشياء ويسقطون عنه ما ترك من الفرائض في حياته. وهي عادة منتشرة في المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية إلى يومنا هذا (٤) فرد عليهم الشاه رحمه الله وناقش علماء هم فقد سأل أحدهم: "على أي أساس تعملون على "حيلة الإسقاط" وهو فدية الصلاة المنتشرة بين الأفغان، فأجابه العالم: بالقياس،

(١) وهو صحابي توفي سنة ٨٠ هـ أو بعده بقليل، يقول الذهبي: "وكان وافر الحشمة، كثير التمتع، ومن

يستمتع الغناء" انظر السير ٤٦٢/٣

(٢) مروان بن الحكم أول من بنى المنبر في المصلى وخطب قبل صلاة العيد وقد أنكر عليه أبو سعيد

الخدري رضى الله عنه، أصل الحديث في البخاري - العيدين - ٩٥٦ - انظر فتح الباري ٢ / ٤٤٩ وفي

مسلم - العيدين - ٨٨٩

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٣٤-٣٥

(٤) انظر للتفصيل عن هذه البدعة "البريلوية" ص: ١٤٤ - ١٤٥ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب

المعاصرة ص: ٧٢ وسيد أحمد شهيد ص: ٦٦٥ وقد رد على هذه البدعة رشيد رضا في تفسير سورة

الأنعام خلال شرح الآية ﴿ولا تكسب كل نفس نفسا﴾ إلا عليها ١٦٤/٤

فاستفسر الشاه : ما هو المقيس عليه؟

أجابه: على مسألة الشيخ الفاني، في باب فدية الصوم،

فاعترض عليه الشاه: هذا قياس مع الفارق لعدم مساواة حكمهما، فالقياس في الشرع هو حمل النظر على النظر، ولا ينطبق هذا في "الإسقاط" لأن مسائل الصوم تختلف من مسائل الصلاة، فمثلا يجوز قصر الصلاة ولا يجوز قصر الصوم، بل فيه القضاء وتسقط الصلاة عن الحائض والنفساء ولا يسقط الصوم فلا بد من أدائه قضاء...."

أجابه العالم: إذن فاعتبره صدقة نافعة للميت في كل حال.

اعترض عليه الشاه : إنما الاعتراض على الإسقاط وليس على الصدقة منه فإن الصدقة لا تحتاج إلى الحساب.

فسأله العالم: ما هي القبحة في هذه الفدية؟؟

أجاب الشاه: أولاً: إنها بدعة لخروجها عن الأصول الأربعة، وثانياً: قد يكون هناك يتامى من الوارثين وأنتم ألزمتهم الإسقاط بناء على العادة والرواج، وأنكم جعلتم إهماله كإهمال الفرائض فيصبح هذا تصرفاً في مال يتامى من غير وصية، وبذلك في غيره محله، فيصدق عليهم قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (١) وثالثاً: إذا جعلت الصدقة المحددة على الركعات فلا يمكن المحاسبة والمواخذة على من ترك الصلاة، فتصبح هذه القاعدة مسقطاً للصلاة" (٢)

الرد على السماع الصوفي:

فإن للسماع (٣) مرتبة عظيمة في شريعة الصوفية فإنهم يتعبدون بها ويهتمون بها لأنه حسب زعمهم حياة للقلوب وتنشيط لها فالقلوب تتحرك وجداً وشوقاً بالغناء وأنها تسبب السرور في النفوس، ولا يكاد يخلو مجلس الذكر الصوفي من السماع، وهذه عادة قبيحة توجد في غالب الطرق الصوفية، ولها فضائل عظيمة عندهم، وقد رد على هذا السماع الصوفية علماء السلف قديماً وحديثاً فقد رد عليهم ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله رداً مفصلاً (٤) ولم يثبت

(١) سورة النساء / ١٠

(٢) سيرة سيد أحمد شهيد ٦٦٥

(٣) المقصود به الغناء بالألحان الناعمة

(٤) انظر الاستقامة ١ / ٢١٦ - ٤٢١ وإغاثة اللهفان ١ / ٣٤٤ وما بعده

عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم إلا تلاوة القرآن ودراسة الحديث والتفقه فيه، فلم يكونوا يتعبدون بالشعر ولا كانوا يستتشدونها من المردان والأحداث. فيقول الشاه يرد عليه: "الفناء الخالي من المزامير واختلاط المردان من غير الشهوة إن لم يكن من الممنوعات الشرعية ولكنه لا يخلو من الضرر في حق طلاب الحق... ويجب الابتعاد عنه لأن الصوت الناعم اللطيف والصورة الخلابة من الأشياء التي يتمكن حبها في القلب ويبقى أثرها إلى مدة مديدة، ولأنها من المباحات التي توصل إلى المحرمات والابتعاد عنها شعار أهل التقوى... ولذلك لم يرو هذا عن الأنبياء والصحابة بل كانوا يكرهونه" (١)

وبين مضاره فيقول: "وقد انتشر السماع والضرب والغناء حتى أن بعض الناس يتعبدون بها ويسيّمون محفل السماع والرقص على قبور المشايخ وقد ذمه القرآن ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾* فسرّه ابن عباس والحسن هو الحديث بالملاهي، والملاهي يطلق على الغناء والمزامير غالباً" (٢) "وفيه ضياع للمال وصد الناس عن سبيل الله حيث تضع صلوات بعضهم ويفقد بعضهم الخشوع فيها وبعضهم يرغبون من أجله في الزنى وبعضهم يغمى عليه وبعضهم يرقص بالطرب..." "فإقامة محفل السماع والرقص على القبور منتشرة في شبه القارة الهندية ويسمونه "عرساً" ويعتبرونه من أهم العبادات التي تستجلب رحمة الله وبركات الأولياء وأهل القبور، ويذكرون فضائل عديدة لمن اشترك في هذه الأعراس" (٣)

ويقول في شرح الآية ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ (٤) بأن الشيطان قد زين لهم الطرب والرقص والغناء وجمع لهم من رجليه من الجن والجنيات الفساق والمغنين والمغنيات والعاهرات الزانيات والمردان لكي يضلهم عن سبيل الله، وزين لهم بأن الغنى

(۱) صراط مستقیم ص: ۱۳۳ - ۱۳۶

(*) سورة لقمان / ٦

(٢) رد الإشراف ص: ١٢٤

(٣) تذكير الإخوان ص: ١٦٦ وانظر البريلوية ص: ١٢١ تحت عنوان "أعراس وأعياد"

(٤) سورة الإسراء / ٦٤

يسبب السرور القلبي للشوق الإلهي وأن الصورة الجميلة تذكر القدرة الإلهية وأن صرف المال باسم فلان يجلب البركة فيه... كلها تغريرات الشيطان "

" فكيف يدعي زيادة الإيمان والشوق الإلهي بالغناء وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم سبب النفاق(١) وأن الصحابة كانوا يغطون آذانهم إذا سمعوا شيئاً من الغنى(٢) فكيف يكون فيه الرغبة إلى الله والشوق إليه.... وقد تجاوز الأمر من الأحياء إلى الأموات فيسمعونهم الغناء، والشيطان يلعب بهم ويخيلهم بالشوق والطرب وهؤلاء السفهاء يعتبرونها الأنوار الإلهية ويجعلون هذا الحال كملاً، سبحانه الله! ما علاقة الأنوار الإلهية في الأعمال الشيطانية وإن كانت هناك أنوار إلهية فتكون في الصلاة والتلاوة وسماع الحديث" (٣)

(١) يشير إلى حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الغنى ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، الحديث ضعيف انظر مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألباني برقم ٤٨١٠-

(٢) روى نافع عن ابن عمر أنه لما سمع صوت مزمار وضع إصبعيه في أذنيه حتى نأى عن المكان... الحديث رواه أحمد في مسنده ٢/ ٨، ٣٨ وأبو داود - ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦. وقال: "حديث منكر".

(٣) تذكير الإخوان ص: ١٦٨

المبحث الثاني: الرد على بدع الفقهاء

الفقهاء المتأخرون من أصحاب الرأي لم يلتزموا بنصوص شرعية في المسائل الفقهية، بل وسعوا باب القياس واعتمدوا عليه كثيرا، فاستحسنوا أمورا أو استكروهوها، من غير دليل صحيح، ثم الذين جاءوا بعدهم تمسكوا بها والتزموها حتى أصبحت بمرور الزمن في درجة الفرائض فيرد الشاه صنيعهم ويجعله من البدعة فيقول: "استحسنات أكثر الفقهاء والصوفية المتأخرين المبنية على الظن المحض وإحداثهم بعض المسائل في العبادات والعادات لجلب بعض الفوائد الدينية والمصالح الشرعية بدون استناد إلى دليل شرعي أو إحداث تحديد (١) لأصل من أصول الدين محدوده الخاصة من غير دليل ليروجوا أمرا لم يكن موجودا عند السلف وزمنهم، أو كان موجودا ولكن بصورة أخرى ثم يمثل له فيقول: "مثل الصلوة المعكوسة (٢) وإيجاب تقليد إمام معين من أئمة المجتهدين، وإهداء ثواب أعمال الأحياء إلى الأموات غير ما جاز فيه النيابة من العبادات المالية، فإنها مشروعة (٣) أو تخصيص طريقة خاصة لذكر كلمة التهليل بأوضاع

(١) يقصد به زيادة الشروط في أمر شرعي ولم يرد به دليل، فمثلا اشترط المتأخرون من الفقهاء للمسح على الجوربين أن يكون ثخيناً لا يشف ويمكن فيه المشي وغيرها شروط عديدة، فقد رد المحققون من العلماء مثل هذه الشروط، انظر للتفصيل "رسالة المسح على الجوربين" لجمال الدين القاسمي، وتقديم أحمد شاکر وتخريج وتعليق الشيخ الألباني .

(٢) الصوفية ومن اقتفى أثرهم من المبتدعة قد أحدثوا أذكارا وصلواتا بشروط وقيود في أوقات معينة وأزمنة معينة بهيئات معينة، منها صلاة دعاء حفظ القرآن، وصلاة الفتح وصلاة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة الرغائب وصلاة البراءة ونحوها من الصلوات، ومنها الصلاة المعكوسة التي أشار إليها الشاه وجعلها من البدعة. انظر للتفصيل "السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ص: ١٢١

(٣) الشاه بدع إهداء أجر الأعمال البدنية وجوز إذا كانت مالية والمسألة خلافية، قد اتفقت الأئمة على أن العبادات المالية تصل إلى الميت وأما البدنية كالصلاة والصيام ففيه خلاف ولكن مع ذلك "فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعا، وصاموا وحجوا، أو قرأوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين ولا لخصوصهم... فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل والله أعلم" انظر التفصيل الفتاوى ٣٢٣/٢٤

مخصوصة من الأعداد والضربات والجلسات (١) وتعين مقدار الماء الكثير الذي لا ينحس بوقوع النجاسة بعشرة في عشرة (٢) وتشهير العزلة لأجل العبادة والمطالعة، وترويج المسائل الكشفية والقياسية ، والاستغراق فيها بصرف جميع الهمم فيها، وإهمال ظاهر الكتاب والسنة إلا للتبرك والنيمن، والإعراض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم المبالاة لإقامة الجهاد باللسان وبالسنان ونحوها من الأمور المحدثه، كلها من البدع الحقيقية.... (٣)

ويواصل الكلام على رد ما استنبطه الفقهاء من غير قياس صحيح ثم تمسك به الناس على أنه من الدين فأصبحت من البدع فيقول: "إن مسائل المجتهدين السابقين إن كانت مستنبطة بقياس صحيح فإنها من قسم السنة الحكيمة (٤) ولكن تخريجات الفقهاء المتأخرين مثل تحديد الماء الكثير بعشرة في عشرة بالقياس على أرض حول البئر واستحباب التلفظ بالنية في العبادات قياسا على أداء ألفاظ العقود في المعاملات، وإيجاب تقليد مجتهد من المجتهدين السابقين، والحكم بالتزام بيعة شيخ معين من شيوخ الطريقة بالقياس على لزوم طاعة إمام الوقت وبيعته، وجواز تقبيل القبور بالقياس على ما نقل من النبي صلى الله عليه وسلم تقبيل عثمان بن مظعون رضي الله عنه بعد وفاته، (٥) وعلى ما نقل عن أبي بكر الصديق تقبيله للنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، (٦) وجواز إهداء الثواب للأموات بالقياس على جواز إهداء المال وهبته للأحياء،

(١) يشير إلى ما أحدثوا من البدع في الأذكار، ومن أذكأهم ذكر بضرب واحد وطريقته أن يجلس الذاكر على هيئة الصلاة متوضئا ثم يخرج لفظ الله بكل قوة وشدة من صدره ويضرب به أمام وجهه ويتصور عند أداء هذا اللفظ أن هناك نور يخرج مع هذا اللفظ ولما ينتهي ضربه يبقى رنين الصوت في خياله.... وهكذا أذكار بعضها بضربتين وبعضها بضربات ولطائف عديدة في الجسم ولكل لطيفة ذكر خاص وطريقة مخصوصة، وبالرجوع إلى كتبهم يعرف ذلك .

(٢) وهي مسألة فقهية عند الأحناف الذين يقدرون الماء الكثير الذي لا ينحس بملاقات النجاسة بعشرة أذرع في عشرة وليس لهم فيه دليل صحيح ولا قياس صحيح ولكنه هو الراجح في المذهب. انظر الهداية ص: ٨٠

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٢٦

(٤) تقدم تعريفها ص: ١٨٩

(٥) حديث تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم له وهو ميت، رواه الترمذي - الجنائز - ٩٨٩ - وأبوداود - الجنائز - ٣١٦٣ - وقال الترمذي حسن صحيح.

(٦) انظر الحديث في الترمذي - الجنائز - ٩٨٩

بخلاف مسألة النيابة عن الميت فإنها متفق عليها في العبادات المالية ومختلف في العبادات البدنية، ومثل حكم نسخ الأحاديث الدالة على تحريم المزامير (١) قياساً على نسخ حرمة استعمال ظروف الخمر (٢) وغيرها من التخريجات المنقولة بلا حصر من الفقهاء والصوفية المتأخرين، وكتب الفقه والسلوك مشحونة بها وغالب أتباعهم يعدون هذه التخريجات المحدثّة من أحكام الشريعة وأسرار الطريقة وفي الحقيقة كلها من البدعة، وجل اعتمادهم في إثباتها إما طرف شعري أو نكات وهمية لن تخرجها من حدود البدعة ولا تدخلها في دائرة الشريعة الإيمانية والطريقة الإحسانية" (٣)

فالشاه رحمه الله يلحق الأحكام المستنبطة بقياس صحيح بالسنة في الحكم، لأن المجتهد لم يزد إلا أنه عمم الحكم الشرعي الثابت بعلّة جامعة، ولكنه يرد على ما تعود الفقهاء المتأخرون وملأت بها الكتب الفقهية من تخريجات وتفريعات لا يوجد لها دليل ولا منفعة بل ولها مضرة وسلبات عديدة بحيث تمسكت كل طائفة بما نقل عن أسلافها بغض النظر عن وجود الدليل فتفرقوا في فرق شتى.

(١) حديث تحريم المعازف ، أخرجه البخاري - ٥٥٩٠ - انظر الفتح ٥١/١٠

(٢) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن استعمال أواني الخمر في حديث وقد عبد القيس ، انظر صحيح مسلم - الإيمان - ٢٣ ونسخ هذا الحكم بحديث بريدة رضى الله عنه أنظر صحيح مسلم - الأضاحي - ١٩٧٧ - وفي الأشربة ٦٤ - ٦٥ .

(٣) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ص: ٥٣

الباب الثالث: جهوده في توضيح عقيدة السلف

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول : جهوده في بيان توحيد الربوبية

الفصل الثاني : جهوده في بيان توحيد الألوهية

الفصل الثالث: جهوده في بيان توحيد الأسماء والصفات

الفصل الرابع : جهوده في الإيمان بالأنبياء وبالقدر وفي بيان

مسائل الإيمان وفضائل الصحابة والإمامة

الفصل الأول: جهوده في بيان توحيد الربوبية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مدلوله اللغوي و الاصطلاحي

المبحث الثاني: تعريف توحيد الربوبية وبيان حقيقته

المبحث الثالث: الإشراك في توحيد الربوبية

المبحث الرابع: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية

المبحث الأول : مدلوله اللغوي و الاصطلاحي

المطلب الأول: التوحيد في اللغة

التوحيد مشتق من كلمة "وحد" والوحدة، الانفراد، ويقال رأيته وحده، أي رأيته منفردا
انفرادا، وفلان واحد دهره، أي لانظير له (١) والواحد، الشيء الذي لا جزء له البتة ثم يطلق
على كل موجود (٢).

ويقول ابن الأثير: "الواحد في أسماء الله هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر"
ونقل عن الأزهرى قوله: الفرق بين الواحد والأحد، أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد،
والواحد، اسم بني لمفتتح العدد، فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير والأحد منفرد
بالمعنى (٣).

يقول الأصفهاني: "وهو لفظ مشترك يستعمل على ستة أوجه:

الأول: ما كان واحدا في الجنس أو في النوع كقولنا الإنسان والفرس واحد في الجنس
وزيد وعمرو واحد في النوع،

الثاني: ما كان واحدا بالاتصال إما من حيث الخلقة كقولك شخص واحد وإما من حيث
الصناعة كقولك حرفة واحدة.

الثالث: ما كان واحدا لعدم نظيره إما في الخلقة كقولك الشمس واحدة وإما في دعوى
الفضيلة كقولك فلان واحد دهره.

الرابع: ما كان واحدا لامتناع التحزيء فيه إما لصغره كالهباء وإما لصلابته كالألماس .
الخامس: للمبدأ إما لمبدأ العدد كقولك واحد اثنان والواحد في كلها عارضة،
وأحد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى.

ومنه وحد، بالتضعيف توحيذا أي جعله واحدا، مثل "ناه" و"ثلثه". (٤)

(١) انظر الصحاح للجوهري ٥٤٨/٢ والقاموس المحيط ٤١٤

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن ص: ٥١٤ للأصفهاني

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث ١٥٩/٥

(٤) انظر المفردات في غريب القرآن ص: ٥١٤ للأصفهاني

يظهر من استعمال مادة (وَحْد) بأنها تفيد انفراد الشيء عن غيره في ذاته وصفاته بحيث لا نظير له ولا مثيل له، ومن هنا يتجلى معنى التوحيد، بأنه اعتقد بكونه واحداً أو نسبه إلى الوحدة.

يقول السفاريني: " والتوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدت الله نسبت إليه الوجدانية، لاجعلته واحداً فإن وحدانية الله ذاتية ليست يجعل جاعل" (١)

المطلب الثاني: التوحيد في الاصطلاح

توحيد الله يعني اعتقاد كونه إلهاً واحداً في ذاته وصفاته وأفعاله مع نفي الشريك، وإفراده بالعبادة. (٢)

طالما اختلف الناس في مسمى التوحيد، منهم من جعل إنكار الصفات توحيداً ومنهم من جعل إثبات الصانع توحيداً، ومنهم من جعل التوحيد الإقرار بوحدة الوجود، والحق بأن التوحيد الذي جاء به الرسل قسمان :

١- توحيد في الإثبات والمعرفة، وهو المسمى بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات،

٢- وتوحيد في القصد والطلب وهو توحيد العبادة (٣)

(١) لوامع الأنوار ٥٧ / ١

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص: ٨٨ وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ٣٣٥

(٣) انظر شرح عقيدة الطحاوية ص: ٨٨ و تيسير العزيز الحميد ص: ٣٣

المبحث الثاني: تعريف توحيد الربوبية و بيان حقيقته

المطلب الأول : تعريف توحيد الربوبية

توحيد الله عز وجل في أفعاله مثل الرزق والخلق والتدبير والإحياء والإماتة وإجابة الدعاء وشفاء المرضى، وأنه المتفرد بالخلق والأمر ونحوها، يسمى توحيد الربوبية. يشير إليه الشاه خلال شرحه معنى الإيمان بالله فيقول: " الإيمان بالله يعني أن يعتقد الرجل اعتقاداً جازماً بأن الله هو الخالق المالك الذي يقضي حوائجه ويكشف غمومه ويهبه الرزق" (١) ثم ذكر مدلول توحيد الألوهية والأسماء والصفات .

ويقول في موضع وهو يعرف الربوبية: " ومعنى الربوبية أنه بلغ في رجوع الحوائج واستحلال المشكلات واستدفاع البليات بمجرد الإرادة والقهر على الأسباب مبلغاً يستحق به غاية الخضوع والتذلل، أي ليس للتذلل لديه والخضوع عنده حد محدود فما من تذلل وخضوع إلا وهو مستحسن بالنسبة إليه وهو مستحق له" (٢).

يلاحظ في هذا التعريف شيان:

أولاً: أنه ذكر فيه بعض لوازم الربوبية من الخضوع والتذلل، كأنه يشير بأن الألوهية والعبادة داخلية في معنى الربوبية، فهما متلازمان أبداً (٣) بحيث لا يتصور عاقل بأن يكون ربا غير معبود، ولذا فسر القرطبي وغيره معنى الرب بأنه معبود. (٤)

ثانياً: إنه أبرز من معاني الربوبية معنى جامعاً لعدد من الصفات ومنها الإرادة المطلقة النافذة في كل شيء، بمعنى أن إرادة الله غير خاضعة لأسباب كونية طبيعية بل الأسباب خاضعة لإرادته.

(١) تذكر الإخوان ص: ٧٥

(٢) رد الإشراف ص: ١٤

(٣) يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الرب، والإله، في صفة الله تبارك وتعالى، متلازمة غير مترادفة،

انظر الدرر السنية ١٢/٣

(٤) القرطبي في تفسيره ١٣٧/١ واستدل بقول الشاعر:

أرب يول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب.

والسبب إلى تركيز هذه الخصوصية من الربوبية كما يظهر من جهوده بأن الشرك المنتشر بين المسلمين في القرون المتأخرة، مبني على هذا الاعتقاد الفاسد فيمن يخضعون له ويتذلّلون أمامه، بأنه يقدر على التصرف في الأمور الكونية بل الأسباب الكونية تخضع لإرادته ومشيئته، بمعنى أن عنده قوة غيبية وسلطان قاهر فوق الأسباب العادية، وهذا شأن الرب سبحانه، ويقول رشيد رضا (١) مبينا هذا المعنى: "... فالرب هو المدبر لكل أمر والمتصرف فيه بكل شيء غير مقيد بالأسباب وهؤلاء يشركون معه غيره في هذا التصرف الخاص بالربوبية..." (٢)

والواقع يشهد أن المشركين ينسجون حول من يعبدونهم من الأحياء والأموات حكايات وخرافات كلها تدل دلالة صريحة على التصرف المطلق في الكون وبمجرد إرادتهم تنقلب الأحوال من سوء إلى حسن ومن موت إلى حياة ونحوها من التصرفات ويستدلون بها على عظمتهم القاضية للخضوع والتذلّل أمامهم (٣)

ويشير في موضع آخر إلى هذا المعنى خلال رده على المشركين الذين يظنون اعتقاد التصرف في الأولياء والأنبياء من لوازم التعظيم لهم فيقول بأن تعظيم الأنبياء لا يعني الاعتقاد فيهم بالربوبية ويفسر الربوبية بأنه "إثبات التصرف المستقل لهم في الأمور الكونية أو الاعتقاد عن نفسه بأنه تحت قدرتهم لأن هذه الأمور من مقتضى علاقة العبودية والربوبية التي تختص بالله عز وجل" (٤)

فيجعل استقلال التصرف في الأمور الكونية عن خواص الربوبية التي لا يشترك فيها الأنبياء فضلا عن سواهم.

الإيمان بالله عز وجل بأنه خالق ومحيي لا ينازع فيه كل من انتسب إلى الإسلام، ولكن البلية كل البلية الاعتقاد في الأولياء، التصرف المطلق في الأمور الكونية، ولعل هذا الخطأ الفاحش الذي لا يتنبه إليه من يتلوث بالشرك جعل الشاه يركز عليها في تعريف الربوبية.

(١) توفي سنة ١٣٢٠هـ انظر الأعلام ١٢٥/٦

(٢) حاشيته على صيانة الإنسان ص: ٤٤٨

(٣) انظر بعض هذه الحكايات في "البريلوية" ص: ٢١٤ بأن الولي يستجيب لمريده من مسيرة سنة ونحوها من الصفات الإلهية الكثيرة.

(٤) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح: ٧٦

المطلب الثاني : توحيد الربوبية لم ينازع فيه الكفار

هذا التوحيد لم ينازع فيه الكفار ولم يكونوا يسوون بين الله وبين معبوداتهم في الخلق والرزق، فالله أخبر عنهم بأنهم كانوا مقرين بأن الله وحده ربهم وخالقهم وخالق السموات والأرض كما في الآية ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (١) وقال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولن الله فقل أفلا تتقون﴾ (٢) "بل لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ (٣) (٤) ولذا لم ينشغل الأنبياء بإثبات الرب الخالق والمالك كما هو منهج المتكلمين.

ويقرر الشاه بأن مشركي مكة كانوا معترفين بالربوبية، فيقول بعد ما ذكر اختصاص الرب بالتصرف في العالم والتفرد في الخلق وأنه لا أحد يعتقد الشراكة فيه إلا من كان ممسوخا فيقول: "إن هذا الاعتقاد ليس من شأن الإنسان أن يتلوث به اللهم إن كان ممسوخا كفرعون وأمثاله، وليس لأحد أن يزعم بأن الكتب الإلهية إنما نزلت والأنبياء إنما بعثوا لأجل إصلاح أمثال هؤلاء الممسوخين فقط، كيف ومشركو العرب الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين وقتلهم وأراق دماءهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم لم يكونوا مذعنين بهذا الاعتقاد بقوله تعالى ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ (٥) (٦)

(١) سورة الزخرف: ٨٨

(٢) سورة يونس: ٣٢

(٣) سورة إبراهيم: ١٠

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٧٧

(٥) سورة المؤمنون ص: ٨٨ - ٨٩

(٦) رد الإشراف ص: ١٣

المطلب الثالث: إقرار توحيد الربوبية فطري وعقلي

يقرر في شرح الآية المذكورة بأن الإقرار بتوحيد الربوبية فطري وعقلي فيقول: "إن العقل السليم والفطرة المستقيمة تدل على إثبات القدرة المطلقة لله التي ليست فوقها قدرة والتصرف المطلق الذي لا يزاحمه تصرف والأمر القاهر الذي لا ينسخه أمر..." (١)

ويستدل على كونه فطريا من الشرع بما ورد في تفسير قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شهدنا...﴾ (٢) يقول في شرحه: أخرج أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: "جمعهم فجعلهم أزواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى: قال فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم ﴿شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ ثم تكلم بهذا: اعلّموا أن لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتيبي، قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك (٣).

ويقول أيضا في شرح أثر أبي بن كعب بأن الله صنف أولاد آدم أصنافا جماعة الأنبياء والأولياء والشهداء ... كلها جماعات مستقلة بعد ما أوجدها " ثم وهبها النطق ثم قال: ألسنت بربكم فأقرت جميعا فقالت: بلى: أنت ربنا ثم أخذ منها العهد والميثاق أن لا تشرك في ملكه وحكمه أحدا وأن لا تتخذ غيره ربا وإلهًا فقبلته جميعا وأعطت العهد والميثاق وأشهد الله على ذلك السموات والأرض وأباهم آدم وقال: سأبعث إليكم الأنبياء ليذكروا بهذا العهد والميثاق ويكون معهم الكتب السماوية فأقرت كل طائفة على حدة بالتوحيد وأنكرت الشرك فبين مما

(١) تقوية الإيمان ص: ٨١

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١٣٥ / ٥ وابن جرير في التفسير ١١٤ / ٦ برقم ١٥٣٧٤ أحاديث إخراج

الذرية من ظهر آدم وأخذ الميثاق أحاديث صحيحة "ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث

والروايات في ذلك" انظر السلسلة الصحيحة ١٥٨/٥ - ١٦٣

تقدم أنه لا ينبغي لأحد أن يحتج بكلام عالم أو شيخ أو كلام آباء وأجداد أو كلام ملوك وسلاطين." (١)

فالشاه رحمه الله يقرر بأن الفطرة والعقل والشرع كلها متفقة على أن الإقرار بوجود الله وربوبيته إقرار راسخ في قلوب البشر وهم مجبولون عليه فليسوا بحاجة إلى من يثبتها بدلائل عقلية بعيدة غامضة.

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٠

المبحث الثالث: الإشراك في توحيد الربوبية

القرآن يصرح بأن المشركين الذين خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شركهم في الربوبية بل كان شركهم شرك الوساطة في توحيد العبادة وذلك أنهم كانوا يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ويعتقدون فيهم أنهم يقربون إلى الله ويشفعون فيهم. كما في الآية ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾* بل كانوا عند الشدة يخلصون العبادة لله ويلجؤون إليه تاركين جميع الآلهة كما يقول الله عز وجل ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾(١)

ولكن العجب كل العجب أن المسلمين في القرون المتأخرة قد أشركوا بالله في الربوبية والألوهية أما الشرك في الربوبية لاعتقادهم فيهم التصرف المطلق في الكون والنفع والضر وإغاثة المستغيثين وإجابة دعاء المكروبين فصاروا يدعون أهل القبور وبعض الأحياء من الصالحين تارة مستقلا وتارة مع الله يعظمونهم تعظيم من يملك النفع والضر(٢).

ولما رأى الشاه رحمه الله هذا الشرك منتشرًا بين الناس قد بوب بابا مستقلا ب"رد الإشراك في التصرف" رد فيه جميع معتقدات، وشبهات واعتراضات المشركين الذين يتشبثون بها لتبرير شركهم في الربوبية.

المطلب الأول: رد الإشراك في التصرف

يقول في شرح قول الله تعالى ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يحير ولا يحار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون﴾(٣) "العقل والفطرة تدل على إثبات القدرة المطلقة التي ليست فوقها قدرة والتصرف المطلق الذي لا يزاحمه تصرف والأمر القاهر الذي لا ينسخه أمر فمن والاه الله وتولاه فليس لأحد أن يعتدي عليه ومن عاداه وسخط عليه فليس لأحد في الدنيا أن يحميه أو يدافع عنه وإذا سئل أحد عن ذلك كان جوابه بأن الله هو

* -سورة الزمر: ٣-

(١) سورة الإسراء: ٦٧

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص: ١٤٣ في مجموعة الرسائل السلفية.

(٣) سورة المؤمنون: ٨٨ - ٨٩

المتفرد بهذه القدرة المطلقة والتصرف المطلق والأمر القاهر الذي ليس فوقه أمر فإذا كان الأمر كذلك كان طلب قضاء الحاجات من غير الله أمرا باطلا وطلبا للمحال".

"وأن الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يساوون أحدا في الألوهية والقدرة وفي الخلق ولكنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم والأصنام التي كانوا يعبدونها هم وكلاءهم عند الله وبذلك كفروا فمن أثبت في عصرنا لمخلوق التصرف في العالم واعتقد أنه وكيله عند الله ثبت منه الشرك ولو لم يساوه بالله ولم يثبت له قدرة كقدرة الله" (١)

فيشير بأن القدرة المطلقة والتصرف المطلق والأمر القاهر الذي ليس فوقه أمر، وهذه كلها من خصائص الرب سبحانه ولا أحد يشترك في شيء منها.

ولو تصفحنا عقائد الصوفية والقبورية في من يلتجئون إليهم لرأينا أنهم يثبتون التصرف المطلق من إنزال المطر وإعطاء الرزق وإحياء الأموات وغيرها من التصرفات والقدرة، للأحياء والأموات، فلا شك هذا شرك مضاعف على شرك أهل الجاهلية وإليك مثالا منها قولهم: "إن أحمد الرفاعي* كان يفقر ويغني ويسعد ويشقي ويميت ويحيي.... وإن السموات السبع في رجله كالخلخال" (٢).

ثم يعرف الشاه الإشراك في التصرف من خلال واقع المسلمين بأسلوب واضح وعبرة صريحة فيقول: "الذي يجب أن يعتقد الإنسان أن التصرف في العالم بالإرادة وإصدار الأمر والنهي والإماتة والإحياء كما يشاء والبسط والقبض في الرزق والإفاضة بالصحة والمرض والفتح والهزيمة وتسخير القضاء والقدر لإنسان حتى يكون النصر دائما حليفه ويكون محظوظا ولا تنزل أموره في إقبال أو بالعكس وإنجاح المطالب وتحقيق الأمناني ودفع البلايا والإغاثة في الشدائد وإنهاض العاثر، هذه كلها من خصائص الله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء والشهداء والصلحاء والفقاريات والجنات فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم وطلب منه حاجاته وقرب القرابين والنذر لأجل ذلك أو ناداه في نازلة وبلية كان مشركا

(١) تقوية الإيمان ص: ٨١ - ٨٢

* - هو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، مؤسس الطريقة الرفاعية، وقبره إلى الآن محط الرحال لسالكى طريقته، توفي ٥٧٨هـ - ١٧٤/١

(٢) كتبه رشيد رضا، يرد عليهم في حاشية صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص: ٤٢٠

ويقال لهذا النوع من الشرك "الإشراك في التصرف" سواء اعتقد أنهم يقدرُونَ على ذلك بأنفسهم أو وهبهم الله تبارك وتعالى هذه القدرة ومنحهم هذه الكرامة" (١)

ولقد ذكر هنا جميع ما كان من الضلال في المسلمين من الشرك في الربوبية، وأبطله لأنهم يشركون بالله بهذه المعتقدات إذ يوصفون المخلوق العاجز بصفات الخالق سبحانه.

المطلب الثاني: لا تصرف لمخلوق مهما بلغ من المنزلة

أ- النبي لا يستطيع التصرف في الكون

فإن الذين غلوا في الأحياء والأموات وأثبتوا لهم صفات الرب، شقوا طريقهم إليه بالغلو في النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه إذا ثبت له علم الغيب والتصرف فيثبت لغيره من الأولياء أيضا، فكتبهم مليئة بالغلو في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بل لا يؤمنون ببشريته أولا ويشبّون له صفات الرب ثانيا (٢)

ويسهل إبطال التصرف عن الأولياء والأبدال (٣) والأقطاب (٤) وما نسج حولهم من حكايات التصرف المطلق في الكون إذا نفى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كان النبي عاجزا عن مثل هذا التصرف وتثبت له الصفات البشرية فأولى أن يكون غيره عاجزا عن التصرف وأولى أن يتصف بعجز البشرية، ويظل إذا أن يُرجع إليه عند الحاجات ويلجأ إليه لطلب النفع أو دفع الضرر، وهذا المعنى فصله الشاه رحمه الله في شرح قول الله عز وجل فيقول: "قال الله عز وجل ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يَجْعَلَ لِي مِنَ اللَّهِ وَدًّا" فيقول: "قال الله عز وجل ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يَجْعَلَ لِي مِنَ اللَّهِ وَدًّا"

(١) تقوية الإيمان ص: ٤٦

(٢) انظر: البريلوية ص: ٥٥ للشيخ إحسان إلهي ظهير

(٣) يعتقد الخرافيون من الصوفية وأتباعهم بأن الأبدال سبعة والمراد بالبدل "من سافر من موضع وترك جسدا على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعماله بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، وذلك هو البدل لاغير..."

التعريفات للجرجاني ص: ٤٣

(٤) "والقطب قد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان

الروح في الجسد بيده قسطاس الفيض الأعم...." التعريفات للجرجاني ص: ١٧٧

ولن أجد من دونه ملتحداً (١) وقد أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخبر المسلمين بأنه لا يقدر على نفعهم وضرهم ويخبر أن لا تغرهم نفوسهم فيقولون إن نبينا صلى الله عليه وسلم له رتبة عالية عند الله يضر وينفع ويفعل ما يشاء ونحن في أمته وهو لنا ركن شديد فإنه وكيلنا عند الله وشفيعنا إليه، من الله بمكان ليس لأحد، فلا خوف علينا ولا خطر، فيتوسعون في الأمانى ويستخفون بالعمل وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لهم ضراً ولا رشداً وأنه - وهو سيد الأنبياء - لن يجزئ من الله أحد فكيف يستطيع أن يجيرهم من الله ويمنعهم من عذاب الله وعقابه" (٢)

ثم يرجع إلى بيان ضلال المبتدعة الذين يعتقدون في غير النبي ما لا يليق باعتقاده في النبي صلى الله عليه وسلم بل يليق بالله عز وجل فيقول: "وبذلك علم ضلال أولئك العامة الذين ينسون الله ويستخفون بأحكامه معتمدين على نصره الشهداء والمشايع، فإذا كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخاف الله ولا يرى له ملجأ إلا رحمة الله، فكيف بمن دونه من أفراد أمته وأتباعه" (٣)

ويقرر نفس المعنى في شرح الحديث الذي نهى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن إطلاق لفظ "السيد" (٤) لأنه قد يراد بـ "السيد" من يملك الأمر مطلقاً، فيفعل ما يشاء كشأن الملوك في الدنيا (٥) وهذا مختص بالله، تعالى فلا سيد في هذا المعنى إلا الله، ومما قال في شرح لفظ السيد: "إن أريد بـ "السيد" السيطرة على العالم والتصرف بمطلق الإرادة كما يتصرف الملوك القاهرون فإنه لا يتصرف في أضعف مخلوق كالذرة تصرف السيد في ملكه فضلاً عن ضخام الأمور وكبار المخلوقات" (٦)

(١) سورة الجن: ٢١-٢٢

(٢) تقوية الإيمان ص: ٨٢

(٣) المصدر السابق

(٤) انظر الكلام حول الحديث وشرحه ص:

(٥) ومن معاني "السيد" الرب والمالك ... (النهاية ٢ / ٤١٨) وهذا الإطلاق قد يشعر معنى الربوبية والملكية المطلقة التي أشار إليها الشاه.

(٦) تقوية الإيمان ص: ١٥٦ ترجمة الندوي

الشيعة والصوفية ومن تأثر بهم غلوا غلوا عظيما في الأشخاص حتى وصفوهم بصفات الخالق واعتقدوا فيهم قدرة التصرف والنفع والضرر فكانت النتيجة الطبيعية لهذه المعتقدات هو البعد عن الشريعة والاستخفاف بالدين وهو أمر مشهود فرد عليهم الشاه بطريقة لطيفة، بأن هذه الأمور لا يقدر عليها أفضل البشر فكيف يقدر عليه غيره؟؟؟.

ثم إنه يبين مرتبة النبي والنبوة بأنها مرتبة عظيمة، ومهمة النبي هو عبادة الله وحده وإرشاد الناس إلى عبادته وهذه هي سر كرامتهم وتفوقهم على غيرهم وليس من كرامتهم وتعظيمهم أن يثبت لهم شيء من خصائص الربوبية فيقول: "نفي النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه القدرة المطلقة والعلم بالغيب، إنما أكرمه الله بالرسالة وشرفه بالنبوة والنبي مكلف بالإنذار والتبشير لا غير.... والإنذار والتبشير لا ينفع إلا من كان في قلبه إيمان وليس من شأن النبي إنشاء الإيمان في قلوب الناس إنما هو فعل الله تبارك وتعالى" (١)

ويقول مبينا سر فضيلة الأنبياء والأولياء: "إن الأنبياء والأولياء قد شرفهم الله على الخلق وعلت منزلتهم عند الله لأنهم يدعون الناس إلى الله ويرشدونهم إلى طريق الحق ... وليس شرفهم بأن يمنحهم الله قدرة التصرف في العالم، فيميتون من يشاؤون أو يرزقون أولادا لمن يشاؤون أو يفرجون الكرب ويحققون آماني الناس ويقضون حاجاتهم، ويجعلون من يشاؤون منتصرا أو منكسرا أو غنيا أو فقيرا أو وزيرا أو ملكا ويسلبون ممن يشاؤون ملكا أو إمارة أو يجعلون في قلب من يشاؤون الإيمان، أو ينتزعون منه أو يشفون مريضا أو يسلبون منه الصحة، وقد تساوى في ذلك جميع العبادة صغيرهم أو كبيرهم كلهم عاجزون ضعفاء لا يقدرون على شيء" (٢).

فنفي عن الأنبياء والأولياء قدرة التصرف التي يشتها المشركون من المنتسبين إلى الإسلام بل هم مثل سائر المخلوق في عدم التصرف والقدرة، فإذا من حماقة أن يلتجئ إليهم أحد في أمور لا يقدر عليها سوى الله عز وجل.

(١) تقرية الإيمان ص: ٧٦

(٢) المصدر السابق ص: ٧٦

ب - خواص الأمة لا يستطيعون التصرف في العالم

فلما أنكر الشاه الاعتقاد الفاسد وهو التصرف في الأمور الكونية عن النبي صلى الله عليه وسلم عرج على نفي هذا الاعتقاد عن خواص الأمة، لأن القلوب متعلقة بهم، فيقول في شرح قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون﴾ (١) "يقول بعض العامة إن الأنبياء والأولياء والأئمة * والشهداء يقدرُونَ على التصرف في العالم ولكنهم رضوا بقضاء الله وقدره، وأدبوا نفوسهم وأجموها فتواضعوا لعظمته وإلا إذا شاوروا قلبوا هذا العالم تقلباً ولكنهم أمسكوا عن ذلك تعظيماً للشرع وأدبوا معه وهذا باطل، لأن الآية نفت هذا الزعم وأثبتت عجزهم وضعفهم وأنهم لا يملكون للناس رزقا من السموات والأرض فليست لهم قدرة على الأمطار ولا على السحاب والرياح وليس لهم سلطان على الأرض فتخرج زرعها وتقذف خزائنها، وإن كل ذلك بيد الله وقبضته" (٢)

ونشأ من هذا المعتقد الفاسد الاعتقاد في كبرائهم ومشائخهم وفيمن يعبدونهم بأنهم سوف يخلصونهم من النار ويدخلونهم الجنة وإن لم يكن معهم شيء من العمل وهذا معتقد فاسد نجده في الصوفية، والقبورية، والشيعية، وفي جهال المسلمين الذين تأثروا من الرافضة والصوفية (٣).
يرد الشاه على هذا المعتقد فيقول: "أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: لما نزل ﴿وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ﴾ * دعا النبي صلى الله عليه وسلم قرابته فعم وخص، فقال: يا بني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لأملك لكم من الله شيئا..... وذكر الحديث بطوله (٤).

(١) سورة النحل: ٧٣

* - يقصد به الأئمة الذين يعتقد فيهم الإمامية وهم إثنا عشر إماما يعتقد فيهم التصرف في العالم والعصمة وعلم الغيب والإحياء والإماتة ونحوها من الصفات الإلهية، انظر للتفصيل كتاب عم الشاه اسماعيل، التحفة الإثني عشرية.

(٢) تقوية الإيمان ص: ٨٣

(٣) كما دندن به الشيخ التيجاني يقول: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي " جواهر المعاني ٢/ ١٧٦ نقلا من رسالة الماجستير "تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي".

(٤) أخرجه البخاري في تفسير سورة الشعراء برقم (٤٧٧١) انظر فتح الباري ٥٠١/٨

ومما قال في شرحه: "يعني إن الذين لهم صلة بأحد الصالحين أو المشايخ بنسب يعتمدون على نصرته ولا يخافون الله، ثقة بهذه القرابة وتبها ودلالا بهذا النسب فلذا أمرا الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحذر من يتصل به بنسب أو قرابة من هذا الغرور وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم..... وبين أن أمور الآخرة أو الحساب، فإنه لا يملك منها شيئا ولا يستطيع أن يدافع عن أحد أو يحتج لأحد فيجب على كل واحد أن يجد في إصلاح شئونه ويسعى في الخلاص من النار، والحديث دليل على أن القرابة أو النسب لا يغنيان عن الله شيئا ولا ينفعان عند الله" (١).

ويطل عقائد المشركين في كبار البشر بأنهم يفعلون أو يضررون أو يشفعون بقدرتهم وتصرفهم، بل إنهم عاجزون مثل عجز أي مخلوق من خلقه خاضعون تمام الخضوع فلا ينبغي اللجوء إليهم فيقول: "إن جميع الخلق سواء كانوا علماء أو عبادا، حكاما أو ملوكا، كلهم عبيد خاضعون عاجزون ضعفاء لا يملكون موتا ولا حياة ولا بعثا، ولا يملكون إذا نشرهم الله وطلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين ساكتين طائعين مستسلمين يقول الله عز وجل في سورة مريم ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلَّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٢) فظهر أنه هو المتصرف وحده في الجميع وأنه لا يمكن أحدا من أحد وأن الناس يأتون ربهم فرادى لا يكون أحد وكيلا أو حاميا لأحد، وقد وردت آيات كثيرة في هذا المعنى ومن تأمل في آيتين أو أربع من الآيات الكثيرة التي ذكرنا ها علم الفرق بين الشرك والتوحيد وتجلت حقيقتهما (٣).

ويؤكد ذلك مستدلا بآية أخرى فيقول: "قال الله تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٤) ومن السفاهة والظلم أن يعطى الإنسان العاجز الضعيف ما كان من حق القادر القوي، ويعاملهما معاملة سواء" (٥).

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٨-٩٩

(٢) سورة مريم ص: ٩٣-٩٥

(٣) تقوية الإيمان ص: ٤٤

(٤) يونس: ١٠٦

(٥) تقوية الإيمان ص: ٨٤

فالشاه يقرر عجز المخلوق أمام قدرة الله ومشيتته مهما بلغ من المرتبة فهو عاجز لن يستطيع التصرف حتى ينفع غيره من البشر فالإعراض عن الله القادر المطلق واللجوء إلى المخلوق العاجز حماقة وسفاهة.

ج - نفي التصرف عن الملائكة

يطل الشاه رحمه الله ما يعتقدون في ما سوى الله من التصرف ببيان عجزهم وضعفهم حتى يقنعهم ويقرب إلى فهمهم، ويشرح ذلك ببيان عجز الملائكة الذين هم أقرب إلى الله من غيرهم من الخلق فيقول: " قال الله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ (١) فالذين يستغيث بهم هؤلاء الجهال ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم لا يملكون مثقال حبة من خردل، ولا شيئا من قطمير في السموات وفي الأرض وما لهم فيها من شرك وليسوا من شركاء في ملك الله حتى يقبل شفاعتهم استسلاما واضطرارا، وأنهم لا يستطيعون أن يشفعوا إلا بإذنه ولا أن يقضوا رغبات المستشفعين بقدرة وقهر بل بالعكس من ذلك قد بلغ بهم العجز والضعف إلى حد أنه إذا توجه إليهم أمر من الله أخذهم الخوف والهيبة، ويعنهم الأدب والفزع عن مراجعة الله واستفسار عما خوطبوا به وأمروا بل أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الحقيقة فإذا اتضح لهم الأمر فما زادوا على أن يقولوا: آمنا وصدقنا فضلا عن معارضة الملك القاهر وعن الدفاع عن أحد. " (٢)

يثبت الشاه خلال هذا الشرح عجز البشر والملائكة الذين يستغيث بهم هؤلاء المشركون فحالمهم أنهم يخافون على أنفسهم فضلا أن يسعوا إلى إجابة أو نفع من يدعوه من البشر بل إذا سمعوا وحيا أخذتهم الهيبة والفزع ويخضعون أمامه كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله

(١) سورة سبأ ٢٢-٢٣

(٢) تقوية الإيمان ص: ٨٥

الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير الحديث بطوله (١).

د - احتجاجه على رد الإشراك في التصرف بالقضاء والقدر

إن الإيمان بالقضاء والقدر صلة وثيقة بتوحيد الربوبية، وذلك أن المؤمن يفرد الله عز وجل بالمشيئة والفعل والتصرف، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وليس لأحد أن يتدخل ولا أن يعترض على الله عز وجل.

ولما كان الشاه ينكر على الذين يعتقدون التصرف في غير الله، استدل عليه بالإيمان بالقضاء والقدر، لأن الإيمان به يقتضي إبطال عقيدة التصرف عن الأولياء والأنبياء فيقرر هذا المعنى خلال حديث ابن عباس رضي الله عنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (٢) فإنه لا ماحي لما أثبت الله ولا مثبت لما محاه الله وأن القضاء كائن، والأمر محتوم وإن اجتمع الناس جميعاً صغيرهم وكبيرهم على أن ينفعوا أحداً أو يضروه لم يجاوز ذلك قدر الله وقضائه.. وكذلك ثبت من هذا الحديث أن ما يعتقد به بعض الجهلة والسفهاء أن الله عز وجل قد منح الأولياء قدرة على تغيير قضاء الله وقدره، فمن لم يرزقه الله ولداً يرزقه هؤلاء الأولياء ولداً ومن انتهى عمره وحضرته الوفاة زادوا في عمره فهذا كله باطل" (٣).

المطلب الثالث: حكم من اعتقد التصرف فيما سوى الله

بهذا قد هدم الشاه رحمه الله اعتقاد القبوريين والمشركين، وهو قدرة التصرف في الأنبياء والأولياء وعن جميع البشر مهما بلغ من المرتبة والشرف فإنه لا يتخلى عن عجز البشرية، وجعل

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٨٠٠ انظر فتح الباري ٨/ ٥٣٧

(٢) أخرجه الترمذي - صفة القيامة - (٢٥١٨) وأحمد فالمسند ١/ ٢٩٣ وابن أبي عاصم في السنة برقم

٣١٦-٣١٨ وصححه الألباني في تخريجه للسنة.

(٣) تفوية الإيمان ص: ٩٤-٩٥

اعتقاد التصرف من الشرك والكفر ليس بعده شرك وكفر، يقول: "فإثبات قدرة التصرف لغيره يثبت به الشرك ويصير الإنسان به مشركا...." (١)

ويؤكد هذا الحكم في موضع آخر فيقول: "وما يحدث في العالم ليس من قدرتهم (٢) ولا من نتائج قوتهم ولم يعطهم الله قدرة التصرف في العالم ولم يفوض إليهم أمور بني آدم بحيث يتصرفوا فيها بقدرتهم بأمر الله عز وجل ويحدثوا في العالم التغيرات الكثيرة والتقلبات العديدة، فإن هذا الاعتقاد شرك محض وكفر بحسب فممن اعتقد في هؤلاء هذا الاعتقاد القبيح يصبح مشركا من غير شك وكافرا مطرودا" (٣).

اعتقاد تأثير الأنواء (٤) شرك:

إن النبي صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد حماية كاملة فلم يترك ذريعة توصل إلى الشرك إلا وسدها، ومن تلك الذرائع تعلق الناس بالأنواء، فكانوا ينسبون نزول المطر إلى الأنواء قديما وحديثا.

ولما رأى الشاه رحمه الله تمسك الناس بالنجوم واعتقادهم فيها رد على هذه المعتقدات، فيقول: "أخرج الشيخان عن زيد بن خالد الجهني قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب (٥).

" ومعنى الحديث أن من يعتقد للنجوم تأثيرا في العالم وما يحدث فيه من الحوادث كان عند الله ممن كفر به وعبد النجوم، ومن اعتقد أن كل ما يحدث في الكون من خير وشر يأتي من

(١) تقوية الإيمان ص: ٤٣

(٢) والكلام يتعلق بالأبدال

(٣) منصب امامت ص: ٦٢

(٤) النوء: النجم مال للغروب، أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في

المشرق" انظر قاموس المحيط ص: ٦٩

(٥) أخرجه البخاري - الاستسقاء - ١٠٣٨ - انظر فتح الباري ٢ / ٥٢٢ - مسلم - الإيمان - ١٢٥

الله تبارك وتعالى كان عند الله من عباده الصالحين المقبولين الذين تبرعوا من عبادة النجوم والكواكب".

"وأيضاً يدل الحديث على أن الإيمان بأن من الساعات ما تأتي بالسعد ومنها ما تأتي بالنحس وسؤال المنجم عن ساعة سعد ونحس والاعتماد الكلي على ما يخبر به من الشرك فإن لها علاقة بالنجوم، والإيمان بالكواكب وتأثيرها من خصائص عباد النجوم" (١)

وفي فتح المجدد: "إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر، لأنه أشرك في الربوبية، والمشارك كافر، وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر فيه، إنما هو فضل من الله ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء" (٢)

ثم يقرر الشاه بأن النجوم مخلوقة لله، ليس لها تأثير في مجاري العالم وحوادثه، فمن اعتقد فيها هذا الاعتقاد فهو كافر، ويسلك مسلك الكفار، فيقول: "أخرج رزين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من اقتبس باباً من علم النجوم بغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر" (٣) والمنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر.

يقول في شرحه: "إن الله قد ذكر النجوم والكواكب في كتابه وهي تدل على حكمة الله وقدرته وقد جعلها الله زينة وجمالاً للسموات الدنيا وهي رجوم للشياطين* ولم يذكر أن لها تأثيراً في ملكوت السماوات والأرض ولا لها علاقة بسعادة البشر وشقاوتهم فمن عدل عما ذكره الله من فوائدها إلى ما لم تخلق له هذه النجوم واستدل بها على الغيب كما يفعل البراهمة من أخذ بعض الأخبار من الجن وإخبار الناس بها ويقال لها بالعربية الكهانة، فطريق المنجم والكاهن سواء والكهان يتوددون إلى الجن كما يفعل السحرة بالإيمان بهم وندائهم وتقديم

(١) تقوية الإيمان ص: ١٣٠ - ١٣١

(٢) فتح المجدد ص: ٢٦٣

(٣) أخرجه أبوداود - الطب - ٣٩٠٥ وابن ماجه - الأدب - ٣٧٢٦ وأحمد ١ / ٢٧٧ وكلهم بلفظ من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر وهذا اللفظ صححه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير (٦٠٧٤) والزيادة التي أوردها المؤلف رواها رزين، انظر جامع الأصول ١١ / ٥٧٦

* - يشير إلى الآية "وجعلناها رجوماً للشياطين" الملك / ٥

النذور والقراين إليهم، فهذا كله من الكفر فالمنجم والكاهن والساحر كل منهم يتبع طريق الكفر". (١)

(١) تقوية الإيمان : ص ١٣١

المبحث الرابع : توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية

تقدم بأن الخصومة بين الأنبياء وأممهم لم تقع إلا في توحيد العبادة لله وحده وقرر الله عز وجل بأن من كان خالقا ومتصرفا وقادرا على كل أمر هو المستحق للعبادة وحده، فالإيمان بتفرده في الخلق والتدبير مستلزم ألا يعبد إلا الله فجعل الله الأول دليلا على الثاني، وكانوا يسلمون في الأول وينازعون في الثاني ويتعجبون منه فيقولون ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب﴾ *

وقرر الشاه واستدل به على إثبات التوحيد ورد الشرك فقال: "إذا اعتقد في أحد أن علمه محيط وتصرفه قاهر فلا بد أن يتذلل عنده ويفعل لديه أفعال التعظيم ويعظمه تعظيما لا يكون من جنس التعظيمات المتعارفة فيما بين الناس وهو المسمى بالعبادة" (١)

ومعنى كلامه رحمه الله بأن اعتقاد العلم الشامل المحيط لكل شيء في أحد واعتقاد تصرفه القاهر على كل شيء يثمر التذلل والخضوع أمامه، يعني إذا اعتقد فيه صفات الربوبية فلا بد أن يعتقد فيه صفات الألوهية، بأن يخضع ويتذلل أمامه ويعظمه تعظيما يليق به، وهذا الذي تُسمى بالعبادة.

ويبين التلازم فيما بينهما في معنى الربوبية فيقول: "معنى الربوبية أنه بلغ في رجوع الحوائج واستحلال المشكلات واستدفاع البلايا بمجرد الإرادة والقهر على الأسباب مبلغا يستحق به غاية الخضوع والتذلل أي ليس للتذلل لديه والخضوع عنده حد محدود، فما من تذلل وخضوع إلا وهو مستحسن بالنسبة إليه وهو مستحق له" (٢).

ولاشك فإنه خلط معنى الربوبية بمعنى الألوهية لشدة التلازم فيما بينهما، ويثبت بأن كونه ربا يستحق كل خضوع وتذلل إلى أقصى الغاية، وأن كل تذلل وخضوع من غير حد محدود يستحسن عنده، ويشرح ذلك بمثال بأن الإيمان بالربوبية يستدعي توحيد الألوهية فيقول: "إن

* - سورة ص : ٥ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص: ٧٦-٨٦

(١) رد الإشراف ص: ١٧

(٢) المصدر السابق ص: ١٦

الله هو خالقنا وربنا ونحن نقر بذلك فوجب علينا أن لا ننادي إلا بإياه ولا نستعين إلا به ومالنا
ولغيره؟ فمن كان عبدا للملك وخادما له انقطع إليه كليا ويصرف نظره عن كل ملك ورئيس
فضلا عن وضع أوحسيس، أيحسن بنا أن نكون أقل حياء وأضعف وفاء من المملوك
لمولاه؟" (١)

ويقرر في شرح الآية ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم
تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون﴾ (٢)

"بأن العقل والفطرة تدل على وجود الرب القادر المطلق القاهر على الأسباب، فمن كان
يمثل هذه القدرة التي لا يزاحمها أحد في القدرة، فالالتجاء وطلب الحوائج إلى غيره أمر باطل
لا يسلمه عقل" ويقول بعد ما ساق صفات الرب التي لا يشاركه فيها أحد من الخلق، "... فإذا
كان الأمر كذلك كان طلب قضاء الحاجات من غير الله أمرا باطلا، وطلبا للمحال. (٣)

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٤

(٢) سورة المؤمنون / ٨٨ - ٨٩

(٣) تقوية الإيمان ص: ٦٤

الفصل الثاني: جهوده في بيان توحيد الألوهية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية توحيد العبادة

المبحث الثاني: شرح كلمة التوحيد ومعنى العبادة

المبحث الثالث: أفراد العبادة

المبحث الأول : أهمية توحيد العبادة

التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده عقيدة أساسية في دين الإسلام، فلا وجود للإسلام بدون التوحيد، وسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على توحيد الله عز وجل في ذاته وصفاته وألوهيته (١)، ولتحقيق توحيد الألوهية خلق الله الخلق كما في قوله عز وجل ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (٢) أي يوحده بالعبادة (٣) فالعبادة هي التوحيد ومن لم يأت به لم يعبد الله (٤) والدليل عليه أن الخصومة بين الرسل وبين خصومهم لم يكن في إثبات الخالق المتصف بصفة الحياة والقدرة والتصرف في الكون، وإنما كانت الخصومة في توحيد العبودية، فمن لم يحقق هذا التوحيد لم يحقق الغاية التي من أجلها خلق.

الله أرسل الرسل وأنزل الكتب وأقام الحجج كلها لعبادة الله وحده، ومن أجلها وقعت الخصومة بين الرسل وبين أممهم، وفي تحقيق هذا التوحيد الذي غلط في مسماه طوائف من أهل الكلام والفلسفة والذوق والفناء (٥)

المطلب الأول : مقصود بعثة الرسل، الدعوة إلى توحيد العبادة

الشاه رحمه الله قد كان يهتم بتوحيد العبادة أيما اهتمام، وقد قرر في كثير من المواضع أهمية هذا التوحيد، وأنه أصل مقصود إرسال الرسل وإنزال الكتب، فيقول مؤكداً هذا المعنى: "قال الله تعالى" ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنني لكم نذير مبين أن لا تعبدا إلا الله إنني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ (٦) قد دلت الآية على أن الصراع بين المسلمين والكفار بدأ من عهد نوح عليه السلام، فما زال الصادقون من عباد الله ينهون عن أن يُعظَّم أحد من الخلق تعظيماً

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص: ٣٢

(٢) سورة الذاريات / ٥٦

(٣) فتح المجيد ص: ٣٢

(٤) انظر كتاب التوحيد مع فتح المجيد ص: ٣٣

(٥) انظر : التدمرية ص: ١٧٩ - ١٨٦

(٦) سورة هود / ٢٥ - ٢٦

يجدر بالله عزوجل، وعن أن تصرف إليه أعمال يقصد منها غاية التعظيم والذل و التواضع وهي مختصة بالله وظلت هذه الحرب قائمة بين الحزبين على قدم وساق" (١)

فالشاه يقرر بأن الحرب في تحقيق توحيد العبادة ظلت قائمة من عهد نوح عليه السلام بين المؤمنين المخلصين وبين من يشرك بالله عزوجل. ويقرر بأن الله عزوجل قد أخذ الميثاق بالتوحيد قبل أن يخلق الخلق ومنع من الشرك فيقول في شرح أثر أبي بن كعب رضي الله عنه (٢) "وقد تبين من هذا الحديث أنه قد سبق أمرا لله بالتوحيد والنهي عن الشرك لكل نسمة في عالم الأرواح، وما بعث الرسل ونزلت الصحف إلا لتبين ذلك وتؤكد، وقد يشير كلام الأنبياء الذين يبلغ عددهم إلى مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا، (٣) وعلم الكتب السماوية التي يبلغ عددها إلى مائة وأربعة كتب إلى هذه النكتة (٤) وهو الاعتصام بالتوحيد وإخلاص الدين لله والابتعاد عن الشرك واتخاذ غير الله حاكما يتصرف في الكون واتخاذ ربا يطلب منه أن يحقق مطالبه ويسعف بحاجته". (٥)

ويقول في موضع بأن الشرائع كلها اتفقت على الدعوة بالتوحيد ونبذ الشرك، فيقول: " اتفقت جميع الشرائع على التوحيد ومنع الشرك، وكل ما عدا ذلك من السبل والطرق فهي طرق الضلال والهلاك قال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (٦) (٧)

(١) تقوية الإيمان ص: ١٠٠

(٢) سبق تخريج هذا لأثر ص: ٩٩

(٣) ورد حديث صحيح يدل على هذا العدد من الأنبياء، انظر مشكاة المصابيح ١٢٢/٣ بتعليق الشيخ الألباني

(٤) روى أبودر حديثا طويلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه أنه سأل عن عدد الكتب؟ فقال: مائة كتاب وأربعة كتب... والحديث ضعيف جدا، انظر الإحسان في تقريب صحيح

ابن حبان ٧٧/٢

(٥) تقوية الإيمان ص: ٦١

(٦) سورة الأنبياء ٢٥

(٧) تقوية الإيمان ص: ٥٨

فالشاه رحمه الله يقرر بأن جميع الأنبياء والرسل والكتب جاءت تقرر هذا المبدأ المهم ألا وهو " الاعتصام بالتوحيد وإخلاص الدين لله والابتعاد عن الشرك . وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الموضوع في مواضع عديدة (١)

المطلب الثاني: أول واجب على المسلم تفقه معنى التوحيد والشرك

ثم إنه لما رأى بعد الناس من التوحيد الخالص وتورطهم في الشرك قرر بأنه يجب قبل كل شيء على المسلمين أن يتفقهوا في التوحيد لأنه رأس مال المسلم، فيقول: " إن الشرك قد شاع في هذا الزمن وانتشر وأصبح التوحيد الخالص غريبا ولكن معظم الناس لا يعرفون معنى الشرك ويدعون الإيمان مع أنهم قد تلوثوا بالشرك وتورطوا فيه، فمن الواجب قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد حتى يعرفوا حكمهما في القرآن وآثارهما في الحياة" (٢)

فإنه يوجب قبل كل شيء معرفة التوحيد وما يناقضه وهو الشرك، ويدل عليه وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما أرسله الى اليمن فقال له: " إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله " (٣) فأول واجب هو الإيمان بالله وحده بإخلاص العبادة له ونفي الشرك عنه، وما أحدثه الفلاسفة وأتباعهم من المعتزلة والمتكلمين من إيجاب النظر والمعرفة والشك، فليس هو طريق الأنبياء عليهم السلام. (٤)

المطلب الثالث: فضل التوحيد وثوابه

أما فضله فهو عظيم وثوابه جزيل بل التوحيد أساس لقبول الأعمال وردها، فالواجب على كل مسلم أن يعرف فضله وأهميته حتى لا يأخذه الكسل في تحقيقه ولا يتهاون في شأنه فيقول الشاه وهو يقرر فضل التوحيد: " أخرج الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: " يا ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي

(١) انظر مثلاً الفتاوى ٢ / ١٤-٦

(٢) تقوية لإيمان ص: ٣٧

(٣) أخرجه البخاري - التوحيد - ٧٣٧٢ انظر فتح الباري ١٣ / ٣٤٧

(٤) انظر التفصيل في الفتاوى ٢ / ١- ١٤ وفتح الباري ١٣ / ٣٤٩

شيئا إلا آتيتك بقرابها مغفرة" (١) وقد دل هذا الحديث على أن الإنسان مهما أتى به من ذنوب واقترب من آثام وإن كانت تعدل ذنوب أكبر العصاة والمجرمين كفرعون وهامان ولكنه بريء من الشرك بدل الله سيئاته حسنات وآتاه مثل هذه الذنوب مغفرة، وأن جميع ذنوب العاصي تمحى وتغتفر ببركة التوحيد، (٢) كما أن للشرك شوما وظلمة تطفى على جميع الحسنات وتجبط جميع العبادات وهذا هو الحق فإنه إذا قر في قلب المؤمن أن لا إله إلا الله، لأرب سواء ولا ملجأ ولا منجأ إلا إليه وأن لامعقب لأمره ولأراد لقضائه وليس له وكيل ولا شفيع إلا بإذنه فقد تطهر من أدران الشرك، فما صدر عنه من ذنب فهو من مقتضي البشرية، أو نتيجة النسيان والسهو ويستولي على قلبه الخوف من هذه الذنوب ويعاف هذه الذنوب ويستوحش منها حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه، وكل من كان هذا شأنه غشيتة رحمة الله ولطفه وكلما أكثر من الذنوب اشتدت به الكآبة والحزن وأحاطت به الوحشة فمن كانت قدمه راسخة في التوحيد، عملت ذنوبه ما لاتعمل عبادة غيره (٣) فكان الفاسق الموحد خيرا من المشرك، كما أن الوفي المقصر من الرعية خير من الشائر المتملق، لأن الأول نادم على تقصيره والثاني مغتر بخديعته ونفاقه وهو يحسب أنه يحسن صنعا" (٤)

أثبت الشاه للتوحيد أعلى الفضائل وأعظمها في هذه الفقرة، وأن الموحد إذا سلم من الشرك لا يخلد في النار، كما تدل عليه أحاديث كثيرة منها: " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده

(١) أخرج الترمذي بمعناه في سننه - الدعوات ٣٥٤٠ وقال الترمذي حسن غريب، وقد صححه بشواهده مخرج فتح المجيد انظر ص: ٧٨

(٢) قوله هذا ليس على إطلاقه، بل أهل السنة يعتقدون أن أهل الكبار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يخلدون في النار، هم تحت مشيئة الله سبحانه، إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم ، انظر الفتاوى ٢٧٠/٨

(٣) يدل عليه بما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا فيقول نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه. الإيمان - ٣١٤

(٤) تقوية لإيمان ص: ٦٥-٦٦

ورسوله حرم الله عليه النار" (١) " فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " (٢) وغيرها من الأحاديث كلها تدل على أن العبد إذا حقق توحيد العبادة واجتنب الشرك ستغفر له ذنوبه (٣)

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه - الإيمان - ٣٩

(٢) أخرجه البخاري - الصلوة - ٤٢٥ ومسلم - المساجد ومواضع الصلاة - ٢٦٣

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص: ٨٧

المبحث الثاني : شرح كلمة التوحيد ومعنى العبادة

المطلب الأول : في شرح كلمة "لا إله إلا الله"

يقول الشاه رحمه الله وهو يشرح كلمة التوحيد: " أخرج الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**" (١) كثير من الناس يجهلون معناها بل يعتقدون ما يضاد تلك الشهادة ويدعون الإسلام، وليعلم أن الشهادة معناها إخبار ما ثبت عند الشاهد باليقين الكامل من غير شك وشبهة، فإذا أخبر بما شهد به فهو صادق، وإن لم يثبت عنده باليقين التام ثم إذا شهد به فهو شاهد كذاب وإن كان الأمر كما زعم، كقول المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: **نشهد أنك لرسول الله** " ولم يكونوا يؤمنون بقلوبهم فكذبهم الله عز وجل لأنهم لم يؤمنوا بالقلوب إيمانا كاملا كما قال الله ﷻ **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**" (٢) فيقرر في هذه الكلمة بأنه إذا صدق بقلبه باليقين الكامل ثم تلفظ باللسان بأن الله هو المستحق للعبادة وليس غيره وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله فإذا كان صادقا في نطقه يصبح الناطق به مسلما وإلا فلا فمن آمن بقلبه واعترف بلسانه فكأنه يقول عن نفسه: **بأنني لست مشركا ولا عابد وثن أو نجم أو شيخ أو مرشد وأتبرأ من جميع الأديان من دين الجحوس والصابئة والثنية والهندود، لأنه اعترف وأقر بأنه لا معبود سوى الله عز وجل وبأنني لا أعبد غيره...** (٣)

ثم يقول بعد ذكر عدد من أنواع العبادات القولية والفعلية: **فلا أحد يستحق شيئا من تلك العبادات سوى الله عز وجل ولا يستحق ذلك أحد لا كبير ولا صغير، ولا جسم أحد، ولا**

(١) أخرجه البخاري - الإيمان - ١٨ انظر فتح الباري ٤٩/١ ومسلم - الإيمان - ٢١

(٢) سورة المنافقون /١

(٣) تذكير الإخوان ص: ٧٦

روحه، ولا أمير، ولا فقير، ولا ملك، ولا جن، ولا غول، ولا سعال، (١) ولا بيت ولا مكان عبد فيه أحد، ولا علم لأحد، ولا تكية، ولا زاوية، ولا كف ولا قدم، ولا صورة، ولا تمثال ولا قبر. (٢)

خلال هذا الشرح يثبت الألوهية لله عز وجل وينفي عن سواه لأنها تشتمل على نفي وإثبات نفي الألوهية والربوبية عما سوى الله حتى من أعظم المخلوقات مثل الأنبياء والأولياء، وإثباتها لله وحده " وإلهية الله، هي مجموع عبادته على مراده نفيًا وإثباتًا علما وعملا جملة وتفصيلا (٣)

المطلب الثاني: تعريف العبادة

ويعرف العبادة التي اشتبه معناها على كثير من الناس فيقول: "العبادة هي غاية الإذلال لنفسه لغاية التعظيم لغيره (٤) ويعرفها في موضع: " والعبادة تعني الأمور التي خصها الله لتعظيمه وبينها للبشر حتى لا يشركوا فيها غير الله" (٥) ويقول في موضع يبين أن الإيمان بالربوبية يستلزم عبادته فيقول: " إذا اعتقد في أحد أن علمه محيط وتصرفه قاهر فلا بد أن يتذلل عنده ويفعل لديه أفعال التعظيم والخضوع ويعظمه تعظيما لا يكون من جنس التعظيمات المتعارفة فيما بين الناس وهو المسمى بالعبادة" (٦) ويمثل لبعض الأمور التعظيمية التي خصها الله لنفسه فلا يصرف لغيره، فيقول: "مثل السجود أو الركوع أو القيام بغاية الأدب وطواف بيته وإنفاق المال والصوم باسمه والنذر له وطلب الحوائج منه والهج باسمه وقت الجلوس والقيام والاستعانة والتزام الورد والوظيفة باسمه والقتال مع من أنكر عبادته، فهذه كلها أعمال العبادة" (٧) "فشهادة العبد أن العبادة لا يستحقها سوى الله عز وجل بمثابة قوله بأنه ثبت لدي باليقين الجازم بأنه لا يليق

(١) كلمة غول وسعال، تطلق على شيطان يأكل الناس، أو ساحرة الجن، انظر القاموس المحيط

ص: ١٣١١ و ١٣٤٤

(٢) المصدر السابق

(٣) انظر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ٣٤٠

(٤) تذكير الإخوان ص: ٧٦

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٠٠

(٦) رد الإشرار ص: ١٧

(٧) تذكير الإخوان ص: ٧٦ و ١٧٨

صرف شيء من تلك العبادة إلى غيره، فلا أحد يستحق الحمد والشكر والنداء والدعاء عند الشدائد سوى الله عز وجل ولا يستحقها أحد لا شيخ ولا صغير ولا ملك ولا جن.... (١)

فان كثيرا من الأمور التي ذكرها الشاه هنا قد رد عليها في باب مستقل بعنوان "باب ذكر رد بدعات الرسوم" وجعل فيها فصلا بعنوان "إفراط التعظيم" (٢) وذكر فيها الأعمال التعبدية التي يصرفها القبوريون إلى المشائخ والكبار والقبور، فيجوزون الركوع والخضوع والسجود لها على أنها للتعظيم أي أنها سجدة تعظيمية ويستدلون عليها بسجود الملائكة لآدم وسجود إخوة يوسف، ليوسف عليه السلام وينفون أن تكون تلك الأعمال من العبادة بل هي من باب الإكرام والتعظيم، وقد استدل به السبكي (٣) واستند إليه النبهاني* ويتستر به كل خرافي (٤).

فأراد الشاه رحمه الله في تعريف العبادة أن يرد على هذا المعتقد فعرّفها بأنها أمور خصها الله لنفسه وبينها للبشر فمن صرفها إلى غيره فقد أشرك وبهذا التعريف كأنه قضى على جميع ما يأتون من أفراد العبادة لغير الله .

(١) نفس المصدر

(٢) رد الإشراف ص: ١٢٢ وانظر شرحه في "تذكير الإخوان" .

(٣) هو تقي الدين السبكي والد التاج السبكي صاحب الطبقات، كان أشعري العقيدة وشافعي المذهب حوز شد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورد على ابن تيمية في عدم تجويزه، وله مخالفات غيرها مع شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم توفي ٧٥٦هـ انظر طبقات الشافعية ١٣٩/١٠ والأعلام ٣٠٢/٤

* - يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني، له كتب كثيرة تحمل على علماء السلف مثل شيخ الإسلام

ابن تيمية وابن القيم وغيرهم توفي سنة ١٣٥٠ هـ الأعلام ٢١٨/ ٨

(٤) انظر للتفصيل غاية الأمان في الرد على النبهاني ص: ٣٠ - ٣١

المبحث الثالث : أفراد العبادة

المطلب الأول : أنواع العبادة كلها حق لله والبشر

يستحقون التعظيم دون العبادة

يقرر الشاه في موضع آخر بأن السجدة ونحوها من أفراد العبادة لا يستحقها إلا الله عز وجل وأن الأنبياء والأولياء وإن كانوا يستحقون التعظيم ولكن ينبغي أن يكون من جنس تعظيم البشر وليس كتعظيم البشر للإله فيقول:

" أخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه: يا رسول الله! تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال: أعبدوا ربكم وأكرموا أحوالكم" (١) الحاصل من هذا الحديث أن الناس إخوان فمن ارتفعت منزلته وكبرت سنه كان بمنزلة الأخ الأكبر واستحق الإكرام الزائد والله رب جميع الناس وهو يستحق العبادة، وقد دل هذا الحديث على أن الأولياء والأنبياء والأئمة وأبنائهم والمشائخ والشهداء وعباد الله المقربين كلهم بشر وكلهم عباد عاجزون وإخوة لنا ولكن الله فضلهم وكرمهم فهم بمنزلة الإخوان الكبار الذين طعنوا في السن ونحن مأمورون بطاعتهم ونحن بالنسبة إليهم صغار فيجب أن لانعظمهم إلا كبشر لا كإله" (٢)

قرر في الفقرة السابقة بأن الله هو الرب الذي يستحق العبادة أما غيره من البشر مهما بلغوا من المنزلة الرفيعة فهم يستحقون التعظيم دون العبادة، وهي نكتة مهمة طالما غفل عنها الغلاة من الصوفية والشيعة والخرافيين فانهم قد عظموا البشر الأحياء والأموات تعظيما بلغوا بهم درجة الألوهية.

ثم إن هؤلاء القبوريين الغلاة يعتقدون في الأموات قدرات وتصرفات أكثر من الأحياء وقد لا يقدسون الشخص في حياته مثل ما يقدسون بعد موته وهذه ظاهرة ملموسة في غالب البلدان الإسلامية، وذلك لتعلق قلوبهم بالقبور والمشاهد دون الله عز وجل، فيرد عليهم الشاه بحجة قوية

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٧٦ / ٦ إسناده ضعيف، آفته على بن زيد بن جددان، وهو ضعيف مات

سنة ١٣١ هـ انظر ميزان الاعتدال ١٢٧/٣ وتقريب التهذيب ص: ٤٠١

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٧

بأن الحي مادام حيا يستلزمه صفات البشرية من العجز والضعف فكيف يتصف بصفات الألوهية بعد موته، فصرف العبادة إليهم حماقة.

المطلب الثاني : سرد أفراد العبادة

منها: السجود

ومن أنواع العبادة السجدة، فهي حق خالص لله عز وجل وهي صورة ظاهرة تدل على غاية الذل فلا يستحقها إلا الله، ويقرر الشاه هذا المعنى: "أخرج أبوداود عن قيس بن سعد قال أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون بمرزبان لهم فقلت: لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يسجد له، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت أحق بأن يسجد لك فقال لي: أرأيت لو مررت بقري أكنت تسجدله فقال: لا، فقال: لا تفعلوا" (١) وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد على أنه سيموت يوما ما (ويؤارى جسده الشريف في اللحد)* فكيف يستحق السجود، إن السجود للحي الذي لا يموت وملكه لا يزول، وعلم من هذا أنه لا يجوز السجود لحي ولا ميت ولا قبر فان كل نفس ذائقة الموت والحي لا يتغلى عن خصائص البشرية، فكيف يصير إلها يسجدله إذا مات، فالعبد عبد حيا وميتا" (٢)

يقول في موضع بأن السجود أعظم شعائر العبادة ولذا لا يجوز لأحد غيره فيقول يردشبهة من جوزها: "قال الله تعالى ﴿ لا تسجدوا للشمس وللنجم واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾" (٣) وقد دلت الآية على أن السجدة من أعظم شعائر العبادة وهي مختصة بالله جل وعلا فلا تجوز لمخلوق وقد تساوى في هذه الصفة القمر والشمس والنبي والولي، ومن قال: إنه قد جاز السجود في الأديان القديمة لبعض المخلوقات، كما ثبت سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام، وسجود يعقوب ليوسف عليه السلام فلا بأس أن نسجد لشيخ أو ولي فهذا

(١) أخرجه أبوداود في سننه - ٢١٤٠ - وإن كان في إسناد أبي داود ضعف إلا أن الحديث صحيح بطرق

أخرى كثيرة انظر إرواء الغليل ٥٤ / ٧

* - من نسخة أردو حقه " غلام رسول مهر" طبعت من دار الإفتار بالرياض.

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٩ - ١٥٠

(٣) سورة فصلت : ٣٧

باطل، وقد أبيض النكاح بالأخوات الشقيقات في شريعة آدم فهل يبيح هؤلاء المحتجون بهذه الدلائل أن يتزوج الإخوة أخواتهم" (١)

وقد ألقم الحجر بهذه الحجة لهؤلاء الذين يلبسون على العوام فيجوزون السجود وأفراد العبادة لغير الله عز وجل.

منها: التوكل

ومن تلك الأعمال التعبدية، التوكل على الله عز وجل فانه عبادة عظيمة وقد أمر الله في عديد من المواضع كما في الآية ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾* وفي الآية ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** فان المؤمن بقضاء الله وقدره لا يلتفت إلا إليه ولا يتوكل إلا عليه لإيمانه الجازم بأنه لاتقع صغيرة ولا كبيرة إلا بإرادته ومشيئته، وإذا تعلق قلب العبد بغير الله يضطرب أمره وإيمانه فيتوجه إلى غير الله لقضاء حوائجه فيتوكل عليه ويرغب فيه، فأنكر الشاه رحمه الله هذه الأمور ودعا إلى اللجوء إلى الله والتوكل عليه في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: "أخرج ابن ماجه عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من قلب ابن آدم بكل واد شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي واد أهلكه ومن توكل على الله كفاه الشعب" (٢)

يقول في شرحه: "ومن المشاهد أن الإنسان إذا رغب في شيء وتعلق قلبه به أو حلت به مصيبة فلم تنكشف، تشتت فكره وذهب في طلب المدد كل مذهب ... " ثم ذكر عددا من أنواع الشرك الذي يقع فيه من لا يتوكل على الله حق التوكل ثم يدعو إلى التوكل على الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ببيان ثمراته فيقول: "وأما من توكل على الله ولم تشعب به المذاهب عده الله في عباده المقبولين وفتح الله عليه سبيل الهداية، وأذاقه حلاوة الإيمان ورزقه اجتماع الخاطر، وبرد اليقين، وهدوء النفس، مما لا سبيل إليه لمن تشتت فكره ولكن ضعيف العقيدة متفرق الهوى

(١) تقوية الإيمان ص: ١٠١

* - سورة آل عمران: ١٢٢

** - سورة الطلاق: ٣

(٢) أخرجه ابن ماجه - الزهد - ٤١٦٦ والحديث ضعيف، انظر سنن ابن ماجه ص: ٣٤٢

يتحمل الحزن والقلق من غير جدوى، والمؤمن المتوكل الموحد يعيش بالهدوء والطمأنينة والسكينة" (١)

جملة من أفراد العبادة:

ويبين أفراد العبادة بإرشاد العباد إلى ما ينبغي لهم تجاه الله عز وجل فيقول: "ويجب على كل إنسان أن يظل داعياً لله تعالى، خائفاً منه، مستغنياً به، بائياً بأثامه بين يديه مؤمناً بربوبيته ونصرته لا يعلم لنفسه إذا سرح بصره وأرسل خياله ملجأً ولا ملأذاً إلا الله ولا يعتمد على نصرته غيره لأنه غفور رحيم سيفرج الكرب ويكشف الغم من فضله ويغفر الذنوب جميعاً برحمته، ويأمر من يشاء بشفاعته فكما يجب عليه أن يفوض إليه جميع حاجاته ومآربه، يلزمه أن يكل إليه أمر نصرته وشفاعته يختار لها من يشاء ويأمر بها من يشاء، ولا ينبغي له أن يعتمد على أحد اعتماداً ينسيه الاعتماد على الله ويشغله عنه ويستهيئ بأحكامه...." (٢)

ويذكر بعض أفراد العبادة التي يقع الإنسان في الشرك بها فيقول: "الشرك أن يأتي الإنسان بأعمال وأفعال خصها الله بذاته الرفيعة وجعلها شعاراً للعبودية لأحد من الناس كالسجود لأحد والذبح باسمه والنذر له والاستعانة به في الشدة واعتقاد أنه حاضر وناظر في كل مكان وكل ذلك يثبت به الشرك" (٣).

ولاشك فإن دعاء الله والاستعانة به والخوف والتوكل والاعتماد ونحوها من العبادات التي ذكرها كلها عبادات خالصة، لا يستحقها سوي الله عز وجل وكلها داخلية في معنى الألوهية، وهذا هو الحق والمنهج الصواب، يقول صاحب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: "وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك له فيجب إفراداً لله تعالى بها كالدعاء والخوف والمحبة والتوكل والإنابة والتوبة والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٦-٩٧

(٢) تقوية الإيمان ص: ٩٢

(٣) المصدر السابق ص: ٤٣

فمن صرف شيئا مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق بـ "لا إله إلا الله" إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص" (١)

ويسرد أفراد العبادة التي لا يجوز صرفها إلا إلى الله سبحانه فيقول: "إن الله سبحانه خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه وهي التي تسمى "عبادة" كالسجود، والركوع، والقيام بخشوع وخضوع، كوضع يده اليمنى على اليسرى، وإنفاق المال باسم من يعتقد فيه العظمة والكرامة، والصوم له، وقصد بيته من أرجاء بعيدة، وشد الرحال إليه بوجه يعرف كل من رآه إنه يروم بيته حاجا أو زائرا، والنداء باسمه في الطريق كالتلبية، والاجتناب عن الرفث والفسوق والقصص وصيد الحيوانات، والذهاب بهذه القيود والآداب، والطواف ببيته، والسجود إليه، وسوق الهدى إليه، وكسو ذلك البيت، والوقوف على عتبة والإقبال على الدعاء، والاستغاثه والسؤال لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة، وتقبيل حجر من أحجار هذا البيت، والالتزام بجداره، والتمسك بأستاره، (٢) وإنارة المصاييح حوله، والاشتغال بخدمته بالمحاوره كالكنس والإنارة والفرش والسقاية، وتهيئة أسباب الوضوء والغسل، وشرب ماء بئر تيركا، وصبه على الجسم، وتوزيعه فيما بينهم وحمله إلى من لم يحضر (٣) والمشي مدبرا عند العودة حتى لا يجعل ظهره قبل البيت (٤) واحترام الغابة التي تقع حوله والتأدب معها حتى لا يقتل صيدها ولا يقطع شجرها ولا يختلئ عشبها وكلاهما ولا يرعى ماشية في حماها. كل هذه الأعمال علمها رب العلمين عباده، وخصصها لنفسه فمن أتى بها لشيخ طريقة أو نبي أو جني أو لقبر محقق أو مزور أو لنصب أو لمكان عبادة عكف فيه أحد الصالحين على العبادة أو لبيت أو لأثر من آثار أحد الصالحين يتبرك به أو شعار يعرف به أو يسجد لتابوت أو يركع له أو يصوم باسمه..." وذكر هنا عديدا من

(١) انظر ص: ٧٣ - ٧٤

(٢) هذا تسامح من المؤلف رحمه الله فإن الوقوف على عتبة البيت، وتقبيل حجر من الكعبة غير الحجر الأسود، والالتزام بجداره سوى ما كان بين الركن والباب (مناسك الحج والعمرة للألباني ص: ٢٣) والتمسك بأستاره، لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء ولا من الصحابة والتابعين رحمهم الله والعبادة مبناها على الشرع فيجب أن لا نعمل إلا بما شرع. يدل عليه قول عمر: إنه جاء إلى الحجر الأسود، فقبله، فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، يقبلك ما قبلتك، رواه البخاري - الحج - ١٥٩٧ انظر الفتح ٤٦٢/٣

(٣) وقد ثبت شربه وحمله وصبه على المرضى، انظر مناسك الحج والعمرة للألباني ص: ٤٣

(٤) ولم يثبت في الشرع هذا العمل.

أفراد العبادة التي يشرك فيها الناس غير الله ثم قال: فقد يثبت بها الشرك ويسمى الإشراك في العبادة" (١)

ويقول أيضا: "النذر لله في الشدائد والهناف بذكره عند كربة وضيق وافتتاح كل عمل باسمه والذبح له حين رزقهم الله ولدا شكرا لله تبارك وتعالى وتسميتهم بأسماء يلوح فيها التوحيد والعبودية، كعبدا لله وعبد الرحمن وخدا بخش، والله ديا وأمة الله، والله دي (٢) وتخصيص جزء من حواصل المزارع وثمار البساتين باسم الله تعالى وتخصيص جزء من المال والماشية ونذره لله تبارك وتعالى وتعظيم الهدى والقلائد لبيته يعني لا يركبه ولا يحمل عليه شيئا وامتنال أوامره والانتها عن نواهيه في المأكول والمشرب والملبس، واعتقاد كل ما يصيبه من خير أو شر وبجاعة، ورخص وغلاء وصحة ومرض وفتح وهزيمة وسعد وشقاء وحزن وفرح كله في يده.... وإذا أراد أن يحلف يحلف باسمه إلى غير ذلك من علامات التعظيم وشعائره، فمن عظم مثل هذا التعظيم للأنبياء والأولياء والأئمة والشهداء والعفاريت والجنيات..... كل ذلك يثبت منه الشرك". (٣)

وهكذا قد حاول الشاه أن يذكر جميع أعمال العبادة وأفرادها التي وقع فيها الشرك من القبوريين وغيرهم ولا يعتبرونها من الشرك ويعتذرون لأعمالهم بأنها تعظيم للأنبياء والأولياء والأئمة فرد عليهم الشاه بأن هذا النوع من التعظيم لا يليق إلا بالله عز وجل فمن عظم غيره مثل تعظيمه فقد أشرك بالله، ثم عدد جميع الأعمال التعظيمية بأنها خاصة بالله عز وجل وبأنها من العبادة، وحكم على من يصرفها إلى غير الله بأنه مشرك.

(١) تقوية الإيمان ص: ٤٧ - ٤٩

(٢) هذه أسماء هندية تدل على التوحيد

(٣) تقوية الإيمان ص: ٤٩ - ٥٢

الفصل الثالث

جهوده في توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : سبب قلة كلام الشاه في موضوع الأسماء
والصفات

المبحث الثاني: إثبات جميع الصفات والرد على من يؤولها

المبحث الأول : سبب قلة كلام الشاه في موضوع

الأسماء والصفات

الصحابه رضوان الله عليهم أجمعين قد آمنوا بالله ورسوله وبما أنزل إليه إيماناً عن اقتناع وفهم، وآمنوا بما أخبر القرآن من الأمور الغيبية من الأسماء والصفات واليوم الآخر وأحواله وغيرها من الأمور الكثيرة، ولا يظن فيهم أنهم آمنوا من غير فهم، ثم إن الصحابة والتابعين لم ينازعوا قط في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات مع وجود اختلافهم في المسائل الاجتهادية (١).

لم يطلع القرن الثاني إلا ونشأت بدعة الجهمية (٢) والمعتزلة (٣) وكلها تدور حول إنكار الأسماء والصفات وتعطيلها وامتدت هذه المباحث إلى قرون طويلة، فكان الأخذ والرد والمناظرات والمناقشات كلها تدور بين فرق المسلمين على مسائل الأسماء والصفات ثم على المسائل الكلامية من الجوهر والعرض والماهية والقدرة والاستطاعة ونحوها من المسائل المبنية على الفلسفة الوثنية اليونانية (٤) ولذا نرى السلف رحمهم الله في كتبهم ركزوا على رد هذه البدع ولم يكن الخلاف حول توحيد العبادة والربوبية، وبعد ما ظهرت عبادة القبور والمشاهد في قرون متأخرة كثرت جهود أهل السنة في زدها وإنكارها فركزوا على توضيح توحيد الألوهية بل إلى تعليم توحيد الربوبية أيضاً، وهذه ظاهرة ملموسة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أعظم الدعوة التي قامت أخيراً.

(١) انظر إعلام الموقعين ١ / ٤٩

(٢) تنتسب إلى جهم بن صفوان، تلميذ الجعدي درهم الذي أسس بدعة خلق القرآن، أخذ منه الجهم وأضاف فيه بدعة إنكار الصفات والقول بالجبر وغيرها من البدع يقول الذهبي: وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً، قتل سنة ١٢٨ هـ انظر ميزان الاعتدال ١ / ٤٢٦

(٣) أسسه وأصل بن عطاء البصري يسمون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد ينفون الصفات ويخرجون من الملة بالكبيرة، يقولون بأن العبد خالق أفعاله ونحوها من البدع المشهورة عنهم . انظر ترجمته في الميزان ٤ / ٣٢٩ وعقائدهم في الملل والنحل للشهرستاني ص: ٤٣-٤٦

(٤) انظر بيان تلبيس الجهمية ١ / ٣٢٤

فكان أساس دعوته شرح كلمة التوحيد وما يناقضها من الشرك، وموضوع رسائله ومؤلفاته تدور غالبا حول شرح توحيد الألوهية ونقض الشرك الواقع فيه، لحاجة الأمة إلى فهمها دون غيرها من المسائل، ويظهر هذا جليا أن الذين خالفوه وعادوه إنما هو في مسائل توحيد العبادة غالبا دون مسائل الصفات (١) ولم يكثر كلامه عن مسائل الأسماء والصفات وقواعدها لأن حاجة الأمة إلى معرفة توحيد العبادة كانت أكثر منها.

وكذلك نرى الشاه رحمه الله بأنه قلما تطرق إلى مناقشة مسائل الأسماء والصفات وطبيعة دعوته أيضا لم تكن تقتضي الخوض في المسائل العلمية الدقيقة، لأن دعوته كانت موجهة إلى العوام دون العلماء وكانوا هم المخاطبين في مواعظه ومؤلفاته وخطبه، والعوام بفطرتهم لا ينكرون صفات الله عز وجل، ويدل عليه بأن الذين عاندوه وخالفوه وكفروه وردوا عليه إنما خالفوه في مسائل العبادة دون الصفات، ولا يزالون يخالفونه ويردون عليه في موضوع الألوهية والشرك ولكن المتأمل في مؤلفاته يرى بأنه يثبت لله عز وجل أسماء وصفات ومعانيها، فيقول يشرح الإيمان بالله " والمراد بالإيمان بالله أن يعتقد اعتقادا جازما بأن الله هو الخالق المالك الذي يقضي جميع حوائجه ويكشف غمومه ويرزقه، ويعتقد فيه جميع المحامد والمحسن وجميع أوصاف الكمال وينزهه من جميع العيوب ويتوجه إليه في كل حال ويشكره في العسر واليسر.... (٢)

لاشك هذا التفسير يشمل التوحيد بأقسامه الثلاثة، وإن لم يصرح بذلك، وينزه الله عز وجل عن مماثلة المخلوقين ومشابهتهم مع وصفه بصفات الكمال بل يجعل اتصافه بصفات الكمال ونفي المماثلة من أصل معنى الألوهية فيقول يبين معنى الألوهية: " ومعنى الألوهية : أن يعتقد في حقه أنه بلغ في الاتصاف بصفات الكمال من العلم المحيط أو التصرف بمجرد القهر والإرادة مبلغا جل عن المماثلة والمجانسة مع سائر المخلوقين" (٣)

الظاهر أنه مشى في هذا التعريف على الجادة وهي إثبات الصفات على قاعدة أهل السنة المعروفة " إثبات بلا تمثيل ونفي بلا تعطيل" فإنهم يثبتون صفات أثبتها الله ورسوله بلا كيف وينزهون الله عما نزه نفسه عنه ورسوله تنزيها بلا تعطيل .

(١) انظر دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض و نقض

(٢) تذكير الإخوان ص: ٧٥

(٣) رد الإشراك ص: ١٦

فالشاه ينفي المماثلة والمجانسة بعد إثبات جميع صفات الكمال ويقول يقرر ذلك في مواضع عديدة بأنه لا يجوز إطلاق صفة خاصة بالله عز وجل على المخلوق فيقول: "ومغزى الحديث (١) أن الكلمة التي لاتليق إلا بالله تعالى، والصفة التي خاصة به لايجوز أن يوصف بها غيره كملك الملوك ومالك العالم كله... (٢)

ومما يدل على منهجه السليم في الأسماء والصفات جوابه في المناظرة الواقعة بينه وبين خصومه (٣) وقد سأله مدى إعمال العقل في القرآن والحديث، وأجاب مفصلاً نهى فيه عن العقل الفلسفي (٤) ثم قال: " وإن إعمال العقل في آيات الصفات والمتشابهات لايجوز كإعماله في مفهوم آية ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (٥) فاني اعتقد بأن لايتدخل فيه العقل (٦) وهذا أمر مشهور ومسلم بأن أئمة السلف كانوا يعتقدون هذا المعتقد" الاستواء معلوم والكيف مجهول" وهذا هو الثابت في باب الاستواء، واني أتذكر الآن بأن المتأخرين أولوا الآيات المتشابهات في " شرح عقائد نسفي" (٧) للرد على مطاعن الجاهل والفرق الضالة" (٨) (٩)

(١) يشير إلى حديث نهى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن التكني بأي الحكيم لأن الله هو الحكم، أخرجه أبوداود - الأدب - ٤٩٥٥ والنسائي ١٩٩ / ٨ الحديث صحيح انظر إرواء الغليل ٢٣٧ / ٨

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٢

(٣) وقد سبقت تفاصيله في بيان " مولفاته" ص: ٤١

(٤) يقول المعلمي: "إن المآخذ أربعة سلفيان وهما الفطرة والشرع وخلفيان وهما النظر العقل المتعمق فيه، والكشف الصوفي، انظر القائد إلى تصحيح العقائد ص: ٣٧ وما بعده

(٥) سورة الأعراف / ٥٣

(٦) لعله يرى بأنه لاينبغي إعمال العقل في بيان الكيفية، وإلا فإننا نعلم استواء الله عز وجل على العرش بذاته، ونؤمن به.

(٧) وهو من أهم كتب " الماتريدية" ألفه أبو حفص نجم الدين عمر النسفي من أئمة الماتريدية، توفي ٥٣٧ هـ انظر ترجمته في الجواهر المضية ٦٥٧ / ٢ والفوائد البهية ١٤٩

(٨) اللجوء إلى التأويل تجنباً من معارضة المخالفين يفتح باب بدعة التأويل في النصوص، فيصبح رد بدعة ببدعة، تنشأ منها آثار سيئة للغاية.

(٩) هذا النص منقول ومترجم من مقالة الشيخ نسيم أحمد فريدي الذي رد فيها على من طعن في الشاه اسماعيل وكتابه تقوية الإيمان، والشيخ فريدي نقل هذا النص من مخطوط فارسي، ولكنه يرى بأن الشاه اسماعيل فوض المناظرة إلى زميله الشيخ عبد الحي ولم يكن هو موجوداً، انظر (مجلة " الفرقان "

فإثباته صفة الاستواء التي اشتد فيها النزاع بين السلف وغيرهم على نهج أهل السنة والجماعة، نهج السلف، يدل على أنه لم يكن ينكر الصفات مطلقاً مثل المعتزلة، ولم يكن يؤول الصفات النقلية التي يؤولها أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية، وصفة الاستواء لا يثبتها أهل الكلام بحجة أن الله ليس محلاً للحوادث، وإثبات الشاه لهذه الصفة دليل واضح على منهجه في الصفات، وهو إثباتها بلا كيف.

وهكذا قرر الشاه قاعدة عظيمة عليها مدار عقيدة أهل السنة والجماعة في جميع صفات الله عز وجل بأنها لا تكيف، فان بيان الكيفية تابعة لكيفية الذات فإذا لم تعرف كيفية الذات فلن تعرف كيفية صفاتها (١) لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات (٢) فأصبحت صفة الاستواء ميزاناً لمعرفة منهج شخص ما في الصفات فمن أثبتها بلا كيف فهو لغيرها أشد إثباتاً ومن أنكرها أو أولها فهو أقرب إلى انكار غيرها أو تأويلها. ويثبت العرش في شرح حديث "أطيط السموات كأطيط الرجل..." (٣) بأن عظمة العرش فوق تصور المخلوق وخياله فيقول: "فجميع الأنبياء والأولياء أمام عظمة الله وجبروته أقل من ذرة وإن عرشه قد أحاط بالسموات والأرض كالقبة ليوط به أطيط الرجل بالراكب فليس في مقدرة مخلوق أن يشرح عظمته ولا يمكن له أن يتخيلها". (٤)

الشهرية العدد الخاص في ذكر نسيم أحمد فريدي (١٩٨٩ م) بينما يرى العالم المؤلف السلفي الشيخ عزيز الدين أن الشاه وعبد الحي كانا يردان على خصومهم ونقل ذلك معتمداً على بعض النسخ من المخطوط "انظر: مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد ص: ٧٥ وأكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان ص: ٨٠١

(١) انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/ ٣٨٧ وقد ذكر كثيراً من الآثار عن السلف هذا المعنى وكتاب التوحيد لابن منده ٣/ ١١٥

(٢) انظر "التدمرية" رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية. ص: ٤٣ - ٤٦

(٣) الأطيط صوت الأقتاب، فكثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلتها حتى أظت" انظر النهاية ١/ ٥٤ انظر

تخريج الحديث ص: ١٣٢

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٣٩

المبحث الثاني: إثبات جميع الصفات والرد

على من يؤولها

الشاه رحمه الله قد أثبت صفات الذات والفعل، ورد على من يؤولها ردا شديدا ومن أوجه الرد عليهم بأن القول بتأويل الصفات طعن في النبي صلى الله عليه وسلم واتهامه بكتُم العلم الأساسي وهو ما يتعلق بذات الله عزوجل وليس طعن في النبي فقط بل هو طعن في الله عزوجل أيضا بأنه أرسل لهداية البشر أناسا لم يبينوا الحق بل بينوا لهم مالا يليق بالله أصلا، وأن التأويل ليس من منهج أهل السنة الذين هم على طريقة الصحابة والتابعين فيقول: "والعجب أن أرباب الشرائع صلوات الله عليهم لم ينصبوا قرينة على صرف الكلام عن الظاهر ولم يذكروا مدة عمرهم قط عند أحد من أتباعهم المخلصين والمخلصين لا في السر ولا في العلن أن ظاهر هذا الكلام ليس بمراد بل لم يتكلموا بالحقيقة قط من أن الرب تبارك وتعالى منزّه عما نسند إليه، كيف ولم يثبت حديث صحيح ولا ضعيف يطابق ما يدعيه هؤلاء من نفي أمثال تلك الأحكام عنه، فكأنهم ينسبون الإضلال إلى أرباب الشرائع نعوذ بالله، بل ينجر هذا إلى الاعتراض عليه تبارك وتعالى بأنه اختار لهداية الناس رجالا لم يكشفوا لهم قط عما هو العمدة من أبواب الهداية وهو الإلهيات بل علموهم مالا يطابق الواقع أصلا سبحانه هذا بهتان عظيم فأولئك قد خلعوا ربقة الشريعة من عنقهم فليسوا من أهل السنة في شيء وإن يسم بعضهم نفسه به، بل أهل السنة في الحقيقة هم الصحابة وأتباعهم فلسنا ننكص على أعقابنا بعد إذ سمعنا أن الرحمن على العرش استوى (١) وأنه ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا (٢) وأنه يحول بين المرء

(١) صفة استواء الله على العرش لها أدلة عديدة من القرآن والحديث ولكن قد وردت سبع آيات بصيغة الاستواء على العرش . انظر الأعراف ٥٣: ويونس ٣: والرعد: ٢ وطه: ٥ والفرقان: ٥٩ والسجدة: ٤ والحديد: ٤ وهي تدل على جهة العلو أيضا.

(٢) أحاديث النزول كثيرة متواترة صحيحة انظر "كتاب النزول للدارقطني، فانه أفرد كتابا مستقلا وأورد فيه هذه الأحاديث عن عدة من الصحابة وقد خرج الألباني عن جمع من الصحابة في الإرواء ١٩٤/٢-١٩٩ ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب باسم "شرح حديث النزول" مطبوع متداول.

ونفسه (١) وأنه نادى من جانب الطور الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى (٢). وأنه تجلى على الجبل فجعله دكا (٣) وأنه رآه محمد صلى الله عليه وسلم في منامه فوضع يده بين كتفيه حتى وجد برد أنامله بين ثديه وقال يا محمد فيم يختصم الملائ الأعلى (٤) وأن العرش يسط

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾ الأنفال: ٢٤ ومن أقوال السلف في تفسيرها: أن الله يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكافر ومنها: أن الله يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل ومنها: أنه قريب من قلبه فلا يخفى عليه شئ. ويقول الطبري: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن ذلك خير من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر أو أن يعي به شيئاً أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيئته" انظر تفسير ابن جرير ٢١٣/٦

و وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى منها: ما رواه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمر وابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء"

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾ مريم: ٥٢ استدل به على كلام الله عز وجل لموسى رغم من ينكر هذه الصفة من الفرق الضالة، وناديناه: هو تكليم الله تعالى (انظر المحرر الوجيز ٢٠ / ٤ ويقول ابن كثير: فكلمه الله تعالى وناداه وقربه فناداه " ١٣١ / ٣ ويقول: الأصبهاني في كتابه " فصل في إثبات النداء صفة لله عز وجل " ثم ساق الأدلة فيه، انظر الحجة في بيان المحجة ١ / ٢٦٩

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ الأعراف: ١٣ وقد أول المؤلفون بأن معنى الآية، تجلى أمره وقدرته وسلطانه وعلمه. انظر (تفسير ابن عطية ٤٥١ / ٢ و "الرؤية" رسالة ماجستير المطبوعة) ص: ٨٨ وهو مخالف لما فسر به أهل السنة والجماعة، بل الحق بأن الرب اطلع للجبل دون أمره وقهره، كما قال الطبري: " فلما اطلع الرب للجبل، جعل الله الجبل دكا " وقد ورد عن ابن عباس وغيره بأنه قال: " ما تجلى منه إلا قدر الخنصر " انظر الروايات العديدة في تفسير ابن جرير ٥٣ / ٦ وتفسير ابن كثير ٢ / ٢٥٤ وفيه إثبات رؤية الله سبحانه خلافاً لمن أنكرها بحيث إنه إذا جاز أن يتجلى للحماد الذي لا ثواب له ولا عقاب فكيف يتمتع على أولياءه في دار كرامته، انظر الطحاوية ص: ٢٠٧

(٤) هو طرف من الحديث ولفظه: "... رأيت ربي في أحسن صورة، فقال فيم يختصم الملائ الأعلى يا محمد؟ قال: قلت أي ربي أي ربي مرتين فوضع كفيه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والأرض وقال فيم يختصم الملائ الأعلى يا محمد؟ يُستدل به على رؤية النبي

به أطيظ الرجل بالراكب (١) وأنه يضحك (٢) ويتبشش (٣) ويحب (٤) ويعادي (٥) ويرضى (٦) ويسخط (٧) ويتردد (٨) في قبض نفس عبده المؤمن وأنه بين العبد وبين قبلته في الصلوة (٩) وأنه

صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى في الدنيا رؤية منامية، والحديث قد تعددت طرقه واختلفت الآراء في تصحيحها وتضعيفها وقد رواه الترمذي في سننه في تفسير سورة ص برقم (٣٢٣٣) ورواه الدارقطني بأسانيد عدة في "كتاب الرؤية" عن تسعة من الصحابة وبعضها صحيحة انظر "الرؤية" للدارقطني برقم (٢٢٧ إلى رقم ٢٥٨) والسنة لابن أبي عاصم برقم (٤٢٣ - ٤٤٠) وقد صححها الشيخ الألباني وضعفه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٥٣٢ وقال الدارقطني ٦/ ٥٧ بعد ذكر أوجه الخلاف "ليس فيها صحيح وكلها مضطربة" وقد أفرد الإمام الحافظ ابن رجب في تأليف وسماء "اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى" تكلم على طرقه واختلاف ألفاظه وشرحه شرحاً كافياً و الكتاب مطبوع.

(١) يشير إلى حديث الاستسقاء الطويل وفيه (إن عرشه على سمواته هكذا، وقال بأصابعه مثل القبة وإنه ليطع به أطيظ الرجل بالراكب) أخرجه أبو داود في كتاب السنة - باب الجهمية (٤٧١١) انظر عون المعبود ١٣/ ٨ وقد فصل ابن القيم في بيان طريق هذا الحديث، وحكم بثبوته انظر، تهذيبه للسنن في حاشية عون المعبود ١٣/ ٩-١٣ والحديث دليل على استوائه على العرش وجهة العلو لله سبحانه.

(٢) صفة الضحك صفة فعلية قائمة بالله سبحانه كما يليق بذاته وهي ثابتة في أحاديث صحيحة منها: ما ثبت في حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه ذكر حال آخر من يدخل الجنة وطرفه... فيقول: يارب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها....." أخرجه البخاري - الرقاق - باب الصراط جسر جهنم (٦٥٧٣) انظر فتح الباري ١١/ ٤٤٤ ومسلم في الإيمان (١٨٢) وفي قوله صلى الله عليه وسلم "يضحك الله إلى رجلين يقبل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد، أخرجه البخاري (٢٨٢٦) انظر فتح الباري ٦/ ٣٩ ومسلم (١٨٦٧)

(٣) تبشش به، آنسه وواصله (القاموس المحيط : ٧٥٥) وفي النهاية : البش : فرح الصديق بالصديق واللفظ في المسألة والإقبال عليه ١/ ١٣٠

وهو يشير إلى حديث صحيح رواه ابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلوة فيه إلا تبشش الله إليه كما يتبشش أهل الغائب بطلعته " صحيح ابن خزيمة (١٤٩١) ٢/ ٣٤٢، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٢٠٨ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٩٤-١٩٥ وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يوطن رجل المساحد

للصلاة والذكر إلا تبشيش الله عزوجل له كما يتبشيش أهل الغائب إذا قدم عليهم غائبهم " رواه ابن ماجه (٨٠٠) ٢٦٢/١ وابن حبان في صحيحه (٣٠٩١) وابن خزيمة (١٥٠٣) والحاكم ٢١٣/١ وأحمد في مسنده ٣٠٧/٢، ٣٢٨. فالحديث دليل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى.

(٤) صفة المحبة ثابتة لله عزوجل في القرآن والحديث وقد أخبر بأنه ﴿يحب المحسنين﴾ البقرة : ١٩٥ و﴿يحب المتقين﴾ التوبة : ٤ ومن الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: " مهلا يا عائشة، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله " رواه البخاري - ٦٠٤٤، انظر فتح الباري ٤٤٩/١٠ وسأله ابن مسعود أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: " الصلاة على وقتها قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله " أخرجه البخاري ٥٢٧/ فتح الباري ٩/٢

(٥) وهي صفة، مثل الحب والبغض والرضى، وقد وردت بها أحاديث منها: قوله صلى الله عليه وسلم: "من عادى عمارا عاداه الله، من يعاد عمارا يعاد الله، حم ٨٩/٤، ٩٠

(٦) وهي صفة فعلية من الصفات الفعلية لا يثبتها إلا أهل السنة وينكرها أو يؤولها أهل الكلام وقد ثبت في القرآن في آيات عديدة منها قوله تعالى ﴿رضي الله عنهم﴾ (المجادلة: ٢٢) وقوله ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...﴾ (الفتح: ١٨) ومن السنة ما جاء عن أفضل نعمة الله على أهل الجنة كما في الحديث.... قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا... .. أخرجه البخاري في صحيحه انظر فتح الباري ٤١٥/١١ ومسلم في صحيحه (٢٨٢٩)

(٧) وقد أسند الله إلى نفسه صفة السخط كما في قوله تعالى ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ المائدة ٨٠

(٨) يشير إلى حديث أخرجه البخاري دون أصحاب الكعب الستة - الرقاق - ٦٥٠٢ انظر فتح الباري ٣٤١/١١ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وفي آخره.... (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مسأته). وقد رد هذا الحديث طوائف من المسلمين بحجة أن الله لا يوصف بالتردد وإنما التردد صفة من لا يعلم عواقب الأمور.

ولكن كلام الله ورسوله حق فإن الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وقد ورد به حديث صحيح يجب التسليم به على مراد الله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح الحديث " فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: وأنا أكره مسأته، وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك ترددا، ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك " الفتاوى ٥٩/١٠ ويقول في موضع " والله سبحانه قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريد ولا بد منه، فالرب يريد لموته لما سبق به

إذا حفظه عبده وجده تجاهه (١) وإن العبد لا يزال يتقرب إليه بالنوافل حتى يصير سمعه وبصره ويده ورجله (٢) وأنه سيتجلى غذا في المحشر ويكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان (٣) وأنه سيظهر في صورة لا يعرفه المؤمنون بها ثم في أخرى يعرفونها (٤) وأنه سيرونه عيانا روية القمر ليلة البدر (٥) وسيصافح أو يعانق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٦) وسيطلع عليهم في

قضائه، وهو مع ذلك كاره لمسااة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروها له من وجه، وهذا حقيقة التردد" الفتاوى ١٣١/١٨

وانظر شرح صفة التردد بالتفصيل في الفتاوى ١٨ / ١٢٩ - ١٣١ وللشوكاني كتاب في شرح هذا الحديث باسم " قطر الولي في شرح حديث الولي" وانظر جامع العلوم والحكم ص: ٣١٣ - ٣٢٥.

(٩) وهو حديث صحيح أخرجه البخاري بطرق متعددة في كتاب الصلوة برقم ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٣، ٤١٥ والحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات، فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضا قبل وجهه. انظر الفتاوى ١٠٧ / ٧

(١) يشير إلى وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس بقوله: " يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت: بلى ا فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك... " والحديث صحيح أخرجه أحمد في المسند ١ / ٢٩٣ و ٣٠٣ والترمذي (٢٥١٨) في صفة القيامة، وابن أبي عاصم في السنة (٣١٦ - ٣١٨) وغيرهم، ولابن رجب الحنبلي كتاب قيم في شرح هذا الحديث باسم (نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس) والحديث دليل على المعية الخاصة لعباده الصالحين كما يقول ابن رجب في كتابه المذكور: " معناه أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في جميع الأحوال يحوطه وينصره ويحفظه ويوقفه ويؤيده ويسدده... " ص: ٢٢

(٢) يشير إلى حديث الولي الذي سبق تخريجه فمعنى الحديث بأن العبد إذا أخلص الحب لله وأصبح يتقرب إليه بالنوافل فلا يتحرك إلا في مرضاة الله عز وجل فحبه وبغضه لله ولا يعطي إلا لله ولا يمنع إلا لله ولا يريد إلا ما يريد الله أمرا به ورضا ولا يلتفت إلى عذل العاذلين ولوم اللاتمين فهذه حال السابقين من أولياء الله انظر الفتاوى ١٠ / ٧٥٤ و ١١ / ٧٦

(٣) وهو حديث صحيح متفق عليه رواه البخاري في مواضع عديدة منها في الرقاق - ٦٥٣٩ وفي التوحيد ٧٤٤٣ و ٧٥١٢ انظر فتح الباري ١١ / ٤٠٠ و ١٣ / ٤٢٣ و ٤٧٤ ورواه مسلم في الزكاة - ١٠١٦ وفيه دليل على ثبوت صفة الكلام لله عز وجل.

(٤) وهو ثابت في حديث الشفاعة والرؤية المشهور، وهو حديث طويل جدا وطرفه " قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا قال: فإنكم لاتضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا

الجنة من فوق فيقول: السلام عليكم(١) وأمثال ذلك كثيرة لاتعد ولا تحصى ربنا آمننا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكبتنا مع الشاهدين. وما ادعاه اولئك من سلب أمثال هذه الأحكام عنه فليس لهم عليه حجة إلا ما هو أو هن من نسج العنكبوت".(٢)

وهكذا قد أثبت الشاه صفة الاستواء والنزول والكلام والرؤية واليد والعلو والضحك والتبشيش والحب والمعاداة والرضي والسخط والقرب وغيرها من الصفات الذاتية والفعلية التي جاءت بها النصوص، ورد على المؤولين الذين لا يثبتون هذه الصفات لله عز وجل.

كما تضارون في رؤيتهما فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رآه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم ... الحديث رواه جمع من الأئمة، رواه البخاري في صحيحه بأسانيد عديدة منها في كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٧٤٣٤ - ٧٤٤٠ انظر فتح الباري ١٣ / ٤١٥ - ٤٢٢ ومسلم في صحيحه - الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية ١٨٢ ، ١٨٦ انظر شرح النووي ٥ / ٢١

(٥) وهو نفس الحديث السابق

(٦) منهج أهل السنة في ذات الله وصفاته وصف ما وصفه الله ورسوله والسكوت عما لم يخبر الله عن نفسه ولارسوله وطريقتهم إثبات ما أثبتته الله ورسوله من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبه ولا تعطيل ولا تحريف، فإثباتهم من غير تشبيه، بل هم ينكرون التشبيه أشد الإنكار، فصفات الخالق على ما يليق به، وصفات المخلوق على ما يليق بذاته، والمصافحة والمعانقة لأحد من المخلوقين لم يثبت في آية ولا في أثر صحيح ولذا لا يجوز وصف الله عز وجل بها، نعم: قد روى ابن ماجة في المقدمة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول من يصافح الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة ولكنه ضعيف، وقال ابن كثير في جامع المسانيد: هذا الحديث منكر جدا وما هو أبعد من أن يكون موضوعا، انظر سنن ابن ماجة ١٠٤ / ٣٩ وأورده ابن القيم في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " وقال: فهو حديث منكر جدا ص: ١٠ وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢١٤٩)

(١) يشير إلى حديث رواه ابن ماجة في سننه (١٨٤) ١ / ٦٥ والدارقطني في الرؤية برقم ٥١ ص: ١٦٦ والآجري ص: ٢٦٨ واللالكائي ٣ / ٤٣١ وغيرهم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذ الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله عز وجل ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ يس: ٥٨ الحديث.

(٢) عبات ٩٠ - ٩١

ثم تطرق الشاه إلى أهم المسائل التي يخوض فيها المتكلمون إثباتاً أو نفيًا وهي الكلام في الجوهر والأعراض وحدوثها، واستنتاج حدوث العالم وإثبات الصانع بناء على حدوثها، وغيرها من المسائل التي خاضوا فيها وبنوا عليها إنكار الصفات أو تأويلها، ويوجبون تعلمها وتعليمها، فيقول الشاه يرد عليهم "ليعلم أن مسألة تجرد الواجب وبساطته حسب الذهن يعني تنزيه واجب الوجود عن الزمان والمكان والجهة والماهية، ومن التركيب العقلي، ومبحث العينية وزيادة الصفات وتأويل التشابهات وإثبات رؤية بلا جهة ولا محاذاة، وإثبات الجوهر الفرد، وإبطال الهوى والصورة والنفوس والعقول أو بالعكس، والكلام في مسألة القدر والقول بصدور العالم على سبيل الإيجاب وإثبات قدم العالم ونحوها مباحث أخرى من علم الكلام وإلهيات الفلاسفة، كلها من قسم البدع الحقيقية، إن اعتقد صاحبها أنها من الدين أو عدها من الدين وإن لم يعتقدها من العقائد الدينية فإنها أصبحت بالتأكيد من البدع الحكمية في هذا الزمن.... (١)

الفلاسفة وأتباعهم يقدرون وجود الله عز وجل وجوداً مطلقاً ويعيرون عنه بأنه واحد بسيط من جميع جهاته ويقولون بأنه ليس مركباً من الوجود والماهية ومن الذات والصفات (٢) لأن إثبات الذات والصفات يستلزم التركيب على قولهم والمركب يفتقر إلى أجزائه والمفتقر إلى أجزائه لا يكون واجباً، وقالوا متى ما أثبتنا معنى يزيد على مطلق الوجود كان تركيباً، فهذا التركيب الذي يقدرون في العقل ثم ينفون كونه مركباً، ثم إن الواحد البسيط الذي يقدرونه في الأذهان لا وجود له في الخارج أصلاً فإن الذات إذا وجدت، وجدت بصفاتها اللازمة وصفاتها لا تكون إلا بها (٣) فالشاه رحمه الله يرد بقوله " أن مسألة تجرد الواجب وبساطته في الذهن دون أن يكون له وجود في الحقيقة " ونحوها من المباحث التي بنى عليها أهل الكلام مذهبهم، بل يعتبرونه من أسس العقيدة، ويجعلها من البدع الحقيقية.

أما تنزيه الله تعالى من الجهة مطلقاً، التي أشار إليها الشاه، أنكرها النفاة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدة، بناء على قاعدتهم الفاسدة، بأن كل ما كان في جهة فهو جسم، والله منزّه من الجسم فليس له جهة علو وليس هو مستو على العرش، تعالى الله عما

(١) إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضرير ص: ٢٣-٢٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/١٠٢

(٣) درء تعارض العقل والنقل ص: ١/٢٨٠ وما بعده

يقولون علوا (١) ويقال لمنكرى الجهة بأن الجهة قد يراد بها أمر وجودي مخلوق، كما إذا أريد بها العرش أو السموات، وقد يراد بها أمر عديمي كما إذا أريد بها ما فوق العالم، فنفي الجهة بمعنى الأول صحيح لأن الله ليس حالا في شيء من مخلوقاته، وإن كان النفي بمعنى الثاني فهو باطل لأن الله عز وجل فوق العرش فوق السموات السبع، وتثبت له جهة العلو، وهو العلي المتعال، (٢)

ويشير الشاه رحمه الله بقوله "ومبحث العينية وزيادة الصفات" إلى مسألة مهمة وهي هل الصفات عين ذاته أو زيادة على الصفات" ولقد تخط فيها المتفلسفة ومن تبعهم من الفرق الضالة الذين أنكروا الصفات.

تري طائفة من الفلاسفة أن "الصفة هي الموصوف فجعلوا العلم عين العالم وجعلوا هذه الصفة هي الأخرى.. (٣) فيقولون إن العاقل والمعقول والعقل، والعاشق والمعشوق والعشوق.. هو شيء واحد وإنه موجود واجب له عناية ويفسرون عنايته بعلمه أو بعقله ثم يقولون: "وعلمه وعقله هو ذاته، وقد يقولون: إنه حي عليم قدير مريد متكلم سميع بصير، ويقولون: إن ذلك كله شيء واحد فإرادته عين قدرته وقدرته عين علمه وعلمه عين ذاته وهذا صريح البطلان والفساد في العقول والمنقول، هؤلاء متهاهم نفي الصفات ولو ازم الذات، ولذلك يقررون الوجود المطلق بشرط الإطلاق، ومعلوم أن الوجود المطلق بشرط الإطلاق يوجد في الذهن دون الواقع فإن الإنسان المطلق بشرط الإطلاق لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان، ومن هذه الفلسفة الباطنية نشأ مذهب غلاة الصوفية الوجودية القائلين بوحدة الوجود وذلك أن الوجود المطلق يطلق على كل وجود من غير فرق بين الواجب والممكن وبين الخالق والمخلوق كما أن الإنسان المطلق يطلق على هذا الإنسان وهذا الإنسان وعلى الذهني الخارجي، وهكذا فقد وقعوا في إلحاد أعظم من إلحاد النصارى (٤)

أما المعتزلة فقد توهموا بأن الصفات زائدة على الذات وزعموا أن إثباتها يستلزم تعدد القدماء، فأنكروا الصفات خوفا من تعدد القدماء. ومعلوم أن المحظور إثبات ذوات قديمة أما

(١) درء تعارض العقل والنقل ص: ٢٤٩/١ - ٢٥٤

(٢) انظر التحفة المهدية شرح التدمرية ص: ١٤٠

(٣) التدمرية ص: ١٧

(٤) درء تعارض العقل والنقل ص: ٢٨٢ - ٢٩٠ والتدمرية ص: ٤٠ - ٤٤

إثبات ذات موصوفة بصفات الكمال على ما يليق بجلاله مطلوب في الشرع ومفهوم في العقل، وبعض المتكلمين قالوا بزيادة الصفات على الذات، (١) "وهذا لفرط تحرزهم عن القول بتعدد القدماء حتى منع بعضهم أن يقال: "صفاته قديمة وإن كانت أزلية..." (٢) و ليس مقصودهم إثبات ذات مجردة عن الصفات بل قالوا بزيادة الصفات على الذات لما تصوروا في الذهن ذاتا مجردة عن الصفات وهي في الواقع غير موجودة.

أما الشاه رحمه الله فينكر على من يخوض في قضية الصفات هل هي عين الذات أو زيادة عليها، ويجعل الخوض في مثل هذه القضايا المحدثنة من البدع الحقيقية، (٣) فينبغي للمسلم أن يجتنب منها، بل الواجب هو إمرار الصفات كما هي بلا كيف كما كان عليه أصحاب القرون المفصلة.

أما منعه من تأويل "المتشابهات" (٤) لأن الخوض في التشابهات من علامات أهل البدع فإن مأخذهم ومصدرهم هو طلب التشابهات من النصوص (٥) كما نصت عليه الآية ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ (٦) وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هؤلاء كما في حديث عائشة أنها قالت "تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات...﴾ إلى قوله أولو الألباب﴾ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله، فاحذروهم (٧)

(١) انظر شرح المقاصد للفتازاني ٦٩ / ٤ - ٧٧

(٢) المصدر السابق ص: ٧٠ / ٤

(٣) لاشك أن الخوض فيها على وجه الباطل باطل، أما تناولها لإحقاق الحق ولإنتصار السنة، مطلوب وعمود.

(٤) والمتشابه على قسمين: "أحدهما إذا رد إلى المحكم عرف معناه والآخر مالا سبيل إلى معرفة حقيقته فالمتبع له مبتغ للفتنة" النهاية في غريب الحديث والأثر ص: ٤٤٢ / ٢

(٥) انظر الاعتصام للشاطبي "الباب الرابع في مأخذ أهل البدع"

(٦) سورة آل عمران / ٧

(٧) رواه البخاري - التفسير - ٤٥٤٧ - انظر الفتح ٨ / ٢٠٩

"فمن كان سليم القلب ومستقيم المنهج يؤمن بمتشابهه ويعمل بمحكمه أما أهل الزيغ والضلال يأخذون من التشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه..." (١)

أما قوله "إثبات رؤية بلا جهة ولا محاذات" فهو قول الأشاعرة والماتريدية القائلين بالرؤية بلا جهة ولا مقابلة" (٢)

اشترط هؤلاء بعد إثبات الرؤية نفى الجهة والمقابلة وذلك بناء على قولهم الفاسد بأن الله لا تثبت له جهة العلو، فأنكروا علوه واستواءه على العرش ولذا يقول شيخ الإسلام: "فأما رؤية ما لانعين ولانواجهه فهذه غير متصورة في العقل" (٣) فأثبتوا شيئاً خيالياً لا يوجد في الواقع فأصبحت الرؤية التي يثبتونها لاحقيقة لها" (٤) لأنهم نفوا لازم الرؤية ونفي اللازم نفى للزومها وهذا واضح جلي لدى أهل العلم "وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال : يرى لا في جهة فليراجع عقله" فلما أن يكون مكابراً لعقله وفي عقله شيء وإلا فلماذا قال يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة" (٥) ويقولون هذا واعتقادهم بها وقعوا في بدعة شنيعة ولذلك رد عليهم الشاه رحمه الله وجعل إثبات الرؤية بلا جهة وبلا محاذاة من البدع الحقيقية، إن اعتقد صاحبها وجعلها من قضايا الدين، لأن الشرع لم يرد بهذا ولا تكلم به سلف الأمة، وإنما أحدثه المتكلمون المتخبطون في آراء الفلاسفة" (٦)

ثم إنه رد على من خاض في موضوع الجوهر، والهيولى والصورة والنفوس والعقول إثباتاً أو نفياً. ولا شك إن الخوض في إثباتها وردها لم يكن معهوداً عند سلف الأمة ومن انتهج منهجهم،

(١) تفسير ابن كثير في شرح الآية المذكورة ١/ ٣٥٣ وتفسير السعدي ١/ ٣٥٧

(٢) انظر شرح المقاصد ٤/ ١٧٩، ١٨١ - والصفات الإلهية ص: ٣٣٥

(٣) الفتاوى ١٦/ ٨٥

(٤) الفتاوى ٨/ ٣٥٦

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢١١

(٦) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص: ١٤٠

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن إثبات الجوهر الفرد مما أنكره أئمة السلف والفقهاء، وأهل الحديث والصوفية وجمهور العقلاء وكثير من طوائف أهل الكلام.." (١)

الجوهر الفرد عندهم "كل ما كان متحيزا بذاته فهو جوهر وإن كان يقبل الانقسام فهو الجسم وإن لم يقبل الانقسام فهو الجوهر الفرد، ويعبر أيضا بالجزء الذي لا يتجزأ" (٢) وأن الأجسام تتألف من أفرادها بانضمام بعضها إلى بعض، أما الهيولى والصورة والنفوس والعقول يثبتها الفلاسفة، الجوهر إن كان حالاً في جوهر آخر فالحل الهيولى، والحال الصورة يعني الصورة الجسمية، فالصورة عندهم هو ما كان طويلاً عريضاً عميقاً (٣) فالجسم ما كان مركباً من الهيولى والصورة، ثم إن كان تعلقه بالجسم تدبيراً وتصرفاً فنفس وإلا فعقل. (٤)

"السلف لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة لكلف الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه" (٥)

المتكلمون بنوا أحكامهم على الجوهر والعرض، فإن الجوهر هو ما قام بنفسه واحتمل الأعراض، والعرض هو ما لا يقوم بنفسه إنما يقوم بالجوهر، ثم إنهم قالوا بتركيب الأجسام وأنها مركبة بجواهر مفردة، وبنوا على هذه القاعدة كثيراً من الأحكام الشرعية فاختلّفوا فيها اختلافاً شديداً، فأولوا النصوص وحرفوها وأنكروها إذا رأوا مخالفة النصوص لما أسسوا من قواعدهم، وأعرضوا عن الكتاب والسنة ولجئوا إلى عقولهم القاصرة.

وقد لجئوا إلى طريقة الجوهر والعرض في إثبات وجود الله عز وجل أي إلى إثبات الصانع حسب قولهم، وذلك أن الأعراض حادثة أي وجدت بعد أن لم تكن، وأنها تستلزم الأجسام وما كان مستلزماً للحدث فهو حادث، وأنكروا الصفات الإلهية بناء على هذه القاعدة.

ومعلوم بالضرورة أن الإقرار بوجود الله فطري ولا يحتاج إلى هذا النظر المتعمق الفلسفي وأن الأنبياء عليهم السلام لم يدعوا إلى هذه الطريقة.

(١) درء تعارض العقل والنقل ٤ / ١٣٥

(٢) انظر شرح المقاصد ٦ / ٣

(٣) انظر هداية الحكمة ص: ٥٤

(٤) انظر شرح المقاصد ٦ / ٣

(٥) درء تعارض العقل والنقل ١ / ٤٤

أما العقول والنفوس التي أنكر عليها الشاه يتكلم بها المتفلسفة ويشتون واجب الوجود الذي صدرت عنه العقول والنفوس والأفلاك .

والعقل عندهم الروح المجردة عن المادة أي من الجسم والنفوس هي الروح المدبرة للجسم وإذا فارقت الجسم صارت عقلا محضا.

أما النفوس فقد اختلف في بيانها وأحكامها الفلاسفة المشاؤون والطبيعون، وقد تباينت أقوالهم في الأنفس بأنها جوهر يتعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف وباقية بعد فناء الجسم. أما العقول فقد ذكروا "العقول العشرة" والنفوس التسعة، وحجتهم بأن الواجب واحد بسيط، والبسيط لا يصدر عنه إلا واحد وهو الصادر الأول ويسمونه العقل الأول وأنه لوازم ذاته، وصدر العقل الثاني من العقل الأول، والعقول هذه هي المؤثرة في الأفلاك بمعنى أنها صدرت منها ولكل فلك عقل ونفس. وقد قالوا: "أن العقول المجردة العشرة هي الملائكة وأنها قديمة أزلية والعقل رب ما سواه، والعقل الفعال هو المبدع كل ما تحت فلك القمر وهو الذي يحدث جميع الحوادث.

هذه المعتقدات الباطلة والآثار الرخيمة التي نشأت بسبب هذه الفلسفة وعلم الكلام التي ينبني عليها، ولذا اشتد إنكار السلف على كل من اشتغل به، وقد عموها قولهم: "بأن كل من طلب الدين بالكلام فقد تزندق..." (١) "ولا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أحد من الأئمة المتبوعين، أنه علق بمسمى الجوهر والجسم والتحيز والعرض ونحو ذلك شيئا من أصول الدين، لا الدلائل ولا المسائل" (٢)

كذلك الخوض في مسألة القدر على وجه الباطل التي بدعها الشاه رحمه الله، لأن الذين خاضوا فيه قد تخطوا في عديد من المسائل منها: أن العبد خالق لأفعاله كقول المعتزلة، وذلك بناء على نفي القدر، ومنها القول بجبر العبد كقول الجهمية، بأن الإنسان لا يقدر على شيء في الحقيقة إنما هو مجبور في أفعاله، والأشعري، وإن نسب الفعل الحادث إلى العبد وسماه كسبا ولكنه تابع للجهمية في المعنى (٣) وذلك أنهم جعلوا الإنسان مجبرا ومكرها أمام قضاء الله

(١) انظر أقوال السلف في ذم الكلام وأهله، الحجة في بيان المحجة ١/ ١٠٢ وما بعده والإبانة لابن بطه ٥٣٤/٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٤٥

(٣) انظر "المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين ص: ١٣٩

وقدره فسلبوا من العبد اختياره، ومنها مسألة التكليف بما لا يطاق، وقد قال بوقوعه وجوازه عدد من المتكلمين الأشاعرة (١) وكل هذا مخالف لما جاء به الشرع وما عليه أئمة الهدى وإنما التجأوا إلى هذا القول للرد على المعتزلة والذين لا يقرون بأن الله خالق أفعال العباد، وهذا رد بدعة يبدعة، والباطل بالباطل (٢) فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الخوض في القدر لما فيه من المضرة، وكره أئمة السنة الخوض في أمور لم تكن في عهد النبي والصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد ركز الشاه على صفة العلم الخاص لله عز وجل وصفة القدرة، وذلك بأن صفة العلم لها علاقة وطيدة بالالوهية ورد الشرك في الدعاء، وصفة القدرة لها علاقة عظيمة بتوحيد الربوبية ورد الشرك الواقع في التصرف. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة والغنى، وإن شئت أن تقول: العلم، والقدرة، والقدرة إما على الفعل، وهو التأثير وإما على الترك وهو الغنى، والأول أجود، وهذه الثلاثة، لاتصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين". (٣)

وقد بوب باباً خاصاً "رد الإشراك في العلم" للرد على الشرك الموجود بين الناس في توحيد الألوهية وذلك أن الإنسان عندما يلجأ أو يدعو أو يستغيث بأحد من قرب وبعد ويعتقد فيه أنه يعلم حاله في كل وقت فهذا الاعتقاد يوصل إلى عبادته. ولذا أراد أن يبين بأن العلم المحيط صفة خاصة لله عز وجل فعلمه شامل لكل شيء وغيره عاجز فمن أثبت لغير الله هذا العلم يصبح مشركاً (٤).

ويثبت علم الغيب لله وحده وينفي عن جميع خلقه فيقول في شرح الآية ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾* وأما شأن الإطلاع على الغيب فهو خاص بالله تعالى وهو يملكه

(١) المصدر السابق ص: ١٤٠

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل ١ / ٦٥

(٣) الفتاوى ٣١٢ / ١١

(٤) انظر للتفصيل تقوية الإيمان ص: ٤٦

* - سورة الأنعام / ٥٩

ويتصرف فيه كما يشاء وهو صفته الدائمة ولم يقدر وليا أو نبيا أو جنيا أو ملكا أو شيخا أو شهيدا أو إماما أو سليل إمام أو عفريتا أو جنية على أن يطلعوا على الغيب متى شاؤوا" (١). وكذلك أثبت القدرة الشاملة غير المحدودة لله عز وجل، لإثبات ربوبيته أولا ورد الإشراك فيه ثانيا، لأن الاعتقاد في أحد بالقدرة الغيبية يستدعي أن يعبد (٢). كذلك نرى في غضون كلامه ما يدل على أنه يثبت لله صفات ذاتية وفعلية من غير تشبيه كما يقول في صفة الغيرة: "فهو أغير من كل غيور وأقوى من كل قوي فيجب أن يخشى بأسه ويخاف سطوته" (٣) ويشرح الحديث الذي فيه إثبات الأصابع لله على ظاهره بأن القلوب بين أصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشاء ولذا ينبغي للعبد أن يخاف على نفسه (٤).

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٨

(٢) انظر "توحيد الربوبية" من هذا البحث.

(٣) المصدر السابق ص: ٥٥

(٤) تذكير الإخوان ص: ١٠١ وأحاديث إثبات الأصابع صحيحة انظر السنة لابن عاصم ص: ١٠٤

الفصل الرابع : جهوده في توضيح الشرك في الألوهية تعريفه ومضاره وأقسامه وأنواعه وشبهات المشركين وإزالتها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشرك تعريفه، وأقسامه، ودحض الشبهات فيه

المبحث الثاني: ذكر جملة من أنواع الشرك وسد الدرائع الموصلة إليها

المبحث الثالث: عودة الشرك القديم في الأمة وشبهات المشركين فيه

تمهيد

ضرر الشرك وخطورته:

إن معرفة الشرك وأقسامه وأنواعه وخطورته والتفاصيل فيه حتم لازم على كل مؤمن لأنه ينتقض أصل الإسلام وأساسه ويضر أصل الإيمان الذي هو شرط أساسي في كونه مؤمناً، وإن معرفة ما يناقض التوحيد للحذر منه حماية للتوحيد ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه يسأل عنه فيقول: "كان الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني" (١) فإن من لا يعرف الجاهلية يخشى عليه أن يقع فيها، كما قال عمر رضي الله عنه "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية" (٢)

ولأهميته بذل الشاه رحمه الله جهوداً عظيمة في التنبيه عليه وتوضيحه وتفسيره وبيان أنواعه وأحكامه بل صرف جل اهتمامه إليه وركز عليه في مؤلفاته وخطبه ومواظبه تركيزاً بالغاً لما كان يرى المجتمع حوله غارقاً في جميع أنواع الشرك ظناً منهم أنه دين نزل به القرآن وجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد جعل كتابه تقوية الإيمان بكامله في بيان التوحيد ورد الشرك، وجعل كتابه رد الإشراف للرد على موضوع الشرك، وكتب (مثنويين) (٣) أبياتاً طويلة في موضوع التوحيد ورد الشرك، بعضها بالفارسية وبعضها بالأردية وكان لهما تأثير عظيم في التحذير من الشرك.

أعظم الذنوب الشرك بالله وهو محبط للأعمال:

الشرك خطره عظيم وضرره جسيم وهو أعظم ذنب عصي به الله وبه يُحبط الأعمال مهما بلغت من الكثرة والقيمة، بل يخرج صاحبه من الملة الحنيفية ويدخل في الكفر ويبقى في النار خالداً مخلداً لا يخرج منها أبداً.

(١) أخرجه البخاري في الفتن ٧٠٨٤ انظر فتح الباري ١٣ / ٣٥

(٢) الدرر السنية ١ / ٤٣٠

(٣) المثنوي من الشعر ، ما كان فيه كل سطرين بقافية واحدة ، معجم الوسيط ص: ١٠٢

يقرر الشاه هذه المعاني في صدد تحذيره من الشرك بقوله: قال الله تعالى ﴿إِنْ اللَّه لَا يَغْفِرَ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يَشْرَكَ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١) "اعلم أن الناس ينحرفون عن صراط الله المستقيم إذا غلبهم الهوى، وجمحت بهم النفوس، فمنهم من يميز بين الحرام والحلال ومنهم من يمارس سرقة أو يأتي بعمل من أعمال الفسق أو يترك الصلاة والصيام أو لا يأتي بما فرض الله عليه من حقوق الأهل والعيال ولا يحسن إلى والديه ويغفل القول لهما ولكن من أشرك بالله فقد أشرف وظلم نفسه ظلما عظيما وقد جنى جناية لا يغفرها الله وأما الذنوب والآثام الأخرى فعسى أن يغفرها الله برحمته ويتجاوز عنها ولكن الشرك لا يغفر بل لابد أن يوفي جزاءه" (٢).

الشرك أحب إلى الشيطان من المعاصي:

يقرر الشاه رحمه الله في بيان ضرر الشرك بأنه أعظم ذنب إذ ينقض أصل التوحيد ولذا يحب الشيطان أن يقع الناس فيه دون المعاصي فيقول: "أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج الدجال فيبعث إليه عيسى بن مريم، فيطلبه فيهلكه ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ولا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحيون، فيقولون ماذا تأمرنا، فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم. (٣)

ومما ذكر في شرح الحديث "... يدل الحديث على أن الإنسان مهما غرق في المعاصي، وطرح رداء الحشمة والحياء، ولم يقصر في أكل أموال الناس بالباطل، ولم يميز بين الخير والشر كان أفضل من المشرك ومن يعبد غير الله، لأن الشيطان يرضى بأن يقلع الإنسان عن هذه السيئات ويكف عن الذنوب ويتمسك بالشرك" (٤)

(١) سورة النساء ١١٦

(٢) تقوية الإيمان ص: ٥٣

(٣) أخرجه مسلم في الفتن - ٢٩٤٠

(٤) تقوية الإيمان ص: ١١٨

الشرك أعظم الظلم وأقبح العيوب:

الشاه رحمه الله نوع أساليبه في بيان خطر الشرك ومضرته وسلك مسالك عديدة لترسيخ قباحة الشرك وشناعته في قلوب المسلمين الذين تلوثوا بالشرك وتهاونوا بأمره وتقللوا من شأنه لمعايشتهم مع عباد الأوثان، بل زالت كراهته من القلوب مع أنها أقل درجات الإيمان بل ليس وراء ذلك حبة غردل من الإيمان، ولا يوجد له الإنكار بقدر ما يوجد لأصغر الذنوب التي تكفر بالصلوات والحسنات، وهذا انحراف عظيم وضلال مبين ولذا قد حاول الشاه أن يبين مضرته من ناحية الشرع ومن ناحية العقل والواقع بضرب الأمثال، فيقول: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ (١) وقد وهب الله تعالى لقمان الحكمة العميقة والعقل السليم الذي تفتن به أن أكبر الظلم أن يجرد الإنسان على أحد بحق غيره فمن أعطى حق الله لأحد خلقه فقد عمد إلى حق أكبر كبير فأعطاه أذل ذليل وكان كرجل وضع تاج الملك على رأس منبوذ (٢) فأى جور أكبر من هذا الجور وأي ظلم أعظم من هذا الظلم. واعلم أن كل مخلوق كبيرا كان أو صغيرا أذل من منبوذ أمام عظمة الله وجلالته وظهر من هذه الآية وشهده الشرع والعقل السليم أن الشرك من أقبح العيوب، وهذا هو الحق وما زال الناس يعتبرون إساءة الأدب إلى كبرائهم وساداتهم أكبر عيب، ولما كان تبارك وتعالى أكبر من كل كبير كانت إساءة الأدب إليه، والإشراك معه عيب ليس فوقه عيب وقد اتفقت جميع الشرائع على المنع من الشرك والأمر بالتوحيد وكل ماعداها من السبل والطرق فهي طرق الضلال والهلاك قال الله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾* (٣)

(١) سورة لقمان : ١٣

(٢) والمنبوذ في ديانة الهندوكية أذل مخلوق وذلك لاعتقادهم أن الإله لما أراد خلق العالم أخرج البراهمة من فمه، و"الشترى" من يده و"الويش" من بطنه و"الشودر" من أرجله، وهم الأنجاس المنبوذون أولاد شتماء، وكان من الشترى فغضب الإله ودعا على أولاده فصاروا من أرذل الناس، يحرم عليهم الدخول في المعابد والهيكل، لأن أرواح الآلهة تفر من لقاءهم، ولا يمكن الزواج بهم لأنهم ينحسون بمجرد المس فكيف بالزواج انظر "مسألة المنبوذين في الهند" لعبد العزيز الثعالبي ص: ٦٨، و٧٦

* - سورة الأنبياء ٢٥

(٣) تقوية الإيمان ٥٨

الشرك يحبط الأعمال:

يقول الشاه محذراً من الشرك بأن مضرته عظيمة جدا وهي رد جميع الأعمال فيقول :
"أخرج مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه وأنا منه بريء)(١) والحديث دليل واضح على أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملاً أشرك فيه معه غيره فلا يقبل عبادة مشرك بل يتبرأ منها وليس شأنه شأن الذين يأخذون نصيبهم من الشيء المشترك بينهم وبين غيرهم فإنه أغنى من كل غني وأغنى من كل غيور فلا يقبل إلا عملاً خالصاً منزهاً من الشرك، ليس لأحد فيه نصيب ولا حصة"(٢)

ويقول: "أخرج الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: " يا ابن آدم انك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً إلا آتيتك بقرابها مغفرة"(٣) وقد دل الحديث على أن الإنسان مهما أتى من ذنوب واقترب من آثام وإن كانت تعدل ذنوب أكبر العصاة والمجرمين كفرعون وهامان ولكنه بريء من الشرك بدل الله سيئاته حسنات..."(٤)

مضرة الشرك من ناحية العقل والواقع:

فبعد ما بين مضرة الشرك وحكمه من الشرع تطرق الشاه إلى ضرب مثال من الواقع حتى يقرب إلى الأفهام مضرته فيقول: "ومثاله أن الملك قد يعفو عن أناس من رعيته يرتكبون سرقة وعن أناس يقطعون الطريق على القوافل، أو يشنون غارة، ومنهم من يتكاسل عن الحراسة، أو الخفارة فينام عنها ومنهم من يتخلف عن حضور مجلس الملك ومنهم من يتولى عن ساحة الحرب ومنهم من يقصر في أداء الضرائب والخراج وواجبات الحكومة فلكل ذنب من هذه الذنوب عقوبات معينة عند الملك إن شاء أخذ بها وإن شاء عفا، وبإزاء هذه الجنايات جنايات تظهر منها الثورة على الملك والخروج عليه، مثل أن يسايح لأمير أو وزير أو عمدة قرية أو

(١) أخرجه مسلم في الزهد - ٢٩٨٥

(٢) تقوية الإيمان ص: ٥٩

(٣) تقدم تخريج الحديث ص: ٥٩

(٤) تقوية الإيمان ص: ٦٥ وكلامه ليس على إطلاقه، بل هم تحت المشيئة، انظر التعليق عليه ص:

موظف حكومي أو كناس أو منبوذ من أهل المهن الوضيعة والطبقات السافلة بالملك، فيصنع له إكليلا ويعد له عرشا أو يخاطبه " بجلالة الملك " و " ظل الله في الأرض " أو يأتي له بالتحيات التي يوتى به الملوك، ويقف بين يديه كما يوقف بين يدي الملوك أو يحتفل بيوم جلوسه، كما تحتفل الرعية والشعب بيوم جلس فيه ملكهم على العرش وجرى تنويجه فيه (١) أو يقدم له نذرا كما يقدم للملوك (٢) فهذه الجناية أكبر وأعظم من كل جناية ومرتكبها لا محالة لاق جزاءه فكل ملك يستهين بشأن هذه الجنائيات، ويغفل عن معاقبة هؤلاء المجرمين كان في ملكه ضعف ووهن، ينسبه العقلاء إلى قلة الحياء والغيرة وسقوط الهمة، أما مالك الملك عز وجل فهو أغبر من كل غيور وأقوى من كل قوي فيجب أن يخشى بأسه ويخاف سطوته فكيف يتغافل عن المشركين وكيف لا يوفيهم جزاءهم رحم الله جميع المسلمين ووقاهم من آفات الشرك" (٣)

(١) وقد اعتاد الملوك في الهند تعيين أيام للصدقات على المساكين ومن أهم تلك الأيام، اليوم الذي اعتلى فيه الملك على عرش السلطنة فيقيم كل سنة حفلة لذكرى جلوسه عليه فيوزن بالذهب والفضة ثم يوزع ذلك في الفقراء وكان الملك يختص بهذا الرسم.

(٢) وكان الوزراء وكبار الناس في المملكة إذا دخلوا على الملك في الهند يقدمون إليه نقدا بوضعه في الراحة اليمنى بطريقة مرسومة يسمى ذلك نذرا، وأحيانا يقبله الملك وأحيانا يضع يده عليه فيرد إليهم فيعتبرونه شرفا عظيما.

(٣) تقوية الإيمان ص: ٥٣- ٥٦

المبحث الأول: تعريف الشرك، وأقسامه، والرد عليها، وإبطال الإشراك في صفة علم الغيب

المطلب الأول : تعريف الشرك وأقسامه

يقول الشاه: "إن العامة الذين يشركون مع الله أحدا من الخلق يزعمون أن الشرك هو مساواة المخلوق بالخالق بجميع الوجوه مع أن هذا الاعتقاد يأنفه البشر وليس من شأن الإنسان أن يتلوث به والشرك بالله ليس محصورا في أن يعتقد أن ما سوى الله شريك له في فعل من أفعال الربوبية فإن مشركي العرب الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين وقتلهم وأراق دماءهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم لم يكونوا مذعنين بهذا الاعتقاد بدليل قوله تعالى ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون ﴾ (١) وأمثال هذه الآية كثيرة جدا" (٢) ثم ثبت بأن الشرك الذي أبطله النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل لأجله هو الشرك في الألوهية بصرف شيء من العبادات إلى غير الله فيقول: "إن الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله، بل كانوا يقرون بأنهم مخلوقون وعبيد ولم يكونوا يعتقدون أبدا، بأن آلهتهم لا يقلون عن الله قدرة وقوة، وهم والله في كفة واحدة فما كان كفرهم وشركهم إلا نداءهم لآلهتهم واتخاذهم لهم شفعاء ووكلاء، والنذور التي كانوا ينذرون لهم والقرايين التي كانوا يقربونها بأسمائهم، فمن عامل أحدا بما عامل به الكفار آلهتهم وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد كان هو وأبو جهل في الشرك سواء (٣) ولذا يعرف الشرك بأنه شرك في الألوهية فيقول: "معنى الشرك أن يشرك أحدا من سوى الله معه تعالى في الألوهية أو الربوبية" (٤) ويعرف بعبارة أوضح من هذا فيقول: "إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بأعمال وأفعال خصه الله بذاته الرفيعة، وجعلها شعارا للعبودية، لأحد من الناس كالسجود لأحد والذبح باسمه والنذر له وكل

(١) سورة المؤمنون : ٨٨ - ٨٩

(٢) انظر رد الإشراك ص: ١٣ - ١٤

(٣) تقوية الإيمان ص: ٤٣ وأيضا ص: ٨٢

(٤) رد الإشراك ص: ١٤

ذلك يثبت به الشرك ويصير الإنسان به مشركا وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان أو الملك أو الجنى الذي يسجد له أو يذبح أو يندله أو يستغيث به أقل من الله شأننا وأصغر منه مكانا وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه، لافرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء والجن والشياطين والعفاريت، فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركا. "وقد وصف الله اليهود والنصارى الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم مثل ما غلا المشركون في آلهتهم، وغضب على هؤلاء الغلاة المنحرفين كما غضب على غلاة المشركين فقال ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ (١)(٢)

أقسام الشرك:

وقد ابتكر الشاه رحمه الله تقسيما للشرك المنتشر بين المسلمين فجعله في أربعة أقسام بحيث يشمل جميع أقسام الشرك المعروفة بين العوام، وهذا التقسيم مفيد في توضيح أمور الشرك وتقريبه إلى أفهام الناس فيقول بأن الأعمال والصفات التي يختص بها الله عز وجل كثيرة وفي كل منها يطرأ الشرك ونذكر منها أربعة أقسام مهمة وهي:

١- الإشراك في العلم ٢- الإشراك في التصرف ٣- الإشراك في العبادة ٤- الإشراك في العادة .

ثم يقول : " وهذه الأنواع الأربعة من الشرك قد جاء ذكرها صريحا في القرآن والحديث " (٣)

الإشراك في العلم:

ويقصد بالإشراك في العلم بأن العلم المحيط الشامل لكل صغير وكبير وغائب وحاضر وماضى وما سيأتى، صفة خاصة لله عز وجل لا يشاركه فيها أحد فمن وصف غيره بهذه الصفة يصبح مشركا. كما يقول الشاه : " إن من شأن الله وحده أن يكون حاضرا وناظرا في كل مكان، يعلم مَادِقَ وجل، وما بعد وقرب وخفي وظهر، لا تخفى عليه خافية في أي وقت، لافرق في ذلك بين نور وظلمة وبين سموات وأرضين، وبين قُلُلِ الجبال وأغوار البحار، هذا الشأن لله

(١) سورة التوبة : ٣١

(٢) تقرية الإيمان ص: ٤٤

(٣) المصدر السابق ص: ٥٢

الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة وهذه صفة خاصة بالله تعالى لا يشاركه فيها أحد فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق ويناديه قائما أو قاعدا ومن قرب وبعد ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء ويحمل على الأعداء باسمه ويختم ختمة باسمه أو يراقبه ويصرف همته إليه متمثلا صورته كأنه يشاهده ويعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب أو تمثل صورته أو قبره علم بذلك وعرفه وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء وأنه مطلع على ما يحل به من مرض وصحة وعسر ويسر وموت وحياة وحزن وسرور ولا تنطق به شفتاه عن كلمة ولا يجول بخاطره شيء إلا وعلم ذلك واطلع عليه كان بذلك مشركا وكل ذلك من أمور الشرك ويسمى هذا النوع "الإشراك في العلم" وهو إثبات صفة العلم المحيط لغير الله وإن كان هذا الإثبات لنبي أو ولي أو شيخ أو شهيد أو إمام أو ولد إمام (١) أو عفرية أو جنية سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته أو يعلم أنه منحة من الله وعطية منه وقد استقل بهذا العلم وأصبح له صفة لا تنفك عنه كل ذلك شرك" (٢)

الإشراك في التصرف:

أما الإشراك في التصرف فيفسره الشاه بأنه: "يجب أن يعتقد الإنسان أن التصرف في العالم بالإرادة وإصدار الأمر والنهي، والإماتة والإحياء كما يشاء والبسط والقبض في الزرق والإفاضة بالصحة والمرض والفتح والهزيمة وتسخير القضاء والقدر للإنسان حتى يكون النصر دائما حليفه ويكون محظوظا ولا تزال أموره في إقبال أو بالعكس وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني ودفع البلايا والإغاثة في الشدائد وانهاض العاثر هذه كلها من خصائص الله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء والشهداء والصلحاء والعفاريت.... فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم وطلب منه حاجاته وقرب القرابين والنذر لأجل ذلك أو ناداه في نازلة وبلية كان مشركا ويقال لهذا النوع الإشراك في التصرف سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم أو وهبهم الله تبارك وتعالى هذه القدرة ومنحهم هذه الكرامة" (٣)

(١) يقصد به أئمة الشيعة الذين يوصفون أئمتهم بصفات الألوهية وقد كانت هذه العقائد منتشرة في المسلمين لتأثرهم بالشيعة.

(٢) تقوية الإيمان ص: ٤٥

(٣) المصدر السابق ص: ٤٩

فهو يشير إلى توحيد الربوبية وما يقع فيه من الشرك، ولا شك فإن هذا النوع من الشرك قد وقع في المسلمين فأصبحوا يشركون مع الله في الربوبية التي لم يكن مشركوا مكة يشركون فيها.

الإشراك في العبادة:

أما الإشراك في العبادة، يشرحه الشاه بقوله "أن الله سبحانه وتعالى خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه وهي التي تسمى عبادة كالسجود والركوع والقيام بخشوع وخضوع..... كل هذا الأعمال علمها رب العلمين عباده، وخصصها لنفسه فمن أتى بها لشيخ طريقة أو نبي أو جني أو لقبر محقق أو مزور، أو..... فقد ثبت به الشرك، ويسمى الإشراك في العبادة سواء اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها وأنها جديرة بذلك أو اعتقد أن رضى الله في تعظيم هذه الأشياء وأن الله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم". (١)

هذا شرك في توحيد الألوهية التي طالما وقع النزاع بين الأنبياء والرسل وأتباعهم ولا يزال مستمرا إلى يومنا هذا.

الإشراك في العادات:

ويعرفه "بأن يعظم غير الله في الأعمال التي اعتادها تعظيما لا يليق إلا بالله" (٢) ثم ذكر أعمالا كثيرة ومعتقدات عدة تعود عليها الناس في حياتهم العادية كلها تنم عن الشرك (٣) ويفسره بأنه يبنى على عقيدته في الألوهية والربوبية فيقول: "إذا اعتقد أحد أن معبوده عالم بالعلم المحيط، متصرف بالتصرف القهري لاجرم أنه يعظمه في أثناء مجاري عاداته بأن يميز ما ينتسب إليه كاسمه وبيته ونذره وأمثاله ذلك من سائر الأمور بتعظيم ما" (٤)

ويقول بعد ذكر هذه الأقسام "وقد رد الله تعالى في محكم كتابه أولا وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ثانيا على جميع أنواع الشرك على أصوله وفروعه وذرائعه وأبوابه وبجمله ومفصله" (٥)

(١) المصدر السابق ص: ٤٧

(٢) تقوية الإيمان ص: ٥٢

(٣) انظر التفصيل في المصدر السابق ص: ٤٩-٥٢

(٤) رد الإشراك ص: ١٥

المطلب الثاني: رد الإشراك في صفة علم الغيب،

ونفيها عن جميع الخلق

الذين يصرفون بعض العبادات إلى القبور والمشائخ والأئمة من القبوريين والخرافيين، يعتقدون فيمن يعبدونهم بأنهم يعلمون الغيب ولا تخفى عليهم خافية في السماء ولا في الأرض ويدعون بأن الأولياء والمشائخ يعلمون ما في اللوح المحفوظ، فكأنهم يساؤون المخلوق بالخالق في صفة العلم المحيط الشامل (١)

فيرد عليهم الشاه رحمه الله فيقول: "قال الله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (٢) هذه الآية تدل على أن مفاتيح الغيب بيد الله سبحانه وتعالى لا يعلمها أحد سواه واعلم أن الله تعالى قد وهب عباده قوى ووسائل للاطلاع على أمور ظاهرة فجعل لهم العين ليصروا والأذن ليسمعوا والأنف ليشموا واللسان ليزوقوا واليد ليجسوا والعقل ليفهموا وقد مكنتهم من هذه الطرق والوسائل ليستخدموها في حاجاتهم فكلما أراد الإنسان أن يصر فتح عينه وإلا أطبقها وإذا أراد أن يتذوق شيئا أدخله في فمه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل فكأنما أعطاه مفاتيح للاطلاع على هذه الأشياء واكتشافها ومن كان عنده مفاتيح كان قادرا على فتح القفل إن شاء فتح وإن شاء لم يفتح فكان الاطلاع على الأمور الظاهرة في تصرف الناس وكانوا أحرارا فيه يتصرفون فيه كيف يشاؤون.

وأما شأن الاطلاع على الغيب فهو خاص بالله تعالى وهو يملكه ويتصرف فيه كما يشاء وهو صفته الدائمة ولم يقدر وليا أو نبيا أو جنيا أو ملكا أو شيخا أو شهيدا أو إماما أو سليل إمام أو عفرينا أو جنية على أن يطلعوا على الغيب متى شاؤوا، إن الله قد يطلع من يشاء على ما يشاء ومتى يشاء ولا يجاوز علمه ما أراد الله اطلاعه عليه مثقال ذرة، وكان ذلك وفق إرادة الله تعالى لاهوائهم" (٣)

(٥) رد الإشراك ص: ١٥

(١) انظر البريلوية / فصل في معتقداتهم ص: ٥٥

(٢) سورة الأنعام: ٥٩

(٣) تقوية الإيمان ص: ٦٦ - ٦٧

ثم استدل على نفي علم الغيب من المخلوق بما كان عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم من عدم علمه في قصة الإفك التي أودى بها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرف حقيقتها حتى نزل الوحي، وبعد ذكر القصة يقول: " فعلم من ذلك يقينا أن مفتاح الغيب بيد الله سبحانه، ولم يملكه أحد غيره وليس له خازن بل هو الذي يفتح هذا القفل بيده، فيهب لمن يشاء ما يشاء لا يمسك أحد يده ولا يمنعه عن ذلك أحد" (١)

وقد ركز على نفي علم الغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وعن الأنبياء والأولياء وغيرهم عامة فيقول الشاه رحمه الله: " وقد نفي الله عز وجل القدرة المطلقة والاستقلال بعلم الغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿ قل لأملك لنفسي نفعا ولاضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ *

"وكان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء والمرسلين وقد شاهد الناس معجزاته الباهرة، ومنه تعلموا أسرار الدين، وغوامض الأمور واتباعه واقتفاء أثره نال من نال الشرف في الناس والمنزلة عند الله، فأمره بأن يخبر الناس بخبره حتى يقيس به الناس غيره فإذا كان هو لا يقدر على شيء ولا يعلم الغيب فلا يملك لنفسه نفعا ولاضرا ولو كان يعلم الغيب عرف عواقب الأمور، فإذا عرف عن أمر أن فيه خيرا أقدم عليه وإذا عرف أنه لاخير فيه أمسك عنه" (٢) وكذلك نفي النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه القدرة المطلقة والعلم بالغيب، إنما أكرمه الله بالرسالة وشرفه بالنبوة..... " ثم ذكر وظائف الرسل وسبب كرامتهم ومنزلتهم وبين بأن الله شرف الأنبياء والأولياء على الخلق لأعمالهم الصالحة ودعوتهم إلى الحق والتوحيد وهدايتهم للناس ثم يقول: "وليس شرفهم بأن يمنحهم الله قدرة التصرف في العالم فيميتون من يشاؤون أو يرزقون أولادا... وكذلك ليس شرفهم بأن الله تبارك وتعالى مكنهم من علم الغيب فيطلعون

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٩

* - سورة الأعراف : ١٨٨

(٢) كما جاء في الحديث الصحيح: " ولو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما سقت معي المهدي ". انظر

صحيح البخاري في الحج - ١٦٥١

على خواطر النفوس متى شاؤوا ... فقد تساوى في ذلك جميع الناس صغارهم وكبارهم وهم
عن ذلك في عمى..." (١)

وبهذا التفصيل أثبت الشاه رحمه الله بأن اللجوء إلى الخلق وطلب الدعاء منهم ونداءهم
كله باطل لا يستسيغه عقل ولا يجوز شرع ولذا وجب على الجميع الرجوع إلى الله عز وجل في
كل صغيرة وكبيرة.

ثم إنه فصل في نفي علم الغيب عن غير النبي صلى الله عليه وسلم مستدلاً بأحاديث منها"
أخرج البخاري عن الربيع بنت معوذ قالت: جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بني
علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جوهرات لنا يضررن بالدف ويندبن من قتل
من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفيما نبي يعلم ما في غد، قال: دعني هذه وقولي بالذي
كنت تقولين" (٢) وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن لا يعتقد الإنسان في نبي أو ولي وإمام
أو شهيد أنه يعلم الغيب بل لا يصح هذا الاعتقاد في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح أن
يمدحه بذلك في شعر أو كلام أو خطبة..." (٣)

كما استدل بقول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ﴾ (٤) فاذا كان هذا شأن القيامة التي هي من الأمور القطعية وضروريات الدين، لا يعلمها
أحد، فما ظنك بغيرها من الأخبار والحوادث كالفتح والهزيمة والسقم والصحة فإنها لم تشتهر
كاشتهار القيامة ولم تكن هي قطعية و يقينية كالقيامة، كذلك لا يعرف أحد متى ينزل المطر مع
أن الفصول محددة ومعينة، وللمطر فصل وحين، وتجيئ فيه الأمطار في غالب الأحيان، وقد
تشدد إليه حاجة البشر ويتمناه الأنبياء والأولياء والملوك والحكماء في بعض الأحيان ويرغبون
فيها أشد الرغبة، فلو كان إلى العلم به سبيل لاهتدى إليه بعض الأفراد أما الأشياء التي ليس لها
فصل معين وجميع الناس يرغبون فيها كأن يموت رجل أو يعيش أو يرزق أحد ولدا أو يغني
الإنسان أو يفتقر أو أن ينكسر أحد في حرب أو ينتصر فلا سبيل إلى علمها لأحد، وكذلك ما

(١) تقوية الإيمان ص: ٧٥-٧٧

(٢) أخرجه البخاري في المغازي - ٤٠٠١

(٣) تقوية الإيمان ص: ٧٨

(٤) سورة لقمان : ٣٤

كان في الأرحام من نطفة فلا يعلم أحد هل هي واحدة أو توأم ذكر أو أنثى كاملة أو مخدجة، جميلة أو دميمة مع أن الأطباء قد ذكروا أسبابها ولكنهم لا يعلمون شيئا بالاختصاص".

ثم يستطرد في بيان ذلك فيقول: " وإذا كان هذا شأن أمور تظهر أماراتها وتعرف مقدماتها فكيف بما يضمرة الإنسان من أفكار وإرادات ونيات وإيمان ونفاق وإذا لم يعلم أحد ما مصيره غدا وما هو فاعله فكيف يعلم حال غيره؟ وإذا لم يعلم مكان موته فكيف يعلم أين يموت فلان ومتى يموت؟" (١)

المطلب الثالث : طرق معرفة الغيب كلها كذب وزور و ادعاء بالالوهية،

إن الناس يعتمدون في استكشاف أمور الغيب على أشياء كثيرة وهي منتشرة في مجتمع المسلمين ثم إنهم يؤمنون بالنتيجة التي يحصلون عليها بهذه الطرق إيمانا جازما ولا يكادون يشكون فيها ويرد عليها الشاه فيقول: " وبالجملة إن الذين يدعون الغيب أو يدعون الكشف ومن الناس من يعلم طريق الاستخارة التي لا تخطأ قط ومنهم من يستخرج الأخبار من تقويم النجوم أو الرمل ومنهم من يطوف في الناس وفي يده كتاب يبحث عن الفال، فإنهم جميعا كاذبون مزورون فعلى المسلم الصادق أن يتعد عنهم ولا يقع في شراكهم". (٢)

ثم يقرر بأن دعوى علم الغيب من مخلوق بمثابة دعوى الألوهية لأنه يدعي في نفسه صفة من الصفات الألوهية، فيقول: " وقد دلت هذه الآية على أن من ادعى علما يعرف به الغيب متى شاء، وأن الاطلاع على الأمور المستقبلية في اختياره وتحت تصرفه كان كذابا يدعي الألوهية ومن اعتقد ذلك في نبي أو ولي أو حفي أو إمام أو ابن إمام... أو متفائل (٣) أو غير ذلك أو كاهن أو سادن كان مشركا ومنكرا لهذه الآية الكريمة" (٤).

(١) تقوية الإيمان ص: ٧٠ - ٧٢

(٢) المصدر السابق ص: ٧٢

(٣) وقد اعتاد الناس في الهند وغيرها إذا عمي عليه أمر أو وقعوا منه في حيرة أخذوا كتابا يعتقدون في مولفه خيرا يفتحون منه من غير تخير فما واجههم من الصفحة التي فتحوها تفاءلوا به خيرا أو شرا وقد كثر الاعتماد في شبه القارة الهندية وفي إيران على " ديوان حافظ" وهو شاعر إيراني صوفي شمس الدين بهاء الدين المتوفي ٧٩٣هـ انظر حاشية تقوية الإيمان ص: ٦٩، وقد يفعلون مثل هذا الفعل مع

رد شبهة حول وقوع ما تنبأ المتنبئون:

ثم يرد على شبهة بأن إخبارهم للغيب قد يقع فيقول: "ومن سولت له نفسه و وسوس له الشيطان أنه قد يقع ما يخبر به منجم أو رمال أو كاهن أو متحرف الأخبار بالسعد والنحس فيدل ذلك على علمه الغيب كل ذلك باطل، فإن كثيرا ما تخطئ أخبارهم، ويقع عكسها، فتحقق من ذلك أن علم الغيب ليس من صفاتهم وتصرفهم وإنما يقولون رجما بالغيب قد يصيبون، وقد يخطئون وهذا هو الشأن في الكشف والاستخارة ومن يبحث عن الفال في المصحف (١) وبازاء ذلك لا خطأ في الوحي، والوحي ليس في اختيار الأنبياء وإنما ذلك من الله إذا شاء أوحى إليهم بما شاء وإذا لم يشأ لم يوح إليهم، لأنهم لا أثر لرغبتهم في ذلك كما قال الله تعالى ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾* (٢)

المصاحف أيضا ولهم في ذلك آداب وشروط وقد اعتاد الناس في الهند طباعة تلك الطرق بعنوان "التفاؤل من المصحف" أمام المصاحف المترجمة .

(٤) انظر تقوية الإيمان ص: ٦٩ وهو يشير إلى آية ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾

(١) تقدم التعليق عليه ص: ٣٠٤

* - تقوية الإيمان ص: ٧٠

(٢) سورة النمل / ٦٥

المبحث الثاني : ذكر جملة من أنواع الشرك وسد الذرائع الموصلة إليها

المطلب الأول : الشرك في الدعاء والرجاء والخوف والذبح والنذر
والحلف بغير الله و في الطاعة

١- الدعاء

الشرك قد عم وطم ووقع في كثير من العبادات ومنها الدعاء، فالدعاء أعظم وأجل عبادة أمر بها الله عز وجل عباده المؤمنين وجعل عليها مثوبة عظيمة وحث عليها ودعا إليها وفي القرآن آيات كثيرة تأمر بدعاء الله عز وجل والإخلاص فيه ﴿ أدعو ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ (١) ويقول ﴿ واسألوا الله من فضله... ﴾ (٢) ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: " ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثم يقول: " من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟" (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم: " الدعاء هو العبادة" (٤)

ونقل ابن حجر عن الجمهور بأن الدعاء من أعظم العبادات فهو كالحديث الآخر " الحج عرفة" (٥) أى معظم الحج وركنه الأكبر. (٦)

(١) سورة الأعراف : ٥٥

(٢) سورة النساء : ٣٢

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - التوحيد - باب قول الله تعالى: (يريدون أن يدلوا كلام الله) إنه لقول فصل برقم ٧٤٩٤

(٤) رواه أبوداود ١٤٧٩ والترمذي ٣٣٧٢ وابن ماجه ٢٨٢٨ والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ١ / ٦٤١

(٥) أخرجه أبوداود - المناسك - ١٩٤٩ والترمذي - الحج - ٨٨٩ والنسائي - الحج - ٣٠٤٧ وابن ماجه - ٣٠١٥ الحديث صحيح انظر إرواء الغليل ٤ / ٢٥٦

(٦) فتح الباري ١١ / ٩٤ وانظر التفصيل في هذا الموضوع " تيسير العزيز الحميد " ص: ٢١٨

وتكلم الشاه رحمه الله بأسلوبه السهل الصريح عن الشرك في الدعاء الذي وقع فيه كثير من الناس، وتناول جميع جزئياته بالرد والإبطال فيقول: "قال الله تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ (١) فإن الآية دلت على أن المشركين قد أمعنوا في الجهل والسفاهة حيث عدلوا عن الله القادر العليم إلى أناس لا يسمعون دعاءهم وإن سمعوا لا يستطيعون الإجابة لأنهم لا يقدرُونَ على شيء فإن دعاءهم أحد إلى يوم القيامة لا يستجيبون فظهر من ذلك أن الذين يدعون الصالحين الذين كانوا في الزمن الماضي من بعيد ويقولون: ياسيدنا ادع الله لنا يقض حاجتنا ويزعمون أنهم ما أشركوا، لأنهم لم يطلبوا منهم قضاء الحاجة وإنما طلبوا منهم الدعاء، فهذا باطل فإنهم ما أشركوا عن طريق طلب قضاء الحاجة لكنهم أشركوا عن طريق النداء فقد ظنوا أنهم يسمعون نداءهم عن بعد كما يسمعون نداءهم من قريب وكان ذلك سواء في حقهم ولذلك نادوا من مكان بعيد مع أن الله سبحانه تعالى يقول ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ (٢)"

فالشاه يقرر بأن الطلب من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، فكثير من المشركين يبررون دعوتهم للأموات بأنهم لم يطلبوا منهم شيئاً بل جعلوهم واسطة بينهم وبين الله بأن يدعو لهم من الله عز وجل، وهذا أيضاً باطل حيث توجهوا بالدعاء إلى الأموات الذين لا يقدرُونَ على سماع دعوتهم فضلاً أن يقدرُوا على إجابتها، ثم إن طلب الدعاء من الأنبياء والأولياء والملائكة وإن كانوا أحياء لم يرد به شرع ولا عمل به سلف الأمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين ولا يستشفعوا بهم لابتعد مما تهم ولا في مغيهم فلا يقول أحد، ياملائكة الله اشفعوا لي عند الله سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يانبي الله، يا رسول الله ادع الله لي، سل الله لي، استغفر الله لي، ولا يكتب أحد ورقة ويلقها عند القبر ولا يكتب أحد محضراً أنه استجار بفلان ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين كما يفعله النصارى في كنائسهم وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء

(١) سورة الأحقاف: ٥

(٢) تقوية الإيمان ص: ٧٤

والصالحين أو في مغيبهم فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر وإجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع هذا لأتمته (١)

٢- الخوف الرجاء

يدعو الشاه رحمه الله إلى إخلاص الدعاء والخوف والرجاء من الله عز وجل بحيث لا يرجى إلا منه ولا يخاف إلا منه ويقرر هذا المعنى في شرح الآية ﴿وَأَن الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا ﴿(٢)﴾ "وقد جرت العادة أن الإنسان إذا أخلص في الدعاء والنداء وتوجه إلى الله توجها ممعنا اعتقد الناس أنه قد بلغ في الولاية والروحانية منزلة يقدر فيها على أن يعطي من شاء ما شاء ويسلب ممن شاء ما شاء فيلتفتون حوله ويتهافتون عليه تهافت الفراش على الشمعة ويكادون يكونون عليه لبدا، فعلى هذا العبد الصالح أن يكشف الحقيقة ويميز الحق من الباطل وينهى عن دعاء غير الله وينفي القدرة على النفع والضرر ويوضح أن من دعا غير الله ورجا النفع منه أو دفع الضرر فقد أشرك ويعلن أنه بريء من هذا الشرك (٣)

٣- الذبح لغير الله

فإن الذبح لله عز وجل عبادة عظيمة والذبح لله أجل ما يتقرب به إليه و أجل عبادة مالية النحر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثير الصلاة وكثير النحر (٤)

ولكن المسلمين في الهند وغيرها من البلاد كانوا ولا يزالون يذبحون الذبائح لغير الله عز وجل فيذبحون على المشاهد ويذبحون للجن تخلصا من أذاهم فهذا شرك وينكر الشاه على أولئك الذين يذبحون لغير الله فيقول: " قال الله تعالى: ﴿...أو فسقا أهل لغير الله به...﴾ (٥)" والمراد به دابة أو حيوان خصص لغير الله فلا يمس بسوء ويعيش محترما ومعظما وإذا ذبح ذبح إرضاء لمن خصص به وتقربا إليه فإنه حرام ونجس كالخنزير والدم المسفوح والميتة لافرق بينها وبين هذا

(١) انظر مجموع الفتاوى ففيه تفصيل جيد ١٦٢ / ١

(٢) سورة الجن : ١٨ - ٢٠

(٣) تقوية الإيمان ص: ١٠٢

(٤) الفتاوى: ١٦ / ٥٣١

(٥) سورة الأنعام : ١٤٥

الحيوان، ولم تصرح الآية بأن يذكر عليه اسم مخلوق عند الذبح بل إنها اقتضت على أن كل حيوان نسب إلى مخلوق وأهل به حرام ونجس (١) كالبقرة المنسوبة إلى السيد أحمد الكبير (٢) والتيس المنسوب إلى الشيخ سدد (٣) وكل حيوان دجاجة كانت أو بعيرا نسب إلى مخلوق تقربا إليه واشتهر بهذه النسبة كان حراما ونجسا سواء عزي إلى ولي أو نبي أو أب أو جد أو عفريت أو جنية ومن فعل ذلك ثبت عليه الشرك. " (٤)

ويستدل عليه من السنة فيقول: " أخرج مسلم عن أبي الطفيل أن عليا رضي الله عنه أخرج صحيفة مكتوب فيها لعن الله من ذبح لغير الله (٥) يدل الحديث على أن الذبح لغير الله من الأعمال التي خصصها الله لتعظيمه ومن ذبح لغير الله فقد أشرك... (٦)

النهي عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله

الشريعة جاءت بالنهي عن كل ذريعة توصل إلى الشرك والمنكر فنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الذبح في مكان يذبح فيه الجاهليون فيقول الشاه رحمه الله يشرح ذلك " أخرج أبو داود عن ثابت بن ضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبده؟ قالوا: لا، قال: كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية

(١) إن الشاه رحمه الله أراد أن يطل حجة المشركين الذين يقولون: بإننا لا نذكر عند الذبح إلا اسم الله عز وجل فلا يكون شركا، فيرد عليهم بأن الآية لا تنص على أنه لا يكون حراما إلا إذا ذكر اسم غير الله عند الذبح بل يكفي لحرمة ونجاسته وكونه شركا نسبته إلى غير الله .

(٢) يغلب على الظن بأنه السيد أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية. تقدمت ترجمته ص:

(٣) شخصية خيالية لا وجود لها، وغالب من يعتقد فيها، ويذبح لها لقضاء الحاجات وأداء النذور، النساء.

(٤) نور اللغات ٣/ ٤٦٢ نقلا من حاشية تقوية الإيمان المترجم بالعربية ص: ١٠٦

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٠٥ - ١٠٧

(٥) أخرجه مسلم في الأضاحي (١٩٧٨)

(٦) تقوية الإيمان ص: ١١٤

الله" (١) يدل الحديث على أنه لا يجوز سوق دابة للذبح لله إلى مكان تذبح فيه لغير الله، وتقرب فيه القرابين لغير الله أو يعبد فيه غيره ويجتمع الناس هناك على شرك وإن صحت النية وصلحت العقيدة لأن التشبه بهم أمر قبيح لا يجوز" (٢)

٤- النذر لغير الله

النذر عبادة ويدل عليه مدحه تعالى لمن وفي به كقوله ﴿يوفون بالنذر﴾ (٣) وإن الله لا يمدح إلا على فعل يثاب فاعله ويطلب منه وهي العبادة (٤) فوجب إذا ألا ينذر إلا لله عز وجل فمن نذر شيئاً إلى غيره فقد أشرك.

ومن هنا نرى الشاه رحمه الله يمنع النذر لغير الله فيقول في شرح الحديث السابق "والحديث دليل على تحريم النذر لغير الله، فلا يحل هذا النذر، فإن نذر أحد لجهله للدين فلا وفاء عليه، فانه إثم ولا يجوز التمادي والإلحاح على ذنب بل هو ذنب أكبر" (٥)

ويقول رداً على الناذرين للمخلوق بالدواب والأطعمة ونحوها من الأمور التي كان يراها معروفاً في مجتمعه بأنها لا تجوز فيقول: "قال الله تعالى ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افترء عليه سيحزيهم بما كانوا يفترون﴾" (٦)

"والمفهوم أن الناس يشرعون شرائع من تلقاء أنفسهم فيقولون: الطعام الفلاني ممنوع مقلد يتناوله فلان ويتناوله فلان وقد يسيئون أنعاماً ويحرمون ظهورها فلا يركبها أحد ولا يحمل عليها حمل، فإنها نذر لفلان، فيجب تعظيمها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها وإنما يقصدون بها التقرب إلى غير الله تعالى والذبح باسمه، اعتقاداً بأنهم ينالون رضاء الله عن ذلك، ويقضي الله بذلك حوائجهم فهذا كله افترء وكذب سيلقون جزاءه، وقال تعالى ﴿ما جعل

(١) أخرجه أبوداود - الإيمان والنذور - ٣٣١٣ وصحح الحافظ سننه في التلخيص ٤ / ١٨٠ وصحح

الحديث الشيخ الألباني - صحيح الجامع الصغير ٢٥٤٨

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٦

(٣) سورة الإنسان ٧/

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص: ٢٠٣

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٤٦ الأولى أن يقال شرك أكبر، لأن النذر عبادة وصرفه إلى غير الله شرك.

(٦) سورة الأنعام / ١٣٨

الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴿١﴾.... تدل الآية على أن تخصيص دابة باسم رجل ممن يعتقد فيهم القدرة على النفع والضرر، والحماية والنذر وإشعارها بذلك، وتعين أن لا يتقرب إلى فلان إلا بيقرة ولا إلى فلان إلا بشاة ولا إلى فلان إلا بدجاجة كلها أمور باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليست هذه الأمور إلا سفاهة وهذيانا ومعارضة لأحكام الله وشريعته" (٢)

٥- النهي عن الحلف بغير الله

الحالف لا يحلف بشيء إلا إذا كان في قلبه للمحلف به عظمة واعتقاد قدرته على الانتقام منه إن كان كاذبا ونحوها من الصفات الألوهية، وقد نهى عن الحلف بغير الله حتى لا يكون قلب العبد معلقا بغيره، ويقول الشاه رحمه الله في بيان تحريم الحلف بغير الله: "أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من حلف بغير الله فقد أشرك" (٣) فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في هذا الحديث عن الحلف بغير الله فإنه شرك، وقد أجمع العلماء على أن الحلف بغير الله حرام" (٤)

وقد اتفق العلماء بأنه لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة، والملائكة، والنهي عن ذلك نهى تحريم عند أكثرهم...." (٥)

ووجه كون الحلف شركا، بأن أكثر العامة لتعلقهم بالأولياء، ولاعتقادهم فيهم القدرة العظيمة، والسر أو التصرف لا يقدمون على الحلف بهم إن كانوا كاذبين ويحلفون بالله إيمانا لا ليالون فيها صدقهم أو كذبهم، أما إذا طلب منهم أن يحلفوا بمن يعتقدون فيه، فلا يحلفون إلا إذا كانوا صادقين، لأن المحلف به عندهم أخوف وأجل وأعظم من الله وأسرع انتقاما من

(١) سورة المائدة / ١٠٣

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٢٦-١٢٧

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان والنور (١٥٣٥) وأبو داود أيضا في نفس الكتاب (٣٢٥١)

والحديث صحيح انظر إرواء الغليل (٢٥٦١) والسلسلة الصحيحة (٢٠٤٢)

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٤٤

(٥) انظر الفتاوى ٢٧ / ٣٢٩

الله عزوجل ثم يحكون حكايات كثيرة تدل على ما نزلت من النكبات على من حلف بالأولياء كاذبا لترسيخ الاعتقاد فيهم. (١)

ثم ذكر الشاه رحمه الله عددا من الأحاديث التي ورد فيها النهي عن الحلف بغير الله ثم يقول في شرحها: "تدل هذه الأحاديث على أن الحلف بمن كان يحلف به المشركون في الجاهلية من الطواغيت والأصنام والآباء يضر بالإيمان والعقيدة، فإذا صدر هذا من المسلم فليقل لآله إلا الله، وليتب إلى الله تبارك وتعالى، وكذلك من أراد أن يحلف فليحلف بالله أو يلتزم السكوت لأن السكوت خير من الحلف بغير الله" (٢)

٦- الشرك في التشريع

التشريع حق خالص لله عزوجل فلا حلال إلا ما أحله الله على لسان رسوله ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، فلا يعبد الله إلا بما شرع، فالطاعة في التحليل والتحريم لأحد من الخلق شرك بالله كما يقرر ذلك الشاه بأن "من لم يترك قول إمامه مع مخالفته الأحاديث الصحيحة ففيه شائبة من الشرك كما يدل عليه حديث الترمذي عن عدي بن حاتم أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله "اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم فقال يا رسول الله إنا لم نتخذ أبحارنا ورهباننا أربابا فقال: إنكم حللتم ما أحلوا وحرمتم ما حرموا" (٣) وليس المراد بالتقليد في العقائد على ما ينطق به لفظ حللتم وحرمتم فإن التحليل والتحريم إنما يستعملان في الأفعال" (٤) فيقرر بأن الشرك يثبت بالأفعال أي بطاعتهم في التحليل والتحريم لأنه غالب ما يطلق على الأفعال، ويفصل فيه بقوله: "إن في اتباع شخص معين بحيث يتمسك بقوله وإن ثبت على خلافه دلائل من السنة والكتاب ويؤولهما إلى قوله شوب من النصرانية وحظ من الشرك والعجب من القوم لا يخافون من مثل هذا الاتباع بل يحيفون تاركه فما أحق هذه الآية في جوابهم ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ﴾ ولا يخافون أنكم

(١) انظر حاشية الشيخ ابن باز على فتح المجيد ص: ٤٢٥

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٥-١٤٦

(٣) تقدم ترجمته ص: ١٥١

(٤) تنوير العينين في إثبات رفع اليدين ص: ٢٧

أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴿١﴾
فتدبر وانصف ولا تكن من الممترين ونعوذ بالله ان نكون من المتعصبين. " (٢)

إن الله أنكر على المشركين اتخاذ الشريعة من غير أن يأذن الله كما في الآية ﴿٣﴾ أم لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴿٤﴾ (٣) واتخذ الضالة من المسلمين تشريعات من عند
أنفسهم معرضين عن الكتاب والسنة، فيرد الشاه هذه التشريعات ويقول ينهى عنها: "قال الله
تعالى ﴿٥﴾ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفتنون على الله
الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴿٦﴾" (٤)

يقول في شرحها: "قال الله تعالى: إن شيئا من ذلك لم يشعه ولم يأمر به إنما هو افتراء منه
وتدل الآية على أن تخصيص دابة باسم رجل ممن يعتقد فيهم القدرة على النفع والضرر والحماية
والنصر وإشعارها بذلك كلها أمور باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليست هذه الأمور
إلا سفاهة وهذيانا ومعارضة لأحكام الله وشريعته" (٥)

ثم يرد على ما شرع المبتدعة لأنفسهم بتحريم بعض الأشياء فيقول: "قال الله تعالى ﴿٧﴾ وقالوا
هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام
لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيحزيهم بما كانوا يفتنون ﴿٨﴾" (٦) أي أن الناس يشرعون
شرائع من تلقاء أنفسهم فيقولون: الطعام الفلاني ممنوع مقدس يتناوله فلان ولا يتناوله فلان،
وقد يسيبون أنعاما ويحرمون ظهورها، فلا يركبها أحد، ولا يحمل عليها حمل، فإنها نذر لفلان،
فيجب تعظيمها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها وإنما يقصدون به التقرب إلى غير الله تعالى
والذبح باسمه اعتقادا بأنهم ينالون رضى الله من ذلك، ويقضي الله بذلك حوائجهم فهذا كله
افتراء وكذب سيلقون جزاءه" (٧)

(١) سورة الأنعام / ٨١

(٢) تنوير العيين ص: ٢٨

(٣) سورة الشورى / ٢١

(٤) سورة المائدة / ١٠٣

(٥) تقرية الإيمان ص: ١٢٦

(٦) سورة الأنعام / ١٣٨

(٧) تقرية الإيمان ص: ١٢٦

ويواصل الرد عليهم فيذكر عددا من التشريعات التي لم ينزل الله بها من سلطان ويرد عليها فيقول: "قال الله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾" (١) والمقصود النهي عن الاستبداد في التحليل والتحريم والإباحة والمنع اعتمادا على الأهواء والتقاليد والعادات، فإن هذا تشريع في الدين والتشريع من حق الله تعالى وحده، وأما ما يعتقد به بعض الناس أن من فعل كذا تمت حاجاته ومطالبه وإلا لا تتحقق مآربه وتطرق إليها الفساد فهذه العقيدة باطلة لأصل لها وافتراء على الله والمفتري على الله لا يفلح في مآربه."

"علم من هذه الآية أن ما شاع في الناس من النهي عن أكل التنبول (٢) ولبس الثوب الأحمر في شهر محرم، وعن تناول الرجال طعاما يطبخ للسيدة فاطمة، وما يلتزمه الناس من خضراوات في تهيئة هذا الطعام، ويكون فيه من أسباب الزينة من حناء ومسحوق الأسنان، ولاتأكل هذا الطعام جارية وامرأة تزوجت بزواج ثان، ولاتقربه أحد من الطبقة الوضيعة ولا الفاجر، وما تعارفه الناس من تخبيص الخبيص، بزاد الشيخ عبد الحق، ويلزم الاحتياط والأدب في تهيئته ويمنع منه من تعود على النارجيلة، وما خصص للشاه مدار، والشيخ أبي على القلندر (٣) ولأصحاب الكهف من أطعمة لها أنواع خاصة، وما اعتاده الناس وتمسكوا به من تقاليد وعادات في العرس والزواج، وعلى إثر موت رجل من الأقارب، وفي المآتم، وما يحرم من الزواج بعد موت رجل من الأقارب والعظماء، ويمنع هؤلاء عن الحضور في هذه الأعراس، وما يكره من أعمال، وصنع بعض الأطعمة وصنع بعض أنواع الكامخ والمخلل في البيوت، ولبس بعض الناس من اللون الأزرق ومن اللون الأحمر، وبعض أنواع القماش لبعض الطبقات، فكل ذلك من اختراع الناس ووقوعهم في الضلال، والحكم بغير ما أنزل الله، ومن أنواع الشرك، والتدخل في ملكه، ومعارضة شرعه بشرع يشرعونه." (٤)

(١) سورة النحل / ١١٦

(٢) هي أوراق شجرة معروفة في الهند، فإذا مضغوها تحمر الأسنان كأنها حبات الرمان، ويمتلى الفم بالرائحة الطيبة، ويفرح القلب، انظر العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ص: ١٥

(٣) هو شرف الدين أبو على القلندر أحد الصوفية، ينتمي إلى طريقة سهروردية توفي سنة ٧٢٤هـ

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٢٨-١٢٩

المطلب الثاني : حماية التوحيد بسد جميع الذرائع إلى الشرك

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن جميع الأقوال والأفعال والعادات التي تمس جناب التوحيد بل حماه عن كل وسيلة وذريعة قولية كانت أوفعلية توصل إلى الشرك، فالنهى عما يضر الأساس حماية له، والنهى عن الشرك بأقسامه صيانة للتوحيد، وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم عن إطلاق السيد على غير الله، ونهى عن الحلف بغير الله وعن الغلو في المدح وغيرها من الأفعال والأقوال وقد تناولها الشاه بالشرح والبيان .

أولاً: النهي عن الكلمات الشركية

ومن كمال حماية النبي صلى الله عليه وسلم للتوحيد منعه من الكلمات الشركية منها:

١ - نهيه عن إطراء النبي صلى الله عليه وسلم وغيره

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو في مدح شخصيته لأن المبالغة في ذاته سيؤدي إلى وصفه بصفات فوق صفات البشرية كما أن النصارى لما تجاوزوا الحد في مدح عيسى ادعوا فيه الألوهية، وقد وقع في الأمة ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول الشاه يرد هذه المعتقدات: "أخرج الشيخان عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله" (١)

ويقرر في شرحه أن منصب الرسالة يتضمن جميع المحامد والمحسن ثم إن كونه رسولاً لا يعني أنه اتحد مع الله أو حل فيه أو ذاب في ذات الله كما يذوب الملح في الماء ونحوها من الاعتقادات الفاسدة فيقول: "فلا يصح مثل هذا القول في عبد من عباد الله فإن النصارى كفروا بهذا الاعتقاد في المسيح عليه السلام وابتعدوا عن رحمة الله تعالى ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن تقليد النصارى في إطرائهم لبيهم وغلوهم فيه فاستحقوا غضب الله ولعنته". ثم يقول: "ولكن الأسف أن الغلاة من هذه الأمة لم يمثلوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقلدوا النصارى في أقاويلهم وما زاد النصارى على أن قالوا: إن الله سبحانه وتعالى قد ظهر في زي عيسى عليه الصلاة والسلام ولباسه، فهو بشر من ناحية وإله من ناحية أخرى وقد قال بعض الغلاة من المسلمين مثل ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه البخاري - الأنبياء (٣٤٤٥) الفتح ٦/ ٤٧٨ والحديث انفرد به البخاري دون مسلم.

في الجملة همين بود كه مي آمد و مي رفت هر قرن كه ديدي
در عاقبت آن شكل عرب وار برآمد داراي جهان شد
يعني لقد كان الله في إياب وذهاب في كل قرن حتى ظهر أخيرا في صورة عربي وملك
العالم كله.

وقال بعضهم: (١)

تقدير بيك ناقة نشانيد دو محمل سلمايـ حدوث تو وليلايـ قدم را
تا مجمع امكان ووجوب نه نوشتند مورد متعين نه شد اطلاق اعم را
ومعناه: أن القضاء والقدر قد أركب على ناقة ظعيتين، إحداهما سلمى الحدوث (يعني به
حدوث النبي صلى الله عليه وسلم) وأخرهما: ليلي القدم (٢) (يعني به ذات الله القديمة) وما لم
يكتب قلم القضاء في لوح الإمكان والوجوب لم يتعين مورد للاطلاق المطلق (٣) وقد جاوز حد
الاعتدال بعض الكذاب والخذاع فنسب ذلك إلى نبينا صلى الله عليه وسلم زعم أنه قال: "أنا
أحمد بلاميم" وقد زور عبارة عربية طويلة مملوءة بخرافات كثيرة، وسماها بخطبة الافتخار ونسبها
إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. سبحانهك هذا بهتان عظيم، سود الله وجوه الكاذبين
وخذلهم وكما أن النصاري يعتقدون أن المسيح عليه السلام يملك جميع أمور الدنيا والآخرة
فيدبر الأمر كما يشاء فمن آمن به وابتهل إليه لم يحتج إلى شيء من العبودية والعبادة ولم يضره
ذنـب ولا يميزله بين الحرام والحلال فإنه يكون لله كسائبة، يفعل ما يشاء، وينجيه عيسى عليه
السلام في الآخرة بشفاعته عن النار ومن عذاب الله تعالى.

(١) القائل، الشاعر الفارسي الشهير بـ "عربي" والشعر له انظر "الفرقان" المجلة الشهرية ص: ١٨٩

(٢) سلمى و ليلي، رمز وعلامة المحبة والعشق.

(٣) يعني أنه صلى الله عليه وسلم حادث كما أنه قديم وأنه ممكن كما أنه واجب وهي عقيدة وجودية
يعنون بها بأن الحق هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق والخلق هو الوجود المعين فالفرق بين الخالق
والمخلوق أن الخالق مطلق والمخلوق موجود معين، وقد يقولون بأن الوجود ينقسم إلى قائم بنفسه
وغيره وهو القديم والحادث، والوجوب بشرط الإطلاق لا وجود له في الحقيقة في الخارج وإنما يتصوره
ذهن كما يتصور الحيوان المطلق والإنسان المطلق ولا يوجد إلا ما كان معينا، انظر التفاصيل في "بغية
المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين بالجلول والاتحاد" ص/
٤٠٩ وما بعدها.

"ومثل هذا يعتقد بعض جهال المسلمين في النبي صلى الله عليه وسلم بل اعتقدوا في أئمة أهل البيت والأولياء وفي المشايخ والمرشدين مثل هذا الاعتقاد الباطل نسأل الله لهم الهداية والسداد" (١)

بهذا قد رد الشاه رحمه الله على الصوفية القائلين بالحلول والاتحاد والغالين في الأنبياء والأولياء الذين بلغوهم إلى درجة الألوهية فكلا الطائفتين لعلهما بالإسلام والدين.

ورد الشاه رحمه الله على جميع مظاهر الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم بحجة أنه لم يأمر بها ولا يرضى بها بل الذي يرضيه هو تحقيق توحيد العبادة ويستدل عليه بقوله صلى الله عليه وسلم فيقول: "أخرج رزين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تعالى، أنا محمد بن عبد الله ورسوله" (٢) ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسره أن يبالغ فيه الناس ويطروه كشأن الأمراء والملوك الذين يحبون المبالغة والتعلق فإنهم لاشأن لهم بدين هؤلاء الندماء والشعراء واعتقادهم.... أما النبي صلى الله عليه وسلم: فكان مريبا شفوفا رحيمًا على أمته وكان يذل جهده ويسعى دائما ليلا ونهارا في إصلاح عقيدتهم. وقد جرت العادة بأن المحبين يغفلون في مدح من يحبونهم لينالوا سرورهم ورضاهم ومن بالغ في مدح الأنبياء وتجاوز الحد فإنه يسيء الأدب مع الله أحيانا فيضيع بذلك دينه ويصير عدوا للنبي صلى الله عليه وسلم ولذلك صرح بأنه لا يرضى بالمبالغة والغلو في مدحه وإن اسمه محمد لا الخالق ولا الرازق وإنه ولد كما يولد سائر الناس من أب وأم وحسبه فخرا أن يكون عبد الله تعالى، ولكنه يمتاز عن سائر الناس بعلم أحكام الله وأوامره والناس لا سبيل لهم إليها إلا أن يرجعوا إليه في تعلم الدين" (٣)

وفصل الشاه رحمه الله في هذا الموضوع لأهميته ولإبطال الأقول الشريكية، يقول في شرح حديث الربيع بنت معوذ أن جارية قالت: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي صلى الله عليه

(١) تقوية الإيمان ص: ١٥١ - ١٥٤، الشعر والنثر مملوغان من هذا الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم لم ينج منه إلا قلة قليلة انظر بعض الأمثلة عن الغلو في الأنبياء والصالحين، في تيسر العزيز الحميد ص:

(٢) أخرجه النسائي أطول منه في عمل اليوم والليلة - ٢٥٠ وأحمد في مسنده ٣/ ١٥٣، ٢٤١ والحديث

صحيح انظر تخريج أحاديث فتح المجيد ص: ٧٢٧

(٣) تقوية الإيمان ص: ١٥٨

وسلم: دعي هذه وقول بالذي كنت تقولين" (١) دل الحديث دلالة واضحة على أن لا يعتقد الإنسان في نبي أو ولي أو إمام أو شهيد أنه يعلم الغيب بل لا يصح هذا الاعتقاد في الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يصح أن يمدحه بذلك في شعر أو كلام أو خطبة، أما ما اعتاده الشعراء من المبالغة والغلو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء والأولياء والصلحاء والمشائخ أو الاساتذة فتجاوزوا في ذلك عن حدود الشرع بناء على قولهم "إن الشعر جماله المبالغة" وإذا تجرد الشعر من المبالغة فهو بالنثر أشبه منه بالشعر، ولكن هذا الاعتذار باطل لا يصح فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى جوازي الأنصار عن أن ينشدن شعرا نسب إليه فيه علم الغيب فما ظنك بعامل يقرض مثل هذا الشعر أو يستحسنه به". (٢)

٢- النهي عن إطلاق لفظ "السيد"

الغلو في الأشخاص ذريعة إلى الشرك فبرد الشاه على ما اعتاد الناس من المبالغة في المدائح يقول: "أخرج أبوداود عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا، أنت سيدنا فقال: السيد الله، فقلنا، وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال: قولوا قولكم أو بعض قولكم، ولا يستحرينكم الشيطان (٣)" وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بالاعتصام والتوسط في مدح من يعتقد فيه الفضل وأن لا يتخطى في ذلك من حدود البشرية فيلحقه بالله عز وجل وأن لا يكون المادح مثل فرس جموح لا يمسكه فارس ولا يضبطه زمام فيسيء بذلك الأدب مع الله" (٤).

والسبب فيه بأن محبة المادح للممدوح يفضى إلى تعظيم الممدوح في نفسه وذلك ينافي كمال التوحيد (٥)

يقول الشاه: "واعلم أن لفظ السيد له معنيان فقد يراد به السيد الذي يملك الأمر مطلقا ولا يتبع أحدا فيفعل ما يشاء كشأن الملوك في الدنيا وهذا مختص بالله تعالى فلا سيد بهذا المعنى

(١) تقدم الحديث وتخرجه ص: ٣٠٩

(٢) تقوية الإيمان ص: ٧٨-٧٩

(٣) أخرجه أبوداود - الأدب (٤٨٠٦) وأحمد في مسنده (٢٥/٤) وقال الحافظ في الفتح (١٧٩/٥) رجاله

ثقات وقد صححه غير واحد . وانظر صحيح الجامع الصغير (٣٥٩٤)

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٥٤

(٥) انظر فتح المجيد ص: ٥١٧

إلا الله، وقد يراد به فرد من أفراد الرعية يمتاز عن بقية الأفراد فإن أمر الحاكم يصل إليه أولاً ثم يصل إلى الآخرين بلسانه كرئيس قوم أو عمدة قرية وبهذا المعنى كل نبي سيد قومه وكل إمام سيد لأتباعه وكل مجتهد قائد لمقتديه وكل أستاذ له الرئاسة في تلاميذه لأنهم يمثلون أوامر الله أولاً ثم يعلمونها من دونهم، وهكذا نبينا صلى الله عليه وسلم سيد العالمين، ورتبته عند الله فوق كل رتبة وهو أشد الناس امتثالاً لأوامر الله تعالى، والخلق كلهم عيال عليه في الاهتداء إلى الله ومعرفة أحكامه ومرضاته وبهذا المعنى نسميه بسيد العالمين بل يجب أن نعتقد هذا الاعتقاد أما بالمعنى الأول فلا يصح ولا يجوز فإنه لا يتصرف في ذرة تصرف السيد في ملكه فضلاً عن ضخام الأمور وكبار المخلوقات" (١)

فقد فسر لفظ السيد بهذين المعنيين للجمع بين إطلاق السيد على الرسول صلى الله عليه وسلم كما في هذا الحديث وبين الأحاديث التي نهى فيها عن إطلاق لفظ السيد على نفسه وغيره، كما قال عن نفسه: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر..." (٢) وكقوله في حق معاذ: "قوموا إلى سيدكم أو قال خيركم" (٣) وكأمره صلى الله عليه وسلم: لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك وليقل: سيدي مولاي (٤)... وغيرها من الأحاديث العديدة.

ويقول ابن القيم رحمه الله بأن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك والمولى والرب، لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق" (٥).

٣- النهي عن إطلاق لفظ عبدي وأمي ونحوها من الألفاظ الشركية

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إطلاق لفظ عبدي وأمي تحقيقاً للتوحيد وسداً لذريعة الشرك الذي ينقض التوحيد أو ينقصه، فإن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى وأن فيها تعظيماً لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه" (٦) ولكن انتشرت عادة إطلاق مثل هذه الألقاب والألفاظ الشركية البدعية، وزالت كراهتها من القلوب فورد الشاه على هذه العادات التي تنم

(١) تقوية الإيمان ص: ١٥٤

(٢) أخرجه مسلم - الفضائل - (٢٢٧٨)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٢٦٢ انظر فتح الباري ١١ / ٤٩

(٤) أخرجه البخاري - ٢٥٥٣ - الفتح ١٧٧/٥

(٥) نقلاً عن فتح المجيد ص: ٥١٩

(٦) انظر فتح الباري ٥ / ١٨٠

عن الشرك فيقول: "أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولا يقل العبد لسيده: مولاي، فإن مولاكم الله" (١). "وقد دل الحديث على أنه لا يصح أن يخاطب السيد عبده فيقول: يا عبدي، وأن يضيف ذلك إلى نفسه وإن كان في الحقيقة رقيقاً له، أو أن يقول أحد: فلان عبد فلان أو أن يقول العبد لسيده: مولاي، وهذا فيمن كانوا عبيداً وسادة، فكيف بمن يدعي العبودية زوراً، ويلقب نفسه بعبد النبي، وعبد علي، وعبد صاحب الجلالة، والعبد الخاص، وما اعتاده الشعراء والأدباء والغلاة في الحب والغرام من إطلاق كلمة "أمرد برست" أي عبد الغلام الأمرد وعابد الحبيب وعابد الشيخ والمرشد والافتخار بذلك أما استعمال القاب رب الأرباب (٢) والحواد المطلق فلا محل له البتة، ولا مبرر بل غاية في إساءة الأدب مع الله، وما تعودته الناس من أن يقولوا لبعض الناس: أنت تملك مالى وحياتي، ونحن في تصرفك تفعل ما تشاء فهو كذب ومين وشرك" (٣)

ويقول في موضع ينهى عن إطلاق كل كلمة وصفة تليق بالله عز وجل على أحد من البشر فيقول: "عن ابن هانئ عن أبيه أنه لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكتونونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكني أبا الحكم؟" (٤) ومغزى الحديث أن الكلمة التي لا تليق إلا بالله تعالى والصفة الخاصة به لا يجوز أن يوصف بها غيره كملك الملوك، ومالك العالم، كله وفعال لما يريد، والمولى، والمعبود الواهب الأكبر، وأغنى الأغنياء" (٥)

(١) أخرجه مسلم - ٢٢٤٩ وأخرج البخاري بمعناه - العتق - ٢٥٥٢ انظر فتح الباري ١٧٧/٥
(٢) هذه الألفاظ والتعابير شائعة في الأدب الفارسي والهندي الذي تأثر منه مباشرة ومنها "كافر" "العشق" و "عابد الحسن والجمال" وغير ذلك من الألفاظ الكفرية، وقد ذكر عدداً من هذه التعابير في تذكير الإخوان ص: ١٧١ منها استعمال لفظ "القبلة" والكعبة "إكراما" و"كعبة الكونين" و"رب المساكين" ونحوها.

(٣) تقوية الإيمان ص: ١٥٠ - ١٥١

(٤) أخرجه أبوداود - الأدب - ٤٩٥٥ - ٢٤٠/٥ والنسائي - القضاء - ٥٣٨٩ والحديث صحيح انظر

صحيح الجامع الصغير ١/٣٧٧

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٤٢ - ١٤٣

٤ - النهي عن قول ما شاء الله وشئت

يواصل الشاه رحمه الله جهوده في النهي عن الأقوال الشركية فيحرم تعليق أمر ما إلى مشيئة النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً عن غيره فيقول: "ويؤيد ما رواه حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، وقولوا ما شاء الله وحده (١)"

"ظهر من هذا الحديث تحريم إشراك مخلوق في فعل يختص بالله تعالى، ووصفه بصفة لا تصلح إلا لله عز وجل، مهما بلغ هذا المخلوق من جلالة الشأن، وتقرب إلى الله فيقول مثلاً: ما شاء الله وشاء رسوله لأن الله وحده يملك هذا العالم ويتصرف فيه ما شاء، لا يشاركه في ذلك الرسول أو يسأل أحد رجلاً أخيراً بما يخطر في قلب فلان أو ما يدور في باله أو متى يكون زواج فلان وما عدد الأوراق التي في هذه الشجرة وما هو عدد النجوم في السماء فلا يجيبه: الله ورسوله أعلم لأن الله وحده يعلم الغيب ولكن إذا مثل أحد عن شيء في الدين، فلا بأس أن يقول: الله ورسوله أعلم، أو يقول: إن الله ورسوله أمر بكذا لأن الله قد أخبر رسوله أمور الدين وأمر عباده بطاعته" (٢).

٥ - الاستشفاع بالله على المخلوق

ومن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأن التوحيد وحمايته من كل ما يضره منعه من الاستشفاع بالله على المخلوق واستدل بها الشاه في الرد على أمور شركية واقعة في المجتمع المسلم فيقول: "أخرج أبوداود عن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلك الأموال، فاستسق الله لنا، فانا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان الله سبحان الله، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله، إن عرشه على سماواته هكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليحيط به اطييط الرحل بالراكب (٣) فاشتد استنكار النبي صلى

(١) أخرجه ابن ماجه - الكفارات (٢١١٨) وصححه الألباني في الصحيحة لشواهده ٢١٦-٢١٤/١

(١٣٧ - ١٣٨)

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٤

(٣) سبق تخريج الحديث الكلام حول صحته في موضوع الأسماء والصفات.

الله عليه وسلم عليه، وفرع لذلك، من خشية الله وهيبته، وجعل يسبح الله، ويكثر من التسبيح والتنزيه، تغيرت وجوه أصحابه من عظمة الله وجلاله، وأوضح أن من يستشفع به على أحد يكون عادة أخطأنا من الذي يشفع عنده، وإن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فلا يستشفع به عند أحد، وقد جرت العادة أن يستشفع عند من يملك الأمر ببعض خاصته، وأهل المنزلة عنده، فيقضى الرغبة ويعطي السؤل إرضاء لهذا الشفيع، وإكراما لقدره، والله هو الذي يملك زمام الأمور، وغيره ضعيف عاجز مفتقر إلى الله عز وجل فكيف يستشفع به على أحد من خلقه، فجميع الأنبياء والأولياء أمام عظمة الله وجبروته أقل من ذرة، وإن عرشه قد أحاط بالسموات والأرض كالقبة، ليئط به أطيط الرجل بالراكب، فليس في مقدرة مخلوق أن يتصور عظمته، ولا يمكن له أن يتخيلها، فمن يجرؤ على أن يتدخل في مملكته، وينفذ فيها أمره، إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويأتي بأمور كثيرة لاتعد ولا تحصى في أقل من طرفة عين، فكيف يشفع عند غيره، ومن الذي يستبد بالأمور دونه؟" (١)

ثانيا : النهي عن الأعمال الشركية

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الأعمال الشركية كما نهى عن الأقوال الشركية، لحرصه على التوحيد وحمايته من كل ما يضره. منها:

١- النهي عن العرافة والكهانة وعلم النجوم

ومن تلك الأعمال الشركية التي تسبب الوقوع في الشرك اعتقادا وعملا، السحر والكهانة وعلم النجوم ونحوها من العلوم التي يدعي صاحبها علم الغيب أو التصرف في الكون، أو يعتقد فيه غيره وكلها شرك أو موصلة إلى الشرك وقد تناول الشاه رحمه الله الأحاديث الدالة على النهي من هذه الأمور ورد من خلال شرحها على ما اعتاده الناس من الأعمال الشركية فيقول: "أخرج رزين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس بابا من علم النجوم بغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر، المنجم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر" (٢) إن الله تعالى قد ذكر النجوم والكواكب في كتابه وهي تدل على حكمة الله وقدرته وقد جعلها الله تعالى زينة وجمالا للسموات الدنيا وهي رجوم للشياطين ولم يذكر

(١) تقوية الإيمان ص: ١٣٧ - ١٤٠

(٢) تقدم تخريج الحديث ص: ٥٨

أن لها تأثيراً في ملكوت السموات والأرض و أن لها علاقة بسعادة البشر وشقاوتهم فمن عدل عما ذكره الله من فوائدها إلى ما لم تخلق له هذه النجوم ويستدل بها على الغيب كما يفعل البراهمة من أخذ بعض الأخبار من الجن وإخبار الناس بها، ويقال لها الكهانة، فطريق المنجم والكاهن سواء والكهان يتوددون إلى الجن كما يفعل السحرة بالإيمان بهم وتذائهم وتقديم النذور والقرابين إليهم فهذا كله من الكفر فالمنجم والكاهن والساحر كل منهم يتبع طريق الكفر" (١)

ورد الشاه جميع هذه الأمور وما يشبهها التي يُستند إليها في استكشاف الغيب والقضاء والقدر فيتعلق قلب الإنسان بهذه الأمور ويفقد الإيمان بالله وبقضائه وقدره ويعتقد بناء عليها المنفعة والمضرة ويربط الأمور بأسباب ليست شرعية ولاكونية، فيقع في الشرك لأنه يصدق من يدعي علم الغيب أو يدعي هو بنفسه علم الغيب وكلاهما كفر.

يقول الشاه ينكر على من يأتي العراف ويبين مضرته فيقول: "أخرج مسلم عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أتى عرافاً فسأله عن شيء لا تقبل صلاته أربعين ليلة" (٢) وقد علمنا من هذا الحديث أن من أتى العراف الذي يدعي الإخبار بالغيب (٣) لم تقبل عبادته أربعين يوماً وأنه شرك، والشرك يطمس نور العبادات كلها ويدخل في هذا الحكم المنجمون والرمالون والمشتغلون بعلم الجفر والفال ومن يدعي الكشف الذي لا ينطوي ومن يدعي الاطلاع على الغيب والإخبار به عن طريق الاستخارة بالقطع" (٤)

٢- النهي عن الطيرة

وقد كان العرب يتطهرون بالسوانح والبوارح (٥) من الطبأ والطير وأصواتها، فنهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وجعله من الشرك، لأن الطيرة منافية للتوحيد، فإنها من الشيطان وتخويفه

(١) تقوية الإيمان ص: ١٣١

(٢) أخرجه مسلم - السلام - باب تحريم الكهانة (٢٢٣٠) قوله (لا تقبل صلاته أربعين ليلة) " إذا كانت

هذه حال السائل فكيف بالمسؤول ؟" الفتاوى ١٩٣ / ٣٥

(٣) انظر النهاية ٢ / ٢١٨

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٣٢

(٥) السوانح، من السنع ومعناه اليمن، والبركة، وضده البوارح معناه الشوم، القاموس ص: ٢٧٢، ٢٨٨

ووسوسته، فيتعلق القلب بها خوفاً وطمعاً، وهذا منافي للتوكل على الله، وفيه سوء الظن بالله أيضاً واعتقاد النفع والضرر في الحيوانات والجمادات (١)

وتناولها الشاه بالشرح ونهى عنها وما يشبهها من الأشياء التي كانت منتشرة في المجتمع فيقول: "عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك" (٢)

وعن سعد بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا هامة ولا عدوى ولا طيرة، وإن تكن الطيرة في شيء ففي الدار والفرس والمرأة (٣) ويقول بعد ذكر الأحاديث " وقد كان العرب اعتادوا التطير ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم مرة بعد مرة، وحكم عليه بالشرك، ليرجع الناس عن هذه العقيدة".

ويقول في شرح " هامة" وقد كان اشتهر في جهال العرب أن من قتل ولم يؤخذ بثأره خرج من هامته طائر يقال له الهامة وهي كالبومة فما تزال تستغيث وتقول اسقوني حتى يؤخذ بثأره (٤) وقد أبطله النبي صلى الله عليه وسلم فمن زعم أن الإنسان يتمثل بعد موته بحيوان، فهو كاذب" (٥)

ومما قال في شرحها: " وكان من الاعتقادات الشائعة فيهم أن بعض الأمراض كالحة والجذام تتعدى وتنقل من إنسان إلى آخر دون مشيئة الله وهي كلها اعتقادات باطلة لأصل لها، وما اشتهر عندهم أن الأمر الفلاني لم يوافق فلانا وأنه لم يوفق فيه فهذا باطل أيضاً..." ثم تناول الشاه موضوع الشوم، ورد على من يتشاؤم بأشياء لم يرد عليها دليل من الكتاب والسنة، أما الشوم في الثلاثة التي ورد ذكرها في الحديث فقد بالغ الناس في تحديد صفاتها

(١) انظر فتح المجيد وحاشية حامد الفقي عليه ص: ٣١١

(٢) أخرجه أبوداود - الطب - ٣٩١٠ والترمذي - السير ١٦١٤ وقال : حديث حسن صحيح وابن ماجه - الطب - ٣٥٣٨ وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٤٢٩)

(٣) الحديث بهذا السياق أخرجه أبوداود في - الطب - ٣٩٢١ وأصل الحديث يوجد في الصحيحين، انظر صحيح البخاري - ٢٨٥٨ انظر الفتح ٢١٥/١٠ و ٥٧٥٧ ومسلم في - السلام - ٢٢٢٠ و ٢٢٢٥

(٤) وبهذا فسر ابن الأثير في النهاية ٢٨٣/٥ في مادة " هوم"

(٥) وهي عقيدة التناسخ التي بنى عليها دين الهنادكة وتسربت إلى المسلمين والمراد بالتناسخ أن الموت موت للجسد، والروح تتقمص بجسد آخر حسب الأعمال إن كانت شراً في حيوان شرير وإن كانت خيراً فقد يتحد مع الله . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: ٥٣٥.

وأماراتها من غير دليل فيرد عليها الشاه بقوله: "أما الشوم في الثلاثة التي جاء ذكرها في الحديث فلم يبين النبي صلى الله عليه وسلم علامة الشوم وأوصافها، وما يجدون من العلامات والآثار العديدة في الفرس والدار والمرأة فكلها باطل ليس لها سلطان" (١)

يقول ابن القيم رحمه الله في شرح حديث "الشوم في ثلاثة": "فمن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب الطيرة والشوم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر بذلك دون الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله... وغاية قوله صلى الله عليه وسلم أن الله قد يخلق أعيانا مشوومة على من قاربها وسكنها، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شوم ولا شر،... والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة ويقضي سعادة من قاربها وحصول اليمن له والبركة، ويخلق بعض ذلك نحوسا يتنحس بها من قاربها، وكل ذلك بقضائه وقدره" (٢)

واعتاد الناس على نسبة الأمراض والبلاء إلى الشياطين والعفاريت، فيرد عليهم الشاه فيقول: "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا عدوى، ولا هامة، ولا صفر" (٣)

يقول في شرحه: "وقد اشتهر في الجاهلية أن الذي أصيب بالهامة فيأكل ولا يشبع ويسميه الأطباء بجوع الكلب، فقد دخل في بطنه عفريت أو شيطان، يأكل كل ما يتناوله الإنسان فلا يشبع، وكانوا يسمونه بصفر" (٤) فنفاه النبي في هذا الحديث، ومعنى ذلك أن ما يعتقد الناس في بعض الأمراض أنها من تأثير الشياطين والعفاريت ومن تصرفاتهم فهو باطل لأصل له "وردت أحاديث بنفي العدوى وأخرى بإثباته، يقول ابن القيم رحمه الله جمعا بين تلك الأحاديث " بأنها تثبت الأسباب والحكم وتنفي ما كانوا عليه من الشرك واعتقاد الباطل، فإن العوام كانوا يثبتون العدوى على مذهبهم من الشرك الباطل كما يقوله المنجمون من تأثير الكواكب في هذا العالم، ولو قالوا أنها أسباب أو أجزاء أسباب إذا شاء الله صرف مقتضياتها بمشيئته وإرادته وحكمته، وأنها مسخرة لما خلقت له، وأنها في ذلك بمنزلة سائر الأسباب التي ربط بها

(١) تقوية الإيمان بتغيير يسير ص: ١٣٣-١٣٥

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/٢٥٧

(٣) انظر التعليق برقم ١٤٤/

(٤) يقول ابن الأثير في شهر صفر: "كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تعدي، وقيل أراد به النسي، وهو تأخير المحرم إلى صفر، النهاية ٣/٣٥

مسيباتها وجعل لها أسباب آخر تعارضها وتمنعها وتمنع اقتضاها لما جعلت أسبابا له، وإنها لاتقضي مسيبتها إلا بإذنه ومشئته وإرادته، ليس لها من ذاتها ضر ولا نفع ولاتأثير ألبتة... ولو أثبتوا العدوى على هذا الوجه لما أنكر عليهم..." (١).

ويرد الشاه على عقيدة شركية منتشرة، وذلك أن العوام كانوا يعتقدون في الشياطين أنهم يقدرّون على الإيذاء وإصابة الأمراض ولذا كانوا يخضعون لهم بعبادتهم بتقديم النذور والذبح لهم خوفا منهم كما ذكره الله عز وجل في القرآن العظيم ﴿وكان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا﴾ (٢)

ويقول أيضا يرد على ما انتشر في المسلمين من سوء المعتقد والتطير: "وقد اشتهر فيهم أن شهر صفر نحس يجب أن يمتنع الناس فيه من الزواج والأسفار والتجارات والمعاملات ويدخل في ذلك ما يعتقد جهال الهند أن أيام الثلاثة عشر الأولى من شهر صفر مشؤومة ينزل فيها البلاء ويسمونها بـ "تيره تيزي" (٣) فتفسد الأعمال وتضيع المساعي وكذلك يزعمون أن بعض الأيام من الشهر نحس، فينتهون عن الإتيان ببعض الأعمال المهمة فيها، فهذه من الأمور الشركية بل يجب أن يكون جل الاعتماد على الله تعالى" (٤)

ووجه الشرك فيها بأنهم اعتقدوا فيها المضرّة، فربطوا النفع والضرر بأسباب لم يأت الشرع بها.

٣- النهي عن الصور

ومما نهى عنه الشرع اتخاذ الصور والتماثيل لأن اتخاذ الصور والتماثيل سبب عظيم لوقوع الناس في الشرك، فالناس جبلوا على حب ذوي الفضل وحبهم في حياتهم، واتخاذ صورهم بعد مماتهم يستدعي تعظيمهم وإكرامهم والغلو فيهم حتى يصل الأمر إلى اتخاذهم وسائط بين الله وبين الخلق وهو شرك عظيم وقع فيه الأولون والآخرون، وكان بداية وقوع الشرك بسبب هذه الصور، كما ورد من السلف في تفسير الآية ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٦٩

(٢) سورة الجن / ٦ " وكان العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها... انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٥٧

(٣) معناه الأيام الثلاثة العشرة الحادة

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٣٦

ولا يغوث ويعوق ونسرا* كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتلون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم" (١)

وقد أنكر الشاه اتخاذ الصور لذريعته إلى الشرك فيقول: "أخرج البخاري عن عائشة أنها اشترت غمزة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب ولم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية قالت: قلت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم وقال: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة". (٢)

ويقول في شرحه: "ويعبد كثير من المشركين الأصنام والصور فتكرهها الملائكة وينفر منها الأنبياء ويعذب صانعها، وقد ثبت من هذا الحديث أن ما يفعله بعض الجاهل من تعظيم صور الأنبياء أو الأئمة أو الأولياء أو المشائخ ويحفظونها عندهم للبركة فذلك ضلال محض وشرك، والنبي والملائكة برآء منه، بل يجب على المسلم أن يزجها من البيت ويعتقلها نجسا حتى تدرك بذلك حجة الرسول، وتدخل الملائكة أيضا هذا البيت وتحل البركة فيه بدخولها" (٣)

ويبين شناعة عمل التصوير فيقول: "وتعرف شناعة عمل التصوير بأن فاعله قد قرن بقاتل نبي فإذا هو أقبح وأشقي من يزيد وشمر اللذين توليا قتل الحسين ولم يكن هو نبيا من الأنبياء بل كان سبطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدل عليه حديث ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا، أو قتله نبي، أو قتل أحد والديه، والمصورون، وعالم لا ينتفع بعلمه" (٤) (٥)

ثم المصور بمحاكاته لله عز وجل كأنه يدعي الألوهية وهذا كفر عظيم، ويقرر ذلك الشاه في شرح الحديث فيقول: "أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

* - سورة النوح / ٢٣

(١) تفسير ابن جرير ٢٥٤ / ١٢

(٢) أخرجه البخاري - اللباس - ٥٩٦١ انظر فتح الباري ١٠ / ٣٨٦ ومسلم برقم - ٢١٠٩

(٣) تقوية الإيمان ص: ١٥٦

(٤) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٨١)

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٥٧

وسلم يقول: قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو يخلقوا حبة أو شعيرة" (١)

"فالمصور من جهة يدعي الألوهية فإنه يريد أن يصور صورة تشبه ما خلقه الله تعالى، فهو ادعاء كاذب وإساءة الأدب مع الله سبحانه وتعالى، فإن المصور لا يقدر على خلق ذرة ولا حبة ولا شعير بل هو محاكاة محضة لله تبارك وتعالى" (٢)

وهكذا اشتد انكاره على التعلق بالتصاوير ومن يشتغل بالتصوير لأنه سبب عظيم للشرك.

٤- التغيير في خلق الله

ومن الأفعال الشركية التي كانت عند العرب الجاهلين، حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم، ووقعت في المسلمين هو التغيير في خلق الله تعبدا للشيطان لأن الله عز وجل لم يأمر به بل الشيطان الذي سول لهم ذلك . وقد تناولها الشاه بالرد، فيقول في شرح قول الله تعالى ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَاضِلَّهِمْ وَلَأُمْنِيهِمْ وَلَآ أَمْرَنَهُمْ فَلِيَتَسَكَّنَ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآ أَمْرَنَهُمْ فليُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خَسْرَانًا مَبِينًا﴾ (٣) وقد أعلن الشيطان أمام الله أن لا بد أن يتخذ كثيرا من عباده عبادا ويضلهم ويمنيهم ويأمرهم فيقطعون آذان الأنعام تقربا إليه وإشعارا له ويأمرهم فيقلدونها ويضعون لها علامات مثل صبغ وجوههن بالحناء، وتقليدهن قلائد الزهور كما يفعل بالعريس في الهند ويوضع النقد في أفواههن، ويدخل في ذلك كل إشعار الحيوان تقربا إلى إله أو آلهة وقد وعده الشيطان بأن يأمرهم فيغيرون خلق الله الذي خلقهم عليه، فبعضهم يرسل ضفيرة باسم آلهتهم ومنهم من يثقب أنفه وأذنه إظهارا للخضوع والاستكانة والرق والعبودية، ومنهم من يخلق لحيته (٤) ومنهم من يظهر الفقر بخلق الحاجبين

(١) أخرجه البخاري - التوحيد - ٧٥٥٩ انظر فتح الباري ١٣ / ٥٢٨

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٥٧

(٣) سورة النساء / ١١٧ - ١٢١

(٤) في الهند طريقة صوفية شهيرة تسمى " قلندرية " فأبنائها يخلقون لحاهم ولا يأخذون أنفسهم بشعائر

الدين الإسلامي ولا بمقامات الأخلاق، انظر : الكشف عن حقيقة الصوفية ص: ٣٥٧

وشعر اللحية والرأس (١) وهذه من وساوس الشيطان وأعمال ضد أمر الله وسنة رسوله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا، مبينا لأن الشيطان عدو لدود للناس وإنه لا يملك إلا النزعة والنفثة في القلب، وقد يعد ويمني ويذهب بالإنسان إلى هذه الأمانى والأحلام ويفرق في التخييل ويعد النجعة وكل ذلك بناء منهار وقصة أسطورية وبذلك يضل الإنسان عن الطريق السوي ويعد عن الله ويمجري وراء الخلق، ولا يكون إلا ما قدره الله وما كتبه قلم القضاء له، لا تنفع فيه هذه الاعتقادات بل هذه كلها وساوس شيطانية لا يكاد الإنسان يخرج منها فيخسر دينه ويهوي في مهاوي الشرك ويخلد في النار" (٢)

٥- النهي عن الأسماء المعبدة لغير الله

المشركون كانوا يعبدون أنفسهم وأولادهم لغير الله كعبد الشمس وعبد العزى، ونحوها والنصارى يعبدون أنفسهم بعبد المسيح، فتتعلق قلوبهم بغير الله عز وجل، وهي أسماء تنم عن الشرك، فإن ربه ومالكة وخالقه هو الله فليس هو عبدا إلا لله، ولذا قد غير النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية ومن الأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية (٣)

فدعا الشاه رحمه الله إلى التسمية بأسماء تكون شعارا للتوحيد فيقول: "أخرج مسلم عن ابن عمر رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أحب أسمائكم عبد الله وعبد الرحمن" (٤)

وقد دل هذا الحديث على أن أحب الأسماء إلى الله ما دلت دلالة واضحة على عبودية العبد وذله وعجزه أمام الله، وما كانت شعارا للتوحيد ومنها الأسماء التي ذكرت في هذا الحديث كنموذج ويدخل فيها أسماء أخرى كعبد القلوس عبد الخالق، (وخدا بخش، والله ديا،

(١) فرقة صوفية في الهند يتسمون أنفسهم الفقراء فلا يكسبون أبدا بل يعيشون على التسول ويفتخرون على هذه المهنة.

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٢٢

(٣) انظر تسمية المولود، لبكر بن عبد الله أبوزيد ص: ٥٨

(٤) أخرجه مسلم - الآداب - ٢١٣٢

والله داد (١) وغيره، والمقصود من الحديث، الأسماء التي أضيفت إلى الله، لاسيما الأسماء الحسنى التي لا تطلق على غير الله تعالى (٢)

ونهى عن الأسماء الشركية التي فيها رائحة الشرك. مستدلا بالآية ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهاما صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاهاما فتعالى الله عما يشركون﴾ (٣) فقد ذكر في شرحها كفر الإنسان بنعم الله إذ ييسر له جميع مراحل الخلق فإذا به عند ولادة مولوده يتعلق بغير الله فيشرك به، وذكر أنواع الشرك التي يأتي بها الإنسان مع أولاده ثم يذكر شركه في تسمية المولود فيقول: "ومنهم من يسمي ولده نبي بخش، (هبة نبي) أو على بخش، (عطية على) أو إمام بخش، (هبة إمام) أو بير بخش (هبة الشيخ) أو ستيل بخش (منحة ستيل)* وهي الإلهة التي يحتفظ بها من مرض الجدري، أو بكنكا بخش (هدية نهر الكنج) المقدس عند الهنادك والله غني عن عبادتهم ونذورهم... (٤)

٦- النهي عن العادات الشركية

فإن الشرك يدب كدبيب النمل وقد لا يشعر به الإنسان كما قال ابن عباس رضى الله عنه: "الشرك أخفي من ديبب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله وحياتك يا فلانة وحياتي وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص... (٥) ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أخوف ما يخاف على أمته وقوع الشرك فيها فيقول: "أخوف ما يخاف عليكم الشرك الأصغر" (٦)

(١) وهي جميعا أسماء هندية بمعنى "عطاء الله".

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٢

(٣) سورة الأعراف / ١٨٩ - ١٩٠

* - اسم آلهة هندية يعتقد عبادها أنها تملك مرض الجدري فلا يصيب الإنسان هذا المرض إلا بإرادتها ولا يشفى منه إلا بإذنها.

(٤) تقوية الإيمان ص: ١٢٤

(٥) انظر تيسير العزيز الحميد ص: ٥٨٧ وفيه حديث مرفوع صحيح أيضا (فتح المجيد ص: ١٠٥)

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة ٩٥١

ولو تأمل المتأمل لرأي عادات كثيرة شركية في المجتمع المسلم، وقد حاول الشاه رحمه الله أن ينبه المسلمين على وجه الشرك فيها حتى يجنبهم من الشرك فيقول: "قال الله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهاما صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاهاما فتعالى الله عما يشركون﴾ (١) الآية تدل على قلة وفاء الإنسان وكنوده وكفره بالنعمة وقد خلقه الله ورزقه زوجة يأنس بها وجعل بينهما مودة ورحمة.... فلما وهب لهما الولد أقبل على غير الله بالخضوع والنذر وتقديم القرابين فمنهم من يأخذ الولد إلى قبر، ومنهم من يذهب به إلى نصب، ومنهم من يرسل في رأسه ضفيرة باسم أحد الصالحين، أو الأولياء المقربين ومنهم من يقلد قلادة ومنهم من يكبل الكبل في رجله، ومنهم من يرسله إلى الناس يتسول ويتكدى وهو لا يشتغل بشيء من أمور الدنيا، ويقال هذا صعلوك فلان من الصالحين...." (٢) وقد ذكر الأمثلة العديدة من واقع المسلمين حتى يحذرهم منها.

ثم إن الفلسفات الوثنية قد أولعت بالإناث، وقلد المسلمون المشركين في ذلك والتزموا بها وأصبحت عادة مستمرة يرد عليهم الشاه بأنها شرك وليس له حقيقة فيقول: "قال الله تبارك وتعالى ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا.....﴾ (٣) معنى الآية أن قصارى جهد المشركين تحييل الإناث وصرف الهمة إليهن بجميع القوى واللهج بأسمائهن لجلب النفع ودفع الضرر فمنهم من يعبد السيدة فاطمة ومنهم من يعبد آسية (٤) ومنهم من يعبد "أتاوي" ومنهم من يختار "جنية حمراء" ومنهم من يختار "جنية سوداء" ومنهم من يعبد "ستيلا" ومنهم من يعبد "مساني" ومنهم من يختار "كالي" ومنهم من يختار أسماء إناث أخرى (٥) وغول وجنيات ذات ألوان مختلفة وآله من آله الوثنيين تنسب إليها قدرة وتصرف في الكون وصلة خاصة ببعض الأمراض والأولاد

(١) سورة الأعراف ١٨٩ - ١٩٠

(٢) تقرية الإيمان ص: ١٢٤

(٣) سورة النساء / ١١٧

(٤) المشهور أنها امرأة فرعون التي صيرت على المصائب في سبيل عقيدتها الصحيحة انظر تفسير ابن كثير سورة التحريم.

(٥) وهي أسماء لآله هندية لها أهمية عظيمة في فلسفة الديانة الهندية انظر حاشية المترجم ص: ١٢١

وتأثير في الوقاية عنها وما هي إلا تخيلات وتوهمات وليس هنا أنثى ولا ذكر وإنما هو تسويل من تسويلات الشيطان" (١)

فقد أبطل ما كان يرى في المجتمع من الشرقيات، وإنه تقليد يحث للمشركين واتباع لسننهم. فيقول في شرح قوله تعالى: ﴿يا صاحبي السجن﴾ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (٢) "لا وجود لهؤلاء السادة الأرباب الذين يشركهم الجاهل في ملك الله وملكوته إنما هم من نسج الخيال فما يعتقد الجاهل بأن إنزال المطر بيد فلان وإنبات النبات وإخراج الحب بيد فلان ثم يخلقون لهم أسماء فيسمون بعضهم ببعض الأسماء التي يخترعونها ثم يعكفون عليها عبادة ودعاء ونداء، ثم يمر على ذلك زمن فيستمسكون بهذه العقائد والعادات وما هي إلا تخيلات ولا حقيقة لها في الخارج. وليس هناك شيء سوى الله ولا أحد سمي بهذا الاسم فإنه لا سلطان له في الكون والذي يملك أزمة الأمور هو الله وحده وليس من أسمائه "محمد" أو "علي" أما الذين سموا بهذه الأسماء فهم لا يملكون شيئاً في هذا العالم أما الذي ينادي "بمحمد" أو "بعلي" الذي يملك هذا العالم فلا وجود له البتة وإنما هي أسماء سماها الجاهل وآباءهم ما أنزل الله بها من سلطان ولم يأمر الله بنسج أمثال هذه التخيلات والأوهام فإن أصل الدين أن يمثل العبد أمر الله ويفضله على كل شيء وعلى كل ما انتشر في الناس من العادات والتقاليد...." (٣)

٧- الأعمال الشركية عند القبور

الاعتقاد في الأولياء وتعلق القلوب بهم، دفع الناس إلى اتخاذ القبور مساجد وتسميتها بالمشاهد وتزيينها بكل زينة ياسبال الستور وإلقاء الزهور عليها حتى تتعاضد في النفوس وتترسخ عظمتها في القلوب، ولم يكتفوا عليها بل اخترعوا للمشاهد، والمكان المجاور لها، وفي السير إليها آداباً، وشروطاً وأحكاماً تشبه أحكام الحج وأدابه، بل تفوقها في الدقة والاحتياط. وقد تطرق إليها الشاه رحمه الله ومنع منها، لأنها أعمال شركية لا يجوز إتيانها إلا فيما شرع. فيقول: " في شرح قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

(١) تقوية الإيمان ص: ١٢١

(٢) سورة يوسف / ٣٩

(٣) تقوية الإيمان بتصرف يسير ص: ١٠٧ - ١٠٨

...﴿ الآية. (١) إن الله قد خصص أمكنة لتعظيمه كالكعبة، وعرفة، ومزدلفة، ومنى، والصفاء، والمروة، ومقام إبراهيم والمسجد الحرام كله ومكة كلها، والحرم كله، وأهلهم الناس شوقا إلى زيارتها، والحنين إليها، فيقصدون هذه الأمكنة المقدسة رجالا وركبانا ويأتون إليها من كل فج عميق، ومرمي سحيق، ويكابدون في سبيلها مشاق السفر، ويتحملون متاعب التنقل، ويصلون إليها شعنا غبرا، متبذلين في الثياب، ويذبحون هنالك الهدى لله عز وجل، ويوفون نذورهم، ويطوفون بالبيت العتيق، فمنهم من يستلم عتبة البيت ويقبلها (٢)، ومنهم من يقوم داعيا أمام الباب، ومنهم من يتضرع متعلقا بكسوة الكعبة (٣)، ومنهم من يعتكف عنده بنية العبادة ليلا ونهارا، ويتوجه إلى ذكره، ومنهم من يشخص بصره إلى بيت الله (٤)، ... إلى غير ذلك من مظاهر التعظيم، وشعائر الحب والتفاني، والله يرتضيها، ويجزيهم بها في الدين والدنيا، فلا تجوز هذه الأعمال - التي تختص بهذه الأمكنة - لتعظيم شيء آخر (شخصا كان أو قبرا، أو مكان عبادة لرجل صالح، أو نصبا لصنم)".

"ومن الشرك أن يقصد الإنسان إلى مشاهد وضرائع الأولياء والصالحين، من أصقاع بعيدة وأرجاء نائية، ويشد إليها الرحال، ويتجشم في سبيلها المشاق والصعوبات، يصل إليها متبذلا متوسخا غير أشعث، ويزبح هناك الحيوانات، ويوفي النذور، أو يطوف حول قبر أو بيت، ويعظم ويحترم الغابة التي تحيط بهذا المكان، ولا يصيد هناك صيدا، ولا يعضد شجرة، ولا يختلي عشبا، ويرجو من ذلك الثواب والنفع في الدنيا والآخرة، كلها شرك يجب الحذر منها". (٥)

وهكذا جعل الشاه جميع الأعمال التي يأتي بها القبوريون عند القبور من الشرك .

(١) سورة الحج / ٢٧ - ٢٩

(٢) لا يجوز التعبد إلا بما شرع وهذا لم يثبت في الشرع

(٣) ليس له دليل في الشرع

(٤) لا يجوز التعبد إلا بما شرع وهذا لم يثبت في الشرع

(٥) تقوية الإيمان ص: ١٠٤ وانظر نسخة أردو أيضا.

المبحث الثالث: عودة الشرك القديم في الأمة

وشبهات المشركين في ذلك

المطلب الأول : وقوع الشرك في الأمة المسلمة

رد الشاه على شبهات المشركين الذين ينكرون وقوع الشرك في المسلمين وأثبت بأن الشرك قد وقع فيهم، بل انتشر بصورة هائلة، بل ما من نوع من أنواع الشرك الذي كان في عباد الأوثان قديما إلا وقد اختاره جمع من المسلمين اليوم فيقول: " ومعلوم أن كثيرا من الناس اليوم ينادون المشائخ والأنبياء والأئمة والملائكة والجنيات عند الشدائد ويسألونها قضاء الحاجات وينذرون لها ويقربون لها قرابين لتقضى حاجاتهم ومآربهم ينسبون إليها أبناءهم طمعا في درء البلاء... وبعضهم يذبح حيوانا بأسمائهم وبعضهم يستغيث بهم عند الشدة وبعضهم يحلف في حديثه بأسمائهم.

"والحاصل أنه ما سلك عباد الأوثان في الهند طريقا مع آلهتهم إلا وسلكه الأدياء من المسلمين مع الأنبياء والأولياء والأئمة والشهداء والملائكة والجنيات واتبعوا سنن المشركين شبرا بشبر، ذراعا بذراع ونعلا بنعل فما أجرأهم على الله وما أبعد الشقة بين الاسم والمسمى والحقيقة والدعوى وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾" (١)(٢)

ويستدل عليه بحديث ثبت فيه بأن الناس سيعودون إلى الطواف بذى الخلصة فيقول: "أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة" (٣) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم " أن الناس سيعبدونه قرب القيامة وأن نساء دوس تطوف حولها" (٤)

(١) سورة يوسف / ١٠٦

(٢) تقرية الإيمان ص: ٣٧ - ٤٠

(٣) أخرجه البخاري - الفتن - باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان (٧١١٦) ومسلم - الفتن - باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٢٩٠٦) يقول الشاه في شرح ذي الخلصة: كان في العرب قبيلة يقال لها دوس وكان لهم صنم في الجاهلية تدعى بذى الخلصة كسر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم،

"ودل هذا الحديث على حرمة الطواف حول كل بيت وهو من تقاليد الكفرة والمشركين إلا حول البيت العتيق الذي هو بيت الله" (١) بل أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن قبائل من أمته سترجع إلى عبادة الأوثان وهو شرك أعظم فيقول: "أخرج الترمذي عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمي الأوثان" (٢) ويعلم من هذا الحديث أن الوثن نوعان:

النوع الأول : أن يجعل لأحد تمثال ويعبد ويقال في العربية "صنم" (٣)

والنوع الثاني: أن يخصص بيت أو شجرة أو حجر أو خشب أو قرطاس، وينسب إلى أحد ثم يعبد ويحل ويعظم، ويقال له في العربية "وثن" ويدخل فيه القبر، ومكان جلس فيه أحد الصالحين، واعتكف للأربعين، أو عكف على العبادة والرياضة، ويدخل فيه اللحد، أو عصا يعزى إلى أحد من الصالحين والأولياء، أو ضريح مصنوع من القرطاس أو القماش منسوب إلى الحسين بن علي (٤) والعلم (٥) والشدة (٦) والميندهي (٧) الذي ينسب إلى الإمام قاسم بن حسن بن

تقوية الإيمان ص: ١١٩ ويقول ابن الأثير: "والمعنى أنهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة

الأوثان" النهاية ٢/ ٦٢

(٤) تقوية الإيمان نسخة أردو ص: ٩١

(١) تقوية الإيمان ص: ١١٩

(٢) أخرجه أبوداود - الفن ٤٢٥٢ والتزمذي - الفن ٢٢١٩ وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في

الصحيحة ٤/ ١١٠

(٣) الصنم هو التمثال المصور، قاله مجاهد وفسر به ابن جرير انظر : تفسيره ٧/ ٤٦٠ ويقول ابن الأثير

الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جنة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة

كصورة الأدمي تعمل وتصب فتعبد - والصنم، الصورة بلائة وقد يطلق الوثن على غير الصورة،

انظر النهاية ٥/ ١٥

(٤) ويسمى بـ "تعزية" يحمل على الأكتاف والكواهل في موكب، وتشد عليه الأبيات في تأبين الحسين

ورثاله. ثم يدفن يوم عاشوراء.

(٥) يرفع الشيعة في الهند وفي غيرها من الأماكن أعلاما كثيرة في شهر المحرم تشييبها بالأعلام التي رفعها

المقاتلون وأنصار الحسين، في كربلاء في المعركة التي استشهد فيها حسين رضي الله عنه.

(٦) وهو علم يطاف به في شهر المحرم إحياء لذكرى الشهداء الذين استشهدوا في كربلاء من أسرة الحسين

رضي الله عنه مع الضرائح المصنوعة من القرطاس والقماش، وأصله قبضة من فضة تشد بخشب،

ويلقون عليها قماشاً أخضر، وأحمر .

على بن أبي طالب، والشيخ عبد القادر الجيلاني، ومصطبة ومكان يجلس فيه الأساتذة والمشائخ للإفادة والإرشاد فيعظمون ذلك ويقدمون إليه النذور والقرايين، ويصنعون لبعض الشهداء طاقا وعلما ومدفعا، ويقربون إليه التيوس، ويخلفون به، ويدعون بعض البيوت بأسماء بعض الأمراض، فبيت يشتهر باسم "الجدري" وينسبون بعض البيوت إلى بعض الآلهة البرهمية، كبيت مساني، أو بهواني، أو كالي أو يراهي، فهذه كلها أوثان. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم إن المسلمين الذين يصبحون فريسة الشرك والوثنية عند قرب الساعة وفي آخر الزمان يكون شركهم من نوع العكوف على أشياء تنسب إلى السابقين ويعتقدون في هذه الأشياء النفع والضرر ويغفلون في تقديسها وتعظيمها خلافا لمشركي الهند ومشركي العرب فإنهم عباد أصنام يعبدون التماثيل وكلنا الطائفتين مشركة قد أعرضت عن الله وخالفت الرسول وتعاليمه" (١)

ويقول في شرح حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد الآلات والعزى... (٢) وقد دل الحديث على أن للشرك القديم والوثنية البائدة عودة وانتشارا في آخر الزمان وقد ظهر ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بدأ الشرك القديم الذي ظن كثير من المشركين أنه قد انقرض، ينتشر بجوار ما يفعله المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء والأئمة والشهداء من الأعمال الشركية.... "وساق عددا من الأعمال الشركية التي يعمل بها المسلمون ثم يقول: " وإن هذه كلها من عادات الهنادك والمجوس وهي التي عمت في المسلمين، وقد تبين من ذلك أن الشرك يسري في المسلمين إذا تركوا العمل بالقرآن والحديث وتمسكوا بتقاليد الآباء والأجداد وعاداتهم". (٣)

وهكذا فند الشاه مزاعم من يزعم بأن ما يفعله المشركون ليس شركا إنما هو توسل أو حب الصالحين، وأثبت بأنه شرك بحث مثل شرك الجاهلية، ولم يكتف بهذا بل أثبت أن الشرك ينتشر في آخر الزمان انتشارا لا يقي من يعبد الله وحده، ويستدل عليه بحديث الدجال الذي

(٧) يصنع الشيعة الإمامية شيئا مربعا من القرطاس الملون، ويشعلون في جوانبه الأربعة شمعات ذات لون أحمر وأخضر، ويسمونه "مينهدي" معناه بالعربية "الحناء" ويضعونه في البيت الذي يضعون فيه الضرائح القرطاسية. الحواشي (٣-٧) مأخوذة من حاشية المترجم.

(١) تقوية الإيمان ص: ١١٤

(٢) أخرجه مسلم - الفتن - ٢٩٠٧

(٣) تقوية الإيمان ص: ١١٥ - ١١٧

فيه... فيبقى شرار الناس لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول لهم: ألا تستحيون؟ فيقولون: ماذا تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم. (١)

يستدل بالحديث بأن الشيطان لا يرضى عما هم فيه من المعاصي العظيمة بل يدفعهم إلى عبادة الأوثان لأن الشرك أحب إليه من المعاصي مهما بلغت من الشناعة. ومما قال في شرح الحديث المذكور " فيجب أن يحذر الإنسان مكر الله، لأن العبد قد يكون مشركا، طالبا من غير الله تحقيق أمانيه وقضاء مآربه، فيقضي الله حاجاته امتحانا، وإمهالا، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، فلا يثق الإنسان بالنجاح ولا بالخيرة في الأماني والطلبات، ولا يجعلها ميزانا للخير أو شر وحق وباطل، ولا يترك دين الحق دين التوحيد، لعدم تحقق بعض الرغبات والخيرة في بعض الآمال...." (٢)

المطلب الثاني : شبهاتهم في اتخاذ الوسائط

فإن أعظم شبهة وأعظم دليل يستند إليه المشركون اليوم وفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم قولهم بأنهم يقرون بأن الله هو المحي والمميت وهو الرازق والمدير ولكن للأنبياء والأولياء جاه عند الله ومرتبة فنطلب من الله بهم وبجاههم (٣) فإنهم شفاعونا عند الله وقيسون الله عز وجل على الخلق كما أن للملك وزراء ولا يمكن الوصول إليه إلا عن طريقهم كذلك لا يمكن الوصول إلى الله إلا عن طريق هؤلاء الشفعاء . وهكذا وقعوا في تشبيه الخالق بالمخلوق . وهو من أبطل الأقيسة وأفسدها . فأورد الشاه هذه الشبهة على لسانهم ثم ردها ردا جميلا فيقول: " صدق الله تعالى إذ قال ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (٤) فإذا قال لهم قائل أنتم تدعون الإيمان وتباشرون أعمال الشرك فكيف تجمعون بين الماء والنار وتولفون بين الضب والنون؟ قالوا: نحن لأنأتي بشيء من الشرك إنما نبدي ما نعتقد في الأنبياء والأولياء من الحب والتقدير أما إذا عدلنا هم بالله عز وجل واعتقدنا أنهم والله جل وعلا بمنزلة سواء، كان ذلك

(١) أخرجه مسلم - الفتن - (٢٩٤٠)

(٢) تقوية الإيمان ص: ١١٧ - ١١٨

(٣) وقد كانوا يسمون آلهتهم التي يعبدونها شفعاء عند الله كما في القرآن (ويعبدون من دوا الله ما

لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يونس : ١٨

(٤) سورة يوسف / ١٠٦

شركا لاريب فيه، ولكننا لانقول بذلك بل نعتقد، إنهم خلق الله وعبيده، وأما ما نعتقد فيهم من القدرة والتصرف في العالم فهما لما وهبهم الله وخصهم به فلا يتصرفون في العالم إلا بإذن الله ورضاه فما كان نداؤنا لهم واستعانتنا بهم إلا نداء الله واستعانة به، ولهم عند الله مكانة عظيمة ليست لغيرهم فيفعلون ما يشاؤون، وهم شفاعونا عند الله ووكلاءنا عنده فمن حظي عندهم ووقع بمكان كانت له خطوة ومنزلة عند الله وكلما اشتدت معرفتنا بهم اشتدت معرفتنا بالله إلى غير ذلك من التأويلات الفاسدة والحجج الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان" (١) جمع الشاه في كلامه هذا بعض أهم شبهاتهم وهي:

١- أن ما يفعلون من الأعمال التعبدية للأنبياء والأولياء ليست عبادة بل هي أعمال حب وتقدير وإكرام،

٢- وأن الشرك هو مساواة الأولياء بالخالق من جميع الوجوه،

٣- ولو اعتقد في الأنبياء والأولياء التصرف والقدرة منحة من الله عز وجل لا يكون شركا.

٤- الاستغانة بالأولياء والاستعانة بهم في الحقيقة استعانة بالله لأنهم وكلاء ووزراء وهم واسطة بيننا وبين الله

المطلب الثالث: إزالة هذه الشبهات

أولا- الشفاعة لا يملكها إلا الله

يرد الشاه على جميع هذه الشبهات ويبين سبب ضلالهم فيقول: " فإن القوم قد نبذوا كلام الله وسنة رسوله وراء ظهورهم وسمحوا لعقولهم القاصرة بأن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه وتشبثوا بالأساطير والروايات الكاذبة التي لاتستند إلى تاريخ ونقل صحيح واحتجوا بتقاليد عرافية وعادات جاهلية..." ثم يذكر بأن أدلتهم وتأويلاتهم لهذا الشرك نفس التأويلات التي كان الكفار يعارضون بها فيقول: " وإن كانوا اعتمدوا على كتاب الله وسنة رسوله وقاموا بتحقيقهما عرفوا أنها نفس التأويلات والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ويحاجون بها، ولم يقبلها الله منهم بل كذبهم فيها، فقال ﴿ ويعبدون

من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿١﴾

"وقد علمنا من هذه الآية أنه لا يوجد في سماء ولا في أرض من يشفع لأحد وتنفع شفاعته من استشفع به، وما شفاعة الأنبياء والأولياء إلا بإذن ربهم ﴿٢﴾ لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴿٣﴾ فسواء ناداهم أحد أو صرخ باسمهم أو لم ينادهم ولم يصرخ باسمهم فلا يتحقق إلا ما يريد الله ويأمره" (٣)

وصحح معنى الشفاعة التي أخطأ فيها المشركون بأن شفاعة الأنبياء والأولياء وإن كانت حقا ولكن ليس بيدهم شيء ولا يشفعون إلا بإذن الله (٤)، ولذا فلا يتحقق إلا ما يريد الله عز وجل فمن يتوجه إليهم بالدعاء فقد أشرك بالله ويقرر ذلك الشاه بعد كلامه السابق فيقول: "وقد تبين من هذه الآية أن من عبد أحدا من الخلق اعتقادا بأنه شفيعه كان مشركا بالله، وقد قال الله تعالى في سورة الزمر ﴿٥﴾ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴿٥﴾"

ويقول في شرحها بأنه يقضى جميع الحاجات بدون واسطة ولا شفيع فمن عدل عنه إلى غيره فقد حرم من النعمة العظيمة فيقول: "إنه يقضى جميع المطالب ويرد جميع الآفات والعاهات بدون واسطة، فلم يشكروا هذه النعمة ولم يقدروها حق قدرها وأقبلوا على خلقه يطالبونهم قضاء الحاجات ورفع الآفات فعسروا الميسور وفضلوا طريقا غير مستقيم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يتغنون بذلك عند الله قربا وزلفى ولكنهم لم ينالوا بذلك مرامهم، ولم يسعدوا بالقرب عند الله، بالعكس من ذلك كلما أمعنوا في هذا الطريق واستمروا فيه

(١) سورة يونس : ١٨

(٢) سورة الأنبياء / ٢٨

(٣) تقوية الإيمان ص: ٤٠

(٤) وهي خاصة بيوم القيامة، فلا تكون إلا فيها.

(٥) سورة الزمر / ٣

ازدادوا من الله بعدا وقد وضع بهذه الآية أن من اتخذ وليا من دون الله وإن كان ذلك على أساس أن عبادته تقربه عند الله كان مشركا بالله وكاذبا وكافرا بنعمته" (١)

فصرح بأن اتخاذ الوسائط بين الله وبين الخلق شرك مناقض للإيمان، وإن كان هذه الوسطة أفضل خلق الله سيد البشر النبي صلى الله عليه وسلم فكيف إن كان غيره من أحاد خلقه، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: "فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين" (٢)

ويقرر الشاه هذا المعنى: "قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَادًا﴾ قل إنني لن أغير من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا" (٣) وقد أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخبر المسلمين بأنه لا يقدر على نفعهم وعلى ضررهم ويخبر أن لا تغر نفوسهم فيقولون إن نبينا صلى الله عليه وسلم له رتبة عالية عند الله يضر وينفع ويفعل ما يشاء ونحن في أمته وهو لنا ركن شديد فإنه وكيلنا عند الله وشفيعنا إليه، من الله بمكان ليس لأحد فلاخوف علينا ولاخطر فيتوسعون في الأماني ويستخفون بالعمل وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لهم ضرا ولارشدا وأنه هو سيد الأنبياء، لئن يجيره من الله أحد فكيف يستطيع أن يجيرهم من الله ويمنعهم من عذاب الله وعتابه فإذا كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخاف الله ولا يرى له ملجأ إلا رحمة الله، فكيف بمن دونه من أفراد أمته وأتباعه" (٤)

ثانيا: أنواع الشفاعة المعهودة

ثم إن الشاه في صدد إبطال شبهاتهم لاتخاذ الوسائط يرد عليهم بأن ملوك الأرض يتنازلون على رغبات وزرائهم ووكلائهم لحاجتهم إليهم أما ملك الملوك الذي لا إله إلا هو ليس في حاجة إلى أحد من البشر حتى يضطر إلى قبول قولهم وشفاعتهم فيقرر هذا المعنى فيقول: "قال الله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي

(١) تقوية الإيمان ص: ٤٢

(٢) الفتاوى ١/ ١٢٤

(٣) سورة الجن / ٢١-٢٢

(٤) تقوية الإيمان ص: ٨٢

الأرض ﴿١﴾ ومعلوم أن من يقضي حاجة من يناديه ويغيثه إما أن يكون سيذا وصاحب أمر وإما أن يكون شريكا، له سلطان عليه فملوك الأرض ينزلون عند رغبة أمرائهم ويحققون طلبهم فإنهم أعوانهم ودعائم ملكهم فإذا سخطوا تزلزل ملكهم، واضطرب أمرهم وإما أن يشفع إلى الملك أحد المقرين إليه والذين لهم حظوة عنده، فيقبل شفاعتهم طوعا وكرها ويفعل ذلك من غير رضا وطيب نفس كما هو شأن بنت من بنات الملوك أو إحدى زوجاته التي يجيها الملك حبا جما... أما أولئك الذين يستغيث به هؤلاء الجهال ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم فلا يملكون مثقال حبة من خردل ولا شيئا من قطمير في السموات وفي الأرض، وما لهم فيهما من شرك، تعالى الله من ذلك حتى يقبل شفاعتهم استسلاما واضطرارا وأنهم لا يستطيعون أن يشفعوا إلا بإذنه..." (٢)

فلما رأى هذه الشبهة مستمرة وأقوى شبهة لديهم فصل في رد مثل هذه الشفاعة التي جعلوها معتمدا لاتخاذ الوسائط بينهم وبين الله فيقول: "وهنا يحسن التأمل في نكتة دقيقة لا بد من الإصغاء إليها، وهي أن كثيرا من الناس اغتروا واعتمدوا على شفاعة الأنبياء والأولياء اعتمادا زائدا وأسأؤوا فهم معنى الشفاعة، فأفضى ذلك إلى تناسي الله عز وجل، والتشاغل عنه بخلقه، فلتعلم حقيقة الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة" (٣)

ثم إنه بين أنواع الشفاعة التي اعتادها الناس في الدنيا وجعلها ثلاثة أقسام "شفاعة الوجاهة" و"شفاعة المحبة" و"الشفاعة بالإذن" ثم بين بأن الشفاعة التي يثبتها الشارع هو الأخير دون الأولين، ويقول يشرح هذه الأنواع من الشفاعات: "لقد اعتاد الملوك والأمراء ورجال الدنيا أنواعا من الشفاعة، يلجئون إليها عند الضرورة لمصالحهم الشخصية أو لمصالح البلاد والرعية نذكرها أولا حتى يعرف القارئ الفرق بين هذه الأنواع من الشفاعة وبين الشفاعة التي أثبتها القرآن".

١- شفاعة الوجاهة

"أن رجلا ثبتت عليه السرقة فشفع له أمير أو وزير إلى الملك فأطلقه الملك وصفح عنه ولذلك أسباب: منها أن الملك يريد أن يسجنه ويعاقبه والقانون يأمر بذلك وهو يستحق

(١) سورة سبا/ ٢٢

(٢) تقوية الإيمان ص: ٨٤ - ٨٥

(٣) المصدر السابق

العقوبة ولكن الملك عدل عن رغبته وصفح عن جريمة هذا المجرم، لأن هذا الأمير هو ركن قوي من أركان ملكه وهو جمال مملكته وزينة بلاده فيعرف الملك أن الأفضل في هذا المقام أن يملك نفسه ويكظم غيظه، ويعفو عن فرد ارتكب جرم السرقة فإنه إذا أغضب هذا الأمير ورد طلبه اختلت الأمور ووقع الفساد في مملكته، وفقدت الشئ الكثير من بهائها ومهابتها وهذا النوع من الشفاعة يسمى شفاعة الجاهة، ومعلوم أنه لا مساغ لهذا النوع من الشفاعة عند الله ولا مجال له فمن رجا من نبي أو ولي أو إمام أو شهيد أو ملك أو شيخ مثل هذه الشفاعة ونظر إليه كشفيع تقبل شفاعته لا محالة (لعظم جاه وعلو منزلته) فهو مشرك بالله وجاهل وإنه لم يقدر الله حق قدره ولم يشم رائحة العلم والمعرفة فإن الله رب العلمين وملك الملوك من شأنه أن يخلق بمحرد الأمر وكلمة "كن" ألوا مؤلفة من الأنبياء والأولياء والجن والملائكة كأول ملك وأول نبي فلا أفضل في الملائكة من جبريل ولا أفضل في الأنبياء من محمد صلى الله عليه وسلم وإذا شاء قلب هذا العالم رأسا على عقب ومن الثريا إلى الثرى وأنشأ عالما جديدا مكان هذا العالم لأن كل شئ يلبس لباس الوجود بمحرد أمره ولا يحتاج في إيجاد شئ إلى الأسباب والوسائل أو المواد الأولية وإذا كان جميع الخلق أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم على قلب أفضل ملك أو أفضل نبي ما زاد ذلك في ملكه وبهائه شيئا وإذا كانوا كلهم مثل شيطان أو دجال لم ينقص ذلك من بهاء ملكه ورونقه شئ فهو في كل حال أعظم من كل عظيم وملك من أكبر الملوك لا يصيبه أحد بنفع ولا ضرر أو زيادة أو نقص" (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية يرد على من يثبت مثل هذه الوسائط: "وإن أثبتتم وسائط بين الله وبين خلقه، كالحجاب الذين بين الملوك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون بالله، شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادا وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لم تتسع له هذه الفتوى" (٢).

(١) تقوية الإيمان ص: ٨٦-٨٨

(٢) الفتاوى ١/ ١٢٦

ب- شفاعة المحبة

ثم تعرج لبيان النوع الثاني من الشفاعة وهي شفاعة المحبة، لأن المنحرفين من المسلمين يعتقدون مثل هذه الشفاعة في أقطابهم ومشائخهم، ولذا نراهم لا يعبدون إلا أولياءهم ولا ينادون عند الشدة إلا بأسمائهم، وهذا شرك قبيح فيقول الشاه يرد على هذا المعتقد: "والنوع الثاني من الشفاعة أن يقوم أحد من أبناء الملك أو حليلاته أو زوجاته أو من يحبه الملك بشفاعة السارق ويحول دونه ودون تنفيذ العقوبة إرهاباً أو إحلالاً فيضطر الملك إلى العفو عن هذا المجرم، بسبب حب هذا الشافع وغرامه، وهذا يسمى شفاعة المحبة، فإن الملك رأى أن قهر الغضب في هذا المكان والصفح عن مجرم واحد خير من الكمد والكأبة التي تصيبه وتكدر صفو حياته إذا سخط عليه هذا المحبوب وعاتبه وأعرض عنه، ففضل إغماض البصر عن هذا الجاني الناقض للقانون على تكدر الحياة وقلق النفس".

"ومن المعلوم أن لا مجال ولا مساع لهذا النوع من الشفاعة في جنابه تعالى ومن ظن بأحد أنه شفيع عند الله من هذا النوع فقد أشبه الأول في الشرك والجهالة، فإن الله سبحانه وتعالى خص عبداً من عباده بنعمه وحبه واجتبائه ولقب أحداً بالحبيب وآخر بالخليل وثالثاً بالكليم ورابعاً بروح الله والوجيه (١) ووصف بعض الملائكة بـ "رسول كريم" و "مكين" و "روح القدس" أو "الروح الأمين" (٢) ولكن السيد هو السيد والعبد هو العبد ولا يستطيع عبد أن يتعدى

(١) وقد ورد ذكر هذه الألقاب لبعض الأنبياء عليه السلام في حديث ابن عباس في الترمذي - المناقب - باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم - ٣٦١٦ ولفظه "..... وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاؤه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر،..... وقال الترمذي حديث غريب، وضعفه الشيخ الألباني في تخريج "الطحاوية ص: ١٧٥ ولم يرض شارح الطحاوية بلقب "حبيب الله" للرسول صلى الله عليه وسلم بل يثبت له أعلى مراتب المحبة وهي الخلقة ويقول بعد ذكر الأحاديث الدالة على خلقة النبي صلى الله عليه وسلم: "وهما يطلان قول من قال: الخلقة لإبراهيم والمحبة لمحمد فإن إبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه... بل الخلقة خاصة بهما وضعف حديث السابق. انظر التفصيل ص: ١٧٥

(٢) وهي ألقاب جبريل عليه السلام ورد بها القرآن انظر سورة الدخان/ ١٧ و سورة التكوثر / ٢٠ و سورة البقرة/ ٨٧ و سورة الشعراء / ١٩٣

العبودية ويتعالى على ما قدرله فكما أنه يخضع لسيده طائعا مسرورا وهو يعطف عليه ويغمره برحمته كذلك يتقطع قلبه وتنشق مرارة كبده من مهابته وإجلاله." (١)

الشاه رحمه الله يرد على من يتخذ الوسائط بحجة أنهم أولياء الله وبلغوا في العبادة وطاعة الله منزلة عظيمة وأن الله يحبهم ويكرمهم وهم أحباء وأولياءه فإنه يسمع منهم ويقبل شفاعتهم وإنا نتقرب إلى الله بأحباء وأولياءه حتى يغفر لنا لأننا مخطئون ومذنبون، هذه أقوى حججهم في اتخاذ الوسائط، فحكم الشاه على هذا العمل بأنه شرك، يقول شيخ الإسلام وهو يرد مثل هذه الشفاعة فيقول: "وهذا بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم قديكون له ملك وقد يكون شريكا لهم في الملك.... وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك وغيرهم والملك يقبل شفاعتهم تارة بحاجته إليهم وتارة لخوفه منهم فتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافئتهم ولإنعامهم عليه حتى إنه يقبل شفاعته ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة وإلى الولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك والله تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني...." (٢)

ثم يزيل الشاه شبهة أن إكرام الله لبعض الخلق ببعض النعم ورفع منزلتهم على غيرهم كما جعل إبراهيم عليه السلام خليلا وموسى عليه السلام كليما، لا يعني بأنهم قد ارتفعوا من العبودية وتجاوزوا حد البشرية وصفاتها بل العبد عبد والسيد سيد والمعبود معبود والعابد عابد لن يستطيع أحد أن يتجاوز من مرتبته .

ثم إن المعتقدين هذه الشفاعة والمعتمدين عليها يتهاونون بالشرع ويتناسون الله عز وجل وينشغلون بالخلق ويستهيئون بأحكامه فيقرر الشاه أن الأنبياء والأولياء الذين يتعلقون بهم يكرهون مثل هؤلاء فضلا أن يشفعوا لهم لأن " سركرامتهم وشرفهم أنهم يؤثرون رضى الله على رضى أزواجهم وأولادهم وتلاميذهم وأتباعهم فإذا خالف أحد منهم عن أمر من أوامره الله أو حارب الله ورسوله، عادوه وحاربوه فما ظنك بهؤلاء العامة الذين ليس بينهم وبينهم قرابة ولا صلة حتى يقوم هؤلاء بنصرتهم ويحاجو الله فيهم بل الأمر بالعكس إذا قضى الله بأن يدخل

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٠

(٢) الفتاوى ١/ ١٢٨ - ١٢٩

هؤلاء الجرمين في النار وافقوا الله في أمره وسعوا في سرعة دخولهم في جهنم وتنافسوا في الإعانة على ذلك" (١)

ويرد على قياسهم الذي قاسوا فيه الله عز وجل على الملوك فيقول: "أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: يا غلام احفظ الله يحفظك الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف". (٢)

يعني أن الله سبحانه وتعالى وإن كان ملك الملوك ليس شأنه شأن الملوك الذين يأخذهم الكبر والتبیه، فلا يميلون إلى مملوك ولا يرقون له وإن بالغ في التضرع والاستغاثة فلذلك لا ذ كثير من رعية الملوك وأهل مملكتهم بالأمراء، فابتغوا بهم الوسيلة إلى هؤلاء الملوك وتمسكوا بأذيالهم حتى يعفوا عن خطاياهم تحقيقا لرغبة هؤلاء الشفعاء، بل هو الله تعالى في غاية الكرم والرحمة لا يغفل عن أحد ولا ينسى أحدا، شفع شفيع أو لم يشفع وليس له مجلس كمجلس الملوك أو ملاء كملأ السلاطين، بحيث لا تصل قدم السوق والرعية إلى مجالسهم فيقوم بالحكم على هؤلاء المحكومين أمير أو وزير في غالب الأحيان تضطر الرعية إلى الخضوع لهم وحضور مجالسهم والتودد إليهم، بل إن الله تبارك وتعالى أقرب إلى عبده من حبل الوريد فمن أقبل عليه بقلبه، أقبل عليه بعطفه ووجهه تجاه نفسه وليس بينه وبينه حجاب إلا الغفلة فمن بعد عنه بعد بغفلته وهو أقرب من كل قريب، ألا يعرف من دعا شيخا أو نبيا وناداهما لنصرتيه ليقرباه إلى الله زلفى فالشيخ والني بعيدان عنه، والله قريب منه، ومثله مثل رجل جالس، وحده عند الملك وقد التفت إليه الملك يسمع طلبه أو ما يعرض عليه من حاجة، فانصرف هذا الرجل عن الملك وجعل ينادي أميرا ووزيرا وهما بعيدان، وسألهما أن يبلغا حاجته إلى الملك العظيم، فهو لا يخلو عن حالين إما هو أعمى أو إما مجنون".

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٣ مختصرا

(٢) تقدم تخريجه ص: ٤٤٩

ودل هذا الحديث بأنه إذا سنحت له حاجة اضطر إلى السؤال فليسأل الله وإذا اضطر إلى إعانة أو إغاثة فليستعن بالله عز وجل...."(١)

ج- الشفاعة الثابتة من القرآن والحديث

بعد ما رد هذين النوعين من الشفاعة وما نتج من هذا المعتقد الفاسد من الشرك أثبت الشفاعة الثابتة في الشرع وهي أن أحدا يصدر منه ذنب وليس ارتكاب الذنوب ديدنه ولا يلتجئ إلى أحد الوزراء بل يتضرع إلى الملك ويتعلق به فيأمر الملك لأحد من الناس أن يشفع في حقه حتى يعفو عنه وأن من يشفع لا يشفع بناء على القرابة أو الصداقة بل لأمر الملك له وهذه الشفاعة تسمى الشفاعة بالإذن يقول الشاه في صده: " وكل شفاعة جاء ذكرها في القرآن والحديث فهي هذه الشفاعة المأذون بها فيجب على كل انسان أن يظل داعيا لله تعالى خائفا منه، مستعينا به، بائيا بأثامه بين يديه مؤمنا بربوبيته ونصرته...."(٢)

وبهذا بين الشاه المفهوم الصحيح للشفاعة وأوضح بأنه لا ينبغي لأحد أن يغير بشفاعة الشافعين لأنهم لا يقدرّون عليها وليست بيدهم إنما هي بأمر من الله وهو يأمر من يشاء في حق من يشاء، ولذا وجب على كل واحد أن لا يكون قلبه معلقا إلا بالله عز وجل(٣)

التوسل في الدعاء:

أما التوسل إلى الله بنوات المخلوقين وبجاههم عند الله فقد جوزّه الشاه رحمه الله فيقول: " وقد تعود بعض الناس إذا عرضت لهم حاجة أو أصابتهم مصيبة أن يقرأوا ورد " يا شيخ عبد القادر جيلاني شيئا لله " في عدد مخصوص ومدة مخصوصة (فهذا عين الشرك وشرك صريح)(٤) والحديث(٥) دليل على كراهة هذا الورد فإنه سؤال من الشيخ عبد القادر

(١) تقوية الإيمان ص: ٩٤

(٢) نفس المصدر ص: ٩١ - ٩٢

(٣) المصدر السابق ٩٢-٩٣

(٤) الزيادة بين قوسين من نسخة أردو.

(٥) حديث الأعرابي الذي استشفع فيه بالله إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

الجيلاني (١) وتوسل بالله تعالى إليه، والعكس أصح فيجوز التوسل بالشيخ إلى الله، لا التوسل بالله إليه، والحاصل أنه لا يجوز التلفظ بكلمة تفوح منها رائحة الشرك أو إساءة مع الله " (٢)
فالتوسل بذوات الصالحين لا يجوز، وذلك أن الله لا يعبد إلا بما شرع، وهذا النوع من التوسل لم يرد في الشرع فهو غير مشروع ولم يكن الصحابة والتابعون يتوسلون بذوات النبي صلى الله عليه وسلم. (٣)

" هذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة رضى الله عنهم وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهاكل التي يكتب بها الجهال والطرقية، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناه على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع" (٤)

وجوب الحذر من الشرك وان كان فيه ابتلاء:

الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم لم يؤذوا إلا لدعوتهم إلى التوحيد وتمسكهم به، والشيطان تعهد بأن يضلل الناس عن التوحيد ويوقعهم في الشرك كما ذكر الله عز وجل في القرآن ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادة من المخلصين ﴾ (٥) ولا يستغرب إذا تعاضدت شياطين الإنس والجن على محاربة التوحيد وأهله بقتلهم وقتالهم وسبهم وشتيمهم وإنزال المكروه عليهم في أموالهم وأولادهم وأنفسهم، بل هي واقعة ظاهرة أن الموحدين يتلى بالإنس والجن وهم يتكالبون على أن يتخطفوه من الصراط المستقيم. فكثيرا ما يخضع ضعفاء الإيمان لكيد الشياطين ومكرهم، وخوفا منهم يقدمون النذور والقرايين إليهم حتى يتخلصوا من أذاهم وهذا معهود ومعمول في المجتمع المسلم ويشير إلى هذه التفاصيل الشاه ويوصي بالبقاء على التوحيد وإن كان

(١) يقول صاحب عون المعبود في شرح سنن أبي داود " ومن أقبح المنكرات وأكبر البدعات وأعظم المحدثات ما اعتاده أهل البدع من ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني بقولهم: يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله، والصلوات المعكوسة إلى بغداد وغير ذلك مما لا يعد... انظر التعليق المعني على سنن الدراقطني ص: ٥٢٠

(٢) تقوية الإيمان ص: ١٤٠ - ١٤١

(٣) انظر للتفصيل: " الفصل الثالث من "قاعدة جلية في التوسل والوسيلة" ص: ٧٩ وما بعده

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢٦٢

(٥) سورة ص: ٨٢ - ٨٣

فيه أذى فيقول: "أخرج أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت" (١) فيجب على المسلم أن يصبر على ما يصيبه من الأذى الظاهر من الجن أو العفاريت كما يجب عليه أن يصبر على ما يصيبه من مكروه من بشر في حياته ولا ينبغي أن يقع في دينه وهن أو فساد من خوف الجن أو العفاريت، فإن الدين هو ملاك أمره ورأس ماله، ويجب عليه أن يعتقد أن الأمر كله بيد الله وقبضته ولكنه قد يمتحن عباده فينال الأحياء أذى من الأشرار يميز الله الخبيث من الطيب ويميز بين المؤمن والمنافق، كما أن المسلمين يكونون في الظاهر عرضة لأذى الكفار والفساق بإذن الله ومشيتته فلا يسعهم على ذلك إلا الصبر ولا يرضون أن يتطرق إلى دينهم فساد، ويتسرب إلى عقيدتهم ضعف كذلك قد يصيب بعض الصالحين أذى من الجن والشياطين، ولا يكون ذلك إلا بإذن الله وعلمه فعليهم أن يصبروا على ذلك الأذى، ولا يخضعوا لهم بالاستسلام أو التعظيم ويتبين بهذا الحديث أن أحدا لو تراء من الشرك واجتنب الاعتقاد في الآخرين واستقبح النذر لهم وقضى على العادات السيئة فتعرض بذلك لخسارة في مال أو ولد أو نفس أو لإيذاء من شيطان باسم مرشد وشهيد فعليه أن يصبر على ذلك، ويثبت على أمره، ويعتقد أن الله يمتحنه في دينه، وكما أن الله تعالى يأخذ الظالمين بعد الإمهال وينجي المظلومين من أيديهم فكذلك يأخذ الله تعالى الظلمة من الجن في وقته وينجي الصالحين من إيذائهم" (٢)

الشاه رحمه الله يذكر الأمور الواقعية والأسباب الحقيقية التي تسبب الوقوع في الشرك، ثم يرد عليها بأن ذلك الأذى لا يصيب إلا بإذن الله عز وجل فينبغي للموحد أن لا يقع في الشرك بل يصبر على الأذى.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٨ / ٥ والحديث صحيح انظر الإرواء (٢٠٢٦) ٢٨٩/٧

(٢) تقوية الإيمان ص: ٦٣

الفصل الخامس : جهوده في الإيمان بالأنبياء، وبالقدر، وفي بيان مسائل الإيمان، وفضائل الصحابة، والإمامة.

ويشتمل على خمسة فصول:

المبحث الأول: جهوده في الإيمان بالأنبياء

المبحث الثاني: جهوده في الإيمان بالقدر

المبحث الثالث: جهوده في مباحث الإيمان

المبحث الرابع: جهوده في فضائل الصحابة

المبحث الخامس: جهوده في بيان الإمامة.

المبحث الأول: الإيمان بالأنبياء

إن حاجة البشر إلى الأنبياء والرسل الذين يهدونهم إلى الصراط المستقيم حاجة ماسة، لا ينتظم لهم حال ولا يصلح لهم دين إلا بذلك" فهم أشد احتياجا إلى ذلك من إرسال المطر والهواء بل ومن النفس الذي لا بد منه" (١) " لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبد وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت" (٢) فالإيمان بالأنبياء ركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بهم.

يشير الشاه إلى وجوب الإيمان بالرسول بقوله: " إن للإيمان جزأين الإيمان بالله إلهها وربا والإيمان بالرسول مطاعا وإماما، والإيمان بالله ربا يعني أن لا يشرك به أحد والإيمان بالرسول مطاعا أن لا يسلك طريق غيره...، (٣)

وذكر الشاه بالتفصيل فضائل الأنبياء، وخصائصهم، ومراتبهم، وأسس قاعدة بأن كل فعل وقول، وعادة محمودة يمدح بها البشر فتلك يثبت في حق الأنبياء بأكمل وأوفر من غيرهم (٤) ومما قال فيهم بأنهم أفضل الناس خلقا وأحسنهم عادة يختارهم الله لرسالته، فهم أحب الخلق إليه وبهم تنشر الهداية ومن أحبه الله ومن أبغضهم يبغضه الله ثم إن إتباعهم ومحبتهم سبب لحصول الدرجات العالية فيقول: " مراتب الأنبياء وفضائلهم أكثر من الكثير وخارج من العد والإحصاء، ولكن الفضائل التي لها دخل في معنى الإمامة ترجع إلى خمسة أصول وهي: الراجاه، والولاية، والبعثة، والهداية، والسياسة" (٥) وخلاصة ما فسر الراجاه بأنها مرتبة رفيعة عند الله، وأنهم مكرمون عند الملائكة، وأن من أحبه الله، ومن أبغضهم يبغضه الله، ومحبتهم سبب لرفع الدرجات، وإتباعهم سبب النجاة، ومن لم يتبعهم لاتنفعه رياضاته الشاقة".

(١) لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢٥٦

(٢) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢

(٣) تقوية الإيمان ص: ٣٥

(٤) تذكير الإخوان ص: ٧٩

(٥) منصب امامت ص: ٨

هذه المرتبة ثابتة للأنبياء عليهم السلام، لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (٢) (٣)

ويقول يبين ولاية الأنبياء عليهم السلام بأن لهم مرتبة خاصة ليست لغيرهم وذلك أنهم أهل لخطاب الله عز وجل، وينزل إليهم كتابه، ورسالته، وأنهم مؤيدون بخوارق العادات... وبعد ما ذكر خصائصهم العديدة يقول في الأخير: "بأن الولاية لها ثلاث شعب:

الأولى: المعاملات الصادقة مثل الإلهام والتفهيم، والتعلم والحكمة،

الثانية: المقامات الكاملة، مثل المحبة والخشية، والتوكل والرضا والتسليم والصبر والاستقامة والزهد والقناعة والتجرد عن ملذات الدنيا .

الثالثة: الأخلاق الفاضلة، مثل الهمة العالية والشفقة الموفورة والحلم والحياء والحب والوفاء، والصدق والسخاوة والشجاعة وأمثالها، وقد من الله على الأنبياء بكمالين عظيمين وهما يظهران في جميع فضائلهم، ومن أجلهما يمتاز علمهم وفضلهم عن غيرهم، وهما "العبودية" و"العصمة".

ويقول في شرح العبودية "إن الأنبياء مع ما يمتازون به من الصفات الكريمة التي منحهم الله متواضعون فهم مع اتصافهم بهذه الكمالات يعدونها مثل اللباس المستعار ويتوجهون دائما إلى رب العالمين ويقومون بشكره دائما، ولا يتكاسلون في عبوديته ولا يخطر على قلبهم شيء من الفخر والخيلاء وهم براء من السكر والشطح ونزهاء من الغيوبة والضوضاء (٤) ويبحثون دائما عن طريق العبودية ويحرصون عليها، وهم يشتغلون في الخضوع والتضرع وليس في دعوى الألوهية ولا ينفرون من عباد الله ولا يضيعون حقوق العباد لأجل العزلة ولا يهملون الأسباب كلية ولا يفرون من المنحرفين لأجل حلاوة العبادة والمناجات، بل يهتمون بهدايتهم بدون مداينة في الدين".

(١) سورة آل عمران ٤٥/

(٢) سورة الأحزاب ٦٩/

(٣) منصب امامت ص: ٨-١١

(٤) الصوفية يعتبرون الشطح والغيوبة ونحوها من الأشياء، من الفضائل ويسعون في حصولها، فيرد عليهم الشاه مقررًا بأن الأنبياء مع ما لهم من المرتبة العظيمة، يتبرؤون منها، انظر التفاصيل ص:

ثم ذكر أوصافاً حميدة وأعمالاً حسنة كثيرة يقرر بأن الأنبياء يهتمون بها أكثر من غيرهم مع مراعاة الشرع لإفراط عندهم ولا تفريط، بحيث أن حرصهم على هداية الناس لا يجرهم إلى المداينة في الدين والتساهل في الأحكام، بحجة أنها من حسن الخلق، ولا يسالغون في الجود إلى حد الإسراف، ولا يمشون تحت الحماس والغضب في باب الشجاعة، فأخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم لاتصدر منهم إلا لطاعة رب العلمين... كأن الفضائل المذكورة مثل حبات السبحة كثيرة ومتعددة ولكنها في الحقيقة مربوطة برابطة العبودية" (١)

ويجعل العصمة من أخص خصائصهم فيقول: " والمراد من العصمة، أن الله يحفظ جميع أقوالهم وأفعالهم وعباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم مقاماتهم وأخلاقهم و أحوالهم من مداخله النفس والشيطان والنسيان بقدرته الكاملة.... وإن صدر منهم أمر خارج من رضى الله عزوجل ويشذ صدوره ويندر وقوعه، فالحافظ الحقيقي يخبرهم فوراً والعصمة الغيبية تجذبهم وتجرحهم إلى الصراط المستقيم طوعاً أو كرها" وأنهم معصومون عن الصغائر والكبائر (٢)

أما البعثة التي ذكرها في فضائل الأنبياء عليهم السلام التي لها دخل في معنى الإمامة بينها الشاه بقوله: " ليعلم أن الأنبياء مأمورون بتبليغ الأحكام، والبعثة لها صورة ظاهرة وحقيقة باطنة والظاهر أن الحق جل وعلا يأمرهم بالوحي أو الإلهام بتبليغ الأحكام، وحقيقته أنه يلقي الرحمة المفورة والشفقة اللامتناهية في قلوبهم للمبعوث إليهم، مثل إلقاء المحبة والشفقة الشديدة في قلوب الآباء للأبناء... فكما أن الآباء يحزنون ويقلقون ويتألمون لأجل الأبناء كذلك الأنبياء، يشفقون على أقوامهم أكثر منهم على ابنائهم، ويصيبهم أنواعاً من الهموم والأحزان لضلال أقوامهم ولاتفتز ولاتنقل جهودهم مع نزول قوله تعالى ﴿لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين﴾ (٣) ﴿إنما أنت مذكر لست عليهم عاصيط﴾ (٤) ثم يبين مقصود البعثة.

فيقول: " فإن مقصود بعثة هؤلاء أن يتأدب عباد الله في أقوالهم وأفعالهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأن يتهذبوا في الأخلاق وأن يستقيموا في المقامات والارادات والعلوم والاعتقادات

(١) منصب امامت ١٢ - ١٤

(٢) المصدر السابق ص: ١٤، ١٣٥ فإن العصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يقر في ذلك على خطأ باتفاق المسلمين، وأنهم معصومون من الكبائر وقد تقع منهم الصغائر ولكن لا يقرون عليها بل ينبهون انظر التفاصيل في الفتاوى ٣١٩/٤ و ١٠ / ٢٩٠ - ٢٩٣

(٣) سورة الشعراء/٣

(٤) سورة الغاشية /٢١-٢٢

وأن يتحسنوا في أمور الدنيا، ويفوزوا بالفلاح والنجاة في الآخرة فهم يفضلون دائما الآخرة، أما الدنيا فتكون تابعة لها،

خرق العادة:

ومن الأسباب التي يستند إليها الأنبياء في هداية البشر خرق العادة (١) فيقول: "إن الله جل وعلا بقدرته الكاملة يصدر شيئا غريبا على أيدي الأنبياء عليهم السلام لتصديقهم، يمنع صدورهم منهم وإن لم يكن ممتنعا على غيرهم، وتفصيله أن وجود الأشياء حسب سنة الله موقوف على تهيئة أسبابها وآلاتها فمن يحصل على الأدوات والآلات فصدور الشيء منه لا يكون خرقا للعادة، ومن لم يجمع آلاتها وأدواتها فصدوره منه يعتبر خرقا للعادة، فمثلا الكتابة من الكاتب لا يعتبر خرقا للعادة ولكنها بالنسبة إلى الأمي خرق للعادة، والقتل بالسلاح ليس خرق للعادة ولكن القتل بمجرد عقد الهمة والعزم والدعاء خرق للعادة، فاتضح من هذا البيان أنه لا يلزم أن يكون خرق العادة خارجا عن مطلق قوة البشر بل المطلوب أن يكون صدوره خلافا للعادة ممن صدر منه من جهة فقدان الأسباب والآلات، فكثير من الأشياء يعد من خرق العادة إذا ظهرت على أيدي المقبولين عند الله عز وجل مع أنه يمكن الوقوع مثل تلك الأفعال بل أقوى منها من أصحاب السحر والطلاسم فصدوره منه لا بد أن يكون من علامات صدقه ولهذا نزول المائدة يعد من معجزات عيسى عليه السلام بخلاف ما يحضره أهل السحر كثيرا من الأشياء النفيسة من جنس الفواكه والحلاوة باستعانة الشياطين ويفتخرون بها على رفقاءهم وأصدقائهم".

(١) من عقيدة أهل السنة والجماعة ثبوت خوارق العادة من الأنبياء والأولياء والسحرة خلافا للمعتزلة ومن وافقهم في إنكار الكرامات والسحر، والفرق بين هذه الأقسام الثلاثة بأن خرق العادة يصدر من النبي مقارنا مع التحدي ودعوى النبوة، أما الولي فيصدر منه بدون مقارنة من دعوى النبوة وهو صالح متبع لأحكام الشريعة، أما إن كان فاسقا وتاركا للشريعة في العمل والعقيدة فهو إما سحر وإما استدراج، انظر شرح العقيدة الطحاوية ٥٥٨ - ٥٦٢ ولوامع الأنوار ٢ / ٣٩٢ وهناك اختلاف لطيف بين العلماء، هل الفارق ما يصدر من الخوارق من الأنبياء والأولياء ودعوى النبوة أم جنس خوارق العادة من الأنبياء أعلى وأرفع من جنس ما يصدر من الأولياء، الظاهر والله أعلم أنه لا بد من أن يكون خرق العادة الصادرة من النبي أعلى وأرفع مما يصدر من الولي، انظر النبوات لابن تيمية، ومقدمة تفسير القرطبي ٦٦/١

ثم بين الشاه أسباب صدور خرق العادة، وكيفية صدوره؟

فيقول: "أما الأول ينبغي أن يعلم أن ظهور الخوارق بالذات ليست من أسباب الهداية وإن كان في حق بعض السعداء يصبح سببا للهداية بل ظهوره بالذات لإتمام الحجة وإفحام المخالفين وإلزام المجادلين ولتأديب قليلي الأدب ولتخويف المعاندين، (١) قال الله تبارك وتعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ (٢) فالهداية عبارة عن نور الرحمة من رب العلمين يلقي في قلب السعيد فيحثه على بحبة المحبوب الحقيقي وإطاعة المعبود الحقيقي حتى يذل في حبه النفس والمال ويجري في طاعته مثل الهواء وهذا المعنى لا يحصل من مشاهدة ظهور الخوارق إلا قليلا لأن الشخص الذي يهزم في المجادلة والمناظرة لا يحدث في قلبه الحب والإخلاص إلا بقدر يسير، نعم يتحير ويضطرب ويسكت كأنه مفقود الوعي.

ويتضح عن هذا التفصيل انه يكفي ظهور الخوارق أحيانا، وصدوره دائما ليس من لوازم الهداية وكذلك يتضح أنه لو ظهرت الخوارق من احد ولم يهتد أحد من الحاضرين فهذا لا يكون قدحا فيه".

"وأما كيفية صدوره؟ فبيانه أن الحق جل وعلا بقدرته الكاملة يتصرف في عالم التكوين تصرفا غريبا لأجل تصديق مقبول من عباد الله المقبولين، ولأيجاد قدرة صدور خرق العادة في نفسه وبأمره بإظهاره، حاشا وكلا قدرة التصرف في عالم التكوين من خواص قدرة الرب وليست من آثار قوة البشر".

"والمراد بالدعوة، فبيانه بأن الحق جل وعلا قد وهب هؤلاء بحكمته الكاملة سليقة تربية الأشخاص وأعطاهم قوة الكلام الفصيح والبيان البليغ لأجل الهداية وإيضاح الحجة كما يقول الله في حق داود عليه السلام ﴿وآتيناہ الحکمة وفصل الخطاب﴾ (٣) والمراد بالحكمة هي سليقة التربية والمراد بفصل الخطاب، البيان البليغ وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم "﴿وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾ (٤) ولكن ينبغي التأمل ان دعوة الهداة المبعوثين تتم بطريق غير طريق عقلاء الفنون في التعليم ويميز بينهما بوجهين.

(١) وقد يكون المقصود منه إقامة الحجة على صدق الرسل عليهم السلام.

(٢) سورة الإسراء / ٥٩

(٣) سورة ص / ٢٠

(٤) سورة النساء / ٦٣

"أولا: يكون كلامهم سهلا مفهوما جاريا على محاورات العرف، ولا يكون في اصطلاح عقلاء القوم ومصنفي الكتب الذين ينون عليه خطابهم وكتابتهم، فهم لا يراعون فيها آداب التصنيف....".

"ثانيا: يكون حالهم في تربية أقوامهم مثل الأب الرعوف الشفيق أو المربي الحكيم الذي يكون نظره دائما على تربية ابنه، متى ما رأى منه شيئا غير مناسب ينبهه بالحب و الألفة أو بالعنف والشدّة أو باللين والرفق أو بالمشورة أو في أسلوب المزاح ... أو بحكاية قصة ذات عبرة، وكذلك عند ما يراه يعمل عملا حسنا إلا أنه يخطئ فيه فيرشده بالطرق المذكورة أو يقوم بنفسه بذلك العمل أمامه حتى يصحح خطأه ... فدعوتهم أيضا تتحقق على هذه الطريقة، وليست على طريقة المدرسين الذين يتقيدون بمناهجهم الخاصة".

ففائدة دعوتهم مركبة بفيض الصحة وطول الملازمة، وقلما يحصل منهم التعمق والتصنع، بل يغلب عليهم شأن الأمية والتواضع ويرغبون في عدم التكلف". (١).

علامات صدق الرسول:

إن الرسول يمتاز عن جميع البشر في خلقه وخلقه وجميع الصفات الحمودة ويكون منزها من سوء الأعمال والأخلاق حتى تكون دعوته أدعى للقبول (٢)، فيقول الشاه خلال بيان العلامات التي تمتاز بها النبي عن غيره: "ومن علامة النبي أن يأتي بالمعجزة فإنه إذا لم يأت بها لا يعرف كونه رسولا، فلا تكون له ميزة على غيره من الخلق (٣) فلزم الإتيان بالمعجزة حتى يصدق الناس ويدعن له المعاندون ثم إنه يجب أن يكون في الرسول ثلاثة أمور أخرى وهي:

أولا: أن يكون صادقا ولا يصدر منه كذب،

ثانيا: أن يكون معصوما لا يصدر منه ذنب،

(١) منصب امامت ص: ٢٨

(٢) انظر لوامع الأنوار ٢ / ٢٦٦

(٣) وقد سلك أهل الكلام والنظر إلى وجوب إتيان المعجزة للنبي وحصرها دليل النبوة فيه، فإن المعجزة وإن كان دليلا صحيحا على النبوة ولكن الدليل غير محصور فيها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة ومن يخصص دلائل النبوة بنوع فقط فقد غلط، بل هي أنواع كثيرة" انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤ / ٨٠ وشرح العقيد الطحاوية ص: ١٥٨

ثالثا: أن يبلغ أحكام الله ولا يكتمها.

وشرط كونه صادقا لأنه لو كذب لما صدقه الناس في أقواله...، وكونه معصوما لأن الله أمر باتباعه وإن لم يكن معصوما لارتكب مكروها أو حراما فيكون آثما، إذا اتبعه الناس في إثمه لكانوا آثمين فما اهتدى به الناس بل ضلوا باتباعه وبطلت غاية بعثته، وهذا لغو وإن الله منزّه عن فعل اللغو

ثم إن البلاغ أيضا لازم وإن لم يبلغ الرسول لما تحققت غاية بعثته" (١)

كفر من طعن في النبي صلى الله عليه وسلم:

اعتقاد عصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغون من الله، من لوازم الإيمان بهم ومن طعن فيهم بما لا يليق بهم فقد نقض إيمانه ويقول الشاه يقرر ذلك: "ومن نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكذب أو كتمان الوحي أو المعصية أو سوء الخلق أو الحرص أو الشح أو حب الجاه أو الرذيلة فليس هو بمسلم ولم يكن صادقا في شهادته بكلمة التوحيد" (٢)

اعتقاد بشرية الأنبياء عليهم السلام:

انحرف الناس عن الجادة لغلوهم في الأشخاص والكبار، فيعظمونهم تعظيما لا يليق إلا بالله عز وجل، ومن الغلو العقيدة في النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس بشيء، وإنما هو نور من الله خلقه من نوره، ونحوها من العقائد.

وردا على مثل هذا الغلو قد ركز الشاه في كثير من المواضع على إثبات بشرية الرسل وخاصة بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن إثبات بشريته يستلزم نفي صفات الألوهية عنه فيبطل غلو الناس في حقه، فيقول في شرح قوله صلى الله عليه وسلم "لا تطرونني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم" (٣) والمقصود من الحديث أن منصب الرسالة يتضمن جميع المحاسن والمحامد التي أكرمني الله بها فإذا أطلقت على كلمة "رسول الله" فلا مزيد على ذلك

(١) تذكير الإخوان ص: ٧٩ فإن كونه صادقا ومعصوما داخل في ما خصهم الله من العصمة وأما التبليغ

فلا ريب إنه من لوازم الرسالة فالنبي يمثل أوامر الله في كل شيء فما بالك في تبليغ الوحي الإلهي.

(٢) المصدر السابق

(٣) أخرجه البخاري - الأنبياء (٣٤٤٥) والحديث انفرد به البخاري دون مسلم.

فإن الرسالة هي أكبر المنازل التي يصل إليها بشر وكل ما سوى ذلكم من المنازل والمراتب فهي دونها فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فقولوا عبد الله ورسوله" (١) *

وهكذا نراه يولى اهتماما بالغاً في إثبات بشرية الرسول حتى يمنع الناس عن الغلو في البشر، كما فعلت اليهود والنصارى. فيقول في شرح كلمة التوحيد بأن مقتضى الإيمان بالرسول، الإيمان ببشرية الرسول، فيقول: "فإن معنى "محمد رسول الله" بأن يؤمن من غير شك وينطق بلسانه بأنه عبد الله ورسوله وأنه بشر وعبد من عباد الله وذلك أنه إذا لم يكن عبداً لزم أن يكون إلهاً فإذا كان كذلك فمن أين ومن يأتي بالرسالة؟ فإذا ثبت كونه عبداً وجب عليه أيضاً عبادة الله عز وجل، إلا أن الله اختاره على سائر الخلق لرسالته، واختياره يدل على أنه اجتمعت في شخصيته الصفات الحسنة الكاملة بحد لا توجد في غيره من البشر ومن تلك الصفات العقل والفطنة والحكم وحسن الخلق والإطاعة والقناعة والزهد والمروعة والجود والسخاء والشجاعة والرحمة والتقوى وغيرها من الصفات الحسنة كلها كانت فيه بأكمل وجه" (٢)

ويقول: "وليعلم إن الأمور التي تختص بالبشر من الأكل والشرب والنوم واليقظة والنكاح والغائط والبول لا تضر بشخصية الرسول شيئاً فإذا لم توجد هذه الأمور لم يكن بشراً..." (٣)

(١) وهي قطعة من الحديث السابق.

* - تقوية الإيمان ص: ١٥١

(٢) تذكير الإخوان ص: ٧٨

(٣) المصدر السابق ص: ٧٩

المبحث الثاني: الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر خيره وشره من تمام التوحيد يجب الإيمان به كما قال ابن عباس: "هو نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده (١)"

ولاشك فإنه مسألة عقدية خطيرة، متعلق بعلم الله وقدرته، قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض فيه مع وجوب الإيمان به، يقرر ذلك الشاه فيقول: "عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، كأنما فقي في وجنتيه حب الرمان، فقال: أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم عزمت عليكم أن لاتنازعوا فيه (٢) يقول في شرحه: "فإن الله قد بين لعباده عن ذاته وكيفية عبادته وعن رسوله ما فيه خيرهم وصالحهم، وما لم يكن فيه صلاح دينهم ودنياهم، وما كان فوق إدراك البشر لم يبينه، فإنه لم يبين عن تركيب الشمس ومادتها وعما صنع العرش ونحوها من الأشياء التي فوق عقول البشر وإدراكهم كذلك مسألة الجبر والاختيار والقدر فإن عقل الإنسان يعجز عن إحاطتها بالكلام والجدال فيها سيؤدي إلى الضلالة كما هو واقع" (٣)

وأول ما بدأ الكلام في القدر زمن متأخري الصحابة فتبرأوا من لم يؤمن به، وأوصوا المسلمين بأن لا يسلموا عليهم إذا تقابلوا، ولا يصلوا عليهم إذا ماتوا، وقد قال ابن عمر لما قيل له: "يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف أخبرهم إني برئ منهم، وأنهم مني براء" (٤) وبوب الشاه رحمه الله بابا بعنوان "في ذكر الإيمان بالقدر" وأورد فيه آيات وأحاديث عديدة مع شرح وجيز، مستدلا بها على وجوب الإيمان بالقدر، منها قوله تعالى ﴿إنا كل شيء

(١) التدمرية ص: ٢١٢

(٢) أخرجه الترمذي - القدر - ٢١٣٣ وقال: وهذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب يتفرد بها لا يتابع عليها. وحسنه بشواهده الألباني انظر المشكاة ٣٦/١ بتخرجه.

(٣) تذكير الإخوان ص: ٩٦-٩٧

(٤) رواه مسلم - الإيمان - رقم الحديث ٨/

خلقناه بقدره ﴿١﴾ يقول في شرحها " فالآية تدل على أن كل ما في الكون من العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة.... كلها مخلوقة لله عز وجل وهو خالقها، وقدر قبل خلقها كل ما هو كائن" (٢)

ويقول: " إن الله قبل أن يخلق الخلق قدر أحوال سائر الخلق وقضاها وقد قدر جميع ما يتعلق بأعمالهم وعواقبهم، فإن الإرادة التي تنشأ في قلب الحي والأعمال التي يعملها كلها مخلوقة لله عز وجل" (٣)

ويقول: " عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت والبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر" (٤) فالحديث يدل على وجوب الإيمان بالقدر فمن لم يؤمن به فليس بمؤمن بل هو كافر" (٥)

القدرية:

ويعرف القدرية: " فمن لم يؤمن بالقدر واعتقد بأن العبد خالق لأعماله أو يعمل أعمالا لا يريدتها الله عز وجل أو لم يسبق علم الله عن أمور حدثت في الكون، فهو "قدري" أي ينكر القدر ويثبت في العباد صفة الخلق" و يرد عليهم بقوله: " قال الله تبارك وتعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ (٦) ويقول في شرحها بأنه يخلقكم ويخلق أعمالكم ويدل على أن أفعال العباد من خلق الله ما يفعله العبد من الأعمال مع عدم رغبته فيها، وأعمالا يرغب فيها فلا يفعلها بل يصرف عنها، وذلك أن الله هو الذي يتولى إلقاء الإرادة في قلب البشر كما قال الله تعالى ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ (٧) فإن الإرادة في القلب تسبق العمل، فإذا لم

(١) سورة القمر ٤٩

(٢) تذكير الإخوان ص: ٩١

(٣) المصدر السابق ص: ٩٠

(٤) أخرجه الترمذي - القدر - ٢٢٣٢ وابن ماجة في المقدمة - ٨١ وسنده صحيح انظر مشكاة المصابيح

٣٧/١ بتحقيق الألباني.

(٥) تذكير الإخوان ص: ٩٣

(٦) سورة الصافات / ٩٦

(٧) سورة الأنفال / ٢٤

يرد الله عملا يصرف القلب عنه، ويظهر ذلك بأن الإنسان يريد أفعالا وأقوالا عديدة ولكنه لا يفعلها وهذا يدل بأن هناك من يصرفها عنه، وأن الله هو الذي يلقي الإرادة في القلب ومنها تنشأ أعمال الجوارح كما قال الله تعالى ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ (١)(٢)

ثم إنه ذكر أحاديث الوعيد الواردة في المكذبين بالقدر، بأنهم محسوس هذه الأمة وأن النبي صلى الله عليه وسلم منع عيادة مرضاهم وحضور جنازتهم وعن مجالستهم (٣) وسيكون فيهم خسف ومسح (٤)، ونحوها من الأحاديث الكثيرة (٥)

الجبرية:

ويرد على الجبرية بقوله بأن "من اعتقد بأن العبد لا يقدر على شيء و ما يفعله فهو في الحقيقة فعل الله، وأن العباد والدواب كلهم مجبورون، الكفر والمعاصي من فعل الله، فهو جبري، وهي عقيدة فاسدة أيضا ويظهر اختيار الإنسان بما نشاهد اختياره وإرادته فإنه يعمل ويترك، فإن في مشي الرجل والحجر الجامد فرق واضح، فإن الرجل باختياره وقدرته يمشي ويتحرك عكس الحجر، وفي تحريك المحرك يده، وفي حركة اليد المزمنة فرق، فبناء على هذا الاختيار والقدرة أمر الله بامثال أوامره وانتهاء نواهيه فمن عمل حسنا يجزي به، ومن عمل سوء يجزي به" (٦)

هكذا نرى الشاهد قد أنكر على القدرية التي تنفي القدر وعلى الجبرية التي تسلب من العبد القدرة وتنزله منزلة الورقة في مهب الرياح التي لا خيار لها.

وقد أخطأ الجبرية ومن نهج منهجهم من الصوفية بأن كل ما قدره الله يرضاه، فالخير والشر والإيمان والكفر هو من قدر الله وقضائه فهو يحبه ويرضاه، يرد عليه الشاهد فيقول: "إن الله هو خالق الخير والشر ولكنه لا يرضى بالشر فإن كتابة القدر السابق لا يدل على أنه يرضى

(١) سورة التكويد / ٢٩

(٢) تذكير الإخوان ص: ٩٣

(٣) رواه أبوداود - السنة - ٤٦٩١ - وحسنه الشيخ الألباني بشواهد انظر مشكاة المصابيح ٣٨/١

(٤) أخرجه الترمذي - القدر - ٢١٥٣ - وحسن الشيخ الألباني بعض أسانيد، انظر مشكاة المصابيح ٣٨/١

(٥) انظر رد الإشارك باب الإيمان بالقدر .

(٦) تذكير الإخوان ص: ٩٠

من كل عمل، فإن الله قد بين الخير والشر، وأمر بالخير، ونهى عن الشر، فمن أتى بما نهى عنه، فقد أذنب ذنبا يعاقب عليه" (١)

و يقرر الشاه بأن قدر الله عز وجل سر لا يدركه عقل البشر، وأن الخوض في معرفة سره لا يفيد، فيقول: "ولو سألت سائل، ولماذا كتب الله في الأزل عن بعض الأشخاص أنه شقي وعن بعضهم أنه سعيد، والجواب عليه بأنه لا يجوز الخوض فيه، لأنه سر وعقل الإنسان لا يتحمله ولا يدركه، كما أن عقله لا يدرك حقيقة الروح، وحقيقة عذاب القبر، ثم إن الشريعة لم تأمرنا بمعرفة هذا السر ولو افترضنا علم ذلك السر فلا يفيد في الدنيا ولا في الآخرة، فإن حصول الجنة والنجاة من النار لا يتوقف على معرفته...." (٢)

(١) تذكير الإخوان ص: ٩٠

(٢) تذكير الإخوان ص: ٩٠

المبحث الثالث: مباحث الإيمان

أول ما وقع الخلاف في مسمى الإيمان (١) فالخوارج والمعتزلة جعلوه مركبا من التصديق والاقرار والعمل، فالعمل شرط في صحته فبزوال بعضه يزول كله، وهو شيء واحد، وبناء عليه كفروا صاحب الكبيرة أو حكموا بتخليده في النار. (٢)

أما لسلف فإن قالوا بدخول الأعمال في مسمى الإيمان، إلا أنهم يقولون بأن له أصل وفرع، فالأصل هو التصديق والاقرار، والفرع العمل، وبه يكمل الإيمان، وهو شرط في كماله، فبنقصان العمل ينقص الإيمان ولا يزول إلا بزوال الأصل، وبناء عليه قالوا بزيادة الإيمان ونقصانه، لأن الطاعات تزيد في الإيمان كما أن المعاصي تنقص الإيمان. (٣)

وقد نص عمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو الدرداء، وجابر بن عبد الله وجمع من الصحابة رضي الله عنهم بأن الصلاة من الإيمان، وأنه يزيد وينقص، وقال جماهير التابعين ومن بعدهم بأنه قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٤)

ويظهر من صنيع الشاه في كتبه أنه يعتقد دخول الأعمال في الإيمان ولذا قد طعن فيه المبتدعة قديما وحديثا بأنه "معتزلي خارجي نجدي وهابي" لأنه يرى دخول الأعمال في مسمى الإيمان، ويكفر الناس بناء على الأعمال (٥)

ويقول خصمه: "بأنه بنى على هذه العقيدة الضالة سائر كتابه تقوية الإيمان، لأنه يكفر بناء على الأعمال فإذا بطلت هذه العقيدة أصبح كتابه أيضا باطلا لا وزن له" (٦)

(١) انظر الفتاوى ١٦٩ / ٧

(٢) الفتاوى ٢٢٣ / ٧، ٢٤٢

(٣) المصدر السابق ٢٢٢ / ٧ وما بعده

(٤) انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، لللالكائي ٨٣٢ / ٤ و ٨٩٠ / ٥

(٥) وقد طعن بهذا "فضل رسول بديواني" في عدد من كتبه انظر مثلاً "البوراق المحمدية لرحم الشياطين النجديّة" وكتابه "سيف الجبار المسلول على الأعداء للأبرار" الملقب "بسوط الرحمن على قرن الشيطان" ص: ٤٧ كفر فيه الشاه وكذلك في كتبه العديدة، وخصمه نعيم الدين أيضا انظر أكمل البيان ص: ٥٧٠ وغيرهم كثير

(٦) المصدر السابق نقلا من "الصواعق الإلهية بطرد الشياطين اللهاية وسيف الرحمن على رأس الشيطان

ص: ٩١ - ١٠٦

يقول الشاه رحمه الله: "واعلم أن للإيمان جزأين، الإيمان بالله إلها وربا، والإيمان بالرسول مطاعا وإماما، والإيمان بالله ربا يعني أن لا يشرك به أحد والإيمان بالرسول مطاعا يعني أن لا يسلك طريق غيره،

فالأول هو التوحيد وضده الإشراك بالله .

والثاني هو الاتباع وضده البدعة، فيجب على كل أحد أن يعتصم بالتوحيد واتباع السنة بقوة وبعض عليهما بالنواخذ ويحترز من الشرك والبدعة كل الاحتراز فإنهما يؤثران في الإيمان ويحدثان خللا فيه وتتبعهما سائر الذنوب والمعاصي فإنها تؤثر في الأعمال وتحدث خللا فيها...." (١)

ويقول خصمه نعيم الدين (٢) فإنه جعل للإيمان جزءان التوحيد واتباع السنة ووضعهما في درجة واحدة مع أن اتباع السنة من جنس العمل، ولكنه أدخله في مسمى الإيمان مثل التوحيد، وجعل الشرك والبدعة في مرتبة واحدة، فكما أن الشرك يؤثر في أصل الإيمان كذلك البدعة تؤثر في أصل الإيمان وهذا ليس مذهب أهل السنة بل هو مذهب المعتزلة والخوارج... (٣)

ويدل على أنه كان يرى دخول الأعمال في مسمى الإيمان، بأنه جعل الباب الثاني في كتابه رد الإشراك في البدعة وعقد فيه فصلا بعنوان "ذكر حقيقة الإيمان" ويقول قبل شرح الآيات والأحاديث: "فإن هذه الآيات والأحاديث تدل على حقيقة الإيمان وأعمال الإيمان، وما يضاد تلك الأعمال ليس من الإيمان بل مخالف له وليعلم أن أعمال الإيمان لا يعلم إلا من الله ورسوله ولا يدرك بالعقول" (٤)

ومن الآيات التي أوردها قول الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ...﴾ (٥) يقول في شرحها: "بأن الأعمال المذكورة أعمال الإيمان ينبغي أن يعمل بها المسلم فيحصل به النجاة والفلاح ويدخل بها في الجنة" وقال الله

(١) تقوية الإيمان ص: ٣٥

(٢) فهو من كبار البريلويين، ألف "أطيب البيان" في الرد على تقوية الإيمان. توفي سنة ١٩٤٨ م انظر البريلوية ص: ٥١

(٣) أطيب البيان ص: ٢٣٧ تحت عنوان "عقائد الوهابية في الإيمان" انظر أكمل البيان ص: ٥٧٠

(٤) تذكير الإخوان ص: ٧٣

(٥) سورة المؤمنون ١-١٠

تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّلَاةَ وَيَمْنَعُونَ زُرْقَاهُمْ يَنْفَقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١) ويقول في شرحها: " أن الآية تدل بأن من علامات الإيمان وجل القلوب عند ما يسمع آيات الله وأن الإيمان يزيد بسماع الآيات المتلوة، ويقول في الأخير: " فالآيات هذه تدل بأن من لم يكن فيه هذه الأمور ثم يدعى كونه مسلما فهو كاذب في دعواه، فإنما تصح دعواه إذا وجدت فيه الأمور المذكورة في الآيات" (٢)

ومن الأحاديث التي ذكرها في هذا الفصل: " عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضع وستون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" (٣)

يقول في شرحه: " فإن مثل الإيمان مثل الشجرة التي فيها فروع وأوراق وأزهار مختلفة الألوان فالإيمان أصل ومن فروعها إمطة الشوكة والحجر والأذى من الطريق ومنها الحياء والاجتناب من أذى المخلوق كلها من مقتضى الإيمان" (٤)

هذا الشرح يدل على أن للإيمان أصل وفروع، فإن الأصل هو الإيمان بالله وذلك بتوحيده في العبودية وفروعه أعمال كثيرة منها الحياء وإمطة الأذى ويقول أيضا: " عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان" (٥) ويشرحه بقوله: " فمن فعل الأمور المذكورة فقد كمل إيمانه، ودل الحديث أن من موجبات كمال الإيمان أن نجعل الحب والبغض والعطاء والمنع كلها حسب مرضاة الله عز وجل" (٦)

واستدل بأن الإيمان لا يكمل إلا أن يكون حب العبد وبغضه وعطاءه ومنعه لله عز وجل، وإلا ففي إيمانه نقص.

(١) سورة الأنفال / ٢

(٢) تذكير الإخوان ص: ٧٤ - ٧٥

(٣) أخرجه البخاري - الإيمان - ٩ - الفتح ١ / ٥١

(٤) تذكير الإخوان ص: ٨٢

(٥) أخرجه أبوداود - السنة - وأحمد في المسند ٣ / ٤٣٨ والحديث صحيح انظر سلسلة الصحيحة برقم

(٣٨٠) ٦٥٧/١

(٦) تذكير الإخوان ص: ٨٤

ويقول: "أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أنس قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له ولادين لمن لا عهد له" (١) ويقول في شرحه: "فإن من لا يراعي الأمانة ولا يوفي عهده ووعدته فليس له دين ولا إيمان، يعني فإن إيمانه ودينه ناقص لم يكمل فدل هذا بأن مراعاة الأمانة وإيفاء العهد من علامة كمال الإيمان" (٢)

وهكذا قد سرد عددا من الأحاديث التي تشتمل على خصال زائدة على ما وردت في حديث جبريل، مستدلا بها على أن من أتى بها فقد كمل إيمانه ومن تهان فيها فقد نقص إيمانه منها " أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، وأن يحب المرء رسول الله أكثر من حبه لولده ووالده، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يأمن الناس منه على دماءهم وأموالهم، وأن يسر بحسنته ويستاء بسيئته، وغيرها من أعمال البر الواردة في الأحاديث الصحيحة وجعلت تلك الأعمال من الإيمان أو سببا في زيادته أو نقصه، واستدل بها أن فعلها سبب لكمال الإيمان وتركها سبب لنقصه.

وهذا النهج الذي انتهجه في شرح هذه الأحاديث التي تثبت أعمال البر من الإيمان أو تنفي الإيمان عند انتفاءها ويقصد به نفي كمال الإيمان هو نهج أهل السنة وهذا يدل بأنه كان مع السلف في باب الإيمان كما أثبت ذلك صاحب "أكمل البيان في تأييد تقوية الإيمان يرد على من يطعن في الشاه بالاعتزال والخروج" (٣)

حكم مرتكب الكبيرة:

ومما يدل عليه أنه يقرر في مواضع عديدة بأن الشرك المزيل للإيمان لا يغفره الله ويكون صاحبه مخلدا في النار ولكن الذنوب ليست مثل الشرك بل هي تحت المشيئة يغفرها الله إذا شاء أو يعذب بها إذا شاء . فيقول: " قال الله تعالى ﴿إِنْ لِلَّهِ أَنْ يَغْفِرَ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٤) " اعلم أن الناس ينحرفون عن صراط الله المستقيم إذا غلبهم الهوى، وجمحت بهم النفوس، فمنهم من لا يميز بين الحرام والحلال ومنهم من يمارس سرقة أو يأتي بعمل من أعمال الفسق أو يترك الصلاة والصيام أو لا

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٣٥٤) ٧٨/٤ بتحقيق زغللول وفي الكبرى ٢٨٨/٦ وأحمد في

المسند ٢/١٥٤، ٢١٠، ٢٥١

(٢) تذكير الإخوان ص: ٨٥

(٣) انظر ص: ٥٧٠ وما بعدها

(٤) سورة النساء ١١٦/

يأتى بما فرض الله عليه من حقوق الأهل والعيال ولا يحسن إلى والديه ويغلظ القول لهما ولكن من أشرك بالله فقد أشرف وظلم نفسه ظلما عظيما وقد جنى جناية لا يغفرها الله وأما الذنوب والآثام الأخرى فعسى أن يغفرها الله برحمته ويتجاوز عنها ولكن الشرك لا يغفر بل لابد أن يوفي جزاءه.

وعلم بهذه الآية أن الشرك الجلي هو آخر درجات الشرك يكفر صاحبه، ويبقى في النار خالدا مخلدا لا يخرج منها أبدا ولا يجد فيها راحة، أما أصناف الشرك التي هي دون هذا الشرك فسيلقى صاحبها ما أعد الله لها من العقوبات في الآخرة، وعلم أيضا أن لا إثم أكبر من الشرك، أما سائر الذنوب الأخرى فعقابها محدد عند الله تعالى إن شاء عاقب وإن شاء عفا". (١)

فالشاه رحمه الله جعل الكبائر من السرقة وأكل الحرام والتهاون في حقوق الأهل والأموال وعقوق الوالدين ونحوها من الكبائر، ولا يكون صاحبها من أجل تلك الذنوب خالدا مخلدا في النار لأن معه إيمان وإن كان ناقصا، أما من وقع في الشرك المناقض لأصل الإيمان والتوحيد فلا يغفره الله، فقد فرق بين الكبائر وبين الشرك المزيل للإيمان .

ويقرر ذلك في موضع آخر فيقول: "أخرج الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: "يا ابن آدم انك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا إلا آتيتك بقرابها مغفرة" (٢) وقد دل الحديث على أن الإنسان مهما أتى به من ذنوب واقترب من آثام وإن كانت تعدل ذنوب أكبر العصاة والمجرمين كفرعون وهامان ولكنه بريء من الشرك بدل الله سيئاته حسنات وآتاه مثل هذه الذنوب مغفرة وأن جميع ذنوب العصاة والمذنب تمحى وتغتفر ببركة التوحيد (٣) كما أن للشرك شوما وظلمة تطفى على جميع الحسنات وتحبط جميع العبادات وهذا هو الحق فإنه إذا قرى في قلب المؤمن أن لا إله إلا الله، لا رب سواه ولا ملجأ ولا منجأ إلا إليه وأن لا معقب لأمره ولا راد لقضائه ولا شفيع إلا بإذنه فقد تطهر من أدران الشرك فما صدر عنه من ذنب فهو من مقتضى البشرية، أو نتيجة النسيان والسهو ويستولي على قلبه الخوف من هذه الذنوب ويعاف هذه الذنوب ويستوحش منها حتى

(١) تقوية الإيمان ص: ٥٣ - ٥٤

(٢) تقدم تخريج الحديث ص: ٥٥

(٣) وكلامه ليس على إطلاقه، بل الموحد صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، من غير خلود في النار، وتقدم التعليق عليه ص:

تضييق عليه الأرض بما رحبت وتضييق عليه نفسه، وكل من كان هذا شأنه غشيته رحمة الله ولطفه وكلما أكثر من الذنوب اشتدت به الكآبة والحزن وأحاطت به الوحشة فمن كانت قدمه راسخة في التوحيد، عملت ذنوبه ما لا تعمل عبادة غيره، فكان الفاسق الموحد خيرا من المشرك، كما أن الوفي المقصر من الرعية خير من الشائر المتملق، لأن الأول نادم على تقصيره والثاني مغتر بخديعته ونفاقه وهو يحسب أنه يحسن صنعا" (١)

هذا هو مذهب أهل السنة يقول الطحاوي (٢): "وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين (٣) وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم كما ذكر في كتابه ﴿وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يعثهم إلى جنته" (٤)

تكفير المعين:

وقد استشكل كثير من الناس وقوع الكفر من الذين يشهدون أن لا إله إلا الله ويدينون بدين الإسلام وإن أتى من أعظم نواقض التوحيد. وأعظم ما اعترضوا في الآونة الأخيرة على دعاة التوحيد، أنهم يكفرون المسلمين عموما، وكانت هذه فرية ذات تأثير غريب في تنفير الناس عن تلك الدعوة وأهلها (٥) واتهم بها الشاه بأنه يكفر السابقين واللاحقين، والأحياء والأموات، وجميع المسلمين، وأنه يعتقد بأنه لم يبق أحد في الدنيا من يؤمن بالله (٦)

(١) تقوية الإيمان ص: ٦٥ - ٦٦

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي الأزدي، إمام فقيه ثقة، من أئمة الحنفية، وله كتب قيمة، منها العقيدة الطحاوية، أحكام القرآن، وكتاب معاني الآثار ومشكل الآثار توفي ٣٢١هـ انظر السير للذهبي ٢٧/١٥ والفوائد البهية ص: ٣١

(٣) يقول شارحه: "... لو قال مؤمنين بدل قوله "عارفين" كان أولى، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٤١٦

(٥) انظر دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ١٦٢

(٦) انظر أطيب البيان ٢٤٠ نقلا من أكمل البيان ص: ٥٧٦

هذا افتراء صريح عليه ، والشاه رحمه الله لم يحكم بالخروج من الإسلام إلا لمن أتى بالشرك العظيم المناقض للتوحيد، أو أنكر الشريعة، واستحل المعاصي، وقد صرح في مواضع عديدة بأن الله يغفر الذنوب مهما بلغت إذا كان صاحب الذنب موحدا.

واستفسر في حكمه بالكفر والخروج عن الملة لمن تلوث بالأمور الشركية المذكورة في تقوية الإيمان فأجاب مفصلا .

يقول السائل: " هل يحكم بكفر زيد عند ما يرتكب بعض الأفعال الشركية المذكورة في تقوية الإيمان مثل النذر لغير الله، وتقبيل القبر، وإلقاء الرداء عليه، والحلف بغير الله ونحوها من الأمور صدرت من زيد فهل يحكم بكفره ويستباح ماله ودمه ويعامل معاملة الكفار؟

يقول الشاه يجب عليه: " لا يجوز الاعتقاد بأنه أصبح كافرا حقيقيا ولا يجوز أن يعامل معاملة الكفار، فمن عامله تلك المعاملة فقد أذنب ويأثم عليه وما ذكرنا في تقوية الإيمان فبيانه كالتالي، إنه قد ورد في الحديث النبوي أن للإيمان بضع وسبعون شعبة وأفضل تلك الشعب لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق (١) وكذلك ورد في رواية أخرى أن الحياء شعبة من الإيمان (٢) وكذلك في روايات عديدة أن الصبر والسماحة (٣) يعني علو الهمة وحسن الخلق من شعب الإيمان، ويُرى كثيرا بأن بعض هذه الأمور يتصف بها بعض الكفار، فكثير من الكفار يتصفون بالحياء، وكثير منهم يتخلقون بخلق حسن فمجرد وجود الحياء لا يصبح ذلك الكافر مؤمنا ولا يستحق أن يعامل مثل معاملة المسلمين، نعم ينبغي أن يعلم أكيدا أن الحياء شعبة من الإيمان وخصلة أحب إلى الحق جل وعلا، وإن لم يكن هذا الشخص محبوبا لأنه كافر ولكن هذا الخلق محبوب، كذلك فإن الشرك يقابل الإيمان فلا بد أن تكون له شعب مثل هذه الشعب فكما أننا لا نجعل زيدا مؤمنا بمجرد الحياء مع الثناء على خلقه وحيائه كذلك بمجرد حلقه بغير الله لا نجعله مشركا (٤) ولكن ينبغي أن يعد هذا الفعل من الأفعال الشركية ويُظهر الإنكار الشديد عليه ويهان ذلك الفعل ولا ينبغي إهانة ذلك الفاعل لأنه من الممكن أن يكون عنده شعب كثيرة من الإيمان مثل ما وجد تلك الشعبة الشركية، فبسبب شعب الإيمان يصير مقبولا عند الله وإن كان

(١) تقدم تخريجه قريبا ص: ٣٩١

(٢) انظر الرواية السابقة

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٨٥ / ٤ و ٣١٦ / ٥ وانظر مشكاة المصابيح ٤٨ / ١ حديث عمرو بن عبسة الطويل وفيه قلت: ما الإيمان ؟ قال: الصبر والسماحة.

(٤) إن الخالف بغير الله قد يكون كافرا وقد لا يكون، انظر التفاصيل ص:

فعله هذا مردوداً، وينبغي ملاحظة هذا التفصيل مادام فاعله لم يجاهر بمقابلة الشرع أما إذا أظهر رد الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحيات والتسليمات الزاكيات، مثل أن يقول: لا علاقة له بالشريعة، أو يقول: أنه ليعمل العمل الفلاني سواء رضى له النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يرض به، أو يقول: إن الشريعة تنهى عن هذا الفعل ولكن الشريعة ليست له بل لغيره فمذهبه طريقة وليست شريعة (١) فعندئذ يصبح كافراً مطلقاً فجميع شعب الإيمان الموجودة فيه تصبح هباء منثوراً ويحيطه غضب الله عز وجل أعادنا الله وسائر المسلمين من غضبه" (٢)

الشاه رحمه الله قد بين في هذا الفتوى بأنه لا يكفر أحداً ولا يجوز تكفير أحد ببعض أفعال شركية ولا يزول به إيمانه بل يكفره إذا كان جاحداً للشريعة ومعارضاً له ويستهيئ بأفعاله الشريعة أو النبي صلى الله عليه وسلم، وأشار فيه إلى الصوفية المنحلين عن الشريعة بحجة أنه يجوز لهم في طريقتهم ما لا يجوز في الشريعة، أو لوصوله مرتبة الولي جاز له كل شيء، فمن أتى بمثل هذه الأعمال التي فيها معارضة صريحة للشريعة فلا تنفعه جميع شعب الإيمان بل يصبح كافراً مطلقاً.

وكذلك قد حكم بالكفر على من يستحل المنهيات الشرعية أو يرفض بعض الأحكام الشرعية (٣)

الشفاعة:

أهل السنة وسط في باب الشفاعة بين المعتزلة والخوارج الذين ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر، وبين الصوفية والقبوريين الذين يثبتون الشفاعة المطلقة للأنبياء والأولياء بحيث أنهم إذا شفّعوا لا ترد شفاعتهم وأن الله مضطر بقبول شفاعتهم، وقسم الشفاعة المعهودة في الدنيا إلى ثلاثة أقسام:

شفاعة الوجاهة، التي يشفعها وجيه القوم وكبيرهم فلا ترد شفاعته لوجاهته.

(١) ابتلي به الصوفية هدامهم الله.

(٢) وفي آخر هذا الجواب "كتبه محمد اسماعيل مصنف تقوية الإيمان عفي عنه في "شاهجهان باد" حرر

١٢/ جمادى الأول ١٢٤٠هـ انظر "مطرق الحديد على صاحب التحقيق الجديد ص: ٧٦ - ٧٨

(٣) انظر تفاصيله في "مكاتبه" المخطوطة ص: ٢٣

شفاعة المحبة: فإن المشفوع إليه لا يرد شفاعة حبيبه بناء على حبه، وتسمى هذه شفاعة المحبة، فهذان القسمان لا يتصور في حق الله عز وجل فمن أثبت هذين القسمين فقد أشرك بالله (١)

أما القسم الثالث: فهي الشفاعة بالإذن التي أثبتها القرآن والسنة، واعتقد بها أهل السنة والجماعة، ويوضح الشاه هذه الشفاعة بضرب المثال فيقول: "إن السارق الذي ثبت عليه السرقة لكنه ليس مجرماً متعوداً على الجريمة، ولم يتخذ السرقة ديدناً له وحرفة، ولكن ارتكب هذه الجريمة من ضعف البشرية، فهو نادم على فعله هذا، وهو وجل وخجل، ويحترم قانون ملكه، ويعد نفسه مخطئاً يستحق العقوبة، ولا يلجأ إلى أمير ووزير هرباً من الملك، ولا يعمل ولا يعتمد على نصرته أحد، بل إن عينه شاخصة إلى الملك، وإن آماله معلقة به لا غير، ويديم النظر إليه ماذا يأمر فيه، فلما رآه الملك هذا الحال من القلق والخوف والرجاء، رق له قلبه، ولكنه يعرف أنه إذا عفا عن جرمه بدون سبب استخف الناس بهذا القانون، وتسرب الفساد في نظام ملكه، وذهبت عنهم مهابته، فأشار إلى أمير أو وزير فقام بشفاعته إليه، وأظهر الملك أنه يريد أن يكرم هذا الأمير بقبول شفاعته، فصفح عن هذا السارق متمسكاً بشفاعة هذا الأمير، والظاهر أن هذا الأمير لم يشفع لهذا السارق، لأنه كان بينه وبينه قرابة أو صداقة، ولكنه شفع له، لأنه وقف على رغبة الملك، وهو أمير من أمراء هذا الملك، ليس خدناً للصوم حتى يتولى نصرتهم، ويقوم بشفاعتهم، فإنه إذا فعل ذلك دخل في زميرهم، وهذا النوع من الشفاعة، يسمى "الشفاعة بالأذن".

واعلم أنها هي الشفاعة بالإذن، وكل شفاعة جاء ذكرها في القرآن والحديث، فهي هذه الشفاعة المأذون لها، فيجب على كل إنسان أن يظل داعياً لله تعالى، خائفاً منه، مستعيناً به، بائياً بآثامه بين يديه، مؤمناً بربوبيته ونصرته، لا يعلم لنفسه ملجأ ولا ملاذاً إلا الله...." (٢)

فأثبت الشفاعة بالإذن لأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) انظر التفاصيل في موضوع الشرك من هذا البحث

(٢) تقوية الإيمان ص: ٩١ - ٩٢

المبحث الرابع: فضائل الصحابة

بواب الشاه رحمه الله بابا مستقلا في ذكر فضائل الصحابة وأهل البيت، وذكر فيه حقوق الصحابة، وما يجب على المسلمين تجاههم، وجمع آيات وأحاديث كثيرة تدل على فضلهم جملة وتفصيلا، وذلك بأن إكرام الصحابة وحبهم وذكرهم بالخير وسلامة القلوب والألسنة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصول أهل السنة والجماعة (١) وحسن الظن بهم علامة البراءة من النفاق" ومن قال الحسنى في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق" (٢) فلا يقع فيهم إلا صاحب سوء وهوى (٣) بل الطعن في الصحابة زندقة كما قال أبو زرعة (٤): "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به الصق والحكم عليه بالزندقة، والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق" (٥)

فحب الصحابة ومحبتهم وولاءهم والدعاء لهم بالمغفرة والرضوان واجب، فهي قاعدة مهمة من قواعد التفريق بين السني والبدعي، ولذا نرى أهل السنة يذكرونها في بيان عقائدهم يقول الطحاوي: "حبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان" (٦)

وانتهاجا بمنهجهم وحاجة الناس في الهند إلى بيان فضائل الصحابة لغلبة الرفض فقد فصل فيها الشاه بذكر فضائلهم ومناقبتهم عموما وخصوصا.

ويعرف الصحابي بقوله: "من التقى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ومات عليه فهو صحابي" (٧)

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص: ١٥٢

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢ / ٣٦٩

(٣) شرح السنة للبرهاري ص: ١١٥

(٤) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد، أبو زرعة الرازي، إمام حافظ ثقة مشهور مات سنة ٢٦٤ هـ

تقريب التهذيب ص: ٣٧٣

(٥) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ٢٠٨ - ٢١١

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٥٢٨

(٧) تذكير الإخوان ص: ١٠٥

ويعرف أهل البيت: " وأهل البيت يعني به الأزواج والأولاد مع البنات وأزواجهن وأولادهم، وكذلك يدخل في مطلق مسمى أهل البيت، الإمام والعبيد والمتبنون وجميع الأسرة التي تتبع طريقته" (١)

والشاه يجعل حب الصحابة وأهل البيت من الإيمان فيقول: " فإن مدح الصحابة وفضلهم ثابت بالقرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فمن جحد القرآن والحديث فمضيره جهنم، فإن الله عز وجل خالق الخلق جميعهم ومالكهم فحبه وامتنال أمره فرض عين فإنه أمرنا بحب النبي صلى الله عليه وسلم وامتنال أمره فأصبحت محبة النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته فرض عين على كل واحد فمن يحب النبي صلى الله عليه وسلم يحب الصحابة لا محالة، لأنه كان يحبهم، وهم كانوا أنصاره في تبليغ الرسالة ونشر الدين، فمن ازداد في حب النبي صلى الله عليه وسلم، ازداد في حب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ولو كان الصحابة وأهل البيت أصحاب سوء وشر يصبح دين المسلمين دين سوء وشر، لأن الكتاب والسنة أساس دينهم لم يصل إلى متأخريهم إلا عن طريق هؤلاء، فإن كانوا مجروحين فكيف يوثق فيهما؟؟ ففهم من هذا أن من طعن فيهم واتهمهم بالسوء فقد أنكر دينه وإيمانه " (٢)

ثم تطرق الشاه إلى ذكر آيات وأحاديث كثيرة تدل على فضائل الصحابة عموماً وخصوصاً، وقد ذكر مناقب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وأبو عبيدة وسعد والعشرة المبشرين وأبي ذر وسلمان والمقداد وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وذكر فضائل الأنصار وأهل بدر والحديبية، ثم فضائل أهل البيت، فقد سلك فيه مسلك المحدثين من أصحاب الصحاح والسنن الذين يذكرون فضائل الصحابة بإيراد الأحاديث الواردة في كل واحد منهم بالتفصيل (٣)

(١) تذكير الإخوان ص: ١٠٥ " والحاصل أن المراد من أهل البيت في الحقيقة أزواجه ويدخل في الأهل أولاده وأعمامه وأبناء هم أيضاً تجاوزوا، أما الشيعة فأرادوا عكس ذلك " الشيعة وأهل البيت ص: ١٩

(٢) تذكير الإخوان ص: ١٠٥ - ١٠٦

(٣) انظر رد الإشراف ص: ٦٨ - ١١٠

المبحث الخامس: الإمامة

المطلب الأول: تعريف الإمامة

تعريفها اللغوي: الإمامة مصدر من فعل "أَمَّ" ويقال "أَمَّهُمْ" و"أَمَّ بِهِمْ" تقدمهم ، وهي الإمامة ، والإمام: ما ائتم به من رئيس أو غيره" (١)

وقال الجوهري: " الأم بالفتح، القصد، يقال: أَمَّه وأَمَّمه وتَأَمَّمه إذا قصده" (٢)

ويقول ابن منظور: " الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين... وجمعه أئمة... إمام كل شيء، قيمه والمصلح له والقرآن إمام المسلمين وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وإمام الجند وقائدهم"... وأئمت القوم في الصلاة إمامة، وائتم به أي اقتدى به، والإمام، المثال، وإمام الغلام في المكتب، ما يتعلم كل يوم، وإمام المثال، ما امثل عليه، والإمام، الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء، والإمام الطريق لأنه يؤم ويتبع" (٣)

ويظهر من هذه التفاصيل أن مدلول لفظ الإمام، هو من يقتدى به أو يتأسى به أو يقصد إليه ونحوها من المعاني.

والشاه رحمه الله لما أراد شرح معنى الإمامة اعتبر هذا المدلول اللغوي إلا أنه جعل تأسى النبي صلى الله عليه وسلم ميزانا للإمامة فمن كان أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في عمل أو خلق كان إماما فيه فيقول بأن فضائل الأنبياء لاتعد ولا تحصى ، وأن النبي يتصف بجميع أنواع الفضائل أكثر من غيره ويكون النبي في قمة الصفات العالية والراتب الرفيعة الممدوجة في الشرع، وعباد الله الصالحون المؤمنون الأتقياء أيضا، يحظون من تلك الصفات بحظ وافر، لأن أصل جميع هذه الكمالات، الإيمان بالله عز وجل، وبتمامه تتم الكمالات، فبحسب قوة الإيمان يقوى ظهور هذه الكمالات، فكل كمال من تلك الكمالات مثل السلسلة بدايتها الإيمان بالله، ونهايتها مرتبة النبوة، فكل كمال يبلغ إلى درجة الكمال والتمام عند النبوة، ولو تأملنا في أضعف المراتب التي يحصل عليها عوام المسلمين ووازناه بأعلى المرتبة التي هي من حق الأنبياء

(١) القاموس المحيط ص: ١٣٩٢

(٢) الصحاح ١٨٦٥/٥

(٣) لسان العرب ٢٦-٢٤/١٢

عليهم السلام يتضح لنا أن هناك مرتبة متصلة من مرتبة الأنبياء فهي أضعف من مرتبة الأنبياء وأقوى من سائر المراتب، فبكون بعيد بين الأنبياء وبين غيرهم فإن لهم ميزة ليست لسواهم فمرتبة الكمال التي تتصل مرتبة الأنبياء أجعلها منتهى مراتب الكمالات، ولو جعلت مرتبة كمال الأنبياء في هذه السلسلة لجعلتها في المرتبة الأولى" (١).

ثم يوضح الفرق بين تلك المراتب فيقول: "فإن الاختلاف الواقع بين مراتب توكل المتوكلين، أو بين مراتب السخاء من أهل السخاء مثل الاختلاف بين مراتب اللون والريح، ولو قايستنا توكل أدنى رجل مؤمن بتوكل أنبياء الله لن تكون هناك مماثلة بين هذين التوكلين ولكن لو قايستنا مرتبة هؤلاء بالمرتبة التي تقع بعدها لوجدت فيها مماثلة كبيرة وأسمى هذه المماثلة "المشابهة" فمن كان في المرتبة التي تلي مرتبة الأنبياء فيكون هو يشابه الأنبياء في ذلك الكمال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "علماء أمي كأنبياء بني إسرائيل" (٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب: "أشبهت خلقي وخلقي" (٣) وقال في المهدي: "إنه يشبه خلقي ولا يشبه خلقي" (٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: "أنت أخي في الدنيا والآخرة" (٥) وقال: "من أحب أن ينظر إلى عيسى بن مريم في زهده فليتنظر إلى أبي الدرداء" (٦) وقال حذيفة بن اليمان: إن أشبه الناس دلا وسمتا وهديا برسول الله صلى الله عليه وسلم لابن أم عبد" (٧)

تعريف الإمامة والإمام:

وبعد هذا التفصيل يقول الشاه محمدا معنى الإمامة "فإن الإمامة في كمال ما، عبارة عن حصول المشابهة التامة بالأنبياء في ذلك الكمال فمثلا، العلم الشرعي يحصل عن طريقين، عن طريق التقليد والتحقيق (٨) وعلم الأنبياء ليس تقليدي، بل هو تحقيقي، وعلم التحقيق يحصل

(١) انظر منصب امامت ص: ٥٠ - ٥٢

(٢) لا أصل له . انظر سلسلة الضعيفة - ٤٦٦ - ٦٧٩/١

(٣) أخرجه البخاري - الصلح - ٢٦٩٩

(٤) أخرجه أبوداود بصيغة المجهول - كتاب المهدي - ٤٢٩٠ - ٤٧٧/٤

(٥) رواه الترمذي - المناقب - ٣٧٢٠ وقال: حسن غريب، استاده ضعيف انظر مشكاة المصابيح ١٧٢١/٣

(٦)

(٧) رواه البخاري - الأدب - ٦٠٩٧

(٨) يظهر من شرحه بأنه يقصد العلم الثابت الذي لا يتطرق إليه شك والله أعلم.

عن طريقين، طريق الاجتهاد بشرط أن يكون مقبولا عند أولي الباب، وطريق الإلهام بشرط أن يكون محفوظا من مداخله النفس، فالمشابهة بالأنبياء في علم الأحكام إما للمجتهدين المقبولين وإما للملهمين المحفوظين، ولكن الاستناد لمعرفة الأحكام إلى الكشف والإلهام لم يكن معروفا عند أوائل الأمة فأصبح المجتهدون المقبولون مشابهون للأنبياء في هذا الفن، فينبغي أن يعتبر هؤلاء من أئمة هذا الفن، مثل الأئمة الأربعة، فلقبوا عند جماهير الأمة بلقب الإمام، وكذلك السياسة الإيمانية التي تكون على منهاج الشريعة تتحقق على وجهين، إما أن تتحقق بمساعدة وزراء الخليفة ونوابه، أو تتحقق بالخليفة نفسه، وسياسة الأنبياء لاشك تتحقق على الوجه الثاني، فالخليفة نفسه يشابه النبي في السياسة الإيمانية ولذلك يقال له "الإمام".

"فالخلاصة بأن كل من حصل على كمال من الكمالات الكثيرة فهو يشابه الأنبياء في ذلك الكمال سواء كان عرف بلقب الإمام أم لا، ولذا قد يكون شخص من الأمة إمام المجتهدين وشخص إمام السادات وشخص إمام المتوكلين وشخص إمام الأسخياء وشخص إمام الدعاة... إلى غير ذلك" ومما ينبغي التنبيه عليه أن بعضهم يشابهون الأنبياء في كمال وبعضهم يشابهونهم في كمالين وبعضهم في ثلاث، وبعضهم يشابهونهم في جميع الكمالات، فتكون إمامته أكمل من غيره ويكون مشابها للأنبياء إلا أنهم يفوقون بالنبوة، كقوله صلى الله عليه وسلم في حق عمر: "ولو كان بعدي نبي لكان عمر(١)" وقد يقال في مثل- هذا الرجل أنه لا فرق بينه وبين النبي إلا بمنصب النبوة كما قال صلى الله عليه وسلم في حق علي رضي الله عنه "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي(٢)" وهذا بيان حقيقة الإمامة المطلقة(٣)

المطلب الثاني: أقسام الإمامة

ثم تطرق الشاه إلى بيان أقسام الإمامة ومعنى الخليفة الراشد، وأحكامه، والإمامة الحكيمة وأقسامها كما ستأتي تفصيلها.
ويقرر قبل ذكر أقسام الإمامة أمرين مهمين:

(١) رواه الترمذي - المناقب - ٣٦٨٦ وقال الترمذي حسن غريب - وهو حسن انظر سلسلة الصحيحة -

برقم ٣٢٨

(٢) أخرجه البخاري - المغازي - ٤٤١٦ - الفتح ١١٢/٨

(٣) منصب إمامت ص: ٥٣ - ٥٥

أولاً: "بأن مدار الأحكام الشرعية في الدنيا على الظاهر فإذا كانت الحقيقة مفقودة والظاهر موجود فيعامل صاحب الظاهر معاملة صاحب الحقيقة، مثل المنافق فإنه وإن كان عند الله عز وجل من أهل النار ومن أقبح أنواع الكفار ولكن يعامله معاملة المؤمن الحقيقي فكأن ذلك المنافق مؤمن حكيم".

ثانياً: "إن لأحكام الشريعة حقيقة ولا يقبلها الله إلا بها، ولكن إجراء أحكام الشريعة يتعلق بالظاهر، مثل المناصب الشرعية، فإنها تعتبر بظاهرها فمثلاً حقيقة الإمامة في كل كمال هو حصول معنى المشابهة بالأنبياء في ذلك الكمال، تدل عليها بعض العلامات الظاهرة فهي معتبرة بوجودها، مثل الإمامة في الفقه لها حقيقة وهي ملكة الاجتهاد ولها صورة ظاهرة وهي بيان الأحكام غير المنصوصة، فالقاضي المجتهد هو قاض حقيقي والقاضي المقلد هو قاضي حكيم، ولا شك أن القاضي الحقيقي أفضل بكثير من القاضي المقلد ولكن الواجب على المسلمين أن يعاملوا بالقاضي المقلد كما يعامل القاضي المجتهد في تسليم حكمه في المسائل الخلافية، وإجابته عند طلبه و في إقامة الحدود والتعزيرات وفي غيرها من الأمور" (١).

وبهذا التمهيد أراد الشاه أن الإمامة العظمى يعتبر بظاهرها وإن كان فيه نقص في الحقيقة، ويقرر بأنها تثبت بالغلبة فيقول: "السياسة الإيمانية لها حقيقة وهي المشابهة بالنبي في باب كثرة الشفقة بعباد الله وكثرة الرغبة في إصلاح أحوالهم في الدنيا والآخرة، بالسلطة والقوة ولها صورة ظاهرة وهي إجراء الأحكام الشرعية، فالدرجات العالية والمنزلة العظيمة عند الله منوطة بتلك الشفقة الكثيرة والرغبة الشديدة في إصلاح العباد ولكن وجوب الطاعة متعلق بالغلبة، وإجراء الأحكام الشرعية، وإن كان إجراءها للسياسة السلطانية، يعني لأجل طمع في المال وحب في الجاه والسلطة..." فصاحب السياسة الإيمانية إمام حقيقي في باب السياسة وصاحب السياسة السلطانية إمام حكيم في ذلك، أما إذا غير الأحكام الشرعية وأجرى حكماً مخالفاً للشرع فلا يجب على المسلمين طاعته في هذا الحكم بل طاعته محرمة فيه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (٢).

(١) منصب إمامت ص: ٥٨

(٢) صح الحديث بروايات عديدة وألفاظ مختلفة انظر بمعناه في صحيح البخاري - الأحكام - ٧١٤٤

وينبغي أن يعلم أن الإمامة الحقيقية هو حصول المشابهة التامة بالنبي صلى الله عليه وسلم في خلقه وأوصافه، فالأوصاف أكثر من الكثير وكذلك أقسام الإمامة أيضا لاتعد ولا تحصى" (١).

"ومن أقسامها الإمامة التامة ويقال لها الخلافة الراشدة، والخلافة على منهاج النبوة وخلافة الرحمة أيضا، فإن الله قد أتم نعمته ورحمته بإقامة الخلافة الراشدة..." (٢) .

المطلب الثالث: تعريف الخليفة الراشد والأحكام المتعلقة به

أ- تعريف الخليفة الراشد

يعرف الشاه الخليفة الراشد ويذكر مناقبه فيقول: "الخليفة الراشد الشخص الذي يحصل على منصب الإمامة، و يطبق السياسة الإيمانية، فمن وصل إلى هذا المنصب فهو الخليفة الراشد سواء كان في زمن سابق أو في زمن لاحق أو كان في أوائل الأمة أو في أواخرها سواء كان فاطمي الحسب أو هاشمي النسب أو كان قصي الأصل أو قرشي النسل، فليس لفظ الخليفة بمنزلة لفظ خليل الله وكليم الله..... والصديق الأكبر والفاروق الأعظم وذو النورين والمرضى وسيد الشهداء ونحوها من الألقاب خاصة تختص بأولئك الكبار، فبإطلاق هذا اللقب لا يقصد إلا واحد منهم. كذلك بإطلاق الخلفاء الأربعة يراد به الخلفاء الراشدون الكرام، ولقب الخليفة الراشد بمثابة لقب ولي الله، والمجتهد والعالم والعباد والمحدث والمتكلم والحافظ والملك... فكل واحد من هذه الألقاب لا يدل على وصف خاص، ولا على مدلول مخصوص فكل من اتصف بتلك الصفة واحتل على المنصب المذكور يلقب بذلك اللقب". (٣)

"أما ما ورد في الحديث أن الخلافة ستبقى بعد وفاة الرسول ثلاثون سنة وبعده ملوكية (٤) والمراد منه الخلافة الراشدة الباقية على وجه الاستمرار، وليس المقصود منه أنها مدة الخلافة إلى يوم القيامة، بل مدلول الحديث أن مدة الخلافة بعد انقضاء ثلاثين سنة ستقطع وليس فيه أنها

(١) منصب إمامت ص: ٥٩

(٢) منصب إمامت ص: ٧٣

(٣) منصب إمامت ص: ٧٦

(٤) روى أبو دارود معنى هذا الحديث - السنة - ٤٦٤٦ و ٤٦٤٧ والترمذي - الفن - ٢٢٢٧ وقال: حديث

حسن .

لا ترجع بعد انقطاعها بل يدل الحديث الآخر على عودتها بعد الانقطاع، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله، ثم يكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا جبريا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت" (١) وأيضا يظهر أن خلافة المهدي عليه السلام أفضل أنواع الخلافة الراشدة لأنه ورد في وصفها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطى اسمه، اسمي واسم أبيه، اسم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا" (٢) ولا يظن أن زمن الخلافة الراشدة إما زمن أوائل الأمة يعني زمن الخلفاء الأربعة أو زمن أواخر الأمة يعني زمن مهدي عليه السلام وما بين هذا الزمنين زمن التعطل منها بحيث لا تظهر فيه الخلافة الراشدة، وما ورد في الحديث عن عودة الخلافة الراشدة فقد حمل العلماء على خلافة عمر بن عبد العزيز، ولذلك كتب حبيب، أحد التابعين نفس الحديث إلى عمر بن عبد العزيز وبشره به فمما كتب: "أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الملك العاض والجبرية فسر به وأعجبه، فعمربن عبد العزيز قبل هذه البشرى ولم يرد الحديث بحجة أنه يتعلق بخلافة المهدي، ولا يجوز حمله على خلافة غيره.

ب - أحكام الخليفة الراشد:

ثم يذكر الشاه واجب المسلمين تجاه الخليفة الراشد، منها وجوب طاعته وعدم منازعته فيقول: "فالخليفة الراشد يكون سببا لارتقاء الدين وازدهاره فإنه بمثابة الأنبياء الذين تُنشر بهم الهداية، ويعم الصلاح فيكون من خير الناس وأحسنهم سيرة وسلوكا يفتخر به جميع العالم، فإن مخالفته مخالفة رب العلمين ومعارضته معارضة القضاء والقدر وينبغي صرف كل الجهد في إكرامه، ولا ينبغي لأحد أن يوازن نفسه به، وعلامة أصحاب الكمال إنهم يشتغلون في خدمته وطاعته ويتخلون من دعاوي المساواة به"

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٣/٤ و الحديث صحيح انظر سلسلة الصحيحة برقم ٥٠

(٢) أخرجه أبوداود - المهدي - ٤٢٨٢ - والترمذي - ٢٢٣١ - وقال: حسن صحيح،

"ويتوقف النجاة في الآخرة على طاعته، كالشخص الذي أدى طاعات عظيمة و بذل جهودا ولم يؤمن بالرسول فلا نجاة له في الآخرة، كذلك إذا أتى بعبادات عظيمة، وامتلأ أحكام الإسلام، ولم يخضع لطاعة الإمام ولم يعترف بإمامته، يكون مأثوما، ولن ينجو من بطش رب العلمين كما في الحديث (من لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية) (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم" (٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" (٣)

"وتتوقف العبادات على موافقة أمره، مثل صحة الجمعة والأعياد والجهاد والحدود والتعزيرات كلها متوقفة على أمر الإمام قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما الإمام جنة يقاتل من وراءه ويتقي به". (٤)

"وينفذ حكمه في العفو والمعاملات، كحكم النبي لقول الله عز وجل ﴿وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة﴾ (٥) كذلك حكم الإمام أو نائبه مثل القاضي، فلا يبق لأحد مقال بعد حكمه."

"ويثبت الحكم الشرعي بأمره، فتثبت المنافع والمصالح في فعل أو قول أو ثبوت حسنه وقبحه العقلي لا يدل على وجوبه أو حرمة في الشرع ما لم يدل عليه الكتاب والسنة، كذلك إذا ثبتت منفعة أو مصلحة في فعل أو قول في باب السياسة لا يدل على لزومه ما لم يأمر به الإمام أو نائبه". (٦)

"وفي مواضع الاختلاف ومسائل الاجتهاد، إذا التحق حكم الإمام بأحد الجانبين وجب على كل مجتهد، ومقلد، وعالم، وعامي، أن يخضع له، ولن يجوز لأحد أن يعارض حكمه

(١) الأحاديث الصحيحة تدل على أن المفاخر للجماعة يموت ميتة جاهلية، انظر صحيح البخاري -

الأحكام - ٧١٤٣ وللتفصيل عنها انظر "باب: في ذكر مفارقة الجماعة" في السنة لابن أبي عاصم.

ولم أجد حديثا يحكم بالميتة الجاهلية على عدم معرفة إمام زمانه، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد ٢٥١ / ٥ و ٢٦٢ و "استاده صحيح" انظر السنة لابن أبي عاصم ص: ٤٩١

(٣) أخرجه البخاري بمعناه - الأحكام - ٧١٤٣ - الفتح ١٢ / ١٢١

(٤) رواه البخاري - الجهاد - ٢٩٥٨

(٥) سورة النساء / ٦٥

(٦) منصب إمامت ص: ٧٨

باجتهاده أو باجتهاد المجتهدين السابقين، أو بإلهامه أو بإلهام شيوخ المتقدمين، فمن خالف الإمام وأظهر أمرا مخالفا له أو تمسك في الأمور المذكورة بما يخالف الإمام فإنه عاص ولا يقبل عذره، وهي مسألة مجمع عليها".

" فإن الله الحكيم أنزل أصول الأحكام الشرعية في الكتاب وبين فروعها وشروطه على لسان النبي المرسل، فالدين عبارة عن مجموع الأحكام التي يدل عليها الكتاب والسنة، وكثير من الأحكام يختلف حكمها باختلاف الأزمنة مثل تجهيز الجيوش وتعيين المعسكرات فمثل هذه الأمور التي لا يكون فيها نص شرعي مفوضة إلى رأي الإمام، فالأحكام الصادرة فيها من الإمام تعد من الأحكام الشرعية، كما قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١) ولذا لم يشترط علماء الأمة صحة القياس لوجوب طاعة الإمام بل أوجبوا طاعته وإن كان قياسه ضعيفا"

" ويفوض إلى الإمام تعيين الأحكام، كما أنه لا يجوز للأمة التدخل في الأمور عند وجود النبي، كذلك يلزمهم أن يفوضوا إجراء الأحكام وتنفيذها إلى الإمام ولا يجوز لهم إجرائها ولا أن يتدخلوا فيها، وعليهم أن يلجموا ألسنتهم قال الله تعالى ﴿إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ (٢)

"ال خليفة الراشد بمنزلة الابن، الولي العهد للنبي، والأئمة الآخرون في الفنون الأخرى بمنزلة الأبناء الآخرين، فمن سعادتهم أن يحترموا أخاهم الذي سيتولى بعد أبيهم مثل ما يحترمون أباهم، وأن لا ينازعوه في أمره، كذلك يجب على أئمة الهدى أن يطيعوا الخليفة الراشد بكل رضی، ولا يخالفوه، وإن كانوا أئمة في الهداية والولاية، ويتضح هذا بمعاملة الفاروق مع الصديق وبمعاملة المرتضى مع الفاروق، وبمعاملة الحسن بالمرتضى، فإنهم مع اتصافهم بفضائل النفس وكمالات الروح فوضوا أمرهم إلى الخلفة الراشد، وخضعوا أعناقهم لطاعته، رضى الله عنهم أجمعين" (٣)

(١) سورة النساء/٥٩

(٢) سورة النساء/٨٣

(٣) منصب إمامت ٨٠ - ٨٥

المطلب الرابع : الإمامة الحكمية وأقسامها

بعد ما انتهى الشاه من بيان أحكام الخليفة الراشد، أخذ يبين أحكام الخلفاء الذين يكون فيهم نقص من بعض الوجوه فيقول: "والمراد من الإمامة الحكمية وقوع النقص في المشابهة بالأنبياء عليهم السلام. وتظهر الإمامة الحكمية إذا اختلطت السياسة السلطانية بالسياسة الإيمانية، تفقد الإمامة الحقيقية، وتحدث الإمامة الحكمية، فبقدر تطرق السياسة السلطانية إلى السياسة الإيمانية تفقد الإمامة الحقيقية إن كان تطرقها كثيرا كان فقدانها كثيرا حتى تختفى الخلافة الراشدة".

يقول الشاه يبين الفرق بين الإمام الحقيقي والإمام الحكمي: "الإمامة الحكمية لا تظهر إلا بنقصان في العبودية، فالإمام الحقيقي، يُشبه النبي كثيرا بحيث أنه يتغني وجه الله عز وجل دائما، ويتخلى عن الأهواء والشهوات، ويسعى سعيا حثيثا لحصول مرضاة الله، ويلتزم الاستقامة على الدين ظاهرا وباطنا ولما يصل إلى منصب الخلافة يشتغل في إصلاح أحوال العباد، وفي أداء حقوق نيابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يخطر على قلبه منفعة الشخصية ولا مضرتة .. أما الإمام الحكمي فلعدم تنزهه عن شهوات النفس، يشتهي حصول المال والجاه والتفوق على إخوانه وأقرانه والتسلط على الأمصار والبلدان، بل يسعى في حصول تلك الأمور سعيا حثيثا، ويتخذ السياسة وسيلة لنيل أغراضه الشخصية، فأسميها السياسة السلطانية (١)".

ثم يبين أقسام السياسة السلطانية فيقول: "إن الناس يختلفون في قضاء شهواتهم، وقد تغلب الأهواء على بعضهم بدرجة تخرجه من الدين والإيمان وتوصل بعضهم إلى حد الفسق والفجور وتجعل بعضهم من الكسالى، ويكون هذا التفاوت بالنسبة إلى السياسة الإيمانية على مراتب أربعة :

المرتبة الأولى: "أن يكون السلطان يميل إلى الشهوات ولكنه يحافظ على ظاهر الشرع، ولا يسلك طريق الفساق والفجار ولا طريق أهل الظلم والجور، ... أسمىها السلطنة العادلة".
المرتبة الثانية: "أن تغلب عليه ملذات النفس، وراحة الجسم، فيتجاوز لأجلها حدود الشرع، ويسلك طريق الفساق المجاهرين، والظالمين السفاكين، ثم لا يندم عليها ولا يتوب منها، أسمىها السلطنة الجائرة".

(١) منصب إمامت ص: ٨٦ - ٨٨

المرتبة الثالثة: "أن تغلب عليه أهواء النفس بحد يصبح فريدا في الفسق والفجور، وينفرد في التجبر والتكبر، ويسبق كل من سبق في الظلم والجور، ويشغل فكره وذهنه في الشهوات، ويعارض الشريعة والسنة، بقواعد الفسق والفجور وعادات الظلم والجور، ثم يفتخر بها ويعتبرها من مناقبه وفضائله، أسمىها السلطنة الضالة".

المرتبة الرابعة: "أن يفضل القوانين الوضعية المحدثه على أحكام الشرع المتين ويستهن بالسنة والشريعة، بل ينتقد ويطعن فيها ويستهزئ بها وينوه بشأن قوانينه الوضعية، ويعامل بالشريعة كأنها لغو وسفسط، ويزعم أن أحكام الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، من جنس مزخرفات الأحق المخدوع .. ويؤسس بنيان الاتحاد والزندقة، اسميها السلطنة الكافرة"(١).

أ- السلطنة العادلة:

ثم يبين أحكام تلك المراتب وواجب المسلمين تجاهها فيقول: "ليعلم أن المراد من السلطان العادل في هذا الموضع، هو الذي يحب الجاه والعز، ويتمنى تفوقه على الأقران والإخوان، وتسلمه على البلدان والقرى، واجتماع الجنود والعساكر الكثيرة، والخزائن المملوءة، وبقاء اسمه وآثاره إلى الدهور الطويلة، ورفع شان الأصدقاء، والخط من شأن الأعداء، ويهوى استيفاء شهوات النفس، من العمائر والبساتين والأطعمة، والخيول المسومة، ... ولكن ميزته أنه لا يترك ظاهر الشرع في استيفاء تلك الملذات، ولا يتجاوز حدود الشرع في جميع تلك الأمور، وتفصيله أن كثيرا من أحكام الأعمال والأموال في الشرع مفوض إلى رأي الإمام في القضايا التي لا يوجد فيها حكم شرعي صريح بل حكم الإمام فيها يصبح حكما شرعيا. وكذلك الأحكام المتعلقة بالأفعال، مثل تعيين مقدار التعزير على ذنب ليس فيه حد شرعي محدد فتعزيره مفوض إلى رأي الإمام، وأحيانا تصدر جريمة واحدة من أشخاص، والإمام يحكم بالضرب والحبس في حق واحد منهم، ويكتفي في حق الآخر بتذليله وتشهير أمره، وفي حق الثالث يظهر عدم المبالاة، وكلها جائز ومشروع، ويجب طاعته في مثل هذه الأمور ولا يجوز الاعتراض عليه بل من اعترض عليه وطعن فيه في مثل هذه الأمور فهو العاصي المذنب والباغي المطرود"

(١) منصب إمامت ص: ٨٩-٩٠

"ومنها القتل لأجل السياسة يعني بعض الجرائم لا يحكم الشرع فيها بالقتل ولكن إذا رأى الإمام قتله، يجوز له ذلك" (١).

"ومنها الصلح والحرب، فإن الإمام يصلح ببعض الكفار الماردين و يقيم الحرب ضد بعض المؤمنين العاصين، ولا يجوز الطعن في مثل هذه الأمور، كذلك لا يجب على الإمام المساواة في توزيع المال من بيت مال المسلمين، والاعتراض عليه فيه غير جائز، بل من يعترض عليه يخرج من طاعته فيصبح مطرودا من الله عز وجل".

"والمقصود من هذا التفصيل هو توضيح الفرق بين الخليفة الراشد والسلطان العادل، فإن الخليفة الراشد والسلطان العادل كلاهما يتصرفان في مثل هذه الأمور إلا أن تصرف الخليفة الراشد يكون مبنيا لتربية بني آدم وإصلاح أحوالهم وامتنالا لأحكام رب العلمين، فهذه الأحكام المختلفة الصادرة منه والمعاملات المتنوعة التي يجريها يراعي فيها صلاح الملة والناس.... أما السلطان العادل فلا شك يتصرف في تلك الأمور، ولا يغير أحكام الشريعة ولا آثارها، ولكن يراعي في تلك الأحكام حظوظ نفسه، وقد يصدر حكما شديدا لغضبه على شخص وكراهته له ويعفو عن آخر لمعرفته إياه، وإن جاز له هذا، إلا أن لنفسه حظا في تلك الأحكام".

"ولما اتضح الفرق بين الخلافة الراشدة والسلطنة العادلة، ليعلم أن قيام السلطنة العادلة تنفع الشريعة في الظاهر ولكن يلحقها ضرر في الباطن، ولذا وصفت بالملك العضوض في الحديث الذي أشير فيه إلى ظهورها بعد الخلافة الراشدة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم ملكا عضوضا" (٢).

"فسيرة الأنبياء والخلفاء الراشدين لا ينطبق على حكمه تماما ولكن لا يمكن الاعتراض عليه شرعا، فشعلة الإيمان متوقدة في قلبه إلا أنها مختلطة بدخان الأهواء".

ثم يقول الشاه يوجب طاعة حكم مثل هذا السلطان الذي سماه السلطان الكامل: "إن السلطان الكامل في حكم الخليفة الراشد، وإن لم يصل إلى مرتبة الخلافة الراشدة، ولكن أعمال الخليفة الراشد تصدر منه، وهي خدمة الشريعة الظاهرة، إذا كان السلطان الكامل مستول على عرش السلطنة، ويوجد في وقته من يصلح للخلافة يجب عليه أن يقتنع بمنصبه، ولا يخاصم السلطان في أمور السياسة، ولا يثير الجنود والرعية للحرب والقتال، بل يرضى بقضاء الله وقدره

(١) ولا يجوز ذلك إلا لتحقيق مصلحة دينية.

(٢) تقدم تخريج الحديث قريبا. ص ٥٥ ر ٥٥

كما سلك حسن رضى الله عنه هذا المسلك مع سلطان الشام ولم يفتح باب الخلاف، وبهذه المصالحة أصبح محمودا وممدوحا على لسان الرسول المقبول صلى الله عليه وسلم: "إن ابني هذا سيد لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (١) ويتضح من هذا الحديث أن إجماع الأمة على السلطان الكامل مما يرضى الله به وأن طاعته مقبول عند الحق سبحانه". (٢)

"السلطان الكامل بمنزلة البرزخ بين السلاطين وبين الخلفاء الراشدين، ولو لوحظ حال السلاطين الآخرين اعتبر هو الخليفة الراشد، وإن لوحظ حال الخلفاء الراشدين عد من السلاطين ولذا قال سلطان الشام: "لست عليكم مثل أبي بكر وعمر ولكن سترون الأمراء من بعدي" ولذا عهد حكومته يشبه زمان النبوة والخلافة الراشدة من جهة، فبناء على هذا التشابه يمكن أن نقول أن الزمن من بداية الخلافة الراشدة إلى انقراض هذه السلطنة الكاملة، زمن ازدهار الإسلام وغلبته، كما ورد في الحديث الشريف "تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ستة وثلاثين أو سبع وثلاثين فإن يهلكوا فسيل من هلك وإن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاما" (٣) وكلمة "إن يهلكوا" تشير إلى ظهور الفتنة والخلل في نظام الخلافة في آخر زمن الخلافة الراشدة، وكلمة "إن يقيم لهم دينهم" إشارة إلى ازدهار الدين في عهد النبوة والخلافة الراشدة والسلطنة العادلة كما ورد ذلك في حديث آخر "نعوذ بالله من رأس السبعين" (٤) وهذه الكلمة تشير إلى انقضاء زمن الحكومة الكاملة فهذه الأزمنة الثلاثة جعلت مباركا من غيرها".

"فالسلطان الكامل له نصيب من نيابة الرسول، ولاشك أن رئاسته لاتسمى خلافة النبوة، ولكن يمكن أن يقال سلطنة النبوة، ولذا ورد في كتب الإلهية السابقة في وصف سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام "مهاجره طيبة وملكه بالشام، (٥) فكما ينبغي الانقياد الكامل والطاعة البالغة في حق النبي كذلك ينبغي طاعة السلطان الكامل"

(١) رواه البخاري - الصلح - ٢٧٠٤

(٢) منصب إمامت ص: ٩٠-٩٨

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٣/١ وأبوداود - الفتن - ٤٢٥٤ انظر الفتح ٢١٣/١٣

(٤) روي عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا بلفظ الستين، انظر الفتح ١٠/١٣

(٥) رواه الدارمي عن ابن عباس - المقدمة - برقم - ٨

"السلطان الكامل لما كان عنده أصل الإيمان ويعمل الصالحات وينصر الشرع، فلما تصدر منه بعض الأمور المخالفة للسنة بمقتضى بشريته ينبغي الإغماض عنه والسعى الخيث في النصيحة له." (١)

ب - السلطنة الجابرة:

ثم يبين الشاه المرتبة الثانية من مراتب الإمامة الحكيمة، وهي السلطنة الجابرة فيقول في شرحها: "ليعلم أن السلطان الجابر عبارة عن شخص غلبت عليه النفس الأمارة فلا يمنعه خوف الخالق ولا الحياء من المخلوق عن تعاطي المنكرات وشهوات النفس، ولا يراعي الشرع ولا العرف.... فأسميها السلطنة الجابرة".

"والسلاطين الجابرة أقسام في مخالفة الشريعة حسب اختلاف طبائعهم، منهم: من تغلب عليه السفاهة، فلا يملك العقل، ولا الفراسة، ولا يعرف الجحد من الهزل،.... ولا يفكر في المال،... فلما يصبح حاكما يفسد نظام الحكومة كلها، وتصرفاته لا تكون موافقة للشرع، ولا العرف، فكل واحد يتذمر من هذه الحكومة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أعيزك بالله من إمارة السفهاء" (٢) وقال تعوذوا بالله من رأس سبعين وإمارة الصبيان (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هلاك أمتي على يدي غلظة من قريش" (٤) ومنهم من يرغب في الفسق والفجور، فيكون مغلوبا من الشهوة ولا يهيمه إلا ملذات النفس وشهواتها، ثم إنه لا يمكن له استيفاء اللذات إلا بالأموال فيبالغ في الظلم وسلب الأموال وانتهاك الحرمات... كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الأمر بدء نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم ملكا عضوضا، ثم ملكا جبرية، وعتوا وفسادا في الأرض، يستحلون الحرير والفروج والخمر، يرزقون على ذلك وينصرون، حتى يلاقوا الله" (٥) وهذه سلطنة الفسق والفجور بلاء عظيم في حق الأمة".

(١) منصب إمامت ص: ٩٨-٩٩

(٢) روي عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا انظر الفتوح ١٣/٩، ١٠،

(٣) وهو جزء من أثر أبي هريرة السابق.

(٤) رواه البخاري - الفن - ٧٠٥٨

(٥) الحديث ضعيف انظر ضعيف الجامع الصغير برقم ١٥٧٨

"ومنهم من يغلب عليه حب المال فيجمع المال بكل وسيلة تهيأ له ولا يئذها على نفسه ولا على غيره، فيأخذ من الناس ما له بل أكثر منه، ولا يعطي ما لهم..." ثم يقول الشاه ينصح الأمة: "من المصلحة للرعية والعوام أن يصيروا على إيذاء السلطان البخيل، ولا يسلكوا طريق المنازعة، حتى لا يتعدى السلطان عليهم لأنه مجبول على الطمع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "كيف أنتم وأئمة من بعدي، سيأثرون لهذا الفيء، قال أبودر: أما والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي، ثم أضرب به حتى ألقاك قال: أولا أدلك على خير من ذلك تصبر حتى تلقاني، (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقهم" (٢) (٣)

ثم يبين الأحكام المتعلقة بالسلطان الجابر فيقول: "السلطان الجابر وإن كان مطرودا عند الله عز وجل، لكنه يضر الكافرين، وسلاطينهم، وينتفع به المؤمنون وإن كان قليلا، ولا يكون إضراره للكفار لأجل إعلاء كلمة الله ولا نفعه للمؤمنين لأجل الدين، ولكن قد يظهر به الدين وأهله"

ثم ينصح الشاه بالدعاء للسلطان الجابر وعدم الخروج عليه لأن وجوده خير من عدمه فيقول: "وينبغي أن نعتبره مثل الأعمى الذي يحمل السراج الذي ينفع غيره، فنعتبره شريكا في العمل الصالح، ونعتبر وجوده خير من عدمه، وأن لا تنازعه، بل المطلوب أن ندعو ونطلب من بحسب الدعوات إصلاح أحواله، أما ظلمه وجوره فنحسبه بلاء سماويا. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله تبارك وتعالى يقول أنا الله لا إله إلا أنا، ملك الملك قلوب الملوك في يدي، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرفقة، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم بالسخط والنقمة، فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشتغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع كي أكفيكم ملوككم" (٤)

(١) رواه أبو داود - السنة - ٤٧٥٩ وأحمد ١٨٠/٥ والحديث سكت عنه أبو داود والمنذري (عون المعبود ٧٥/١٣) وقال الألباني: إسناده ضعيف، انظر السنة لابن أبي عاصم ص: ٥١١. ولكن معنى الحديث ثبت بأحاديث صحيحة.

(٢) رواه البخاري - الفتن - ٧٠٥٢ الفتح ٥/١٣

(٣) منصب إمامت ص: ٩٩-١٠٤

(٤) الحديث ضعيف انظر سلسلة الضعيفة ٦٨/٢ برقم ٦٠٢

ويقول يوجب طاعته: "السلطان الجابر يعد نفسه من المسلمين وتهيج في قلبه حمية للدين وغيره للشرعية بين آونة وأخرى، بناء عليه يسعى لإعلاء كلمة الله ويتنصر به الدين أحيانا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" (١) ففي مثل هذا الوقت طاعته من أركان الإسلام ونصرتة نصرة الدين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يطله عدل ولا جور جائر" (٢)

وينصح بعدم الخروج عليه فيقول: "فإن السلطان الجابر لا ريب محتاج إلى الأمر بالمعروف، وإظهار الحق أمامه من أفضل العبادات، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" (٣) ولكن يجب أن يؤمر بالمعروف بطريقة لا يجبر إلى المخالفة ولا إلى المنازعة ولا يصل إلى حد البغي والخروج، لأن الخروج على الإمام الجائر لا يجوز شرعا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا من ولي عليه وال فراه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة" (٤) (٥)

ج - السلطنة الضالة:

ثم تطرق الشاه إلى بيان المرتبة الثالثة من ال الإمامة الحكمية وأحكامها فيقول واصفا السلطنة الضالة: "ليعلم أن الزمن لما يمتد بالسلطنة الجابرة يظهر زمان كأنه زمان الجاهلية، فتتسى أحكام الخلافة الراشدة، والسلطنة العادلة، فيظهر في كل أمر من أمور الرياسة والسياسة أمر يخالف الشرع، وفي كل معاملة يظهر أصل مقابل للدين، فتظهر ملة مقابلة ملة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسنة مقابل سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فتصبح سياسة السلطان مذهباً غير مذهب الإسلام، وملة غير ملة سيد الأنام، مثل المذاهب الباطلة، من الهنود والمجوس، وليس مثل الشيعة والخوارج، فإن مذهبهم وإن كان باطلا في الحقيقة، ولكنهم يدعون بأنهم متمسكون بالكتاب والسنة، بخلاف هؤلاء السلاطين فإنهم لا يدعون أن قوانينهم مستفادة من

(١) أخرجه البخاري - الجهاد - ٣٠٦٢ - الفتح ١٧٩/٦

(٢) أخرجه أبو داود - الجهاد - ٢٥٣٢ والحديث ضعيف انظر ضعيف سنن أبي داود ص: ٢٤٨

(٣) أخرجه أبو داود - الملاحم - ٤٣٤٤ - والترمذي - الفتن - ٢١٧٥ - وابن ماجه - الفتن ٤٠١١ وقال

الترمذي: "غريب من هذا الوجه".

(٤) أخرجه مسلم - الإمارة - ١٨٥٥

(٥) منصب إمامت ص: ١٠٩ - ١١٠

الكتاب والسنة بل يزعمون أنهم وآباؤهم وضعوها لإقامة السلطنة، فقوانينهم في الحقيقة جزء من مذهب الفلاسفة وليست من الملة الإسلامية في شيء، ولذا تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين" (١)

ثم يبين حكم هؤلاء السلاطين فيقول: "إن مثل هؤلاء السلاطين وإن كانوا في الحقيقة من الكفار، ولكن يدعون الإسلام بلسانهم، فكفرهم مستور وإيمانهم ظاهر ويشهد على صدق هذه الدعوى الظاهرة ما يأتون من رسوم الإسلام، مثل عقد النكاح والختان وإظهار التجميل يوم العيد..... ولا يترأون من الشرع بالكلية، فكفرهم الخفي يكفي في موازنة أخروية، ولكن مقتضى الإسلام الظاهري أن نعاملهم في أحكام الدنيا معاملة المسلمين، ونعتبرهم من المسلمين وإن كانوا في الآخرة من الكفار... فحكم السلاطين المضلين كحكم سائر الفرق الباطلة المبتدعة، فنفس الخلاف الحاصل في تكفير المبتدعين وعدمه، يحصل في تكفير السلاطين المضلين وعدمه، فإن الاحتياط في محل الاختلاف لازم أشد اللزوم فبناء عليه التوقف في حال المضلين أيضا واجب" (٢)

وفصل في حكمه فيقول: "السلطان المضل يكون على قسمين : المقلد، والمتمرد. والمقلد الذي لا يجب في نفسه هذه القوانين المضلة، ولا يريد مخالفة الشريعة، ولكنه ورث هذه القوانين عن آبائه ويكرهها بقلبه، ولكن يخاف على دنيائه، وحفاظا على هيئة السلطنة يتماشى معها".

"أما المتمرد الذي يحبها، ويتحمس لها، ويجتهد في تحسينها وتطبيقها، ويقوم بنفسه بالزيادة في هذه القوانين الضالة، ويصبح من المجددين لها فأسميه سلطانا متمردا" (٣)

ثم يعرج الشاه إلى بيان الحكم فيقول: "فإن السلطان المضل وإن كان رئيس المفسدين وإمام المبتدعين ولكن آثار الإسلام موجودة في عهده، فلذا يصبح تكفيره محل نظر، وعلى هذا الخلاف ينبغي الخلاف في الخروج من طاعته والبغي عليه، والأحوط أن لا يخرج من طاعته، ولو خرج أحد من طاعته يتغي بذلك وجه الله فلا يلومه، كما أن كثيرا من علماء أهل السنة

(١) رواه أبوداود - الفتن - ٤٢٥٢ - وابن ماجه - الفتن - ٣٩٥٢ وأخرج مسلم مختصرا (٢٨٨٩) والحديث صحيح انظر سلسلة الصحيحة ١٥٨٢.

(٢) انظر منصب امامت ص: ١١٠-١١٤

(٣) انظر منصب امامت ص: ١١٤-١١٥

لا يتعرضون لقتل ونهب الروافض، ولكن لا يعترضون على مجوزيها، مثل علماء ما وراء النهر، فالبغي والخروج على السلاطين المضلين ممنوع احتياطاً إلا إذا تيقن يقينا من غير شك بأن الخلافة الراشدة أو السلطنة العادلة تظهر بعد إزالة سلطنته، ففي هذه الصورة يجوز الخروج عليه، وهذا ينفع الملة وأهلها".

هذا ما يرى الشاه في السلطان الجاير المتمرد، أما إن كان السلطان الجاير مقلدا بحيث يتماشى مع العادات التي وضعها آباءه ويكرها بقلبه، فالأولى أن لا ينازعه في أمره ولا يخرج عليه فيقول: "السلطان المقلد أقرب إلى ملة الإسلام، فلاحتياط في مخالفته ومنازعته واجب، فمن لم يطعه لا يطعن من جهة الشرع، ولكن المصلحة العامة تقتضي أن لا يخرج من طاعته، ولا ينازعه في أمره، وخاصة إذا لم يتيقن إزالة هذا المبتدع الضال وإقامة الخلافة الراشدة أو السلطنة العادلة مكانه، فسيرجع الضرر إلى عامة المسلمين وخواصهم" (١).

د - سلطنة الكفر:

ثم تطرق الشاه إلى بيان المرتبة الرابعة من الإمامة وأحكامها وهي سلطنة الكفر، فيقول: "ليعلم أنه ليس المراد بدولة الكفر دولة الكفار الأصليين، بل المقصود حكم أولئك الذين يعدون أنفسهم من المسلمين، ويأتون بالكفر الصريح، ويخالفون أحكام الشرع، ويعاندونها إلى حد يثبت في حقهم الكفر والارتداد. وبيانه أن بعض الناس يميلون إلى الإلحاد والزندقة، ويحتقرون الأنبياء ويعتبرونهم من العقلاء الطالبين الدنيا والجاه ... فمثل هؤلاء الأشخاص إذا أصبحوا حكاما، يحجبون القوانين السلطانية، ويجعلون الشرع الرباني من جنس رسوم السفاهة، فيطعنون فيه ويحتقرونه، ويحاولون استتصاله... فهم من الزنادقة المرتدين، وطاعتهم ليست من الشرع، كما رواه عبادة بن الصامت أنه قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان". (٢)

"وقد ينجل إلى مثل هؤلاء السلاطين بأن الناس يذلون قصارى جهدهم في طاعة الله ورسوله، فيدعون النبوة، ثم يدعون الألوهية... فكفرهم يزيد على كفر فرعون، وقيام سلطنة

(١) انظر منصب امامت ص: ١١٥-١١٦

(٢) رواه البخاري - الفتن - ٧٠٥٦ الفتح ٥/١٣

الارتداد بمثابة غلبة الكفار، يجب على المسلمين أن يقوموا بالجهاد، ويزيلوا تلك الفتنة والفساد بالسيف، وإن لم يقدرُوا عليه تجب الهجره منها إلى بلاد الإسلام". (١)

ويقول في موضع: "فمن كان إماما مسلما في الظاهر ولم يصدر منه كفر أو محاربة للشرعية، يجب طاعته بحكم رب الأرباب، ولا ينبغي البحث عن نيته وهو ممنوع في السنة، وظاهره يكون معتبرا في الشرع" (٢) ويقول أيضا و من كان هذا حاله " يجب إعانته، وإطاعته، ولا يجوز في الشرع خذلانه في الجهاد، ولا يجوز ترك طاعته في أحكام الرئاسة والسياسة، ولا يسمع الطعن في نيته، ولا يشرع ذكر أعماله وأخلاقه القبيحة، ومساعدته وطاعته من عبادة الملك العلام، وإعانة دين سيد الأنام، والخروج من طاعته، والبغي عليه حرام، وإفساد في الدين" (٣)

ويقرر في موضع بأنه إذا حصل مقصود الإمامة، ألا وهو إقامة الجمعة والجماعات، وسد الثغور، وإقامة الحدود، وتجهيز الجيوش وقهر اللصوص وقطاع الطرق... وإن كان الإمام في نفسه فاسقا فلا يجوز الخروج عليه. (٤)

(١) انظر منصب امامت ص: ١١٦-١١٨

(٢) انظر منصب امامت ص: ١٢٣

(٣) انظر منصب امامت ص: ١٢٧

(٤) انظر منصب امامت ص: ١٣٣

خاتمة

- بعد هذا السفر الطويل أسوق إليكم في نهاية هذا البحث خلاصته ونتائجه.
- القارة الهندية بقيت إلى نهاية القرن الرابع في معزل عن الإسلام والمسلمين إلا منطقة السند المجاورة لخراسان .
- قامت دعوات هدامة في السند المفتوحة، فكانت سببا في حرمان أهل الهند من الإسلام الصحيح.
- محمود سبكتكين الغزنوي أول من دخل الهند عن طريق الجبال الشمالية الغربية من مضيق خيبر ولذا لقب بفاتح الهند.
- كانت جيوشه حديثة عهد بالإسلام فما استطاعت التأثير في عقائد البراهمة الوثنيين.
- دخل الإسلام في الهند عن طريق خراسان وإيران الموبوءة بالرفض والكلام وغيرها من البدع، فاعتنقها أهل الهند وتربوا عليها فلم يكن يعرفون غيره.
- أما المغول الذين ملكوا ناصية البلاد وأقاموا أقوى دولة في العالم، ما اعتنقوا الإسلام إلا في بداية القرن التاسع ولذا لم يكن يحكمون إلا عاداتهم الجاهلية .
- والمغول استطاعوا إقامة دولتهم في الهند بجيوش إيران وبمساعدة الدولة الصفوية الرافضية، فكان لها أثر بالغ في الدولة والملوك.
- أكبر بن همايون، أعظم ملوك المغول أحدث دينا جديدا " الدين الإلهي " وجعله ناسخا للدين الإسلام، وألزم قبوله، ولم يبق في عهده للإسلام أثر ولا رسم.
- الدعاة الذين غزوا الهند لم تكن صناعتهم إلا علم الكلام والفلسفة والمنطق والتصوف والتقليد الجامد لبعض الكتب الفقهية المتأخرة. ولم يرج سوق الحديث إلا في القرن الحادي عشر بجهود الشيخ عبد الحق الدهلوي بل لم ينفق سوق الحديث إلا بعد الشاه ولي الله وأنجاله.
- العهد الذي نشأ فيه الشاه كانت مليئة بفتن دينية واضطرابات سياسية .
- الشاه رحمه الله انتهج منهج أهل السنة ودعا إليه.
- ولم تخل بعض كتبه من الملاحظات ولكن الكتب التي اشتهر بها ودافع عنها وناظر لأجلها كتب قيمة في باب التوحيد ورد الشرك والبدع، وهي آخر ما كتب في حياته،
- اهدى الله بكتبه ألوف من الناس في حياته وبعده.

- وكانت دعوته فريدة في نوعها في الهند، ولها آثار عظيمة في مجتمع الهند .
- اشتهر بأنه استفاد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه، ولكني لم أجد ما يدل على صلته بهم، والله أعلم بالصواب.
- وقام بالجهاد بالسيف ضد الكفار، حتى استشهد في سبيل الله .
- وبذل جهودا عظيمة في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ودعا إليهما بشتى الطرق والوسائل .
- ونهى عن البدعة مطلقا وقرر بأن كل بدعة ضلالة، لا يستثنى منها شيء.
- لم يجوز التقليد الجامد والتعصب المذهبي.
- نهى عن تحكيم العقول والأقيسة والأهواء والآراء والعادات.
- قرر بأنه لا يجب اتباع مذهب معين وأن الحق ليس محصورا في المذاهب الأربعة.
- نهى عن علم الكلام والمنطق والفلسفة وعن جميع العلوم التي لا تنفع في فهم الكتاب والسنة.
- رد على الصوفية ومعتقداتهم ورياضاتهم وأذكارهم وشطحاتهم .
- رد على بدع الفقهاء .
- رد على بدع رافضية تسربت إلى المسلمين.
- قسم التوحيد إلى الربوبية والألوهية و أيد منهج السلف في الصفات.
- نفى التصرف عن النبي وخوادم الأمة والملائكة، فمن اعتقد فيهم شيئا من التصرف فقد أشرك.
- قرر بأن الرسل كانوا يدعون إلى توحيد العبادة وهو أول واجب على المسلم.
- قرر بعد سوق أفراد العبادة الكثيرة بأن من صرف شيئا منها إلى غير الله فقد أشرك.
- وقد فصل الكلام في بيان الشرك وأقسامه وجعله أعظم ذنب عصي به الله وأنه أحب إلى الشيطان من المعاصي.
- قسم الشرك إلى الشرك في العلم والشرك في التصرف والشرك في العبادة والشرك في العادة .
- نهى عن الشرك في المعتقدات والأقوال والأعمال .
- قرر بأن شرك أهل مكة لم يكن في الربوبية بل كان شركهم في العبادة، وأن المسلمين قد وقعوا في نفس الشرك.
- جوز التوسل بنوات الصالحين، وقد أخطأ فيه.
- دعا إلى وجوب الإيمان بالأنبياء، وأن من الإيمان بهم، الإيمان ببشريتهم، وأنهم فوق جميع البشر مطلقا.

- وأنهم معصومون ومؤيدون بالمعجزات.
- وكفر من يطعن في النبي أو ينسب إليه بما لا يليق جنابه.
- وأوجب الإيمان بالقدر ورد على القدرية والجبرية.
- ويظهر من كتبه بأنه يرى دخول الأعمال في مسمى الإيمان.
- ولا يكفر صاحب الكبيرة ولا يخرج من الملة، بل هو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عفا عنه.
- وجوز تكفير المعين إذا أتى بما يكفره .
- وأثبت الشفاعة لأهل الكبائر من أمته.
- وتناول موضوع فضائل الصحابة عموماً وخصوصاً، وأوجب حبهم وعدم الطعن فيهم.
- وله كلام مفصل في باب الإمامة، قسم الإمامة باعتبار الحاكم وظهور الدين في عهده إلى أربعة مراتب، أحسنها الخلافة الراشدة لأنها من السياسة الإيمانية التي يكون الدين فيها ظاهراً، والخليفة يتأسى بسنة النبي في كل صغير وكبير. وجعلها نعمة عظيمة على الأمة، يجب تقديرها وطاعة الخليفة وعدم الخروج عليه.
- وإذا طرأ عليه نوع من الضعف في ظهور الدين وفي الخليفة نفسه، سماه السلطنة العادلة، والأمير، السلطان العادل، وبين بأنه أحسن من غيره بكثير ولذا يجب طاعته، وعدم الخروج عليه.
- والمرتبة الثالثة، السلطنة الضالة، التي يضعف فيها الدين كثيراً، ويحكمها السلاطين الجبابرة، وله أقسام، منهم من يغلب عليه الظلم والجور، ومنهم من يغلب عليه حب المال والجاه، ومنهم من تغلب عليه الشهوات ... ثم يبين بأن السلطان الجابر وإن كان في عهده يضعف الدين وأثره، إلا أنه لا يمكن تكفيره، لانتسابه إلى الإسلام، ولذا الأحوط أن لا ينزع في أمره ولا يخرج من طاعته، لأن مآله ضرر عام.
- والمرتبة الرابعة، السلطنة الكافرة التي يحارب فيها الدين ويطارد فيها المسلمون، فيوجب في مثل هذا الحال إما الجهاد وإما الهجرة.
- وبهذا قد تم البحث ، والحمد لله على فضله ومنه وتوفيقه، وبنعمته وتوفيقه تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات

ص:

- أتأمرون الناس بالبر..... ١٧١
- أتقولون على الله ما لاتعلمون..... ١٦٨
- أجعل الآلهة إلهًا واحدًا..... ٢٥٣
- أدع إلى سبيل ربك..... ٩٩
- أم لهم شركاء شرعوا لهم..... ٣١١، ١٥٥
- أو فسقا أهل لغير الله..... ٣٠٦
- أو ليس الذي خلق السموات والأرض..... ٧٦
- إذ قالت الملائكة يا مريم..... ٣٤٨
- إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف..... ٣٧٧
- إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا..... ١٤٢
- إن الله عنده علم الساعة..... ٣٠١
- إن الله لا يغفر أن يشرك به..... ٣٦٢، ٢٩١
- إن كل من في السموات والأرض..... ٢٤٧
- إن يدعون من دونه إلا إناثا..... ٣٢٩، ٣٢٦
- إنا كل شيء خلقناه بقدر..... ٣٥٥
- إنا نحن نزلنا الذكر..... ١٢٧
- إنما أنت مذكر..... ٣٤٩
- إنما الخمر والميسر والأنصاب..... ٢٠٧
- إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله..... ٣٦١
- إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس..... ٥٣
- اتخذوا أحبارهم ورهبانهم..... ٢٩٦، ١٥٥
- ادعوا ربكم تضرعا وخفية..... ٣١٤
- استغفر لهم أو لاتستغفر لهم..... ٢٢٣
- بل الله يمن عليكم أن هداكم..... ١
- حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم..... ٢١٤

الذين يأكلون الربا.....	١٧٠
الذين يذكرون الله قياما وقعودا.....	٢٠٧
الرحمن على العرش استوى.....	٢٧٣
رضى الله عنهم.....	٢٧٨
سلام قولاً من رب رحيم.....	٢٨٠
سيقول الذين أشركوا.....	١٦٩
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا.....	١٩٢
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي.....	١٢٧
فأما الذين في قلوبهم زيغ.....	٢٨٣
فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم.....	٢١٧
فاستلوا أهل الذكر.....	١٥٣
فقولا له قولاً لنا.....	٩٩
فلا وربك لا يؤمنون.....	١٣٢
فلما تجلّى ربه.....	٢٧٦
فليحذر الذين يخالفون.....	١٢٧
قال فبعزتك لأغوينهم.....	٣٤٥
قالت رسلهم أفي الله شك.....	٢٣٨
قد أفلح المؤمنون.....	٣٦٠
قل إن كنتم تحبون الله.....	١٣٥
قل ادعوا الذين زعمتم.....	٣٣٨
قل لا أملك لنفسي نفعا ولاضرا.....	٣٠٠
قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب.....	٣٠٣
قل من بيده ملكوت كل شيء.....	٢٩٥، ٢٥٤، ٢٤٧، ٢٣٨
قل من يرزقكم من السماء.....	٢٣٨
قل هل عندكم من علم.....	١٦٨
لاتسجدوا للشمس ولللقمر.....	٢٦٥

- لا يأتيه الباطل من بين يديه ١٢٧
- لا يشفعون إلا لمن ارتضى ٣٣٧
- لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ٢٧٨
- لعلك باخع نفسك ٣٤٩
- لقد كان لكم في رسول الله أسوة ١٧٥
- لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ١
- لقدر رضى الله عنهم ٢٧٨
- لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ١٩٢
- ليهلك من هلك عن بينة ٧٤
- ما جعل الله من بحيرة ٣١١، ٣٠٩
- ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ٢٢٢
- النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ٢٢٣
- ما أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم ١٧٦
- هو الذي أنزل عليك الكتاب ١٧٦
- هو الذي خلقكم من نفس واحدة ٣٢٩، ٣٢٨
- وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ٣٥١
- وأذن في الناس بالحج ٣٣١
- وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ١١٦، ٤٦
- وأن المساجد لله ٣٠٦
- وأن هذا صراطي مستقيما ١٤٠
- وإذ قال لقمان لابنه ٢٩٢
- وإذا أخذ ربك من بني آدم ٢٣٩
- وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ١٥٤
- وإذا مسكم الضر في البحر ٢٤١
- واسألوا الله من فضله ٣٠٤
- واستفزز من استطعت منهم ٢٢٧

واعتصموا بحبل الله	٣٩
واعلموا أن الله يحول بين المرأ	٣٥٦، ٢٧٦
والذين اتخولوا من دونه أولياء	٣٣٧
والله خلقكم وما تعملون	٣٥٦
وتلك حدود الله	١٧٠
وجعلناها رجوما	٢٧٦
وعلى الله فليتوكل المؤمنون	٢٦٦
وعنده مفاتيح الغيب	٣٠٣، ٢٩٩، ٢٨٧
وقالوا لا تذرن آلهتكم	٣٢٥
وقالوا لو شاء الرحمن	١٦٩
وقالوا هذه أنعام وحرث	٣١١، ٣٠٨، ١٦٨
وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا	٣٥١
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا	١١٣، ١٠٩
وكيف أخاف ما أشركتم	٣١١، ١٥٧
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض	٢٣٨
ولا تبرجن تبرجن الجاهلية	١٨١
ولا تدع من دون الله	٢٤٧
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا	٢٢٣
ولا تقف ما ليس لك به علم	١٧٦
ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم	٣١٢
ولا تكسب كل نفس إلا عليها	٢٢٥
ولا تكونوا كالذين تفرقوا	١٤٢، ١٣٨
ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه	٢٥٦
ولما جاءهم رسول من عند الله	١٧٦
وما آتاكم الرسول	١٢٨
وما أرسلنا من قبلك من رسول	٢٩٢، ٢٥٧

وما تشاؤون إلا أن يشاء الله.....	٣٥٧
وما خلقت الجن والإنس.....	٢٥٦
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله.....	٣٧٦
وما نرسل بالآيات إلا تخويفا.....	٣٥١
وما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.....	٢٤١
وما يؤمن أكثرهم بالله.....	٣٣٥، ٣٣٢، ٧١
ومن أضل ممن يدعو من دون الله.....	٣٠٥
ومن الناس من يشتري لهو الحديث.....	٢٢٧
ومن يتوكل على الله.....	٢٦٦
ومن يشاقق الرسول.....	١٣٦
ومن يعص الله ورسوله.....	١٧٠
وناديناه من جانب الطور.....	٢٧٦
ويسألونك عن الروح.....	١٧٧
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم.....	٣٣٥، ٢٤٦
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول.....	٣٧٧، ١٣٤
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته.....	١
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا.....	١
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى.....	٣٤٨
يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة.....	١
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض.....	١٦٧
يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك.....	٢٢٣
يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير.....	٦٤
يحب المتقين.....	٢٧٨
يحب المحسنين.....	٢٧٨
يوفون بالنذر.....	٣٠٨

فهرس الأحاديث

- أبغض الناس إلى الله ثلاث..... ١٨١
- أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب..... ١٥٦
- أحل عليكم رضواني..... ٢٧٨
- أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر..... ٣٢٨
- أشبهت خلقي وخلقي..... ٣٧١
- أشد الناس عذابا يوم القيامة..... ٣٢٥
- أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي
- أعذك بالله من إمارة السفهاء..... ٣٨٢
- أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر..... ٣٨٤
- ألا من ولي عليه وال فرآه شيئا من معصية الله..... ٣٨٤
- أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك..... ٣٤١
- أنا أغنى الشركاء عن الشرك..... ٢٩٣
- أنا سيد ولد آدم..... ٣١٧
- أنت أخي في الدنيا والآخرة..... ٣٧١
- أوتيت القرآن ومثله..... ١٢٧
- أول من يصفح الحق عمر..... ٢٨٠
- أي العمل أحب إلى الله..... ٢٧٨
- إذا قضى الله الأمر في السماء..... ٢٤٩
- إن أحب أسمائكم عبد الله وعبد الرحمن..... ٣٢٧
- إن أشبه الناس دلا وسمتا وهديا برسول الله..... ٣٧١
- إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة..... ٣٢٥
- إن ابني هذا سيد..... ٣٨١
- إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة
- إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها..... ١٧٠
- إن الله ليؤيد هذا الدين بالعبد الفاجر..... ٣٨٤

٣١٨، ٢٧٣	إن الله هو الحكم
٣٨٣	إن الله يقول أنا الله لا إله إلا أنا
٢٠٧	إن شارب الخمر كعابد وثن
٢٧٧	إن عرشه على سمواته هكذا
٢٧٦	إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن
٩٩	إن من البيان لسحرا
٢٦٦	إن من قلب ابن آدم بكل واد شعبة
٣٨٢	إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة
٢٢٤	إننا لا نحل لنا الصدقة
١٨١	إنك امرؤ فيك جاهلية
٢٥٨	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب
٣٨٣	إنكم ستزون بعدي أثرة
٣٨٥	إنما أخاف على أمي الأئمة المضلين
١٩٠	إنما أنا بشر
٣٧٦	إنما الإمام جنة يقاتل من وراءه
٣٧١	إنه يشبه خلقي
٢٦٥	إنني أتيت الخيرة فرأيتهم يسجدون
٢٥٩	إنني لأعلم آخر أهل الجنة
٣١٥	إنني لأريد أن ترفعوني فوق منزلي
٣٦١	الإيمان بضع وسبعون شعبة
٢٢٤	استمداد الأعرابي بقر النبي صلى الله عليه وسلم
٢٢٤	اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم
٣٨٦	بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا ننازع الأمر أهله
١٦٩، ٤٢	بدأ الإسلام غريبا
٩٩	بعثت مجوامع الكلم
٢٦١	بني الإسلام على خمس

٢٨٠	بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور
٣٨١	تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين سنة
٣٧٥	تكون النبوة فيكم ما شاء الله
١٨٣	جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
٢٢٤	جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين
٢٣٩	جمعهم فجعلهم أزواجا ثم صورهم فاستنطقهم
٣٨٤	الجهاد ماض إلى يوم القيامة
٢٢٤	جواز المتعة عند ابن عباس
٣٠٤	الحج عرفة
٢٣١	حرم المعازف
٢٠٥	الحلال بين والحرام بين
١	الحمد لله نحمده
٣٥٥	خرج علينا رسول الله ونحن نتنازع في القدر
١٤١	خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
١	خطبة الحاجة
٣٧٤	الخلافة ثلاثون سنة
١٨٦	خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم
٣٠٤	الدعاء هو العبادة
٣٠١	دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين
٢٧٦	رأيت ربي في أحسن صورة
١٥٤	السمع والطاعة على المرأ المسلم
١٤٣	سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء
٣١٦	السيد الله
٣٦٥	الصبر والسماحة من الإيمان
٣٧٦	صلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم
٢٥٠، ١٨٣	صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الطيرة شرك	٣٢٢
عدد الأنبياء والكتب	٢٥٧
العلم ثلاثة، آية محكمة	١٣٥
علماء أمي كأنبياء بني إسرائيل	٣٧١
العلماء ورثة الأنبياء	٢
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين	١٨٣
الغنا ينبت النفاق	٢٢٨
فإذا رأيت الذين يتغنون ما تشابه منه	٢٨٣
فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله	٢٦٠
فإن خير الحديث كتاب الله	١٨٠
فإننا نستشفع بك على الله	٣٤٤، ٢١٣
فإنه إذا قال عباد الله الصالحين	١٨٨
فمن رغب عن سنتي فليس مني	
فيبقى شرار الناس لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً	٣٣٥
قبل أبوبكر النبي صلى الله عليه وسلم	٢٣٠
قبل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون	٢٣٠
قوموا إلى سيدكم	٣١٧
كان الصحابة يسألون عن الخير	٢٩٠
كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير	٢٦٤
كيف أنتم وأئمة من بعدي سيأثرون هذا الفيء	٣٨٣
لا إيمان لمن لا أمانة له	٣٦٢
لا تزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق	٢
لا تشرك بالله شيئاً إن قتلت وحرقت	٣٤٦
لا تطروني كما أطرت النصارى	٣٥٣، ٣١٣
لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد	٣١٩
لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس	٣٣٢

- لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين..... ٣٣٣
- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق..... ٣٧٣، ٢٢١
- لا هامة ولا عدوى ولا طيرة..... ٣٢٢
- لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه..... ١٣٦
- لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع..... ٣٥٦
- لا يتروضا أحدكم فيحسن وضوءه..... ٢٧٧
- لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة..... ٢٢٤
- لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى..... ٣٣٤
- لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله..... ٢٠٧
- لا يزال يتقرب إلى عبدي..... ٢٧٩
- لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي..... ٣١٨، ٣١٧
- لا يوطن رجل المساجد للصلاة والذكر إلا تبشيش الله..... ٢٧٧
- لعن الله الواشحات..... ١٢٨
- لعن الله من ذبح لغير الله..... ٣٠٧
- لما سمع صوت مزمار وضع إصبعيه في أذنيه..... ٢٢٨
- لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين..... ٢٤٦
- لو حضرتك ما دفنت إلا حيث مت..... ٢٢٤
- لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم..... ٣٧٥
- ليأتين زمان على أمتي كما أتى على بني إسرائيل..... ١٤٣
- ما تجلى منه إلا قدر الخنصر..... ٢٧٦
- ما من نبي بعثه الله في أمته إلا كان له حواريون..... ١٨٠، ١٦٧
- من أتى عرافا فسأله..... ٣٢١
- من أحب أن ينظر إلى عيسى بن مريم..... ٣٧١
- من أحب الله وأبغض الله..... ٣٦١
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه..... ١٨٣
- من اقتبس بابا من علم النجوم..... ٢٥١

- من تمسك بسنتي عند فساد أمتي ١٤٤
- من حلف بغير الله فقد أشرك ٣٠٩
- من روى عني حديثا يرى أنه كذب ٢١٠
- من شهد أن لا إله إلا الله ٢٦٠
- من عادى عمارا ٢٧٨
- من عادى لي وليا ٢٧٨
- من قال في القرآن برأيه ١٦٩
- من لم يشكر الناس لم يشكر الله ١٣
- من لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية ٣٧٦
- من مات وليس في عنقه بيعة ٣٧٦
- مهاجرة طيبة وملكه بالشام ٣٨١
- نافق حنظلة ٢٠٣
- نحن أمة أمية ١٧٥
- نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة ٣٠٨
- نعمت البدعة هذه ٢٠٣
- نهى عن استعمال أواني الخمر ٢٣١
- هل تضارون في رؤية الشمس ٢٧٩
- هل تعرف ما يهدم الإسلام ١٥٤
- هلاك أمتي على يدي غلعة من قريش ٣٨٢
- وأنه بين العبد وبين قبلته ٢٧٩
- وأنه سيتجلى غدا يوم القيامة ٢٧٩
- ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ٣٠٠
- ولو كان بعدي نبيا لكان عمر ٣٧٢
- ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ٣٢٦
- ويكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان ٢٧٩
- يا ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ٢٨٣، ٢٣، ٢٥٩

يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي.....	١٤٤
يا رب لا تجعلني أشقى خلقك.....	٢٧٧
يا رسول الله إتنام قبل أن توتر.....	٢٢٣
يا غلام احفظ الله.....	٢٧٩، ٢٤٩
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله.....	١٦٢
يخرج الدجال فيبعث إليه عيسى بن مريم.....	٢٩١
يزعمون أن لا قدر.....	٣٥٥
يضحك الله إلى رجلين.....	٢٧٧
ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا.....	٣٠٤

فهرس الأعلام

٤٢	أبو إسحق الدمشقي مؤسس الطريقة الجشتية
٩٤	أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند
٦٩	أبو الكلام آزاد
٣٦٨	أبو زرعة الرازي
١٧	أبو جعفر المنصور
٢٤٢	أحمد بن الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية
١٦٦	أرسطو
٢٤	أكبر بن همايون
٣٢	أورنكزيب
٢١٠	ابن الهمام
١٧٣	ابن الوزير اليماني
٢١	ابن فورك المتكلم
١٦٦	بقراط
٢٨	التبريزي
٢٢	تيمور
٤١	ثناء الله أمرتسري
٦٢	جعفر علي
٦٨٣	جلال الدين بنارسي
٢٧١	جهم بن صفوان
٦٢	خرم علي البلهوري
٢٣٧	رشيد رضا
١٩	سبكتكين
٢٦٣	السبكي
٦٣	سخاوت علي جونبوري
٦٠	سيد أحمد شهيد

٦٨	سيد جعفر على نقوي
٧٥	السيد سليمان الندوي
٥٦	الشاه رفيع الدين
٥٦	الشاه عبد العزيز
٥٦	الشاه عبد الغني
٥٦	الشاه عبد القادر
٥١	الشاه ولي الله
٣٠٢	شمس الدين بهار الدين المعروف بالحافظ
١٣٣	الشيخ المعمر بديع الدين المدار الحلبي
٦٨	صديق حسن خان القنوجي
٢٨	الصغاني
٢٣	صفي الدين الأردبيلي
٣٦٤	الطحاوي
٢٨	عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي
٦٠	عبد الحق بنارسي
٦٨	عبد الحي الحسيني
٥٩	عبد الحي بدهانوي
١٣٩	عبد القادر الجيلاني
٢٢٥	عبد الله بن جعفر
٦٢	عبد الهادي الجهومكوي
١٧	عبيد الله بن محمد الفاطمي
١١٠	عبيد الله سندهي
٧٧	عزيز الدين مرادآبادي
٨٥	غلام رسول مهر
٧٣	فضل حق خيرآبادي
١٢٨	الكرخي أبو الحسن عبيد الله بن حسين

٢٠	المتوكل.....
٢٦	مجدد الألف الثاني.....
١٦٠	محب الله البهاري.....
٤١	محمد إكرام.....
١٥	محمد بن القاسم الثقفي.....
١٧	محمد بن عبد الله العلوي.....
١٨	محمد بن كرام زعيم الكرامية.....
٤٧	محمد يوسف بنوري.....
١٥١	محمود الحسن.....
١٧	محمود بن سبكتكين.....
٥٦	محمود شكري الألوسي.....
٢٢٥	مروان بن الحكم.....
١٩	مسعود عالم الندوي.....
٢١	معز الدولة أحمد بن بويه.....
٥١، ٤٢	معين الدين جشتي ناشر الطريقة الجشتية في الهند.....
٢٤	نادر شاه.....
٢٦٣	النبهاني.....
٢٧٣	النسفي.....
٢٧	نظام الدين الأولياء.....
٣٦٠	نعيم الدين مراد آبادي.....
٢٣	همايون بن بابر.....
٢٧١	واصل بن عطاء.....
٦١	ولايت علي الصادق قفوري.....

فهرس الأماكن

١٤	تهانة.....
١٥	ديبل.....
١٠٧	رائ بريلي.....
١٤	سرنديب.....
٢٢	غور.....
٣٤	القلعة الحمراء.....
١٤	كيرا (مليار).....
٢٣	ماوراء النهر.....
١١٨	مضيق بولان.....
١٨	مضيق خيبر.....
١٤	مكران.....
١٧	منصورة.....

فهرس الملل و الفرق

الآرية.....	١٠٦
الأشعرية.....	٢١
البراهمة.....	١٩
البوذية.....	٢٦
التفضيلية.....	١٣٨
الجشتية.....	٥١
الجهمية.....	٢٧١
الخوارج.....	١٣٨، ١٦
الدهرية.....	١٤١
الدولة الصفوية.....	٢٣
الزط.....	٣٢
السوفسطائية.....	١٤١
الشيعية الإمامية (الرافضة).....	١٣٨
الفقراء.....	٣٢٨
القادرية.....	١٣٩
القاديانية (المرزائية).....	١٠٦
قلندرية.....	٣٢٦
الكرامية.....	١٨
الماتريدية.....	٢٣
المجوسية.....	٢٠
المدارية.....	١٣٩، ١٣٣
مرهته.....	٣٥
المعتزلة.....	١٣٩، ٢١
الناصبية.....	١٣٨
الهندوسية.....	٢١

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. أيجاد العلوم - القنوجي - منشورات وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٨م
٣. الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة - الألباني - المكتب الإسلامي - الثانية - ١٤٠٠هـ
٤. أحكام الجنائز - الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الأولى - ١٤١٢هـ
٥. الأصول للكرخي - مطبوعة مع تأسيس النظر للدبوسي - تحقيق مصطفى القباني، دار ابن زيدون - بيروت.
٦. الأعلام - الزركلي - دار العلم للملايين - السابعة - ١٩٨٦م.
٧. الإبانة - ابن بطة - تحقيق - رضا نعان - دار الراية - الرياض - الأولى - ١٤٠٩هـ
٨. الإبانة عن أصول الديانة - أبو الحسن الأشعري - الخامسة - الجامعة الإسلامية - المدينة.
٩. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان - تحقيق شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - الأولى - ١٤٠٨هـ
١٠. إذا هبت ريح الإيمان - أبو الحسن الندوي - مؤسسة الرسالة - الثانية عشر - ١٤١٢هـ
١١. إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد - الصنعاني - في مجموعة الرسائل المنيرة - المجلد الأول.
١٢. إرواء الغليل - الألباني - المكتب الإسلامي - الثانية - ١٤٠٥هـ
١٣. إعلاء السنن - التهانوي - مكتبة دار العلوم - كراشي - الثانية - ١٣٩٦هـ
١٤. إعلام الموقعين، لابن القيم - تحقيق - محمد محي الدين - المكتبة العصرية - بيروت - ١٤٠٧هـ
١٥. إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان - ابن القيم - تحقيق محمد عفيفي - المكتب الإسلامي - الثانية - ١٤٠٩هـ
١٦. الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف - أبو الحسن الندوي - دار الاعتصام - الثانية - ١٣٩٨هـ
١٧. الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله - محمد بشير - دار العلم - اسلام آباد - الأولى - ١٤١٣هـ
١٨. إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى مذاهب الحق من أصول التوحيد - ابن الوزير - دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية - ١٤٠٧هـ
١٩. إيقاظ همم أولى الأبصار - الفلاني - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨هـ

٢٠. الاتباع - لابن أبي العز - تحقيق - محمد عطاء الله حنيف وزميله - المكتبة السلفية - لاهور - الثانية - ١٤٠٥هـ

٢١. اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملائكة الأعلى - ابن رجب - تحقيق بشير عيون - الثانية - ١٤١٣هـ

٢٢. الاستقامة - ابن تيمية - تحقيق د. محمد رشاد سالم - مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٢٣. الاعتصام - الشاطبي - دار الباز - مكة المكرمة - الأولى - ١٤٠٨هـ

٢٤. اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية - تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل - مكتبة الرشد - الرياض - الثانية - ١٤١١هـ

٢٥. الباعث على إنكار البدع والحوادث - تحقيق بشير عيون - مكتبة المؤيد - ١٤١٢هـ

٢٦. بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مركز البحوث - جامعة الإمام محمد بن سعود - ١٤٠٣هـ

٢٧. بدائع الفوائد - ابن القيم - مكتبة الرياض الحديثة.

٢٨. البداية والنهاية - لابن كثير - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى - ١٤٠٥

٢٩. بدعة التعصب المذهبي - محمد عيد عباسي - المكتبة الإسلامية - عمان - الثانية - ١٤٠٦هـ

٣٠. البريلوية عقائد وتاريخ - إحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - لاهور - الأولى - ١٤٠٣هـ

٣١. بغية المرتاد - ابن تيمية - تحقيق - د. موسى الدويش - مكتبة العلوم والحكم - الأولى - ١٤٠٨هـ

٣٢. بلدان الخلافة الشرقية - كي لسترنج - مؤسسة الرسالة - الثانية - ١٤٠٥هـ

٣٣. بيان تلبيس الجهمية - ابن تيمية - تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم - مطبعة الحكومة - الأولى - ١٣٩١هـ

٣٤. التاريخ الإسلامي - محمود شاكر - المكتب الإسلامي - الرابعة - ١٤٠٥هـ

٣٥. تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند - دار العربية - القاهرة .

٣٦. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم - أحمد محمود الساداتي - مكتبة الآداب بالجماهير - ١٣٧٨هـ

٣٧. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار - للجبوتي - دار الجيل - بيروت - الثانية - ١٩٧٩م

٣٨. التدمرية - ابن تيمية - تحقيق محمد بن عودة السعودي - الأولى - ١٤٠٥هـ
٣٩. الترغيب والترهيب - المنذري - تحقيق مصطفى محمد عمارة - دار الفكر بيروت - ١٤٠١هـ
٤٠. تسمية المولود - بكر بن عبد الله أبوزيد - دار الراية - الرياض - الأولى - ١٤١١هـ
٤١. التعريفات للجرجاني - دار الكتب العلمية بيروت - الثالثة - ١٤٠٣هـ
٤٢. التعليق المغني على سنن الدارقطني - شمس الحق العظيم آبادي.
٤٣. تفسير ابن جرير - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى - ١٤١٢هـ
٤٤. تفسير ابن كثير - دار المعرفة بيروت - الأولى - ١٤٠٧هـ
٤٥. تفسير السعدي - دار الإفتاء - الرياض - ١٤١٠هـ
٤٦. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي - أحمد لوح - رسالة الماجستير - مطبوعة على الآلة الكاتبة.
٤٧. تقوية الإيمان - شاه اسمعيل - ترجمة عبد الوحيد - طبعة دار السلفية بنارس.
٤٨. تكميل الأذهان - الشاه رفيع الدين - مدرسة نصرة العلوم - كجرانواله - ١٣٨٣هـ
٤٩. تلخيص الخبر - تصحيح السيد عبد الله اليماني - المدينة المنورة - ١٣٨٤هـ
٥٠. تنوير العينين في إثبات رفع اليدين - شاه محمد اسمعيل شهيد - ادارة إشاعة السنة - لاهور.
٥١. تهذيب السنن لأبي داود على حاشية عون المعبود.
٥٢. التوحيد لابن خزيمة - تحقيق د. عبد العزيز بن ابراهيم الشهوان - مكتبة الرشد - الثانية - ١٤١١هـ
٥٣. التوسل وأنواعه وأحكامه - الألباني - المكتب الإسلامي - الرابعة - ١٤٠٣هـ
٥٤. تيسير العزيز الحميد - الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - المكتب الإسلامي - السادسة - ١٤٠٥هـ
٥٥. الثقافة الإسلامية في الهند - عبد الحسي الحسني - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٤٠٣هـ
٥٦. جامع الأصول - تحقيق عبد القادر أرناؤوط - مكتبة الحلواني - ١٣٨٩هـ
٥٧. جامع بيان العلم وفضله - لابن عبد البر - دار الكتب العلمية - بيروت .
٥٨. الجامع لأحكام القرآن - دار الباز مكة المكرمة .
٥٩. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين - نعمان خير الدين - مطبعة المدني - مصر - ١٣٨١هـ

٦٠. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - تحقيق - بشير عيون - مكتبة المؤيد - الرياض - الثانية - ١٤١٤هـ

٦١. حجة الله البالغة - الشاه ولي الله - دار التراث - القاهرة - ١٣٥٥هـ

٦٢. الحجة في بيان المحجة - تحقيق محمد بن ربيع المدخل ومحمد بن محمود - دار الراية - الأولى - ١٤١١هـ

٦٣. الحديث والمحدثون - محمد محمد أبو زهو - دار الكتب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ

٦٤. حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد - محمد اسماعيل السلفي - تعريب مقتدى حسن الأزهرى - ادارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية - بنارس - الأولى - ١٣٩٧هـ

٦٥. الحركة السلفية بالهند - درالترجمة والتأليف بالجامعة السلفية - بنارس - ١٣٩٥هـ

٦٦. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع - آدم متز - ترجمة أبو ريدة - الثالثة - القاهرة .

٦٧. حضارة الهند - لوبون غوستاف - ترجمة - عادل زعتير - دار احياء الكتب العربية - القاهرة - ١٣٦٧هـ

٦٨. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية - بكر بن عبد الله أبو زيد - دار ابن الجوزي - الثانية - ١٤١٠هـ

٦٩. الحوادث والبدع - الطرطوشي - تحقيق على بن حسن عبد الحميد - دار ابن الجوزي - الأولى - ١٤١١هـ

٧٠. خطط المقرئ - در التحرير - القاهرة - ١٢٧٠هـ

٧١. دائرة المعارف الإسلامية - دار الشعب - الثانية، القاهرة.

٧٢. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد - الشوكاني - مجموعة الرسائل السلفية - دار الكتاب العربي - الأولى - ١٤١١هـ

٧٣. درء تعارض العقل والنقل - د. محمد رشاد سالم - مكتبة ابن تيمية .

٧٤. دراسات في التصوف - احسان إلهي ظهير - ادارة ترجمان السنة - الأولى - ١٤٠٩هـ

٧٥. الدرر السنية - جمع عبد الرحمن بن قاسم - الخامسة - ١٤١٣هـ

٧٦. دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض - عبد العزيز محمد العبد اللطيف - دار الوطن - الأولى - ١٤١٢هـ

٧٧. دعايات مكثفة ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - النعماني - مكتبة الفرقان - الهند - ١٤٠٠هـ

٧٨. دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها - أبو المكرم السلفي - مكتبة دار السلام - الرياض - الأولى - ١٤١٣هـ

٧٩. دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة - صلاح الدين مقبول - مجمع البحوث العلمية الإسلامية - دهلي - الأولى - ١٤١٢هـ

٨٠. الدين الخالص - القنوجي - مكتبة دار التراث - القاهرة.

٨١. الرؤية - الدارقطني - تحقيق إبراهيم محمد العلي وزميله، مكتبة المنار - الأردن - الأولى - ١٤١١هـ

٨٢. رجال السند والهند - أظهر المبار كفوري - دار الأنصار - القاهرة - ١٣٩٨هـ

٨٣. الرحيق المختوم - صفى الرحمن المبار كفوري - دار الرحمة - ١٤١١هـ

٨٤. رد الإشراك - الشاه اسمعيل - تحقيق محمد عزيز شمس - المكتبة السلفية - لاهور - الأولى - ١٤٠٤هـ

٨٥. رسالة الشاه اسمعيل في الرد على البغدادي - مطبوع مع النسخة العربية لتقوية الإيمان .

٨٦. روضة الناظر وجنة المناظر - ابن قدامة المقدسي - مكتبة المعارف - الثانية - ١٤٠٤هـ

٨٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة - الألباني - المكتب الإسلامي - ومكتبة المعارف الرياض .

٨٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة - الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الأولى - ١٤١٢هـ

٨٩. السنة - ابن أبي عاصم - تخريج الألباني - المكتب الإسلامي - الثالثة - ١٤١٣هـ

٩٠. سنن أبي داود - تعليق عزت عبيد الدعاس - دار الحديث - بيروت - الأولى - ١٣٨٨هـ

٩١. سنن ابن ماجه - تحقيق فواد عبد الباقي - دار الريان للتراث.

٩٢. سنن الترمذي - تحقيق أحمد شاكر - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ

٩٣. سنن الدارقطني - تصحيح سيد عبد الله هاشم - سنة ١٣٨٦هـ

٩٤. سنن الدرامي - تحقيق فواز أحمد زمرلي وزميله - دار الريان - القاهرة - الأولى - ١٤٠٧هـ

٩٥. السنن الكبرى للبيهقي - مصورة من نسخة دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الهند.

الأولى - ١٣٤٤هـ

٩٦. سنن النسائي - مع شرح السيوطي وحاشية السندي - دار الفكر بيروت - الأولى - ١٣٤٨هـ

٩٧. السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات - محمد عبد السلام خضر - دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ

٩٨. سير أعلام النبلاء - الذهبي - تحقيق شعيب أرنؤوط - مؤسسة الرسالة - ١٩٨١ هـ

٩٩. شخصيات وكتب - ابوالحسن علي الندوي - دار القلم - دمشق - الأولى - ١٤١٠ هـ

١٠٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - اللالكائي - تحقيق أحمد سعد حمدان - دار طيبة - الرياض - الثانية - ١٤١١ هـ

١٠١. شرح السنة للبغوي - تحقيق شعيب الأناؤوط - المكتب الإسلامي - دمشق - الأولى - ١٣٥١ هـ

١٠٢. شرح المقاصد - التفتازاني - تحقيق د. عبد الرحمن عميرة - عالم الكتب - الأولى - ١٤٠٩ هـ

١٠٣. شرح عقيدة الطحاوية - لابن أبي العز - تخريج الألباني - المكتب الإسلامي - الخامسة .

١٠٤. الشرق الإسلامي في العصر الحديث - حسن مؤنس - مطبعة حجازي، القاهرة - الثانية - ١٩٣٨ م

١٠٥. الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب - اعداد محمود استانبولى - ١٤٠٠ هـ

١٠٦. الصحاح للجوهري - تحقيق احمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - الثالثة - ١٤٠٤ هـ

١٠٧. صحيح ابن خزيمة - تحقيق محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي .

١٠٨. صحيح البخاري - مطبوع مع فتح الباري.

١٠٩. صحيح الترغيب والترهيب - الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الثالثة - ١٤٠٩ هـ

١١٠. صحيح الجامع الصغير - الألباني - المكتب الإسلامي - الثالثة - بيروت.

١١١. صحيح مسلم - دار القلم بيروت - الأولى .

١١٢. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية - د. محمد أمان الجامي - المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية - الأولى - ١٤٠٨ هـ

١١٣. صفة صلاة النبي - الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الأولى - ١٤١١ هـ

١١٤. صيانة الإنسان محمد بشير السهسواني الهندي - مكتبة ابن تيمية - الرابعة - ١٤١٠ هـ

١١٥. ضعيف الجامع الصغير - الألباني - المكتب الإسلامي - الثانية - ١٤٠٨ هـ

١١٦. ضعيف سنن ابن ماجة - الألباني - المكتب الإسلامي - الأولى - ١٤٠٨ هـ

١١٧. ضوابط الجرح والتعديل - د. عبد العزيز العبد اللطيف - الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - الأولى - ١٤١٢هـ

١١٨. طبقات الشافعية - تحقيق عبد الفتاح وزميله - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٩٥هـ

١١٩. عبقات - شاه محمد اسماعيل - المجلس العلمي - كراتشي - ١٣٨٠هـ

١٢٠. العرب والهند في عهد الرسالة - القاضي اطهر المباركفوري - الهيئة المصرية العامة.

١٢١. العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين - أطهر مباركفوري - ١٣٨٨هـ

١٢٢. عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - د. صالح العبود - المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية - الأولى - ١٤٠٨هـ

١٢٣. عمل اليوم والليلة - النسائي - تحقيق د. فاروق حمادة - مؤسسة الرسالة - الثالثة - ١٤٠٧هـ

١٢٤. عنوان المجد - مطابع القصيم - الرياض - الثالثة - ١٣٨٥هـ

١٢٥. عون المعبود - شمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية بيروت - الأولى - ١٤١٠هـ

١٢٦. غاية الأمان في الرد على النبهاني - محمود شكري الألوسي - مكتبة ابن تيمية.

١٢٧. الفتاوى - ابن تيمية - جمع وترتيب - عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - دار عالم الكتب - الرياض - ١٤١٢هـ

١٢٨. فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة بيروت .

١٢٩. فتح المجيد - المكتبة التجارية - مكة - تعليق الشيخ ابن باز.

١٣٠. فتح المجيد - تخريج أشرف بن عبد المقصود - مؤسسة قرطبة - القاهرة.

١٣١. فتوح البلدان

١٣٢. فرق معاصرة - د. غالب عواجي - مكتبة لينة، الأولى - ١٤١٤هـ

١٣٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل - تحقيق عبد الرحمن عميرة - مكتبات عكاظ - جدة - ١٤٠٢هـ

١٣٤. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة - عبد الرحمن عبد الخالق - مكتبة ابن تيمية - الكويت - الثالثة - ١٤٠٦هـ

١٣٥. الفوائد البهية في تراجم الحنفية - للكنوي - دار المعرفة بيروت -

١٣٦. فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت - على حاشية المستصفى .

١٣٧. الفوز الكبير في أصول التفسير - الشاه ولي الله - ترجمة عطاء الله حنيف - المكتبة السلفية - لاهور - الأولى - ١٣٧١هـ
١٣٨. القائد إلى تصحيح العقائد - عبدالرحمن المعلمي - المكتب الإسلامي - الثالثة - ١٤٠٤هـ
١٣٩. قاعدة جلية في التوسل والوسيلة - ابن تيمية - تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي - مكتبة لينة - الأولى - ١٤١٢هـ
١٤٠. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر - القنوجي - تحقيق - د. عاصم القريوتي - الأولى - ١٤٠٤هـ
١٤١. الكامل في التاريخ - لابن الأثير - دار الكتاب العربي بيروت - السادسة .
١٤٢. الكشف - الزمخشري - مكتبة المعارف - الرياض -
١٤٣. كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة - لابن رجب - تحقيق بشير عيون - مكتبة المويد - الثانية - ١٤١٣هـ
١٤٤. الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ - محمود عبد الرؤوف - دار الصحابة - بيروت - الأولى - ١٤٠٨هـ
١٤٥. كفاح المسلمين في تحرير الهند - عبد المنعم - النمر - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٨٤هـ
١٤٦. لسان العرب - لابن منظور - دار صادر - بيروت .
١٤٧. لواعع الأنوار البهية - للسفاريني - المكتب الإسلامي - بيروت - الثانية - ١٤٠٥هـ
١٤٨. مجلة الجامعة السلفية، العدد الخاص لمؤتمر الدعوة والتعليم - شهر ابريل ومايو - ١٩٨٠م
١٤٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لابن عطية الأندلسي - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى - ١٤١٣هـ
١٥٠. مختصر أصول الفقه - شاه محمد اسمعيل شهيد - ١٣٨٨هـ - المكتبة السلفية - لاهور وصدف بيلشرز - كراشي.
١٥١. مختصر التحفة الاثني عشرية - الشاه عبد العزيز - طبعة دار الإفتاء - ١٤٠٤هـ
١٥٢. مسألة المنبوذين في الهند - عبد العزيز الثعالبي - دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٤١٤هـ
١٥٣. المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين - د. محمد العروسي - دار حافظ للنشر والتوزيع - جدة - الأولى - ١٤١٠هـ
١٥٤. مستدرك الحاكم - دار الكتب العلمية - مصورة من نسخة دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الهند.

١٥٥. المستصفي - الغزالي - مطبعة الأميرية - بولاق - الأولى - ١٣٢٢هـ
١٥٦. المسح على الجورين - محمد جمال الدين القاسمي - المكتب الإسلامي - الخامسة - ١٤٠٦هـ
١٥٧. مسند أحمد - مؤسسة قرطبة .
١٥٨. مشكاة المصابيح - للتبريزي - تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي - الثالثة - ١٤٠٥هـ
١٥٩. معارج الباب في مناهج الحق والصواب - حسن مهدي النعيمي - مكتبة المعارف - الرياض - الرابعة - ١٤٠٧هـ
١٦٠. معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر - معين الدين الندوي - جمعية دائرة المعارف، اعظم كره - ١٣٥٣هـ
١٦١. معجم البلدان للبلاذري - تحقيق فريد عبد العزيز - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى - ١٤١٠هـ
١٦٢. المعجم الصوفي - دكتور. سعاد الحكيم - بوندرة - الأولى - ١٤٠١هـ
١٦٣. معجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - مطابع دار المعارف - مصر - ١٤٠٠هـ
١٦٤. معجم مصطلحات الصوفية - د. عبد المنعم، دار الميرة - بيروت - الأولى - ١٤٠٠هـ
١٦٥. مفتاح دار السعادة - ابن القيم - دار الكتب العلمية - بيروت.
١٦٦. مفتاح كنوز السنة - فنسك - مطبعة مصر - ١٣٥٣هـ
١٦٧. المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني - مكتبة مصطفى الحلبي - القاهرة - ١٩٦١م
١٦٨. مقالات الإسلاميين - تحقيق محمد محي الدين مستو - مكتبة النهضة - مصر - ١٣٨٩هـ
١٦٩. الملل والنحل - الشهرستاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٩٦هـ
١٧٠. المنار المنيف في الصحيح والضعيف - تحقيق أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - السادسة - ١٤١٤هـ
١٧١. مناسك الحج والعمرة - الألباني - مكتبة المعارف - الرابعة - ١٤١٠هـ
١٧٢. المهند على المفند يعني عقائد علماء أهل السنة ديوبند - خليل أحمد سهارنفوري - إدارة اسلاميات - لاهور - الأولى - ١٤٠٤هـ
١٧٣. الموافقات - الشاطبي - دار المعرفة بيروت .
١٧٤. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب - د. عبد الله الطرازي - عالم المعرفة جدة - الأولى - ١٤٠٣هـ

١٧٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض
- ١٣٩٢هـ

١٧٦. ميزان الاعتدال - للذهبي - تحقيق على محمد البجاوي - دار الفكر .

١٧٧. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر - عبد الحي الحسني - مطبعة دائرة المعارف العثمانية -
حيدرآباد - الهند - ١٣٩٣هـ

١٧٨. النزول - الدارقطني - تحقيق د. على ناصر الفقيهي - الأولى - ١٤٠٣ هـ

١٧٩. النهاية في غريب الحديث - تحقيق محمود محمد الطناجي وزميله - دار احياء الكتب العربية -
القاهرة.

١٨٠. النهضة السلفية في الهند وباكستان - محمد اسماعيل السلفي - مطبوع مع تنوير العينين .

١٨١. نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس - لابن رجب - تحقيق
بشير عيون - مكتبة المؤيد - الأولى - ١٤١٢هـ

١٨٢. الهداية - للمرغيناني - مطبوع مع شرحها فيض القدير - دار الفكر بيروت - الثانية

١٨٣. هداية الحكمة - اثر الدين مفضل الهندي - مركز ادب - جامع مسجد ديوبند.

١٨٤. الهند في العهد لإسلامي - عبد الحي الحسني - دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد -
الهند.

١٨٥. وجاء دور المحوس - د. عبد الله الغريب - ١٤٠٢هـ

١٨٦. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان - لابن خلكان - تحقيق - احسان عداس - دار الثقافة -
بيروت .

١٨٧. الولاء والبراء في الإسلام - محمد بن سعيد القحطاني - دار طيبة - الرياض - الرابعة -
١٤١١هـ

١٨٨. البائع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني - على حاشية كشف الأستار من رجال معاني
الأثار - جيد بريس - دهلي - ١٣٣٩هـ

المصادر الأجنبية

مصادر اللغة الأردية:

۱. آب کوثر محمد اکرام - تاج کمبني - دہلی - ۱۹۸۵ م
۲. اہلحدیث اور سیاست - نذیر احمد رحمانی - الجامعة السلفية بنارس - الأولى.
۳. اکمل البیان فی تأیید تقویۃ الإیمان - حافظ عزیز الدین - المكتبة السلفية - لاہور - الأولى - ۱۹۶۵ م
۴. تاریخ اہلحدیث - محمد ابراہیم سیال کوتی - مكتبة التوحید - دہلی - الثانية - ۱۹۹۳ م
۵. تذکرۃ الرشید
۶. تذکرۃ صادقہ - عبد الرحیم الصادق فوری - آزاد پریس - بٹنہ - ۱۹۶۴ م
۷. تذکرہ أبو الکلام آزاد - أبو الکلام - ساهتیہ اکیڈمی - دہلی - الرابعة - ۱۹۹۰ م
۸. تذکرہ شہید - محمد خالد سیف - مكتبة غزنویہ - لاہور - ۱۹۸۳ م
۹. تذکیر الإخوان - شاہ اسمعیل - ترجمۃ محمد سلطان - مكتبة التهانوی - دیوبند .
۱۰. تراجم علماء حدیث ہند - ابو یحیی امام خان نوشہروی - جید برقی پریس - دہلی - ۱۳۵۶ھ
۱۱. تقویۃ الإیمان نسخۃ اردو - تحقیق غلام رسول مہر - طبعۃ دار الافتاء - الرياض - ۱۴۱۰ھ
۱۲. جماعت مجاہدین - غلام رسول مہر - شیخ غلام علی ایند سنس - لاہور.
۱۳. حیات طیبة - مرزا حیرت دہلوی -
۱۴. خانوادہ قاضی بدر الدولہ - محمد یوسف کوکن عمری - دار التصنیف مدراس - ۱۳۸۲ھ
۱۵. رجال اہل حدیث - أبو علی الأثری - طبعۃ پاکستان.
۱۶. رود کوثر - شیخ محمد اکرام - تاج کمبني - دہلی - ۱۹۸۷ م
۱۷. سرگزشت مجاہدین - مہر - شیخ غلام علی ایند سنس - لاہور.
۱۸. سید أحمد شہید - مہر - شیخ غلام علی ایند سنس - لاہور.
۱۹. سیرت سید أحمد شہید - أبو الحسن الندوی - مجلس تحقیقات ونشریات اسلام - لکھنؤ - الثالثة - ۱۳۹۷ھ
۲۰. شاہ اسماعیل - رتبہ عبد اللہ بت - قومی کتب خانہ - لاہور - ۱/۱ اکتوبر/۱۹۴۳ م
۲۱. شاہ ولی اللہ اور انکا خاندان - حکیم محمود برکاتی - مكتبة جامعة لمیند - الأولى - ۱۹۹۲ م

۲۲. شاہ ولی اللہ اور انکی سیاسی تحریک - عبید اللہ سندھی - المحمود اکیدمی - لاہور.
۲۳. شریعت و طریقت - عبد الرحمن کیلانی - الأولى - لاہور پاکستان.
۲۴. علماء دیوبند کا ماضی تاریخ ک آئینہ مین - حکیم محمود برکاتی - جمعیت اہلحدیث - غجرانوالہ - الثانية - پاکستان.
۲۵. فقہاء ہاک و ہند/ج ۳ - محمد اسحق بہتی - ادارہ ثقافت اسلامیہ - لاہور - الأولى - ۱۹۸۹م
۲۶. کالا بانی - محمد جعفر تھانیسری - طارق اکیدمی - فیصل آباد - ۱۹۷۷ م
۲۷. مجلۃ البرہان الشهریہ - أغسطس ۱۹۵۸م
۲۸. مجلۃ الفرقان - العدد الخاص فی ذکرى نسّم أحمد فریدی - ۱۹۸۹م
۲۹. مجلۃ الفرقان الشهریہ - مایو ۱۹۸۹م و مارس و یولیو ۱۹۹۲م و یونیو ۱۹۹۳م
۳۰. مطرق الحديد علی صاحب التحقيق الجديد - حافظ عزیز الدین - جید بریس - دہلی - ۱۳۵۱ھ
۳۱. ملت اسلامیہ کی مختصر تاریخ - ثرولت صولت - مرکزی مکتبہ اسلامی - دہلی - الثانية - ۱۹۹۲م
۳۲. موج کوثر - محمد اکرام - تاج کمبني - دہلی - ۱۹۸۵م
۳۳. مولانا عبید اللہ سندھی کی افکار و خیالات بر ایک نظر - مسعود عالم ندوی - دار الدعوة السلفية - لاہور - الثانية - ۱۴۰۶ھ
۳۴. نصیحة المسلمین - خرم علی بلہوری - مکہ پبلشنگ کمبني - لاہور.
۳۵. ہندوستان کی بھلی اسلامی تحریک - مسعود عالم ندوی - مکتبہ چراغ اسلام - لاہور - الثالثة - ۱۹۸۹م
۳۶. ہندوستان کی سلاطین علماء و مشایخ کی تعلقات - سید صباح الدین - معارف بریس - اعظم کرہ - الثانية - ۱۹۷۰م

المصادر الفارسية:

١. إتحاف النبلاء المتقين ومآثر الفقهاء المحدثين - القنوجي - مطبع نظامي، كانبوره - الهند - ١٢٨٨هـ.
٢. إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح - شاه محمد اسماعيل - افضل المطابع - الهند.
٣. رسالة يك روزي - شاه محمد اسمعيل - مطبوع مع إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح .
٤. صراط مستقيم - شاه محمد اسمعيل - نسخة فارسي - المكتبة السلفية - لاهور -
٥. الصواعق الإلهية بطرد الشياطين اللهاية - محمد بشير الدين - مطبع أحمدي - ١٢٨٠هـ - الهند
٦. مجموعة رسائل ملا حبيب الله قندهاري - مخطوط.
٧. مكاتيب سيد احمد شهيد - مخطوط - طبعت مصورة - سيد أحمد شهيد اكادمي - باكستان.
٨. منصب امامت - شاه محمد اسمعيل - نسخة فارسي - طبعة باكستان .

فهرس المحتويات

١	خطبة الحاجة.....
١	مقدمة.....
٢	أسباب اختيار الموضوع.....
٤	منهج البحث.....
٥	خطة البحث.....
١٢	عقبات في إنجاز البحث.....
١٣	شكرو تقدير.....
١٤	تمهيد.....
١٤	مراحل دخول الإسلام في الهند.....
١٤	المرحلة الأولى.....
١٥	المرحلة الثانية فتح محمد بن قاسم:.....
١٦	دولة الخوارج:.....
١٦	دولة الشيعة:.....
١٨	المرحلة الثالثة.....
١٨	بقاء القارة الهندية في معزل عن الإسلام إلى نهاية القرن الرابع.....
١٨	نبذة عن محمود بن سبكتكين فاتح السند وجيوشه:.....
	دخول الإسلام في الهند عن طريق خراسان الموبوءة بالرفض والكلام:
٢٢
٢١	شدة التعصب المذهبي في مناطق المجاورة للهند.....
٢٢	المرحلة الرابعة.....
٢٤	حال الملوك في الهند.....
٢٤	ملك المغول أسس دينا جديدا وأجبر الناس على قبوله.....
٢٦	حال الدعاة والوعاظ الذين جاثوا الهند.....

٢٧ قصة طريفة حول السماع
٢٩ انتشار القبور والمشاهد في الهند
٣٠ الباب الأول
٣٠ حياة الشاه محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي
٣١ الفصل الأول: عصر الشاه محمد إسماعيل
٣٢ المبحث الأول : البيئة السياسية
٣٣ الاستعمار الإنجليزي
٣٤ الشيخ:
٣٥ مرهته:
٣٧ المبحث الثاني: البيئة الاجتماعية
٣٩ المبحث الثالث: الحالة العلمية
٤٠ العالم من هو المتبحر في الفلسفة والمنطق والتصوف
٤٣ الفصل الثاني: حياته الشخصية
٤٤ المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته ولقبه و ولادته ومواهبه
٤٤ اسمه ونسبه:
٤٤ نسبته:
٤٤ كنيته:
٤٤ لقبه:
٤٤ ولادته:
٤٥ نشأته:
٤٥ مواهبه:
٤٧ المبحث الثاني : صفاته
٤٧ تعبده وزهده:
٤٧ تواضعه:
٤٨ وفاءه بالعهد:

٤٨	شجاعته:
٥٠	المبحث الثالث: استشهاده وثناء العلماء عليه.....
٥١	المبحث الرابع : أسرته العلمية.....
٥١	المطلب الأول : أجداده.....
٥١	الشاه عبد الرحيم.....
٥١	المطلب الثاني: جده الشاه ولي الله ودوره في نشر الكتاب السنة.....
٥٢	تأثره بابن تيمية.....
٥٣	قائد الحركة.....
٥٤	مؤلفات الشاه ولي الله:
٥٥	المطلب الثالث: أولاد الشاه ولي الله ودورهم في نشر الكتاب والسنة.....
٥٦	الشاه عبد العزيز: (١١٥٩ - ١٢٣٩) هـ.....
٥٦	الشيخ الشاه رفيع الدين: (١١٦٣ - ١٢٣٣) هـ.....
٥٦	الشيخ الشاه عبد القادر: (١١٦٧ - ١٢٣٠) هـ.....
٥٦	الشاه عبد الغني والد الشاه محمد إسماعيل: (١١٧١ - ١٢٠٣) هـ.....
٥٨	الفصل الثالث: حياته العلمية.....
٥٩	المبحث الأول : طلبه للعلم.....
٥٩	المطلب الأول: توجهه إلى العلم.....
٥٩	المطلب الثاني: شيوخه.....
٥٩	١- أبوه عبد الغني.....
٥٩	٢- الشاه عبد القادر.....
٥٩	٣- الشيخ عبد الحي بدهانوي.....
٦٠	المبحث الثاني: تلاميذه.....
٦٠	١- الشيخ سيد أحمد.....
٦٠	٢- الشيخ عبد الحق بنارسي.....
٦١	٣- الشيخ ولايت علي الصادقوري.....

- ٤- الشيخ خرم على البلهوري ٦٢
- ٥- الشيخ جعفر علي البستوي ٦٢
- ٦- الشيخ عبد الهادي الجهممكري ٦٢
- ٧- الشيخ سخاوة علي الجونبوري ٦٣
- ٨- الشيخ جلال الدين البنارسي ٦٣
- المبحث الثالث : منزلته العلمية ٦٤
- المطلب الأول : مذهبه ٦٤
- هل رجع الشاه إسماعيل عن منهجه ٦٥
- أنكر بعض المتعصبين كتبه ٦٠
- اختيارات الفقهية للشاه إسماعيل ٦٦
- كسر السبابة في الصلاة إذا أشار بها المصلي ٦٦
- المطلب الثاني : منزلته عند العلماء ٦٧
- المبحث الرابع : مؤلفاته ٧٠
- المطلب الأول : مؤلفاته ٧٠
- ١- رد الإشراف ٧٢
- ٢- تقوية الإيمان ٧٢
- كل ما نراه من صلاح العقيدة وانتشار السنة في الهند يرجع فضل ذلك إلى كتاب "تقوية الإيمان" ٧٣
- ٣- رسالة مختصرة رد فيها على السيد البغدادي ٧٥
- ٤- رسالة إمكان النظر ٧٦
- ٥- تذكير الإخوان ٧٦
- ٦- تنوير العينين في إثبات رفع اليدين، * ٧٨
- شدة التعصب المذهب كما يصوره القنوجي ٧٨
- تأثير كتابه تنوير العينين ٧٩
- ٧- إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح ٧٩
- ٨- أصول الفقه ٧٩

٨٠	٩- منصب امامت: (منصب الإمامة).....
٨٠	١٠- منظومات عدة
٨١	١١- صراط مستقيم
٨٢	١٢- عبقات
٨٤	المطلب الثاني: ترتيب مؤلفاته حسب التاريخ.....
٨٧	تقوية الإيمان وإيضاح الحق الصريح آخر مؤلفاته.....
	الفصل الرابع: دعوة الشاه إسماعيل وأهدافها و المقارنة بين دعوته ودعوة الشيخ
٨٨	محمد بن عبد الوهاب
٨٩	المبحث الأول: تأثيره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
	ادعاء أمير الجماعة المودودي، بأنها تنتسب إلى دعوة الشيخ محمد بن
٨٩	عبد الوهاب
٩٣	المبحث الثاني: منزلة الشاه إسماعيل في الدعوة
٩٤	يرجع فضل كل ما كتب في التوحيد إلى الشاه إسماعيل
٩٦	إخراج الوهابيين عن المساجد ومطاردتهم.....
٩٧	المبحث الثالث: أسس الدعوة و أهدافها:.....
٩٩	المبحث الرابع : وسائل الدعوة.....
٩٩	الخطابة
١٠١	التدريس:.....
١٠١	المنظرة:.....
١٠٣	المبحث الخامس: آثار دعوته في شبه القارة الهندية.....
١٠٥	بماذا امتاز أهل الحديث عن غيرهم.....
١٠٦	إحياء فريضة الحج:.....
١٠٧	إحياء سنة الأرامل.....
١٠٩	المبحث السادس : عبقات في الدعوة.....
١٠٩	مدلول كلمة "الوهابي":.....
١١٠	من دعا إلى ترك الفقه الحنفي والتصوف الهندي فهو شيعي.....

١١١.....	ما أحد طعن وسب وشتم وكفر مثل الشاه إسماعيل
١١٢.....	الفصل الخامس: جهاده بالسيف
١١٣.....	تمهيد
١١٤.....	المبحث الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف واعتراضات المعاندين عليه
١١٤.....	المطلب الأول: الأسباب الداعية إلى الجهاد بالسيف
	المطلب الثاني: جهود الشاه في دحض الشبهات حول دعوة الجهاد
١١٥.....	وتعيين الأمير
١١٦.....	المبحث الثاني: الهجرة لإقامة الجهاد
١١٨.....	المطلب الأول : الهجرة
١١٨.....	المطلب الثاني: مشاكل الهجرة
١٢٠.....	المبحث الثالث : جهود الشاه في إقامة أمير شرعي للجهاد
١٢٠.....	المطلب الأول: أحوال سرحد وأفغانستان
١٢١.....	المطلب الثاني: جهوده في أخذ بيعة الجهاد
١٢١.....	أخذ البيعة الشرعية وإقامة الشريعة الإسلامية:
١٢٢.....	المبحث الرابع: مكيدة خطيرة ضد المجاهدين
١٢٣.....	المطلب الأول: مكيدة خطيرة
١٢٤.....	المطلب الثاني: استشهادهم
	الباب الثاني: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، والتحذير من
١٢٦.....	البدعة وما يصد عن التمسك بهما
١٢٧.....	تمهيد
١٢٧.....	تمسك الصحابة بالسنة
١٢٨.....	كل آية تخالف أصحابنا فهو محمول على النسخ
١٣٠.....	الفصل الأول: جهوده في الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة
	المبحث الأول: دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة خلال شرح الإيمان بالله
١٣١.....	ورسوله

المطلب الأول: استدلاله على التزام التوحيد ونبذ الشرك واتباع الرسول واجتناب البدع بأجزاء الإيمان.....	١٣١
المطلب الثاني: استدلاله على التمسك بالسنة بشرح مقتضى الشهادة والإيمان.....	١٣٢
ذكر بعض البدع الشهرية.....	١٣٣
المطلب الثالث: محبة الله ورسوله تقتضى التمسك بالسنة.....	١٣٥
المطلب الرابع: ترك الحديث بعد ثبوته من مشاققة الرسول.....	١٣٦
المبحث الثاني : في بيان المضار الناجمة من الإعراض عن التمسك بالكتاب والسنة.....	١٣٨
المطلب الأول: الإعراض عن الكتاب والسنة يسبب الفرقة.....	١٣٨
براءة النبي صلى الله عليه وسلم ممن ترك السنة:.....	١٤٢
المطلب الثاني: في التمسك بالسنة نجاة من الفرقة والبدعة.....	١٤٣
المطلب الثالث: فضل التمسك بالسنة عند الغربة.....	١٤٤
المبحث الثالث: مرتبة الكتاب والسنة أمام أقوال الأئمة والمشايخ.....	١٤٥
لا يجوز الانتساب إلى المذاهب والطرق.....	١٤٨
معتقد الديوبنديين.....	١٤٨
الفصل الثاني: جهوده في إبطال ما يصد عن التمسك بالكتاب والسنة.....	١٥٠
إخراج أهل السنة من مكة إلى جدة و من جدة إلى الغربة.....	١٥٢
المبحث الأول: جهوده في رد التقليد الجامد.....	١٥٣
المطلب الأول: في رد التمسك لما يخالف الكتاب والسنة.....	١٥٣
المطلب الثاني: مضار التقليد الجامد.....	١٥٥
أ- الغلو في تقليد الأشخاص شرك.....	١٥٥
ب - الغلو في التقليد والتعصب داء عضال أهلك الشيعة.....	١٥٢
ج - الطعن في من تمسك بالسنة:.....	١٥٧
المطلب الرابع: الرد على من أوجب التقليد.....	١٥٧
الحق ليس محصورا في المذاهب الأربعة:.....	١٥٩

- رد شبهة المقلدين: ١٦١
- المطلب الخامس : حكم التقليد ١٦٢
- الرجوع إلى العلماء الثقات من غير تعيين ١٦٣
- المبحث الثاني: جهوده في رد تحكيم العقول و الأقيسة الفاسدة ١٦٥
- المطلب الأول : جهوده في الرد على تحكيم العقول والأقيسة الفاسدة ١٦٦
- المطلب الثاني: جهوده في إبطال المعتقدات الفاسدة ١٦٧
- المبحث الثالث: جهوده في إبطال علوم، لاتنفع في فهم الكتاب والسنة ١٧٢
- المطلب الأول: التحذير من الخوض في علم الكلام والفلسفة والمنطق
وعلم الصوفية ١٧٢
- قول الذهبي عن الدارقطني : إنه كان سلفيا ١٧٣
- المطلب الثاني: جهوده في الحث على العلم النافع وهو علم الكتاب
والسنة ١٧٤
- الفصل الثالث: جهوده في التحذير عن البدعة ببيان مضارها وأخطارها وتحديد
مفهومها وأقسامها والأمثلة عليها ١٧٨
- المبحث الأول : جهوده في بيان مضار البدعة ١٨٠
- المطلب الأول: البدعة تحدث خللا في الإيمان ١٨٠
- المطلب الثاني: المبتدع يطعن في الله ورسوله ١٨٠
- ما كان من أمر الجاهلية فهو مذموم ١٨١
- المطلب الثالث : المبتدع مطرود من الحوض ١٨٢
- المبحث الثاني: مفهوم البدعة ١٨٣
- المطلب الأول: تقسيم البدعة إلى أصلية و وصفية ١٨٤
- المطلب الثاني: في تحديد مفهوم البدعة الأصلية ١٨٤
- مدلول لفظ "المحدثات" ١٨٤
- متى ينتهي خير القرون ١٨٦
- ما كان عليه خير القرون لا يدخل في معنى المحدثات ١٨٦

١٨٧	شروط إتباع أهل القرون المفضلة والأدلة على ذلك
١٨٩	أفضلية خير القرون بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد
١٨٩	خلاصة ما تقدم
١٩٠	المراد "بالأمور" في الحديث أمور الدين
١٩١	خلاصة تعريف البدعة الأصلية
١٩١	المطلب الثالث: البدعة الوصفية
١٩٢	بيان الأمور التي يهتم بها الأنبياء لأجل النبوة
١٩٢	المطلب الرابع: التفصيل في طرق التشريع
١٩٤	بدعة القيام في ليلة النصف من شعبان
١٩٤	خطأ من يشترط المدن لإقامة الجمعة
١٩٦	المطلب الخامس: ثمة التفصيل في بيان طرق التشريع
١٩٨	المطلب السادس : وجوب مراعاة المراتب في الأمور الشرعية
٢٠١	المبحث الثالث: البدعة الحكيمة أو الفعلية
٢٠١	المطلب الأول : مدار البدعة على اعتقاد صاحبها أنها من الدين
٢٠١	المطلب الثاني: البدعة الحكيمة أو الفعلية
٢٠١	مدلول البدعة الحكيمة
٢٠١	الأطعمة البدعية عن الأموات
٢٠٢	عادات قبيحة في النكاح والزواج
٢٠٣	المطلب الثالث : حكم البدعة
٢٠٣	المقدمة الأولى:
٢٠٤	المقدمة الثانية:
٢٠٦	المقدمة الثالثة:
٢١١	الفصل الرابع: الرد على المبتدعة
٢١٢	المبحث الأول: الرد على الصوفية
٢١٢	المطلب الأول: الصوفية أهم المانعين عن طريق الحق
٢١٤	المطلب الثاني: الرد على عقائد الصوفية ورياضاتهم وأحوالهم

٢١٤	التوحيد الوجودي
٢١٤	وحدة الشهود
٢١٤	الفناء
٢١٤	عالم المثال
٢١٤	الوجد
٢١٥	الحال
٢١٥	الغيوبة
٢١٥	الاستغراق
٢١٥	السكر
٢١٥	الشطح
٢١٥	الرياضات الشاقة
٢١٥	عقد الهمة
٢١٥	إشراف الخواطر
٢١٦	إلقاء الحرارة في قلوب الحاضرين
٢١٧	اعتقاد الناس بأن مشايخهم يجمعونهم من العذاب
٢١٨	المراقبة على القبور
٢١٨	الختم
٢١٨	الرد على الأوراد والأذكار المحدثه
٢١٩	الخلوات والأربعينات
٢٢١	الغلو في تعظيم المرشد
٢٢٢	الرد على شغل البرزخ
٢٢٣	بدعة الاقتداء فيما يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم أو غيره
٢٢٥	بدعة الإسقاط
٢٢٦	الرد على السماع الصوفي
٢٢٩	المبحث الثاني: الرد على بدع الفقهاء

الباب الثالث جهوده في توضيح عقيدة السلف في التوحيد ٢٣٣

الفصل الأول: جهوده في بيان توحيد الربوبية ٢٣٢

المبحث الأول : مدلوله اللغوي و الاصطلاحي ٢٣٤

المطلب الأول: التوحيد في اللغة ٢٣٤

المطلب الثاني: التوحيد في الاصطلاح ٢٣٤

المبحث الثاني : في تعريف توحيد الربوبية وبيان حقيقته ٢٣٦

المطلب الأول: توحيد الربوبية لم يناع فيه الكفار: ٢٣٦

المطلب الثاني: إقرار توحيد الربوبية فطري وعقلي ٢٣٧

المطلب الثالث: تعريف توحيد الربوبية ٢٣٩

المبحث الثالث: الإشارك في توحيد الربوبية ٢٤١

المطلب الأول: رد الإشارك في التصرف ٢٤١

المطلب الثاني: لا تصرف لمخلوق مهما بلغ من المنزلة ٢٤٣

أ- النبي لا يستطيع التصرف في الكون ٢٤٣

ب - خواص الأمة لا يستطيعون التصرف في العالم ٢٦٦

ج - نفي التصرف عن الملائكة ٢٤٨

د - احتجاجه على رد الإشارك في التصرف بالقضاء والقدر ٢٤٩

المطلب الثالث: حكم من اعتقد التصرف فيما سوى الله ٢٤٩

اعتقاد تأثير الأنواء شرك: ٢٥٠

المبحث الرابع : توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ٢٥٣

الفصل الثاني: جهوده في بيان توحيد الألوهية ٢٥٥

المبحث الأول : أهمية توحيد العبادة ٢٥٦

المطلب الأول : مقصود بعثة الرسل، الدعوة إلى توحيد العبادة ٢٥٦

المطلب الثاني: أول واجب على المسلم تفقه معنى التوحيد والشرك ٢٥٨

المطلب الثالث: فضل التوحيد وثوابه ٢٥٨

المبحث الثاني : شرح كلمة التوحيد ومعنى العبادة ٢٦١

المطلب الأول : في شرح كلمة "لا إله إلا الله".....	٢٦١
المطلب الثاني: تعريف العبادة.....	٢٦٢
المبحث الثالث : أفراد العبادة.....	٢٦٤
المطلب الأول : أنواع العبادة كلها حق لله والبشر يستحقون التعظيم	
دون العبادة.....	٢٦٤
المطلب الثاني : سرد أفراد العبادة.....	٢٦٥
منها: السجود.....	٢٦٥
منها: التوكل.....	٢٦٦
جملة من أفراد العبادة.....	٢٦٧
الفصل الثالث: جهوده في توحيد الأسماء والصفات.....	٢٧٠
المبحث الأول : سبب قلة كلام الشاه في موضوع الأسماء والصفات.....	٢٧١
المبحث الثاني: إثبات جميع الصفات والرد على من يؤولها.....	٢٧٥
صفة الاستواء.....	٢٧٥
صفة النداء.....	٢٧٦
تجليه للجبل.....	٢٧٦
رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام.....	٢٧٦
أطيط العرش.....	٢٧٧
صفة الضحك و التبشيش والحب والمعاداة والرضى والسخط.....	٢٧٧
الرؤية.....	٢٧٧
وأنه سيصافح عمر رضي الله عنه.....	٢٧٩
رده على المتكلمين وقواعدهم.....	٢٨١
الكلام حول الجهة والماهية والتكيب العقلي.....	٢٨١
الفصل الرابع : جهوده في توضيح الشرك في الألوهية تعريفه ومضاره وأقسامه	
وأنواعه وشبهات المشركين وإزالتها.....	٢٨٩
ضرر الشرك وخطورته.....	٢٩٠
أعظم الذنوب الشرك بالله وهو محبط للأعمال.....	٢٩٠

الشرك أحب إلى الشيطان من المعاصي:.....	٢٩١
الشرك أعظم الظلم وأقبح العيوب:.....	٢٩٢
المنبوذ عند الهنادكة:.....	٢٩٢
الشرك يحبط الأعمال:.....	٢٩٣
مضرة الشرك من ناحية العقل والواقع:.....	٢٩٣
المبحث الأول: تعريف الشرك، وأقسامه، والرد عليها، وإبطال الإشراك في	
صفة علم الغيب.....	٢٩٥
المطلب الأول : تعريف الشرك وأقسامه.....	٢٩٥
أقسام الشرك:.....	٢٩٦
الإشراك في العلم:.....	٢٩٦
الإشراك في التصرف:.....	٢٩٧
الإشراك في العبادة:.....	٢٩٨
الإشراك في العادات:.....	٢٩٩
المطلب الثاني: رد الإشراك في صفة علم الغيب، ونفيها عن جميع الخلق.....	٢٩٩
المطلب الثالث : طرق معرفة الغيب كلها كذب وزور و ادعاء بالالوهية،.....	٣٠٢
رد شبهة حول وقوع ما تنبأ المتنبيون:.....	٣٠٣
المبحث الثاني : ذكر جملة من أنواع الشرك وسد الذرائع الموصلة إليها.....	٣٠٤
المطلب الأول : الشرك في الدعاء والرجاء والخوف والذبح والنذر	
والحلف بغير الله و في الطاعة.....	٣٠٤
١- الدعاء.....	٣٠٤
٢- الخوف والرجاء.....	٣٠٦
٣- الذبح لغير الله.....	٣٠٦
النهي عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله.....	٣٠٧
٤- النذر لغير الله.....	٣٠٨
٥- النهي عن الحلف بغير الله.....	٣٠٩
٦- الشرك في التشريع.....	٣١٠

المطلب الثاني : حماية التوحيد بسد جميع الذرائع إلى الشرك..... ٣١٣

أولاً: النهي عن الكلمات الشركية..... ٣١٣

١- نهيه عن إطرء النبي صلى الله عليه وسلم وغيره..... ٣١٦

٢- النهي عن إطلاق لفظ "السيد"..... ٣١٦

٣- النهي عن إطلاق لفظ عبدي وأمتي ونحوها من الألفاظ الشركية

..... ٣١٧

٤- النهي عن قول ما شاء الله وشئت..... ٣١٩

٥- الاستشفاع بالله على المخلوق..... ٣١٩

ثانياً : النهي عن الأعمال الشركية..... ٣٢٠

١- النهي عن العرافة والكهانة وعلم النجوم..... ٣٢٠

٢- النهي عن الطيرة..... ٣٢١

تعريف التناسخ..... ٣٢٢

٣- النهي عن الصور..... ٣٢٤

٤- التغيير في خلق الله..... ٣٢٦

٥- النهي عن الأسماء المعبدة لغير الله..... ٣٢٧

٦- النهي عن العادات الشركية..... ٣٢٨

٧- الأعمال الشركية عند القبور..... ٣٣٠

المبحث الثالث: عودة الشرك القديم في الأمة وشبهات المشركين في ذلك

..... ٣٣٢

المطلب الأول : وقوع الشرك في الأمة المسلمة..... ٣٣٢

بدع الشيعة..... ٣٣٣

المطلب الثاني شبهاتهم في اتخاذ الوسائط..... ٣٣٥

المطلب الثالث: إزالة هذه الشبهات..... ٣٣٦

الشفاعة لا يملكها إلا الله..... ٣٣٦

أنواع الشفاعة المعهودة..... ٣٣٨

منها: شفاعة الوجاهة..... ٣٣٩

منها شفاعاة المحبة:	٣٤١
الشفاعة الثابتة من القرآن والحديث:	٣٤٤
التوسل في الدعاء:	٣٤٤
وجوب الحذر من الشرك وان كان فيه ابتلاء:	٣٤٥
الفصل الخامس جهوده في الإيمان بالأنبياء والقدر وفي بيان مسائل الإيمان وفضائل	
الصحابة، والإمامة	٣٤٧
خرق العادة:	٣٥٠
علامات صدق الرسول:	٣٥٢
كفر من طعن في النبي صلى الله عليه وسلم:	٣٥٣
اعتقاد بشرية الأنبياء عليهم السلام:	٣٥٣
المبحث الثاني الإيمان بالقدر	٣٥٥
القدرية	٣٥٦
الجبرية:	٣٥٧
المبحث الثالث: مباحث الإيمان	٣٥٩
حكم مرتكب الكبيرة	٣٦٢
تكفير المعين:	٣٦٤
الشفاعة:	٣٦٦
المبحث الرابع: فضائل الصحابة	٣٦٨
المبحث الخامس: الإمامة	٣٧٠
المطلب الأول: تعريف الإمامة	٣٧٠
المطلب الثاني: أقسام الإمامة	٣٧٢
المطلب الثالث: تعريف الخليفة الراشد والأحكام المتعلقة به	٣٧٤
أحكام الخليفة الراشد:	٣٧٥
ذكر الإمامة الحكيمة:	٣٧٨
السلطنة العادلة:	٣٧٩
السلطنة الجائرة:	٣٨٢

٣٨٤	السلطنة الضالة
٣٨٦	سلطنة الكفر:
٣١١	خاتمة
٣٩١	فهرس الآيات
٣٩٦	فهرس الأحاديث
٤٠٣	فهرس الأعلام
٤٠٦	فهرس الأماكن
٤٠٧	فهرس الملل والفرق
٤٠٨	فهرس المصادر والمراجع
٤٢١	فهرس المحتويات